وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الموصل
مركز دراسات الموصل

الموصل والمؤرخون الموصليون في العهد الجليلي

١٧٢٦-١٨٣٤ م

بيرسي كيمب

ترجمة
محب احمد الجليلي و غانم العكيلي
مراجعة الترجمة
صلاح سليم علي

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة الموصل
مركز دراسات الموصل

الموصل والمؤرخون الموصليون في العهد الجليلي

(١٧٢٦ - ١٨٣٤م)

بيرسي كيمب

ترجمة

محب أحمد الجليلي و غانم العكيلي

مراجعة الترجمة

صلاح سليم علي

١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م

حقوق الطبع محفوظة للمركز

الناشر: مركز دراسات الموصل – جامعة الموصل

الكتاب: الموصل والمؤرخون الموصليون في العهد الجليلي (١٧٢٦-١٨٣٤م)

تأليف: بيرسي كيمب

ترجمة: محب احمد الجليلي و غانم العكيلي

تاريخ الطبع: تموز ٢٠٠٧

رقم الايداع في المركز: (١٠) لسنة ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م

نبذ عن المؤلف والمترجمين

بيرسي كمب

عضو جمعية المترجمين، يعمل حالياً استاذاً زائراً في جامعة اكدار في النرويج. ولد في بيروت من ام لبنانية واب بريطاني عام ١٩٥٢. درس في مدرسة نوتردام الجزويتية وحصل على البكالوريوس تاريخ من جامعة ليون. انتقل الى انكلترا لدراسة الماجستير في دراسات موقعية في الشرق الاوسط في مدرسة الدراسات الشرقية والافريقية. حصل على شهادة الدكتوراه فلسفة في الدراسات الشرقية من جامعة اوكسفورد. انتقل للدراسة في فرنسا وحصل على شهادة الدكتوراه في الحضارة الاسلامية من جامعة السوربون.

اسس مركز دراسات الشرق الاوسط التكتيكية عام ١٩٨٦. اسهم في العديد من الدوريات والمجلات الاكاديمية ببحوث ودراسات متنوعة ومن ابرز مؤلفاته بالاضافة الى اطروحته عن مؤرخي الموصل في العهد الجليلي البلدان الاسلامية: الحياة في الموصل في القرن الثامن عشر١٩٨٢، مطبعة السندباد في باريس وكتابه بالمشاركة مع اندريه ميكول مجنون ليلى: تاريخ الحب المجنون١٩٨٤. كتب خمس روايات نشرت في فرنسا. متزوج وليس له اولاد. يعيش حالياً متنقلاً بين بيروت ولندن وقرية صغيرة في شمالي فرنسا.

محب احمد الجليلي

ولد في الموصل في عام١٩٣٠. حاز على البكالوريوس من كلية الحقوق في بغداد سنة ١٩٥١. درس لغة انكليزية في لندن عام ١٩٥١-١٩٥٢. التحق بشركة نفط العراق في كركوك سنة ١٩٥٢. كما التحق بدورة تدريبية مع شركة نفط العراق في لندن عام ١٩٥٥-١٩٥٦.

اصبح مدير التوظيف لشركة نفط العراق في كركوك. ومدير عام التوظيف لشركات النفط العاملة بالعراق في بغداد ١٩٦٧-١٩٧٢. وهو عضو جمعية المترجمين العراقيين. كما اسس مكتب محب الجليلي للاستشارات القانونية وعمل مستشاراً لشركات كبرى عاملة بالعراق وتوفي في بغداد في ٢٠٠٢/٩/٢٣.

غانم عبد الله العقيلي

ولد في الموصل عام ١٩٢٨، وحاز على البكالوريوس علوم شرف في الهندسة الكيميائية (النفط) جامعة برمنغهام، انكلترا، ١٩٥٢. يتقن اللغة العربية والانكليزية والفرنسية. عمل في شركة نفط العراق في كركوك واخواتها في الموصل والبصرة من عام ١٩٥٣ وحتى عام ١٩٦١.

عمل رئيساً للدائرة الفنية في الامانة العامة لمنظمة الاقطار المصدرة للنفط (اوبك) في جنيف ١٩٦١ حتى عام ١٩٦٤. واصبح مديراً للمصافي العام ومدير شؤون النفط العام ووكيلاً لوزارة النفط في بغداد ١٩٦٣. ومديراً لدائرة التوثيق في معهد النفط العربي اوابك / بغداد ١٩٨٢.

صلاح سليم علي

ولد في الموصل عام ١٩٥٠، حصل على البكالوريوس اداب من جامعة الموصل عام ١٩٧٦. حصل على شهادة الماجستير ترجمة ولسانيات من جامعة باث في المملكة المتحدة عام ١٩٨٢. عمل في التدريس والبحث في الترجمة الادبية واللسانيات المقارن للفترة ١٩٨٢ وحتى عام ٢٠٠٧. رأس قسم الترجمة في مركز الدراسات التركية للفترة من ١٩٨٦ وحتى ١٩٩٦.

حصل على درجة استاذ مساعد عام ٢٠٠٦. الف العديد من الكتب والمقالات والبحوث العلمية في الترجمة والنقد الادبي والقصة والشعر ونشر له العديد من الدراسات في دوريات عالمية محكمة. وترجم عشرات الادبيات في مختلف حقول المعرفة الانسانية. وهو عضو اتحاد الادباء العراقيين.

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

وقعت الموصل تحت سيطرة الدولة العثمانية اثر الانتصارات التي حققها السلطان العثماني سليم الاول على الشاه اسماعيل الصفوي، في المعركة الفاصلة بينهما (جالديران) سنة ١٥١٤م. ذلك الانتصار الذي مكن السلطان سليم الاول من بسط نفوذه على المناطق الشمالية للعراق كالعمادية واربيل وكركوك. وان ما انجزه السلطان العثماني كان ممهداً لانطلاقة خليفته السلطان سليمان القانوني في بسط نفوذه على عموم مناطق العراق منذ سنة ١٥٣٤م والتي احتل فيها بغداد واعقبها سنة ١٥٣٥م بإطباقه نحو الجنوب باتجاه السيطرة على البصرة وبذلك دانت له الهيمنة على عموم مناطق العراق.

حيث غدت الموصل مركزاً لاحدى الولايات العثمانية الثلاث في العراق وهي (الموصل، بغداد، البصرة).

وقد اعتاد العثمانيون عند سيطرتهم على منطقة ما ان يقوموا بالتركيز على الجوانب الاقتصادية للمنطقة، وذلك عن طريق احصاء عدد القرى فيها ومن ثم تقسيمها الى اقطاعيات صغيرة يتم منحها الى الجنود المحاربين، في حين كانت المقاطعات الكبيرة من نصيب القواد ذوي الرتب الكبيرة، كما يتم تقسيم البلاد الى ايالة ولواء ثم سنجق و كل لواء يضم مقداراً من التيارات والزعامات، وبعدها يعين الوالي للبلاد، وليكون بمثابة نائباً عن السلطان العثماني مزوداً بصلاحيات كبيرة.

والمتصفح لتاريخ الموصل وعقب السيطرة العثمانية عليها، يلحظ دون عناء العدد الكبير للولاة الذين تعاقبوا على حكمها، مع غياب فلسفة واضحة للحكم وكان التركيز على الهيمنة الاقتصادية وفرض الضرائب الباهضة من العلامات الفارقة للحكم العثماني فيها. مشوبة بجهل الولاة لطبيعة مكونات الموصل ونسيجها الاجتماعي وعادات وتقاليد اهلها والقيم السائدة في المجتمع.

ان التطور اللافت الذي شهدته الموصل خلال الربع الاول من القرن الثامن عشر، هو تشكيل الحكم المحلي على اثر بروز المشاركة الفاعلة للاسر المعروفة في المدينة وبخاصة الاسرتين العمرية والجليلية، الذين لعبوا ادواراً مهمة على صعيد الاحداث السياسية والفعاليات الاقتصادية والحياة الفكرية، اذ تمكنت الاسرة الجليلية من احتكار السلطة السياسية في الموصل لحقبة تربو عن القرن من الزمان، (١٧٢٦-١٨٣٤م) في حين ساهمت الأسرة العمرية في الحركة الفكرية التي شهدتها الموصل خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وذلك بما جادت به من رجالات ساهموا في التدوين التاريخي، والحوليات والتراجم والتأليف في مجال الادب والشعر والفقه والعلوم الدينية والفقهية، فضلاً

عما شهدته الموصل من حركة في التجديد الديني واحتدام فكري بين ما هو مؤيد او معارض لتلك الطروحات..

ومن الاهمية هنا الاشارة الى الحدث الاكثر بروزاً خلال فترة الحكم المحلي، والمتمثل بتصدي الموصل البطولي لاعتى هجمة شرسة وتاريخية تعرضت لها متمثلة بهجوم وحصار نادر شاه على الموصل سنة ١٧٤٣م، وما نجم عنه من نتائج مهمة القت بظلالها على طبيعة الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية.

وعليه يمكن تقرير أهم مميزات وملامح العهد الجليلي في الموصل (١٧٢٦-١٨٣٤م) بما يأتي:

١- ان نظرة معمقة على سيّر وتراجم الادباء في الموصل خلال تلك الحقبة يدلل على طبيعة العلاقات الثقافية والفكرية التي سادت الموصل مع البلدان العربية وبخاصة بلاد الشام ومصر فضلاً عن العلاقات مع اسطنبول.

٢- ولا نغفل ما طبع الحياة الفكرية في الموصل منذ منتصف القرن التاسع عشر من دعوات التجديد الديني فيها ومحاربة بعض العادات والممارسات التي تبتعد عن جوهر العقيدة الاسلامية والسنّة.

٣- توكيد النزعة الوطنية في الموصل، التي تجلت بأبهى صورها من خلال التلاحم المصيري والموقف البطولي لأهالي الموصل في الدفاع عن حياض مدينتهم امام الحصار القاسي الذي فرضه نادرشاه ضدها.

٤- غزارة التأليف وتمكين الكتّاب والمؤلفين من مصنفاتهم في التاريخ والجغرافية واللغة العربية والعلوم المختلفة في الادب والفقه والتفسير والتراجم والحوليات وقرض الشعر، اذ برز جمهرة من المؤلفين بمصنفاتهم التاريخية في الاطار التاريخي المحلي فضلاً عن التاريخ العام وفي طليعتهم: عثمان الدفتري العمري ويحيى بن عبده الجليلي والاخوين امين وياسين بن خير الله العمري وعلي بن ياسين العمري واحمد بن الخياط وغيرهم.

ان هذا الكتاب هو في الحقيقة اطروحة لنيل شهادة الدكتوراه لبيرسي كيمب (Percy E. Kemp) التي قدمت الى جامعة اكسفورد (Oxford University) عام ١٩٧٩ بعنوان (الموصل والمؤرخون الموصليون في العهد الجليلي ١٧٢٦-١٨٣٤) (Mosul and Mosuli Historians of the Jalili era) وبالرغم من دلالة هذا العنوان، غير ان بيرسي كيمب قد خصص فصلاً واحداً تناول فيه (مؤرخو الموصل) خلال العهد الجليلي ومؤلفاتهم ومخطوطاتهم التاريخية واماكن وجودها مع التأكيد على مضامينها التاريخية فضلاً عن فصلاً اخر حمل عنوان (صور موصلية للتاريخ العثماني)، معتمداً على المؤلفات الاصلية والمخطوطات في اماكن متعددة ومقارناً بينها مع تركيزه على المصادر المحلية وما كتب عن الموصل من دراساتهم وكتب ومقالات وبلغات متعددة.

ان هذا الكتاب يمثل جهداً علمياً متميزاً بما تضمنه من تحليلات فكرية ومقاربات تاريخية واستنتاجات منطقية وفق المنهج العلمي الاكاديمي، وبلغة سلسة لا يشوبها التعقيد. بالرغم من وجود رسالة ماجستير متميزة للمؤرخ الاستاذ الدكتور عماد عبد السلام رؤوف الذي عالج فيها فترة حكم الاسرة الجليلية بجوانبها المتعددة بعنوان (الموصل في العهد العثماني-فترة الحكم المحلي ١٧٢٦-١٨٣٤م) وطبعها سنة ١٩٧٥، فضلاً عن كتابات المؤرخ الموصلي سعيد الديوه جي في كتابيه تاريخ الموصل بجزئيه ومؤلفاته الاخرى خلال نفس الفترة.

وقد قام بترجمة اطروحة بيرسي كيمب السيدان محمد احمد الجليلي وغانم العكيلي وقام بمراجعة الترجمة أ.م. صلاح سليم علي. ومن المفيد الاشارة الى ان الترجمة جاءت في بعض الفصول او الفقرات مركزة وفي أماكن أخرى مختصرة او بتصرف لضرورات ارتأها المترجمون. وللضرورة ايضاً فقد تم تشذيب بعض المصطلحات، توخياً للدقة العلمية وما هو سائد. وفي الحقيقة فان الأستاذ الدكتور ابي سعيد الديوه جي رئيس جامعة الموصل، قد نبه الى اهمية تبني مركز دراسات الموصل، نشر هذا الكتاب (بعد ان حصل على موافقة المؤلف) والذي يعد اضافة حقيقية الى مكتبتنا التاريخية الوطنية. ننتهز هذه الفرصة لنعبر عن عميق امتناننا للسيد رئيس الجامعة لدعمه المتواصل لاصدارات مركزنا ولكل ما له صلة بتطوير العمل البحثي والنشر العلمي الاكاديمي وبما يخدم مدينتنا وتاريخها الوضّاء. ولا يفوتني الإشادة بالمراجعة العلمية والملاحظات التاريخية الدقيقة التي أبداها الأستاذ الدكتور خليل علي مراد للكتاب، فضلاً عن المراجعة الاولى للدكتور يوسف جرجيس، ولا بد من توجيه الثناء للجهود المبذولة في طباعة الكتاب من قبل الموظفات: عبير حكمت شكري وسفانة عادل سعيد ونجاح يوسف يوخنا.

ومن الله التوفيق والسؤدد

بقلم الدكتور ذنون يونس الطائي

مدير مركز دراسات الموصل

تموز ٢٠٠٧

المقدمة

تقع مدينة الموصل في شمالي العراق على مفترق طرق، وهي بهذا تمثل في الحقيقة همزة الوصل الجغرافي، لأنها الموصل بوابة العراق ومفتاحه للبحر الأبيض المتوسط، "وكثيراً ما سمعت أن بلاد الدنيا العظام ثلاثة: نيسابور لأنها باب الشرق ودمشق لأنها باب الغرب والموصل لأن القاصد الى الجهتين قل ما لا يمر بها"[1] وهي همزة وصل لفظية، افلا يقال ان في جذر كلمة موصل الفعل وصل؟ ثم ما هي وصل ان لم تكن للربط والوصل؟

كانت الموصل في القرن الثامن عشر على مفترق طرق: جغرافياً وعرقياً ودينياً ولغوياً وثقافياً واقتصادياً وعسكرياً؛ ومفترق طرق نما وتوسع حول اسرة محلية من الحكام، هم الجليليون. وتلقي هذه الدراسة الضوء على بزوغ الموصل على المسرح التاريخي في العهد العثماني: نموها كمدينة، حركية النشوء الاجتماعي، السياسي، الارتقاء والافول النهائي للحكم المحلي، طبيعة الاقتصاد الموصلي، مدى سيطرة الموصل على شرايين المواصلات الرئيسية، والصورة الجانبية الثقافية للمدينة خلال ذلك العهد، أي بعبارة اخرى: "القاء المزيد من الضوء على العلاقة المتبادلة بين الموصل المدينة، والاسرة الجليلية التي ظهرت اصلاً في ديار بكر لتأتي الى الموصل، وتستقر بها وتحكمها لاكثر من مائة عام (١٧٢٦-١٨٣٤) وذلك في النصف الثاني من القرن السادس عشر حيث احتكرت عملياً حكم ولاية الموصل العثمانية. وفي عام ١٧٤٣ قاد حسين باشا الجليلي الثاني الذي عين والياً للموصل، مقاومة المدينة الناجحة ضد اكباش جيوش نادر شاه، فكان هذا الحدث الكبير في تاريخ الموصل العثمانية عاملاً مساعداً مهماً في تكريس سلطة الاسرة الجليلية وهيبتها، وبخاصة بيت حسين باشا نفسه الذي مارس احفاده شبه احتكار لوظيفة الوالي وصاروا الحكام الفعليين للمدينة سواء كانوا في الوظيفة او خارجها حتى العقد الثاني من القرن التاسع عشر.

ان اندفاعاً كهذا الحكم الذاتي، وتركيزاً للسلطة في مجموعة محلية مفردة، لم يكن بالتأكيد غريباً على الموصل. وحتى لو استثنينا محاولات استلام السلطة من قبل الاعيان والدره بكوات[*] في الاناضول، والمماليك في مصر والدايات والبايات في شمالي افريقيا العثمانية، فما يزال هنالك امثلة اخرى عديدة تذكرنا بالموصل لقوى متمردة تسعى الى تقويض بنية الادارة العثمانية الاقليمية، وتتلمس طريقها للسلطة بخطوط متباينة ومن هذه الامثلة: الباشوات المماليك في بغداد، الباشوات الزيدانية والجزارية في جنوب سوريا وفلسطين، وآل العظم في دمشق، هذا فضلاً عن السلطات المحلية المتنوعة ذات القواعد الطائفية (الشهابيون في جبل لبنان، الاكراد البهدينان في العمادية، الاكراد البابان في قره جولان)، وما الى ذلك من تحديات عديدة واجهت الحكم العثماني[2]. مع ذلك فأن كانت ظاهرة الحكم المحلي غير غريبة عن الموصل، حقاً جاز لنا القول ان الشروطيات الخصوصية لهذا الحكم يجب ان تكون تعبيراً لحقائق محلية يمكن ان نحدد باختصار خطوطها

---

(١) ياقوت الحموي، معجم البلدان، اف. ويستنفلد (المحقق)، المجلد الرابع (لايبزك١٨٦٩)، ص٦٨٣.

*معناها الحرفي بالتركي: سادة الوادي وهو مصطلح استخدم للدلالة على الزعامات المتنفذة او كبار الاعيان في الاناضول.

(٢) من اجل صورة عامة لفقدان سلطة الحكومة المركزية في الولايات العربية من الامبراطورية في القرن الثامن عشر، انظر: ب.ام. هولت، مصر والهلال الخصيب ١٥١٦-١٩٢٢م، (نيويورك، ١٩٦٦).

العريضة بوضع الموصل في الاطار الجيوبولوتيكي للولايات العربية للامبراطورية العثمانية في القرن الثامن عشر.

الحقيقة المحلية الاولى هي السلطات الثنائية، والمتناقضة غالباً، التي خضعت لها الموصل، فولاية الموصل، نظرياً، يحكمها والٍ يعينه الباب العالي مباشرة؛ ومع ذلك فقد كان للباشوات المماليك في بغداد في الفترة موضوع الدرس رأي كبير في ترشيح الولاة الموصليين، وعلى قدر كبير خلال حكم اكثر المماليك سطوة (سليمان ابو ليلة و سليمان الكبير وداؤد) مما حدا بالجليليين الى السعي لأن يكون لهم صلات مع سراي السلطان في بغداد اكثر من سعيهم ان يكون لهم وكلاء في الباب العالي.

وفي الوقت الذي كان العراق كله من البصرة جنوباً والى ماردين شمالاً، خاضعاً لسلطة الباشوات في بغداد، كان الجليليون قادرين على الحفاظ على استقلال الموصل بقيامهم بعملية موازنة دقيقة بين السلطان الاسمي عموماً في اسطنبول، والحاكم الفعلي للعراق في بغداد. وقد يكون الجليليون ولاة ووزراء (بثلاث اذرع)(*) مع ذلك فان سلوكهم السياسي كان في وجوه عدة مشابهاً للامراء البابان الاكراد الذين يحركون باشوات بغداد ضد شاهات فارس، او الشهابيين في جبل لبنان الذين اعتادوا المناورة بين والي دمشق ووالي صيدا(١).

ان القوى النافذة في القرن الثامن عشر في الولايات العربية للامبراطورية العثمانية اعتمدت على ثلاث قواعد مختلفة للقوة وسعت الى تقويتها لكي تعزز مركزها. وقواعد القوة المختلفة الثلاث هذه كانت: القاعدة الطائفية سواء كانت حزبية (زمروية)، دينية او عرقية (بابان، بهدينان، شهابيون) اسر المماليك (بكوات مصر، باشوات بغداد، آل الجزار والروابط العائلية(٢). ومن هذا الوجه فان الحكم الجليلي في الموصل كان اقرب الى حكم آل العظم في سوريا وحكم الزيدانية في الجليل منه الى المجاورين المماليك في بغداد او الاكراد الى الشمال والشرق من الموصل.

ان آل العظم والجليليين بصفتهم اسراً حاكمة محلية يتشاطرون نقاط مشتركة اخرى: فقد عين اسماعيل بن ابراهيم العظم والياً لدمشق في عام ١٧٢٥م، واصبح اسماعيل بن عبد الجليل، الوالي الاول، حاكماً للموصل في السنة التالية؛ فتح آل العظم حاكمية دمشق من اجل خدمات عسكرية قدمت للدفاع عن المعرة ضد البدو الغزاة؛ بينما رفع الجليليون لاعلى وظيفة اقليمية للخدمات العسكرية التي قدمت ضد العدو الفارسي(٣). وهنا ينتهي التماثل بين العائلتين، فبينما نشأ آل العظم في شمالي سوريا واصبحوا دمشقيين اقحاح

(*) اطواغ وليس اذرع والطوغ خصلة من شعر الحصان يزين بها الحصان الذي يركبه الوالي وتدل على مرتبته. فاذا كان والي بدرجة بكلر بك (امير امراء) يحق له تزيين حصانه بطوغين اما اذا كان باشا (أي وزير) فثلاثة اطواغ.

(١)عن حكم الشهابيين أنظر: ك.س. ثابت، "حكم الشهابيين في جبل لبنان، ١٦٩٧-١٨٠٤" رسالة ماجستير في الادب، اكسفورد ١٩٧٩ غير منشورة.

(٢)هذا لا يعني ان أياً من قواعد القوة الثلاثة وجدت في صيغة بحتة ومع ذلك فان واحدة هيمنت ففي مصر مثلاً الاسرة المملوكية كانت مهيمنة، ولو أنها كانت مشبعة بروابط الدم العائلي حيث ان ولي عهد القائد يحظى بالأسبقية غالباً على خوش واشية: أنظر د.ايالون "دراسات في الجبرتي: ملحوظ على تحول المجتمع المملوكي في مصر تحت حكم العثمانيين" في مجلة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق (١٩٦٠).

(٣)قارن ما بعد، ص١٢١ و أ.ك. رفيق: ولاية دمشق ١٧٢٣-١٧٨٣ (بيروت ١٩٦٦) صفحات ٩٠ الى ٩٢.

حوالي عام (١٧٥٠) (أي خلال عهد الوالي الثاني من آل العظم وبعد ربع قرن من تعيين الوالي الاول من آل العظم لولاية دمشق)، فان الجليليين كانوا قد تجذروا في الموصل لاكثر من نصف قرن قبل ان يصبح اسماعيل بن عبد الجليل حاكماً للولاية. كان الجليليون بلا شك عائلة موصلية وجيهة وظفت ثروتها ومركزها في الموصل فضلاً عن قاعدة قوتها المحلية في محاولتها لاستلام السلطة، وهذا بالضبط ما منع الوالي الجليلي من ان يتصرف بالطريقة التي تصرف بها اسماعيل باشا العظم عندما عين والياً لدمشق وذلك بتبنيه سياسة احتكارية واعتماده على الضرائب لزيادة ثروته وسلطته. وطيلة الفترة التي حكم فيها آل العظم في سوريا قامت ثورات شعبية ضدهم احتجاجاً على ضرائبهم واتهم الدمشقيون علناً اسعد باشا العظم على ارباحه وجشعه[١]. ان هذه السياسات الابتزازية وردود الفعل الشعبية لم يحدث مثلها في الموصل الجليلية، والثورة الشعبية الوحيدة التي قامت ضد والي جليلي كانت قد حدثت في نهاية العهد الذي نتناوله بالدراسة الان، وكانت تلك الثورة في الحقيقة واحدة من العوامل التي ادت الى سقوط العائلة. ان علاقة الجليليين بالموصل كانت اكثر حميمية من علاقة آل العظم بدمشق وان تاريخ الموصل في القرن الثامن عشر واوائل التاسع عشر يمتزج بالاسرة الجليلية ويقترن بها. فهنالك شيء اسمه (الموصل الجليلية) ولم يكن هنالك اطلاقاً شيئاً اسمه "دمشق العظمية". ويميز الموصل تركيب محدد للسياسة الحضرية للفترة التي ندرسها. اما في حلب وفي الفترة نفسها فان القوى الرئيسية الثلاثة في المدينة كانت: الانكشارية، الاشراف والادارة التركية الزائلة، أي ان هنالك اساساً فريقين محليين متخاصمين وفريقاً ثالثاً اجنبياً يسعى دائماً للاستفادة من منافستهما[٢]. وان موقع حلب الستراتيجي، حيث تقع على الطريق الى مصر والطريق الى فارس[٣] وقربها من عاصمة الامبراطورية، جعل من الصعوبة بمكان لأية اسرة او فئة محلية ان تمارس سلطة كاملة ومستقرة في الولاية اما في دمشق وفي غياب أية فئة سياسية كبرى فقد احتكر الانكشارية المسرح، ومع ذلك وعلى الضد من الانكشارية الحلبية، فان انكشارية دمشق كانوا منقسمين الى فريق "اليرلية" المحلي وفريق القابي قولو الاجنبي. ولم يستطع الفريق الاخير ان يحرز التعايش التام مع السكان المحليين لان سرايا جديدة من القابي قولو كانت تتوافد على الدوام الى المدينة[٤]. وهكذا في دمشق كما في حلب كان العنصر الاجنبي عاملاً مهماً في كل التوافقات السياسية ونصيراً نشطاً في كل نزاعات السلطة. وفي ضوء هذه النظرة، فان نمط السياسة الحضرية في الموصل الجليلية كان مطابقاً لمسار الحكم في بغداد او مسار الحكم في مصر تحت البكوات والباشوات المماليك في حين ان الممثلين الكبار في جميع الصراعات السياسية، اعتمدوا اساساً على القوى المحلية التي هيمنت على المسرح[٥].

---

(١)رفيق، دمشق، صفحات ٩٥-٩٦، ١٠٧، ١٧٧.

(٢)انظر: ايج. ايل. بودمان، الفئات السياسية في حلب، ١٨٧٠-١٨٢٦ (مطبعة جامعة كارولينا الشمالية، ١٩٦٣).

(٣)قارن دور حلب في حملات سليم الاول الفارسية والاحتكاكات الناجمة مع المملوكي قانصوه الغوري.

(٤)أنظر: رفيق، صفحات، ١٦٧، ١٧٥.

(٥)بينما في دمشق مثلاً يستطيع والي محلي كأسعد باشا العظم في عام ١٧٤٦ ان يطلب سرية من قلبي قولو لترسل الى دمشق، معتمداً بذلك على عامل اجنبي في محاولته لتقوية مركزه: أنظر، رفيق، دمشق، ص١٦٧.

ففي بغداد قلص حسن باشا وولده احمد باشا قوة الانكشارية، وتبعاً لذلك فانهم لعبوا دوراً ثانوياً في بغداد المملوكية حيث ضبطهم سليمان باشا ابو ليلة وخشداشيته وخلفاؤه: حكام محليون بقاعدة سلطة محلية[١]. اما في مصر فان الفيالق المتميزة التي تشكل القوات المسلحة في القاهرة[٢]، اصبحت كلها بحلول القرن الثامن عشر تحت هيمنة الانكشارية. وخسر هؤلاء المبادرة للمماليك الذين اصبحوا في ايديهم[٣].

وفي بغداد كما في مصر اصبحت فئات مسلحة محلية كانت في الاساس متكاملة ومندمجة في المجتمع والاقتصاد الاصليين[٤] مهيمناً عليها ومستخدمة من قبل زعامة "ترعرعت" محلياً في البيت المملوكي[٥].

وفي موصل القرن السابع عشر كان هناك ثلاث سرايا انكشارية سبقت قيام الجليليين الا ان هذه السرايا (والتي لم يكن يزيد عددها على المئتين رجلاً)، لعبت دوراً ثانوياً في السياسة الحضرية التي كان يهيمن عليها ثنائية اساسية بين الوجهاء المحليين من ناحية والادارات التركية الزائلة من ناحية اخرى. آنذاك، وفي اوائل القرن الثامن عشر وحين كان الجليليون يرتقون مدارج الشهرة، وصلت الموصل سريتان انكشاريتان جديدتان حجبتا السرايا الثلاث الاخريات، وانشأتا روابط قوية مع الوجهاء والتجار والحرفيين. وبحلول عام ١٧٤٠ سادت جميع التشكيلات السياسية الاطراف المتصارعة على السلطة في الموصل في الاساس قوى محلية هيمن عليها الجليليون الذين كانوا حكاماً ووجهاء في آن واحد. وبأخذ جميع هذه العوامل في نظر الاعتبار مع العلم بقوة وطول عهد الجليليين، يجب ان نستنتج ان تركيب الحياة السياسية في الموصل كان اقرب لحياة بغداد ومصر تحت حكم الباشوات والبكوات (الاسرة المملوكية) منها لحياة دمشق تحت سيطرة حكم اسرة آل العظم.

وفي تصويرها بخطوط عريضة جداً، فان تركيبة الحياة السياسية في الموصل في العهد الجليلي يمكن القول انها تشارك آل العظم والزيدانية من حيث الروابط العائلية الوثقى[٦]؛ ويمكن القول ايضاً انها تتشاطر في الاحكام المحلية ذات المرتكزات الطائفية (الشهابيون، البابان) او انها تعتمد على سلطان ذي رأسين (الباب العالي وبغداد)؛ واخيراً يمكن القول انها تشاطر الاسر المملوكية في بغداد ومصر في صلابة الحكم وطول

---

(١)أنظر: نيفين هوبس: المماليك والشيوخ الكبار، الانظمة السياسية في نقطة بداية التاريخ العراقي الحديث، ١٧٨٠-١٨٣١ كتاب على وشك الصدور، ستيفن لونكريك، اربع قرون من العراق الحديث (اكسفورد ١٩٢٥) الفصل السابع وفيما بعد ص٣٩.

(٢)انكشارية، متفرقة، شاويشية، جمالية، تفنكجية، شراكسة وعرب.

(٣)عن هذه العملية، انظر هولت، مصر، الفصل السادس والفصلين الاخيرين لاندريه ريمون: الحرفيون والتجار في قاهرة القرن الثامن عشر، مجلدان دمشق (١٩٧٣-٧٤).

(٤)ريمون: يحوي تحليلاً (مبنياً على نماذج من قوانين التوارث مسجلة لدى المحكمة) للتداخل بين المجتمع العسكري والمجتمع المدني.

(٥)عن تركيب الاسرة والبيت المملوكي، انظر ايالون "دراسات في الجبرتي".

(٦)عند التحدث عن الحاكمية في دمشق لعثمان باشا الكرجي والذي كان مملوكاً لآل العظم، فان جيب وباون يتكلمان عن "استمرارية حكم آل العظم" ويرسمان بذلك شبيهاً للحالة البغدادية من خلفاء المماليك لحسن باشا واحمد باشا. ومع ذلك فان (دراسة دمشق) لرفيق توضح نهائياً ان حاكمية عثمان باشا لمدينة دمشق لايمكن اعتبارها استمراراً لحكم آل العظم، وان آل العظم اغتاظوا فعلاً لازاحتهم من الحكم من قبل عبدٍ سابق لهم، مؤكداً من ذلك قوة اواصر الدم العائلية (رفيق، دمشق، صفحات ٢٣٧-٢٣٨).

العهد وفي الميزة المحلية للتحالفات السياسية. وختاماً علينا ان نذكر ميزة اخرى للموصل الجليلية تتمثل بقلة الخصومات والدور الضئيل نسبياً الذي يلعبه العنف في السياسة الحضرية، وتلك سمة تتناقض بحدة مع ما كان يحدث في حلب (ضاربين مثلاً لولاية يكون فيها العامل الاجنبي نشطاً دائماً) او في مصر (كمثل لولاية تشارك الموصل في قوة البعد المحلي او محلية القوى السياسية)[١].

مع ذلك فأن وضع الموصل في الاطار الجيوبوليتيكي للولايات العربية للامبراطورية العثمانية في القرن الثامن عشر، كما فعلنا للتو، لا يُعرِّف خصوصية الموصل الجليلية؛ بل يرسم الخطوط العريضة التي عملت من خلالها هذه الخصوصية، فضلاً عن الاتجاهات العامة التي يجب على الدراسة الحاضرة ان تتبعها للامساك بهذه الخصوصية. ان صورة الموصل التي ستظهر في النهاية نتيجة لهذه الدراسة سوف تبرز الموصل بما لها من اسهام عظيم في الإنتاج الثقافي للأدباء الموصليين في العهد الجليلي.

على الرغم من ان تاريخاً واحداً للاحداث قد كتب في هذه الفترة–غرائب الاثر في حوادث ربع القرن الثالث عشر[٢]، من قبل ياسين العمري (١٧٤٥–١٨٢٠) فان كمية هامة من المعلومات التاريخية (سياسية وعسكرية وثقافية في الاساس) تعود للقرن الثامن عشر واوائل القرن التاسع عشر، يمكن ان نجدها في دراسات موصلية متنوعة ضمن التاريخ العام–سواء كان ذلك حولياً او سلالياً– كدراسة ياسين العمري "الاثار الجلية في الحوادث الارضية"[٣]، ودراسته "الدر المكنون في المآثر الماضية من القرون"[٤] ودراسته "عمدة البيان في تصاريف الزمان"[٥] وهي مصنف موجز لتاريخ حولي وضع على اساس الدر المكنون، وعنوان دراسته "الاعيان في ذكر تواريخ ملوك الزمان"[٦] وهي تاريخ سلالي، واخيراً كتاب "روضة الاخبار في ذكر افراد الاخيار" وهو تاريخ سلالي الفه علي العمري (كتب حوالي عام ١٨١٠)[٧].

من بين كتب التراجم التسعة المصنفة في الموصل في ذلك العهد واستعملت في هذه الدراسة، هنالك اثنان فقط يبحثان على درجة الحصر في الفترة الجليلية وهما "الروض النضر في تراجم فضلاء العاشر" لعثمان العمري (١٧٢١–١٧٧٠)[٨]، و "شمامة العنبر والزهر المعنبر" لمصطفى الغلامي (توفي عام ١٧٧٢)[٩]. اما كتب التراجم السبعة المتبقية فانها لا تركز على الموصل (تبحث في التاريخ الاسلامي العام، اسماء محددة او وظائف) ومع ذلك فانها تتضمن سيراً لرجال بارزين عثمانيين وعراقيين وموصليين لا تقدر بثمن لدراسة الموصل الجليلية. وكتب التراجم السبعة هذه كلها من تأليف ياسين العمري معنونة كما يلي: "قرة

---

(١) يرى ايالون في "اراقة الدماء المستمرة وفي الصراع حتى الموت بين الاطراف المتخاصمة" صفة مميزة لمماليك مصر العثمانية (دراسات في الجبرتي، ص١٠٣.

(٢)غرائب: الناشر صديق الجليلي (الموصل ١٩٤٠).

(٣)الاثار: مخطوطة في المكتبة البريطانية، رقم او ار/٦٣٠٠.

(٤)الدر (١): مخطوطة في المكتبة الوطنية، باريس، رقم عرب/٤٩٤٩.

(٥)العمدة: مخطوطة في مكتبة المتحف العراقي، بغداد، رقم/ ٩٠٨٤.

(٦)الاعيان: مخطوطة في مكتبة الدولة ؛ برلين، رقم / ٩٤٨٤.

(٧)الاخيار: مخطوطة في المكتبة البريطانية، رقم أد د / ٢٣٣١١.

(٨)النضر(١): مخطوطة في المكتبة البريطانية، رقم أ د د / ١٨٥٣١.

(٩)النضر(٢): الناشر سليم النعيمي، ٣ مجلدات (بغداد ١٩٧٤).

العينين في محاسن الحسن والحسين"[١] و "خلاصة التواريخ"[٢]و "الروضة الفيحاء في تواريخ النساء"[٣] و "منهج الثقاة في تراجم القضاة"[٤] و "السيف المهند في مناقب من سمي احمد"[٥] و "غاية البيان في مناقب سليمان"[٦] و "عنوان الشرف"[٧].

وقد الف الموصليون كتباً في التاريخ الاقليمي وهي مصادر اساسية لمعلومات ثقافية وطوبوغرافية في الاساس واول هذه المؤلفات "منهل الاولياء ومشرب الاصفياء من سادات الموصل الحدباء" لامين العمري (١٧٣٨-١٧٨٨)[٨]. واما اخوه ياسين فقد الف كتاباً عن بغداد بعنوان "غاية المرام في محاسن بغداد دار السلام"[٩]، وبعد ذلك كتب "منية الادباء في تاريخ الموصل الحدباء"[١٠] وبعد سقوط الجليليين مباشرة كتب احمد بن الخياط (١٧٨٦-١٨٦٨) "ترجمة الاولياء في الموصل الحدباء"[١١] وهو مصنف موجز عن الاولياء الذين دفنوا في الموصل يعطي معلومات ممتعة على المستويين الثقافي والفكري.

ويكمل تواريخ الاحداث، والحوليات، وقواميس التراجم، وسير الاولياء، والتواريخ الاقليمية، مؤلفات موصلية هامشية واخرى ادبية كالمقتطفات المختارة من القصائد التي تشيد بالجليليين[١٢]، وديوان محمد امين آل ياسين (مات بعد عام١٨٢١)[١٣]، والمراسلات الخاصة المتبادلة بين الوجهاء والكتاب المحترفين للنثر والشعر وتتصل بحوادث تاريخية كبرى[١٤]، فضلاً عن رواية سريانية لحصار نادر شاه للموصل[١٥]. وجميع هؤلاء المؤلفين المذكورين آنفاً يفصحون عن ولاء مطلق للاسرة الجليلية الحاكمة وبأفضلية خاصة لبيت حسين

---

(١)الناشر سليم النعيمي، (بغداد ١٩٧٤).

(٢)حس: مخطوطة في المكتبة الخاصة لآل الجليلي في الموصل.

(٣)خلاصة: مخطوطة في مكتبة الدولة، برلين، رقم / ٩٩٠٠.

(٤)النساء(١): مخطوطة في مكتبة المتحف العراقي، بغداد، رقم / ١٨٠٢.

(٥)قضاة: مخطوطة في مكتبة الاوقاف: الموصل، رقم خياط ١٤/٥.

(٦)السيف: صورة طبق الاصل لمخطوطة تعود لآل العمري، مدرسة يحيى باشا، الموصل، رقم٩٧٠/ع م س.

(٧)سليمان: مخطوطة في مكتبة الدولة، برلين رقم / ٩٩٠١.

(٨)عنوان(١): مخطوطة في مكتبة كلية الدراسات الشرقية والافريقية، لندن رقم/٤٩٧٨٠.

عنوان(٢): مخطوطة في المكتبة الوطنية، باريس، رقم عرب/٥٧٩٢.

عنوان(٣): مخطوطة في المكتبة الوطنية، باريس، رقم عرب/٥١٣٨.

المخطوطات الثلاثة منسوبة لأمين العمري.

(٩)المنهل(١): مخطوطة في المكتبة البريطانية، رقم او ار/٢٤٢٩.

المنهل(٢):الناشر سعيد الديوه جي، مجلدان (الموصل ١٩٦٨).

(١٠) بغداد: الناشر: علي البصري (بغداد ١٩٦٨).

(١١) المنية: مخطوطة في المكتبة البريطانية، رقم أ د د / ٢٣٣٢٣.

(١٢) اولياء: مخطوطة في مكتبة المتحف العراقي، رقم / ٦٨٤.

(١٣) مخطوطة في مكتبة الاوقاف، الموصل، رقم جلبي ٩/٥٠.

(١٤) مخطوطة في المجموعة الخاصة بمحمود بك الجليلي، الموصل.

(١٥) محمد آل ياسين، رسالة الى السيد عبد الله فخري في بغداد، مخطوطة مكتبة الاوقاف، الموصل، رقم جلبي٩/٦٥.
خليل البصيري وسيد عبد الله فخري، قصائد عن حصار نادر شاه للموصل، مخطوطة مكتبة الدولة،برلين،رقم/ ٩٨٠٢.

باشا الجليلي، يعود تاريخ هذا الانتاج التاريخي والادبي كله لما بعد حصار نادر شاه الموصل عام ١٧٤٣م تتحدث عن الفترة التي كان فيها الجليليون في قمة سلطتهم ونفوذهم[١]. وكنتيجة لهذا الولاء القوي للولاة الجليليين، وبمطابقة واقران الموصل بالسلالة الجليلية، فان هذه المصادر الادبية الاصيلة"[٢] تقدم صورة ضبابية للموصل وترفض ان تنتقد الجليليين. وذلك يعني في اكثر الاحوال ان طبيعة واسباب الخصومات التي هزت الموصل في هذه الفترة تبقى غامضة، فالاحتكارات، والاتاوات، وجباية الضرائب والسيطرة على تجهيزات الحبوب لا يرد لها ذكر والقضايا الحقيقية والتي من اجلها يتنافس ويتخاصم الوجهاء تبقى غير معروفة لدينا في معظم الحالات[٣].

فلا يستطيع المرء ان يجد في أي مؤلف تاريخي موصلي معلومات كالتي يعطيها البديري، مثلاً، لقارئه حول آل العظم: سياساتهم الاحتكارية، والاحتجاجات، الشعبية ضدهم. وعلى المرء ان ينظر في مسودات تحضيرية ومخطوطات مختصرة لكي يجد بعض الانتقاد لهذا الوالي او ذاك، وبعض الاثر للقضايا التي تنازع من اجلها الوجهاء[٤] ولزيادة متاعب الباحث، فان مخطوطات عدة وصلتنا بهيئة "محررة" و "متلاعب" بها[٥].

"يضاف الى هذه المجموعة الموصلية روايات عديدة لحوالي خمسين سائحاً ومبشراً وتاجراً وقنصلاً وباحثاً زاروا العراق ما بين نهاية القرن السادس عشر ونهاية القرن التاسع عشر. بعض هؤلاء توقف في الموصل لبضع ساعات في طريقهم الى البحر او الخليج، وآخرون بقوا في الموصل لبضعة ايام تواقين لاقامة علاقة سببية بين المدينة العربية التي كانوا يكتشفونها ونينوى التي سمعوا وقرأوا عنها، بينما سكن آخرون الموصل لعدة سنين ومنهم دومينيكو لانزا، المبشر الدومنيكاني الذي تزودنا مذكراته[٦] بتقويم اساسي للحوادث اكثر اتقاناً في بعض الاماكن من روايات الحوادث نفسها كما يرويها المؤرخون الموصليون. وباستثناء لانزا وهو مؤرخ للحوادث اكثر منه سائحاً، يلاحظ المرء ان تطور طبيعة الروايات المعطاة من الرحالة تلقي ضوءاً على خصوصية الموصل الجليلية. وفي الحقيقة فان هذه الروايات وحتى سقوط الجليليين كانت هزيلة ووصفية بصورة عامة ومدركة تماماً للفجوة بين الشرق والغرب والمحلي والزائر، والكافر والمؤمن: واوربا ما تزال نائية جداً عن الموصل. وفي اعقاب سقوط الجليليين تغيرت روايات الزوار الغربيين كماً ونوعاً، ويمثل هذا التغيير خير تمثيل الروايات يحكمون عليها، يقيسون امكانياتها، يصنفونها ويميزونها ويسعون لاتخاذ اجراء حولها وكنتيجة لذلك ظهر لنا: الموصل الاثرية، الموصل العرقية، الموصل التبشيرية، الموصل التجارية، الموصل السياسية، الموصل العسكرية، الخ..الخ وهكذا فان الغربيين من القناصل والتجار والمبشرين والباحثين الذي اقاموا في الموصل كانوا قد فهموها وصوروها قاعدة للاختراق متعدد الابعاد للمناطق الجبلية الكردية

---

(١) تقويم سرياني لحصار الموصل من قبل الفرس عام ١٧٤٣ " ام.اج. بونيون (ترجمة).

(٢)الاستثناء الوحيد هو احمد بن الخياط الذي كتب بعد سقوط الجليليين ومع ذلك فان مؤلفه يعتمد الى حد كبير على مؤلفات كتبت في العهد الجليلي: انظر فيما بعد ص٢٥٩.

(٣) تعبير البرت حوراني.

(٤)حين تفضي المنافسة الى خصومات عنيفة ومميتة فعند ذلك فقط تتجزأ المصادر لاعطاء تفسير ما.

(٥)انظر مثلاً فيما بعد ص١٥٠ ملحوظة ٣.

(٦)الموصل في القرن الثامن عشر في مذكرات دومينيكو لانزا، (ترجمة) آر. بيداود (الموصل، ١٩٥١).

والصحراء العربية. فالاوصاف الغامضة لتافرنيه او لراوولف تراجعت: امام المسح التفصيلي الشامل لنيقولا سيوفي للنقوش الموجودة على المباني الموصلية، والخرائط والصور المتقنة لهيرزفيلد، والطبوغرافيات المنصلة لفيلكس جونز، والدلالات التجارية المبشرة لبايندر: مما جعل اوروبا جزءاً مكملاً للمجتمع الموصلي وخلق وصفاً يختلف جذرياً عما كانت عليه طيلة العهد الجليلي.

فضلاً عن ذلك هنالك المصادر الروائية التي وفرها ادباء الموصل والزوار الاجانب والمعلومات الاحصائية التي وفرتها المادة الارشيفية عموماً. واول ما يتبادر الى الذهن سجلات المحكمة الشرعية[1] وهي مصادر لا تثمن في أية دراسة تفصيلية للتركيب الاجتماعي والاقتصادي للمدن في الولايات العربية للامبراطورية العثمانية (الاسعار، الاجور، التركيب العائلي، فن العمارة، التنظيم العسكري، الاطر المشتركة، الانتاج، قابلية التحرك او الانتقال الاجتماعي، الادارة..الخ)[2]. وبقدر ما يتعلق الامر بالموصل الجليلية فان هذه السجلات لسوء الحظ فقدت الى الابد. ولكن ما يزال هناك في سرداب المحكمة الشرعية اكثر من الف سجل في حالة مزرية جداً تغطي فترة ما بعد عام ١٨٨٠، وما يعود الى قبل ذلك التاريخ فهنالك سجل واحد فقط من سندات الارث للسنوات ١٨٥١-١٨٥٨ وسجل آخر يحتوي على سندات مختلفة كالوقفيات ويغطي السنوات ١٨٢٦-١٨٣٢، وكلا السجلين في وضع مزري جداً.

ولكي تعوض المؤرخ عن هذه الخسارة فان الموصل الحديثة تقدم له مجموعتين من وثائق الوقف. ففي مديرية الاوقاف في الموصل هنالك سجل بعنوان سجل وقفيات محافظة نينوى يحتوي على نسخ لحوالي مئتين وقفية تعود للفترة قيد الدراسة. وقد صنف المرحوم محمد بك الجليلي مجموعة من حوالي خمسين نسخة من الوقفيات (مجموعة وقفيات) تخص اسرة آل الجليلي بالذات، وهذه المجموعة بعهدة محمود بك الجليلي في الوقت الحاضر في الموصل. وفي غياب مصادر اكثر اهمية فان هذه الوقفيات تزود المؤرخ بمعلومات اساس تتعلق بثروة العوائل الوجيهة، وسياساتهم الاستثمارية في العقار ونمط النمو الحضري.

واما بالنسبة للارشيفات العثمانية فان جهل اللغة التركية تركها خارج متناول هذه الدراسة، وبعض هذه الارشيفات العثمانية قد يحوي احدها عدداً من الفرمانات المرسلة من اسطنبول الى الولاة الجليليين وهي الآن في عهدة محمود بك الجليلي في الموصل. واهم من ذلك سجلات الدولة العثمانية المحفوظة في الباش وكالة[*] في اسطنبول. وسجلات مديرية المساحة المحفوظة في انقرة[3]. لقد استشار السيد عماد رؤوف

---

(١)انظر مثلاً فيما بعد الصفحات ٢٢٥، ٢٣٣-٢٣٤، ٢٣٧، ٢٤٣، ٢٤٦-٢٤٨، ٢٥٧.

(٢)انظر: أ. ريمون " سجلات المحكمة مصدراً للتاريخ الاقتصادي والاجتماعي لمصر القرن الثامن عشر" وفي "العرب في ارشيفاتهم" جاك بيرك ودي. شفالييه (الناشران) (باريس،١٩٧٩) ؛ أ.ك. رفيق "سجلات المحكمة الشرعية واهميتها لدراسة اجتماعية –اقتصادية وحضرية لسوريا العثمانية" وفي "المجال الاجتماعي للمدينة العربية " دي. شفالييه (الناشر) باريس ١٩٧٩.

(*) أي ارشيف رئاسة الوزراء في اسطنبول.

(٣)اول من استخدم هذه السجلات لدراسة الولايات العربية في الامبراطورية العثمانية هو اس. جي. شو "التنظيم والتطور المالي والاداري لمصر العثمانية" (برنستون١٩٦٢). ان اشمل واضخم مؤلف لحد الان هو "الحرفيون لريمون الذي يستخدم سجلات المحكمة بالتمام ليعطي القارئ تبصراً نادراً للطبيعة الاساسية لاقتصاد القاهرة في القرن الثامن عشر ووصفاً كمياً للحرفيين والتجار والعلاقة المتداخلة بينهم وبين القوات المسلحة في القاهرة.والمؤلف يناقش نفسه في الاطار الفكري لحوليات مدرسة لابروس وخوصاً فيما يتعلق بتعدد فترات الحياة الاجتماعية والاقتصادية القاهرية على

ارشيف الباش وكالة عندما كان يحضر دراسته عن الموصل[1] ويقتبس من سجلين (رقم ١٩٥ المؤرخ ٩٥١ و ٩٥٦ هجرية، ورقم ٦٦٠ غير المؤرخ) والذي يبحث القوانين العثمانية ونظام لزمة الارض في القرن السادس عشر. ولم تستطع هذه الدراسة ان تعتمد على هذه السجلات، ومع ذلك يجب ملاحظة ان المعلومات التي استقاها السيد رؤوف من هذه السجلات واستخدمها في دراسته كانت مجزأة متفرقة ولا تسمح بابراز أي نمط كمي، وان صورة القاعدة المادية للمجتمع الموصلي التي يرسمها لها السيد رؤوف (التزام الاراضي، النقابات، الخ) تدين لسير الاحداث، والسائحين والعموميات المقامة على مؤلفات ثانوية تبحث في المجتمعات الاسلامية والامبراطورية العثمانية اكثر مما تدين المعلومات احصائية دقيقة[2].

أما بالنسبة للمعلومات الاحصائية الاوربية المتعلقة بالموصل الجليلية فهي ذات صنفين، فمن الممتع ان نلاحظ انه بقدر ما يتعلق الامر بالفترة الجليلية، فان المعلومات الاحصائية الاوربية عن الموصل تأتي من محطات اقتصادية ومراكز سياسية رئيسية (حلب، بصرة، بغداد)، وهذه المعلومات تلمح الى الموصل عرضاً وبصورة غير مباشرة وانها في الاساس اقتصادية تتعلق بالموصل كمركز تجاري للتجميع والتوزيع والمرور. وهذا حال اوراق الشركة الهندية[*] من البصرة[3]، ورسائل شركة المشرق من حلب[4]، وتقرير جون باورنغ عن احصائيات سوريا التجارية[5]. ويرى المرء بوضوح أن هذه المعلومات تهتم بالبحر الابيض المتوسط والخليج العربي، وتلمح الى الموصل بصورة غير مباشرة، فموضوعها الرئيسي هو التجارة ومجرد بعدها عن الموصل يلقي الضوء على الطبيعة الخاصة للمدينة طيلة حكم آل الجليلي. اما بعد سقوط الجليليين فان صنفاً جديداً من المعلومات الاحصائية الاوربية بدأت بالظهور، لوصول القناصل الاوربيين المقيمين والتجار الى مدينة الموصل نفسها. وهذا الصنف الجديد من المعلومات يبحث في الموصل مباشرة على مستوى اقتصادي وسياسي وعسكري وثقافي وديني. ومن اهم ما يتعلق بالدراسة الحاضرة هو تقارير نائب القنصل البريطاني في الموصل كريستيان رسام[6]، والتقارير القنصلية الفرنسية[7]، وكلاهما يزودانا بمعلومات عن الفترة التي تلت سقوط الجليليين، وتلقي ضوءاً استرجاعياً على الموصل الجليلية. لقد اصبحت الموصل مركزاً وهدفاً مباشراً لحديث اوروبي منتظم (وصفياً وتقويمياً) بينما كانت المحادثات الاوربية السابقة مجزأة وناقصة

=منحنيات تستخدم العملات والاسعار كمؤشرات. اعطانا أ.ك. رفيق دراسات محدودة اكثر مستخدماً سجلات المحكمة: انظر "سجلات المحكمة الشرعية في دمشق مع اشارة خاصة للجمعيات الحرفية في النصف الاول من القرن الثامن عشر" في "العرب في ارشيفاتهم" القوى المحلية في سورية في القرنين السابع عشر والثامن عشر "وفي تقنية الحرب والمجتمع في الشرق الاوسط "في باري و ام. ياب (الناشران) (لندن ١٩٧٥).

(١) عن سجلات الباش وكالة أنظر: فاروق مردم بيك "المصادر التاريخية والتوثيق" في "المجال الاجتماعي للمدينة العربية".

(٢) الموصل في العهد العثماني (النجف، ١٩٧٥).

(*) أي شركة الهند الشرقية الانكليزية.

(٣) قارن بالحرفيين لريمون.

(٤) سجلات دائرة الهند، تقرير تجاري، جي /٢٥/٢٩.

(٥) دائرة السجل العام، مسلسل أي.بي / ١١٠.

(٦)نيويورك ١٩٧٣.

(٧)دائرة السجل العام، وزارة الخارجية (اف.او) ١٩٥.

ومقتضبة: وذلك مؤشر على التوغلات الصغيرة التي حققها الاوربيون في الموصل قبيل سقوط الجليليين وعودة السيطرة العثمانية المباشرة.

واجمالاً فان المادة الاحصائية والارشيفية الاوربية تلقي بصورة غير مباشرة واسترجاعية ضوءاً على الموصل الجليلية، وفي غياب المصادر الاحصائية المحلية الكافية (سجلات الاراضي وسجلات المحكمة الشرعية والوقفيات) فالمصادر الروائية واغلبها ادبية سيكون لها تأثيراً على تركيب هذه الدراسة وفي مظهر صورة الموصل التي ستبرز في النهاية كنتيجة لها وفي الحقيقة فأن الطبيعة الخاصة لحجم هذه المادة التي سوف نتفحصها والغلبة الانسانية لها كضد للجزء الاساسي الاحصائي، لها تأثير مباشر على الاسلوب المنهجي. وعند مواجهة الاستحالة الذاتية[1] والموضوعية للقيام بدراسة كمية تفصيلية للموصل مبنية على نماذج تمثيلية[2]، فان هذه الدراسة سعت لاستثمار الجزء الاساسي "الانساني" المتوفر لها، آملة ان تعوض عدم القدرة لاحداث مسابير عميقة بزيادة مساحة الاختراق التحليلي وتوسيع ميدان الدراسة ومعالجة الموصل من جميع الزوايا في آن واحد. ولهذا السبب بالضبط سميت الدراسة "الموصل والمؤرخون الموصليون.." وتضمين مؤرخي تلك الفترة في مجال التحليل (الاعمال المنجزة، المواضيع المكررة، النظرة العالمية، الخ..) يضع الدراسة على مسار معين يفضي بنا الى عنصر الاختيار ويؤكد على ضرورة اتخاذ القرار فيما نختاره من مادة علمية.

---

(١)استحالة ذاتية بسبب جهل اللغة التركية، واستحالة موضوعية بسبب الندرة العامة لمادة المصدر الاحصائي.

(٢)الشؤون الخارجية، مراسلات قنصلية وتجارية، الموصل، مجلد ١.

الفصل الأول

المجال الحضري

"بالخديعة والخيانة استطاع المغول ان يحتلوا الموصل ويذبحوا سكانها وراحوا يسلبون وينهبون لتسعة ايام. وبعد ذلك سووا المدينة بالارض وهرب الناجون من الموت"[١].

وضع سقوط الموصل بيد الحشود المغولية نهاية للنمو الحضري الذي شهدته المدينة تحت حكم الاتابكيين. فلثلاثة قرون مظلمة طويلة، غاب فيها الامن السياسي انقطعت فيها التجارة وفقدت منطقتها الداخلية للعصابات العابثة انكمشت الموصل داخل اسوارها القديمة. وبينما توسعت الموصل الاتابكية سابقاً شمالاً وجنوباً على الضفة الغربية لدجلة فان الموصل المغولية والتركمانية بقيت محصورة في مساحة محددة تحيط مباشرة بالسراي في قلب المدينة والقلعة الى جنوبها الشرقي[٢]. غير ان فتح الموصل من قبل العثمانيين في بداية القرن السادس عشر وفر في النهاية اساساً سليماً لتطور حضري متجدد. فالموقع الستراتيجي للمدينة كاحدى البوابتين الرئيسيتين من فارس الى الاناضول وسوريا بالاضافة الى كونها نقطة تعبوية مهمة للدفاع عن العراق حدى بالسلطات الى تعزيز تحصيناتها الدفاعية. ورغم ذلك وبعد قرون من الزمن ما زالت الموصل مجرد قلعة[٣] وبالفتح العثماني لبغداد فقط وبخلق لواء الموصل كولاية مستقلة عام ١٦٣٩، بدأت الموصل تأمل بإستعادة امجادها السابقة. وكان في دمج المدينة في كيان سياسي عريض وموحد والاستقرار النسبي للحدود الفارسية-العثمانية في العراق، شروطاً ضرورية لنمو حضري واسع ومتسارع تحت حكم الجليليين.

وكمدينة فان الموصل وصفت بطرق متناقضة من قبل العديد من السائحين الاوربيين الذين زاروها. وبصورة عامة فان الذين دخلوا المدينة من الجنوب او الشرق تأثروا ببناياتها واسواقها الجميلة، بينما اصابت خيبة الامل اولئك الذين جاؤها من تركيا او سوريا. لقد كانت بيوتها واطئة لا شبابيك لها على الشارع، ومعظمها مبني بالطابوق الطيني المفخور بينما بنيت اطر الابواب والاعمدة بالجص والمرمر[٤]. وكان للمساكن اقبية تحتية (سرداب) يلجأ الناس اليها من الشمس المحرقة في أيام الصيف، و شرفات حيث يستطيع الناس ان ينعموا بنقاوة ليالي الصيف[٥]. ودور الوجهاء في الموصل مجمعات كبيرة على شكل خان كبير

---

(١) منية الادباء، ف ٣٢/٥.

(٢) س. نيبور، "رحلة في بلاد العرب والاقطار المجاورة" (امستردام-اترخت، ١٧٨٠) المجلد الثاني، ص:٢٩٢؛ سعيد الديوه جي "جوامع الموصل في مختلف العصور" (بغداد ١٩٦٣)، ص:٢٣٥ وكذلك "قلعة الموصل في مختلف العهود"، في سومر، ١٠، ١ (١٩٥٤)، صفحات ١٠٥-١٠٧.

(٣) عماد عبد السلام رؤوف، "الموصل في العهد العثماني"، (النجف١٩٧٥)، ص.

(٤) جي. أي. اوليفيه، "رحلة في الامبراطورية العثمانية، مصر وفارس"، (باريس، ١٨٠٤)، المجلد الرابع، ص١. اف. جونز، "طبوغرافية نينوى"، في مجلة الجمعية الملكية الآسيوية، ١٥ (١٨٥٥)، ص٣٦٦. سيستيني، "رحلة من اسطنبول الى البصرة"، (باريس،١٧٩٤)، ص١٤٨.

(٥) ايج. ساوث كيت، "قصة سفرة عبر ارمينيا وكردستان وفارس وما بين النهرين"، (لندن، ١٨٤٠)، المجلد الثاني، ص٢٣٩، سيستيني، ص١٤٤. ان هذه الشقق التحتانية استعملت كملاجئ اثناء حصار الموصل من قبل نادر شاه: قارن"تقويم سرياني يتعلق بحصار الموصل من قبل الفرس عام ١٧٤٣" ام. ايج. بونيون (مترجم) في، ص٥٠٠.

محاط بجدران عالية مضيفة عليها مظهر قلاع صغيرة-فلها اقبية تحت الارض ذات جدران مطلية بالقار وتستطيع ان تخزن اربعمائة كيس من الحبوب[١]. اما شوارع الموصل فانها ضيقة غير معبدة، غبراء في الصيف موحلة في الشتاء وتشكل متاهة حقيقية[٢].

ان توزيع الاحياء يؤكد اتجاهاً مميزاً للنمو الحضري. فالأحياء الشمالية والشمالية الغربية قليلة العدد، واسعة، قليلة السكان، قليلة البنايات الدينية[٣]. اما الاحياء الجنوبية فانها عديدة، صغيرة ومكتظة بالبنايات الحكومية والمباني الاقتصادية والدينية. ويشير هذا الى ان المدينة تحت حكم الجليليين نمت في اتجاهين: الى الجنوب الشرقي متجاهلة الابواب وممتدة خارج الاسوار ضمن مقاطعة امينة محاذية لنهر دجلة، والى الجنوب الغربي حول باب العراق وباب البيض **(ينظر ملحق الخرائط خريطة رقم ١ طوبوغرافيا)**.

وفي مراسلاته للسفارة البريطانية في اسطنبول، ذكر كريستيان رسام، نائب القنصل في الموصل، ان عدد الاحياء في عام ١٨٤٥ كان ستاً واربعين حياً[٤]، بينما يعدد هيرزفيلد اربعين حياً في نهاية القرن التاسع عشر[٥]. ويبدو من المستحيل عملياً ان نحسب العدد المضبوط لاحياء الموصل الجليلية وذلك لعدة اسباب: الفوضى الهائلة في استعمال التعابير حارة، ومحلة وحي؛ الزيارات المتكررة لاوبئة من انواع والتي تستطيع ان تبدل اساسياً نمط الجغرافية الحضرية بين يوم وآخر الي يليه[٦]، وهذه الاحياء المسماة باسماء القبائل او البوابات او النصب او المهن، غالباً ما تبدل اسماءها ويشار اليها في بعض الاوقات بأسماء او كنى مختلفة[٧]، وجميع شوارع الموصل لها مخرجان (منفذان) ولم تكن الاحياء معزولة عن الخارج ببواباتها الخاصة[٨]، وتبدو الاحياء وكأنها كيانات مرنة لا تشكل وحدات ضرائبية ولا نجد في أي من المصادر ذكراً لأي شيخ حارة[٩]، واخيراً ومع التوسع الاقتصادي والنمو الحضري تجاوزت بعض الاحياء على احياء مجاورة لها وفي بعض الاحيان ابتلعتها تماماً[١٠].

---

(١) دومينيكو لانزا، "الموصل في القرن الثامن عشر حسب مذكرات.."، روفائيل بيداويد مترجم)، (الموصل ١٩٥٣)، ١٥، ص.

(٢) سيستيني، ص١٤٨، جونز، ص٣٦٦، جي. اس. بكنغهام، "سفرات في ما بين النهرين"، (فارن، ١٩٧)، ص ٢٨٦.

(٣) محلة الميدان الاخضر على سبيل المثال والتي غطت مساحة تعادل عشر المساحة الكلية للمدينة كانت خالية تقريباً واستعملت كأرض لزراعة الخضراوات (بغجة)

(٤) اف. او (وزارة الخارجية) ١٩٥/٢٢٨، الموصل، ٢٧آيار ١٨٤٥.

(٥) إي، هيرزفيلد، "رحلة آثارية في منطقة الفرت ودجلة"، المجلد الثاني (برلين١٩٢٠)، اللوحة٤.

(٦) ان محلة المشاهدة بالقرب من باب سنجار ازيلت تماماً بوباء عام ١٨٠٠، انظر: ن. سيوفي، مجموع الكتابات المحررة على ابنية مدينة الموصل، الناشر سعيد الديوه جي، (بغداد١٩٥٦)، ص٨٧.

(٧) محلة شيخ محمد، على سبيل المثال، كانت تسمى ايضاً منصورية، بينما كانت اقسام منها تسمى بروجية وليس مؤكداً فيما اذا كانت ضمن المحلة الاوسع في باب البيض او في باب العراق.س

(٨) نيبور، المجلد الثاني، ص٢٩٠.

(٩) في حلب، لعب القادة الانكشاريون دور شيخ الحارة (بودمان ص٣٢).

(١٠) تنظر: الديوه جي، جوامع الموصل، ص١٣٢، ١٥٧.

١- الأسوار والابواب

ان الاسوار الاتابكية التي توسعت داخلها الموصل كانت مهمة في القرن السابع عشر. ولقد وصف راوولف الذي زار المدينة في القرن السادس عشر الوضع المزري لمتاريسها وخندقها[١]. **(ينظر ملحق الخرائط: خارطة رقم ٢ احياء الموصل الرئيسية)** ولقد شيد العثمانيون تحصينات جديدة في القرن السابع عشر، وحسنوا حال الخندق وبنوا قلعة جديدة عُرفت بـــ: ايج قلعة (القلعة الداخلية) في القسم الجنوبي من المدينة بمحاذاة دجلة[٢]. لقد احاطت الاسوار العثمانية المدينة تماماً، وكان ارتفاعها حوالي عشرة امتار وسمكها ثلاثة امتار. وماعدا الايج قلعة كان هنالك في الاقل اثنا عشر برجاً[٣]. وطيلة الفترة الحديثة فان حالة هذه الاسوار خضعت لتغييرات جديرة بالاعتبار ويعرض الزوار الاوربيون تقارير متضاربة حول حالتها. ويعزى ذلك في الاساس الى حقيقة ان مواد البناء المستعملة-الجص والطابوق الطيني المفخور-لم تكن مقاومة لعوامل الجو وبالتالي كان لزاماً اصلاح الاسوار في فترات منتظمة. لقد رأى (اوتر)، الذي غادر الموصل في حزيران ١٧٤٣م أي قبل وصول جيوش نادر شاه، العمال مشغولين باعادة بناء تحصينات المدينة، واستمر العمل على هذه الاسوار بعد الحصار، وانقطع اخيراً حينما عزل حسين باشا الجليلي من الحاكمية. وفي عام ١٧٧٦م اكمل سليمان باشا الجليلي العمل في حوالي ثلاثمائة باردة من الاسوار واعاد بناء احد الابراج، ولكن العمل انقطع تارة اخرى حينما عزل من الولاية. وفي عام ١٨٠١م رممت المتاريس بناء على اوامر من الباب العالي، ولكن بعد خمسة عشر عاماً وصل بكنغهام الموصل فوجد الاسوار والخندق في وضع هزيل والقلعة خربة. وختاماً في عام ١٨٢١ قام احمد باشا الجليلي بترميمات اضافية للاسوار واعاد بناء الايج قلعة الجنوبية وقلعة باش طابيا الشمالية. وعندما زار (اوخر ايلوي) مدينة الموصل في عام ١٨٣٥م كتب قائلاً ان التحصينات كانت مرممة وفي وضع جيد[٤].

ومهما بدت هذه الاسوار ضيقة في عين الرحالة الأوربيين، فإنها كانت قوية بما فيه الكفاية لكي تقاوم القصف العنيف والهجمات المتكررة التي قامت بها جيوش نادر شاه في عـــام ١٧٤٣ وحتـــى عنـــدما كانـــت المتاريس في حالة سيئة، والخندق مليئاً بالازبال والابراج خربةً، فان الاســـوار اســـتمرت بالقيـــام بوظيفتهـــا الرئيسية طيلة الفترة الجليلية: ابعدت البدو الغزاة وقطاع الطرق الآخرين خارجها، وحفظـــت ســـكان المدينـــة داخلها، ومكنت السلطات من السيطرة على السيل الداخل والسيل الخارج من الأشخاص والبضائع.

---

(١) ال. راوولف، "تجوال في الاقطار الشرقية"، ان. ستافورست (ترجمة) في "مجموعة من الاسفار والرحلات الاستطلاعية"، جي. زي (الناشر) (لندن١٦٩٣)، ص٢٠٤.

(٢) المنهل(٢)، ١، ٦٢؛ الديوه جي، القلعة، ص١٠٧.

(٣) المنهل(٢)، ١، ١٥٤؛ رؤوف، ص٤٣٠؛ احمد الصوفي، خطط الموصل، (الموصل١٩٥٣)، المجلد الاول.

(٤) المنهل(٢)، ١، ٦٢-٦٣؛ الزبدة، ص١٠٦؛ غاية، ص٦٠؛ لانزا، ص٨؛ سيوفي، صفحات ١٣٦-١٣٩، ١٤٤؛ بكنغهام، صفحات، ٢٨٦، ٢٩١؛ جي. اوتر، "رحلة في تركيا وفارس(باريس١٩٤٨) مجلد ٢، ص٢٥٧؛ اوليفيه، مجلد٤، ٢٦٦؛ جي-بي روسو، "وصف باشوية بغداد"، الناشر سلفستر دي ساسي، (باريس١٨٠٨)، ص٨٨؛ اوخر-ايلوي، "حكايات رحلات في الشرق"، (باريس١٨٤٣)، ص١٩٨؛ سعيد الديوه جي، "سور مدينة الموصل"، في مجلة سومر، ٣، (١كانون الثاني١٩٤٧)، ١١٧-١٢٢.

وتمت حركة الاشخاص والبضائع الداخلة والخارجة من الموصل من خلال البوابات العديدة التي تفتح من الفجر وحتى الغسق[١] ويبدو انه كان للمدينة في العهد الاتابكي تسعة ابواب: الى الشمال الشرقي وقريباً من نهر دجلة كان الباب العمادي المسمى باسم عماد الدين زنكي، ومن ثم وبعكس اتجاه عقرب الساعة: باب الجصاصين، باب الميدان، باب كنده، باب لكش، وباب القصابين، واخيراً وعلى النهر، باب الجسر، باب المشرع وباب السر (الخفي) الذي يستخدم لاغراض عسكرية[٢]. ان مصير هذه الابواب في الفترة الجليلية يوضح نمط النمو الحضري. فمن الابواب الشمالية: باب العمادي الذي شُيد اثناء حصار نادر شاه للموصل[٣] فان احداً من مؤرخي الفترة لم يذكره وكذلك باب الجصاصين. اما باب الميدان فيبدو انه بقي بدون اصلاح منذ عهد بدر الدين لؤلؤ[٤]. وبينما تركت الابواب الشمالية لكي تندثر وتتلاشى، فان الابواب الجنوبية كانت في اصلاح وتحسن دائمين وافتتحت ابواب جديدة. وبالسير ضد حركة عقرب الساعة، فهنالك جنوب باب الميدان[٥]: باب كنده الذي سمي باب البيض ورمم في عام ١٦٣١ وعام ١٨٠٢، وباب العراق (وسمي ايضاً باب الجديد) الذي افتتحه علي العمري عام ١٧٢٥ ورمم في عام ١٨٢١، وباب لكش[٦]، وباب السراي الذي افتتح على اكثر الترجيحات في الوقت الذي نقل فيه السراي من القلعة الداخلية الى الاسوار الجنوبية، وباب الطوب (باب المدفع) الذي يرجح انه كان باب القصابين واعيد بناؤه بالكامل عام١٧٥٠، وباب الجسر، وباب القلعة وباب الشط الذي رمم عام١٨٠١م[٧]. **(ينظر ملحق الخرائط: خريطة رقم٣ ابواب الموصل في القرن الثامن عشر)**

لقد ازدهرت الاحياء الشمالية من الموصل في العهد الاتابكي، حيث كانت الابواب الشمالية تؤدي الى القلعة، والقصور، واماكن العبادة على ضفاف نهر دجلة. وعندما احتل المغول المدينة، هُجر شمال المدينة وغدا خرائب واصبح باب الميدان المؤدي الى مركز الحكومة في قلب المدينة ابعد ابواب الموصل الشمالية. ولكن في الوقت الذي اقام الجليليون انفسهم حكاماً فعليين للموصل فان النسخة الفاصلة لباب الميدان (باب سنجار) عن مركز المدينة كانت هي نفسها خرائب، وبالتالي فان الباب نفسه كان نادراً ما يستخدم. ان مصير الابواب الشمالية الثلاثة مؤشر واضح للنمط المتميز للتطور الحضري. فالموصل الجليلية توسعت الى الجنوب الشرقي والجنوب الغربي، وبصورة عامة جنوب خط وهمي يصل باب الشط شرقاً بباب البيض غرباً؛ وبينما

---

(١) سيستيني، صفحات ١٤٢-١٤٣.

(٢) الصوفي، ١، ١١-١٩.

(٣) نيبور، ٢، ٢٩١.

(٤) المنهل(٢)، ٢، ١١٦؛ الديوه جي، "سور المدينة"، ص١٢٥. رمم فقط في عام١٨٢١ في نهاية الفترة الجليلية.

(٥) سمي باب سنجار.

(٦) وفقاً لما يقول حسن الحبار، عالم موصلي مشهور من اعلام القرن التاسع عشر، فان باب لكش يرمز الى باب الجهش(جهش:بكاء،نحيب)، وان الباب سمي بهذا الاسم لقربه من المقابر. وتفسيرات اخرى تقول: باب القش، باب الجيش، وباب لكش (يقود للمدينة القديمة بذات الاسم).

(٧) نيبور، ٢، ٢٩١؛ الصوفي، ١، ٢٣-٢٦؛ الديوه جي، سور المدينة، صفحات١٢٠-١٢٧؛ سعيد الديوه جي، الجوامع، ص٢٣٢، وكذلك "مدارس الموصل خلال العهد العثماني"، في مجلة سومر، ١٨، (١٩٦٢)، صفحات٤٩-٥٠؛ سليمان الصائغ "تاريخ الموصل"، (القاهرة١٩٢٣)، مجلد١، ص؛ دوبري، "رحلة في بلاد فارس"، (باريس، ١٨١٩)، مجلد ١، صفحات١١٦-١١٧؛ در(٢)، ف٣٢٣.

كان الشمال خراباً، كان الجنوب مزدحماً بالسكان بحيث استعملت المتاريس الجنوبية كجدران للدور التي شيدت آنذاك[١].

٢- البنايات الرسمية

سواء كان الوافد الى الموصل قادماً من بغداد او من الجبال في الشمال، من فارس او من الساحل السوري في الغرب، فان اكثر المقتربات امناً للمدينة هو الطريق الذي يحاذي دجلة على الضفة الشرقية، والمسافرون الذين يرغبون دخول الموصل عليهم ان يعبروا النهر على جسر ذي ستة عشر طاقاً صخرياً (حجرياً) متصل به جسر آخر ذي عشرين قارباً رُبطت بعضها ببعض بسلسلة وغطيت بألواح خشبية. وحينما يكون التيار قوياً فان هذه القوارب تفصل سلسلتها من اجل سلامتها ويضطر الناس لاستعمال العبّارة. وعندما يصلون الجانب الاخر يدخل المسافرون المدينة من باب الجسر وينغمسون مباشرة في قلبها المزدحم[٢].

وعلى يمين الداخلين الى المدينة تقف القلعة الداخلية، ايج قلعة، التي يفصلها الخندق عن بقية المدينة. لقد شيدت هذه القلعة حوالي ١٦٢٥م/١٠٣٥هـ من قبل بكر باشا، اول موصلي عين حاكماً للمدينة، لكي تكون مقاماً للحاكم ومقراً للحكومة[٣]. لكنها اهملت فيما بعد، وفي منتصف القرن الثامن عشر كانت تستخدم كمستودع ومقر لإحدى السرايا الانكشارية، على الأرجح السرية"١٠". وتحت حكم الجليليين كان مقر الحكومة في السراي الجديد المبني على الأسوار الجنوبية قرب باب السراي، وتجاوره محطة التتار (الساعي الإمبراطوري) وبقربها المحكمة الشرعية[٤]. اما دار الكمرك فكانت تقع قرب باب الجسر[٥].

وبعد سقوط الجليليين بني سراي جديد وثكنات حديثة خارج السور على الضفة الغربية لنهر دجلة[٦] **(ينظر ملحق الخرائط:خارطة رقم٤ البنايات الرسمية)**، ولكن تحت حكم الجليليين كانت طبقة الموظفين كلها مجمعة داخل الأسوار في المنطقة الجنوبية الشرقية.

---

(١) المنهل(٢)، ٢، ٧٩؛ نيبور، ٢، ٢٩٠؛ اوليفيه، ٤، ٢٦٥؛ اف. ولبول، "الانصار والحشاشين"، (لندن، ١٨٥١)، مجلد١، صفحات:٣٩٠-٣٩١؛ دبليو. اف. اينزورث،= ="رحلات وابحاث في اسيا الصغرى، ما بين النهرين، بلاد الكلدان، وارمينية"، (لندن١٨٤٢)، مجلد٢، ص١٣٠، و"رواية شخصية لرحلة الفرات"، (لندن١٨٨٨)، مجلد٢، ص٣١٧.

(٢) المنهل(٢)، ١، ٦٢؛ ساوث كيت، ٢، ٢١٩؛ دوبري، ١، ١١٤؛ راوولف، ص٢٠٤؛ اوتر، ١، ١٤٦؛ جونز، ص٣٦٣؛ سي. جي. ريج "قصة اقامة في كردستان"، (لندن١٨٣٦)، مجلد٢، ص٤٧؛ جي. جاكسون، "رحلة من الهند"، (لندن١٧٩٩)، ص١٣٠؛ جي. بادجر "النساطرة وشعائرهم" (لندن١٨٥٢)، مجلد١، ص٧٠؛ رحلة المنشئ البغدادي، عباس العزاوي (ترجمة)، (بغداد١٩٤٨)، ص٧٩؛ دبليو. هود "رحلة في الخليج العربي، ورحلة برية من الهند الى انكلترة" (لندن١٨٠٩)، ص٢١٧؛ أي. اج. لايارد، "نينوى وبقاياها"، (لندن١٨٤٩)، مجلد٢، ص٧٦.

(٣) رغم لقبه فان بكر باشا هذا لايمكن ان يكون والياً كما تدعي المصادر، ذلك لان الموصل في ذلك الزمن كانت لواءاً تابعاً لولاية ديار بكر.

(٤) كانت تقع على بعد بضع خطوات من جامع خزام. ويبدو ان الموصل كان لها محكمة واحدة حيث ان جميع المصادر تشير الى (المحكمة) بدون تفاصيل اخرى.

(٥) عن هذه البنايات الرسمية، انظر: الصوفي، ١، ٢٣، ٢٨؛ سيستيني، ص٢٤٧، بكنغهام، ص٢٨١؛ رؤوف ص٢٥٦؛ جاكسون ص١٣٣؛ سجل وقفيات محافظة نينوى، مديرية الاوقاف في الموصل، صفحات ١٢٩و ١٥٤؛ اف. جونز، "المخطط الآثاري لبقايا نينوى القديمة مع حصن سور الموصل الحديثة"، من المسح من قبل...(١٨٥٥م).

(٦) خارطة جونز، وساوث كيت، ٢، ٢٥٦.

٣- الأسواق

بالإضافة الى كونه مقراً لطبقة الموظفين فان المنطقة الجنوبية الشرقية كانت قلب الموصل الاقتصادي، القلب الذي توسع حول الأسواق القديمة التي ازدهرت إبان القرون الوسطى[١]. في هذه المنطقة كانت تقع الأسواق الأموية: سوق الشعارين حيث يعالج شعر الماعز ويباع، وسوق الأربعاء الذي كان سوقاً اسبوعياً على الأرجح لمنتجات القرى المجاورة، سوق الحشيش (التبن)، سوق القتابين (عدة الجمال)، سوق البزازين (القماش)، سوق السراجين (السروج)، سوق الطعام (مواد غذائية)، سوق الدواب (الركوب) والسخ[٢]. وتحت حكم الاتابكيين توسعت منطقة السوق الى حد كبير وانتشرت شمالاً وجنوباً حيث ان قيصرية النوري، بالقرب من الجامع (النوري) الكبير الذي بناه نور الدين، كان فيها ٢٩٩ دكاناً حسبما يروي سبط ابن الجوزي[٣]. وانتشرت الأسواق، بصورة دائمية على ما يبدو، خارج الاسوار الجنوبية حيث شيدت الجوامع ايضاً[٤]. وحسب مصادر القرن الثامن عشر كان هنالك اجمالاً ما لايقل عن ست وثلاثين سوقاً في العهد الاتابكي[٥]. وفي اعقاب سقوط بغداد بيد المغول وابان العهدين المغولي والتركماني تناقص النشاط الاقتصادي كثيراً واضمحلت منطقة السوق الى جيب يحيط مباشرة بالحصن ويقع جنوب الجامع الكبير تماماً[٦].

وعندما زار تافرنييه الموصل عام ١٦٤٤م، نصب خيمته في ساحة الميدان قبالة القلعة[٧]. ولكن بحلول النصف الثاني من القرن الثامن عشر لم يكن احد قادراً على نصب خيمته في الميدان حيث ان الساحة ملأتها الخانات والقيصريات بعملية مهد لها انتقال مقر الحكومة من القلعة الى السراي الجديد في الجنوب[٨]. بينما شغل الخزافون (الكوازون) محلة رأس الكور شمال الميدان، والى جنوب الميدان في باب الجسر وباب الطوب كان هنالك سوق القصابين وسوق الصفارين وسوق العلوة. وبتجاوز الابواب فان اسواق المقايضة تنتشر جنوباً، على موقع السوق الاتابكي القديم: سوق الملاحين، حيث تفد العشائر لتبيع الملح الذي تجلبه من الصحراء، وتشتري الحبال والجلود المختلفة الانواع المصنوعة في الموصل؛ وسوق الخيل وسوق باب الطوب

---

(١) حسبما يروي ابن الاثير، فان اقدم الاسواق كانت قرب باب الجسر، (مقتبس الصوفي، ١، ٣٠-٣١).

(٢) سعيد الديوه جي، "طبوغرافية الموصل خلال الفترة الاموية"، في مجلة سومر، ٧، ٢ (١٩٥١)، صفحات ٢٢٧-٢٢٩.

(٣) يقتبسها سعيد الديوه جي، "الحرف والتجارة في الموصل في القرون الوسطى"، في مجلة سومر، ٧، ١، (١٩٥١)، ص٩١، وفي الجوامع، ص٢١.

(٤) حسبما يروي ابن جبير (يقتبسه الصوفي، ١، ٣٩) فان حمامات ومساجد شيدت هنالك ايضاً فالجامع الاحمر المشهور الذي بني في ذلك العهد خارج الاسوار على ضفة دجلة ما يزال قائماً حتى اليوم.

(٥) المنهل(٢)، ١، صفحات٦٠-٦٢. انظر ايضاً الديوه جي، الحرف والتجارة، ص٩١.

(٦) الديوه جي، القلعة، صفحات ١٠٥-١٠٧.

(٧) جي-بي، تافرنيه، الرحلات الست الـ..(اوتريخت، ١٧١٢)، مجلد١، ص١٩٢.

(٨) ولذا فان في وقفية جامع الباشا (١٧٥٥م/١١٦٩هـ) ذكراً لمقهى في الميدان: سجل الوقفيات، ص٣٢١. وفي وقفية جامع الرابعية (١٧٦٧م/١١٨١هـ)هنالك ذكر لدكان تقع في ميدان القلعة ولمقهى تسمى قهوة القلعة: مجموعة وقفيات، مجموعة خاصة لمحمد بك الجليلي في الموصل. انظر ايضاً الديوه جي، القلعة، ص١٠٨، والجوامع ص٢٤٥.

حيث تشاد الدكاكين باستمرار[1]. ولكن اهم الاسواق في عهد الجليليين كان بالتأكيد سوق باب السراي الذي يصعب تحديد اطرافه على الخريطة، مثله في ذلك كمثل اية منطقة مزدهرة اخرى تبدو وكأنها "تتغذى" على مناطق مجاورة فتخسر هويتها نتيجة لذلك. هذا فضلاً عن سوق الصاغة وسوق اليمنجية (الاحذية) وسوق العطارين (توابل، عقاقير وروائح)، وسوق السراجين وسوق الحشيش (التبن) وسوق القطن الذي يعرف ايضاً بخان الغزل، وسوق الصباغين وسوق البرضعجية (براذع الحمير والبغال)[2]. وفي سوق باب السراي كانت هنالك اهم الخانات والقيصريات: خان المفتي (بني حوالي١٧٠٨م/١١٢٠هـ) قيصرية علي افندي، قيصرية العبدالية، قيصرية ايوب بك (١٨١٤م)، قيصرية الكنجية[3]، قيصرية معاش العسكر(١٨١٤م)، قيصرية (اوخان) الطمغة الكبيرة(١٨١٤م)، قيصرية الشالجية وقيصرية القزازين[4]. وفي شمال سوق باب السراي كان جامع نبي الله جرجيس والجامع النوري يجتذبا النشاط التجاري بينما كان سوق الشعارين يتوسع بسرعة. واخيراً كان هنالك (دباغ خانه) خارج الاسوار على الضفة الغربية للنهر منتصف الطريق بين باب الجسر والجامع الاحمر[5].

وتوسعت الموصل الجليلية الى الجنوب الغربي حول باب العراق وباب البيض. ومع ذلك وبالرغم من البينة الاكيدة التي تشير الى زيادة في السكان وفي اتساع الرقعة السكنية[6]، فهنالك نزر يسير من الاشارات الى منشآت اقتصادية تقام هناك.

وباستثناء حمام هنا ومقهى هناك، فان سوقين فقط ورد ذكرهما: شهر سوق جنوب الجامع الكبير والى الغرب تماماً من محلة امام عون الدين، وسوق باب البيض الواقع خارج بابه! وهذا تطور حديث نسبياً كما يشير الى ذلك التاريخ المتأخر لبناء الجامع الوحيد المذكور فيما يتعلق بهذه المنطقة[7]، **(ينظر ملحق الخرائط**

---

(١) سيوفي، صفحات:٥٦، ١٢٥-١٢٦، ١٣١؛ الديوه جي، المدارس، ٢، ٥٦، والجوامع ص٢٣٢؛ والصوفي، ١، ١٧، و ٢، ٦٦؛ جونز، ص٣٦٥؛ رؤوف، ص٥٣٧.

(٢) سوق باب السراي كان يعرف ايضاً بالسوق الكبير. وعن هذا السوق انظر المنية، ف ٣١/٥؛ المنهل(٢)، ١، ٢٢٣؛ سيوفي، صفحات ١٢٤-١٢٧؛ الصوفي، ١، ٣٢؛ الديوه جي، المدارس، ص٩١ والجوامع، ص٢٢٦.

(٣) يضع الموصليون المعاصرون هذه القيصرية في سوق باب الطوب، مما يشير الى ان سوق باب السراي وبسبب اهميته وسرعة نموه قد اصبح اثراً بعد عين لصعوبة تتبع كفافه المحيطة.

(٤)عن هذه الخانات والقيصريات راجع المنهل(٢)، ١، ٢٢٣؛ ودوبري، ١، ١٢٠؛ وسيوفي، صفحات١٢٣-١٢٨؛ والصوفي، ١، ٣٠؛ ورؤوف، ص٥٤١؛ وبغداد، ص٣٤٠.

(٥) غرائب،ص٤٦ ان الغرائب لا تحدد لنا موقعها الدقيق بل تكفي نفسها بالقول لنا انها تقع على ضفة دجلة ولكن جميع اهالي الموصل الذين ذكرت لهم (المدبغة) يتفقون على انها كانت في منتصف الطريق بين الجامع الاحمر وباب الجسر. وفي الوقت الحاضر فان مدبغة الموصل تقع ابعد جنوباً، ونقلت ابعد فأبعد من مركز المدينة باتساع الرقعة السكنية. عن ازاحة المدابغ كمؤشر لاتجاهات التوسع الحضري، راجع أ. ريمون، "ازاحة مدابغ حلب والقاهرة وتونس في العهد العثماني: مؤشر للتوسع الحضري"، في مجلة التاريخ المغربي، ٧٠٨، (كانون الثاني ١٩٧٧).

(٦) راجع سيوفي، صفحات ٨٢-٨٧؛ والديوه جي، جوامع ص١٣٢.

(٧) بنى عمر بن مصطفى المخيول (قراءة غير اكيدة) جامعاً فيها عام ١٨٠٥م/ ١٢٢٠هـ:سجل وقفيات، ص٢٢٣. (وهكذا يبدو سوق باب البيض كأحد تلك "الهوائيات" الذي تغامر به المدينة مؤقتاً خارج اسوارها: ار. لوتورنو، المدن الاسلامية في افريقيا الشمالية، (الجزائر، ١٩٥٧)، ص٢١).

خارطة رقم ٥ خارطة الموصل الاقتصادية) ويبدو ان سوق باب البيض كان قبل القرن التاسع عشر سوقاً مؤقتاً اذ لم تبن فيه اية جوامع او مساجد. وبينما كان الجيب الواقع خارج الاسوار الجنوبية وفي محاذاة الضفة الغربية لنهر دجلة آمناً نسبياً، فان المنطقة الواقعة خارج الاسوار الجنوبية الغربية تبدو مكشوفة للتهديد مما أخر التوسع الحضري لوقت طويل على الرغم من ان المنطقة كانت على الارجح نقطة التقاء القوافل السورية. وبينما كان الجنوب الشرقي ميداناً للحرف والتجارة المحلية[١]، بدا الجنوب الغربي كمنطقة سكنية اما بالنسبة الى الاسواق والورش المنتشرة في بقية المدينة فانها تبقى كمية مجهولة لدينا، وهنالك اشارة وحيدة الى خان الدقاقين (تنظيف قماش القطن) الواقع غرب الجامع الكبير في محلة حمام المنقوشة[٢].

وحينما زار تافرنييه الموصل في القرن السابع عشر، وجد فيها قيصريات هزيلة ونزلين اثنين متوسطين في حجمهما[٣]. ولكن بعد قرن من الزمن تبدلت الصورة التي رسمها الرحالة الاوربيون تبدلاً جوهرياً، ذلك ان اوليفييه وهود يخبرانا عن خمسة عشر او ستة عشر نزلاً، عشرة منها على الاقل كانت في حالة جيدة؛ ويخبرنا بكنغهام عن مقاهي عديدة وثلاثين حماماً؛ ذكر مؤرخ موصلي من القرن الثامن عشر: خمساً وعشرين خاناً، وعشر قيصريات، ومائة وثلاث عشرة مقهى[٤]، وعشرين حماماً شعبياً، وثماني حمامات خاصة[٥]. ويبدو جلياً ان تحت حكم الجليليين كان هنالك توسع حضري ملفت للنظر وخصوصاً في بناء المنشآت الاقتصادية. **(ينظر ملحق الخرائط: خارطة ٦ توزيع الجوامع الرئيسية حوالي عام ١٨٠٠م)**

٤- البنايات الدينية

رافقت الزيادة الهائلة في عدد الخانات والقيصريات والحمامات والمقاهي زيادة مماثلة في عدد المؤسسات الدينية كالجوامع والمساجد والمدارس[٦]. وفي الحقيقة ان الاتجاهين يبدوان مترابطين لا سيما وان

---

(١) أنظر ملحق الخرائط: خارطة ٥: خارطة الموصل الاقتصادية.

١- الخزافون ٢- تنظيف قماش القطن ٣- اسواق جديدة غزت الساحة ٤-سوق الصفارين ٥-سوق القصابين ٦-سوق العلوة ٧-سوق الصاغة ٨-سوق العطارين ٩-سوق اليمنجية ١٠-سوق السراجين ١١-سوق الحشيش ١٢-سوق القطن ١٣-سوق الصباغين ١٤-سوق البرضعجية ١٥-خان المفتي ١٦-قيصرية علي افندي ١٧-قيصرية ايوب بك ١٨-قيصرية العبدالية ١٩-قيصرية الكنجية ٢٠-قيصرية معاش العسكر ٢١-قيصرية الطمغة الكبيرة ٢٢-قيصرية الشالجية ٢٣-قيصرية القزازين ٢٤-سوق الشعارين ٢٥-سوق الخيل ٢٦-سوق الملاحين.

(٢) سعيد الديوه جي، اعلام الصناع المواصلة، (الموصل، ١٩٧٠)، ص٤٣.

(٣) تافرنييه، ١، ١٩٢-١٩٣.

(٤) من اجل وصف جيد لمقهى في مدن الولايات العربية في الامبراطورية العثمانية، راجع أ.ريمون، الحرفيون والتجار في قاهرة القرن الثامن عشر (دمشق ١٩٧٣-٧٤). مجلة صفحات ٣١٦-٣١٧. ان مقاهي الموصل كانت متباينة في الحجم والنوعية ورأس المال المستثمر. فبعضها كان يحتل الادوار الاولى من الخانات، بينما امتد البعض الآخر والاكثر تواضعاً بضعة ياردات من جدار جامع: دكان صغير بناؤها ودرزينة من الاكواب وبضعة مقاعد.

(٥) اوليفيه، ٤، ٢٦٧؛ هود، صفحات ٢١٨-٢١٩؛ بكنغهام، صفحات ٢٨٧-٢٨٨؛ سيستيني، ص١٤٨؛ ساوث كيت، ٢، ٢٧٤؛ جاكسون صفحات ١٣١-١٣٢؛ المنهل (٢)، ٦٢. في عام ١٨٤٥ عدد نائب القنصل الفرنسي احد وعشرين خاناً، سبعة منها لبيع الجملة، وخمسة منها لليهود وبيع المفرد، ومدبغتين، وواحداً للتاتار (الساعي)، واثنين لتجار الاقمشة، وواحداً للفحم، والآخر للحصران، وآخر لخيط القطن، والآخر لطباعة (القماش): (الموصل، مجلد ١).

(٦) تستخدم كلمة جامع للاشارة الى جامع (تقام فيه صلاة الجمعة).

نظام الوقف يوفر ضمانات ضد المصادرة وكذلك ضد التبديد السريع لثروة العائلة في بحر جيلين او ثلاثة اجيال. وهذه الرابطة بين السوق والجامع عززتها كثيراً حقيقة كون باشوات الموصل ينحدرون من اسرة محلية، كما كان معظم ان لم يكن كل موظفي الحكومة والشخصيات الدينية كلهم موصليين ايضاً. ويذكر امين العمري في كتاباته في اواخر القرن الثامن عشر، ثمانية عشر جامعاً وحوالي ثلاثمائة مسجد. وفي النصف الاول من القرن التاسع عشر وجد (بادجر) تسعة عشر جامعاً ومائتين وخمسين مسجداً، وجد دوبري عشرين جامعاً، وساوث كيت اربعين وبكنغهام خمسين[1]. ان الخلط المشترك بين الجامع والمسجد، وبين المسجد والمقام والمرقد[2]، وكذلك التوسع السريع في بناء المؤسسات الدينية، وحقيقة ان كثيراً من المساجد راحت تتحول الى جوامع، كل ذلك جعل من الصعب تقديم ارقام دقيقة.

ويبدو ان الموصل في حوالي ١٨٢٠ كان فيها ما يقرب من خمسة وعشرين جامعاً تقام فيها صلوات الجمعة. انشئ معظمها تحت حكم الجليليين اما بدءاً من الاساس او في موقع مسجد قديم[3]. وعلى نحو مماثل لحال الاسواق فان معظم هذه الجوامع تركزت في الجنوب. ولكن على النقيض من نمط التوسع الحضري للمنشآت الاقتصادية، فان انشاء الجوامع لم يبق منحصراً في المنطقة الجنوبية الشرقية، بل ان الجنوب الغربي شهد ازدهاراً مماثلاً ومثيراً للإعجاب حين وسع الوجهاء المقيمون هناك استثماراتهم في المنطقة المجاورة لدورهم. تحولت المساجد القديمة والمراقد خارج الاسوار الجنوبية وبخاصة باتجاه الشرق، الى جوامع تحت حكم الجليليين. ولكن شيئاً لم يحدث في اتجاه الشمال، وان علينا ان ننتظر حتى القرن التاسع عشر لنرى الجوامع القديمة والمساجد ترمم وتوسع.

يضاف الى هذه الجوامع والمساجد عدداً لا حصر له من المراقد المقدسة منتشرة في كل ارجاء المدينة وكذلك في الريف المحيط بها. وقد تركت كل فترة من التاريخ اسماء بضعة اولياء استمرت ذكراهم عزيزة لدى الاجيال التالية. ففي بعض الاحيان قد تبنى قبة فوق الضريح، وغالباً ما تكون اشادة القبة في مكان معين بحد ذاتها تثبت وجود الضريح والجثمان المقدس فيه، واحياناً اخرى يبنى المرقد بصورة مستقلة عن جثمان الولي الذي يشير اليه. يطلق على هذه المراقد المقام والمزار والمشهد والقبر ومنها ما شيد قبل الاسلام، ومنها ما يقع داخل الكنائس، ومنها ما يوجد في جوامع ومساجد، فيما يقف بعضها الآخر لوحده.

ففي جنوب شرقي الموصل هناك ما لايقل عن خمسة عشر مرقداً، عشرة منها تحولت الى جوامع ومساجد بينما بقيت الخمسة الاخرى على حالها. والشيء الممتع هنا ان جميع هذه المراقد التي اندمجت في جوامع ومساجد كانت تفتقر الى الرواد في القرن الثامن عشر، بينما كان مرقد واحد من كل الخمسة التي بقيت في اماكنها، يزار في الفترة نفسها[4].

أما المراقد الاحد عشرة الواقعة في المنطقة الجنوبية الغربية، فثمان منها تقع في جوامع وواحد في كنيسة واثنان يقفان لوحدهما. وهنالك اكثر من دليل على ان جميع هذه الاماكن المقدسة، باستثناء المرقد الواقع

---

(١) المنهل(٢)، ١، ٦٢، بادجر، ١، ٨١؛ دوبري، ١، ١٢٠؛ ساوث كيت، ١١، ٢٥٢؛ بكنغهام، ص٢٨٨.

(٢) كان في بعض الاضرحة والمراقد التي يزورها الاشراف محاريب وتقام فيها الصلاة.

(٣) في عام١٨٤٥م عدد بوتا اثنين وعشرين جامعاً: (موصل، مجلد١)، بوتالى كيزو، الموصل، ٣١ كانون الثاني١٨٤٥.

(٤) المنية، من ٢٩-٣٥؛ المنهل(٢)، ٢، ٤٥، ٦٨، ٧٦، ٨٣-٨٤، ١١٤-١١٥، ١٣٢، ١٥٦.

في الكنيسة، كانت تزار في العهد الجليلي[1]. اما في شمال المدينة فهنالك ثمانية عشر مرقداً، منها ثلاثة عشر مرقداً تزار ويلتمس الزوار اولياءها بصورة منتظمة في القرن الثامن عشر. ومع ذلك، فبالرغم من شعبية المراقد الشمالية. فان معظمها كان في حالة سيئة جداً، واثنان منها فقط اندمجا في جوامع[2]. **(ينظر ملحق الخرائط: الخارطة رقم ٧ توزيع المراقد الرئيسية والمقابر)**

وكان هناك خارج الاسوار، في المقابر وحولها، احد عشر مرقداً يزار، أربعة منها بنيت جوامع او مساجد بسبب توسع الموصل خارج أسوارها الجنوبية[3].

ويستطيع المرء ان يرى ان المراقد كانت موزعة في كل ارجاء المدينة على حد سواء، ولكن الافضلية اعطيت تبعاً لسياسة الاستثمار للمراقد الواقعة في الجنوب، بينما كانت المراقد الشمالية والمراقد الواقعة خارج الاسوار مهملة على الرغم من ان الناس كانوا يزورونها باستمرار. والسبب في ذلك واضح: فعلى الرغم من شعبية هذه المراقد فانها كانت بعيدة عن قلب المدينة لهذا لم تنل حظها من الاهتمام. وقد اشرنا آنفاً الى رابطة محددة بين بناء الصروح الدينية والمنشآت الاقتصادية، وهذه الرابطة تشير الى حقيقة ان الجامع يحقق اهدافاً اقتصادية ودينية. وان دراسة نمط الاستثمار في مراقد الموصل وجوامعها تبين الان انه فضلاً عن الوظيفة الاقتصادية الواضحة فان المراقد والجوامع تخدم اهدافاً سياسية اذ تشكل اداة قوية للسلطة: كمكان للاجتماع واداء الصلاة وكمنبر ووسيلة اتصال فعالة. وهذا بالضبط هو السبب وراء ترميم وتوسيع المراقد والجوامع الواقعة في قلب المدينة المزدحم على الدوام، بينما كانت المراقد الواقعة في المناطق غير المأهولة في الشمال وتلك الواقعة خارج الاسوار، يتجنبها الوجهاء الذين حرموها من استثمارهم: وربما كان لهذه الاماكن نساكها ولكن لم تكن فيها جماعة ثابتة لادارة اداء الصلاة لانها كانت بعيدة عن قلب الموصل السياسي المزدحم.

لقد كانت الموصل في عهد الاتابكيين مركزاً ثقافياً نشطاً فيها ما لايقل عن ثمان وعشرين مدرسة وثمانية عشر دار حديث[4]. الا ان الانشطة الثقافية طيلة القرون المضطربة التي خضع فيها العراق لحكم المغول والتركمان ذوت واصبحت المدارس نهباً للخراب. اما في الفترة الحديثة فان الحكام العثمانيين حبذوا انشاء المدارس وسيلة لنشر المذهب الحنفي الرسمي، وبمجيء الحكم المحلي في الولاية في القرن الثامن عشر بدأ عدد المدارس في الموصل يزداد بوتائر عالية جداً. واقتداءاً بما فعل الجليليون، راح الوجهاء الموصليون يبنون مدارسهم الخاصة في الجوامع او خارج الجوامع عادة في جوار مساكنهم ان لم تكن متصلة بهذه المساكن او جزءاً لا يتجزأ منها[5]. وكان نمط الاستثمار في المدارس مشابهاً له في الجوامع والمراقد حيث

---

(١)غرائب،ص٩٨؛المنية،من٣١-٣٤؛المنهل(٢)، ٢، ١٣١-١٣٢، ١٥٣-١٥٧، ١٤٣، ١٧٩-،الصوفي، ١، ٤٥، ٦٧.

(٢) المنية من ٣٢-٣٥، ٥/٤٠؛المنهل(٢)، ٢، ٧٩-٨١؛ ٥٥، ٩٦، ١٣٣، ١٧١-١٧٢؛ آر. باكليرو، "الحفاظ على نصبين اسلاميين في الموصل"، في سومر، او ٢(١٩٦٥)، ص٤٨.

(٣) المنية، من ٢٦-٢٨، ٣٣-٣٤؛ المنهل(٢)،٢، ١٤١، ١٧٥، ١٨١-١٨٢. ويضاف الى جميع هذه المراقد خمسة واقعة في القرى المجاورة، وخمسة اخرى لم استطع لسوء الحظ ان اعين مواقعها: انظر المنية، من ٣٠-٣٤، ٣٨؛ المنهل(٢)، ٢، ١٨٢.

(٤) الديوه جي، الحرف والتجارة، ص٩١؛ الصوفي، ٢، ١٧.

(٥) ساوث كيت، ٢، ٢٥٢-٢٥٣.

ظل الشمال مهملاً وبقيت المدارس الفخمة على عهد الاتابكيين مهجورة وابرزها المدرسة النورية و العزيـة، والبدرية ومجاهد الدين. وتركز البناء في الجنوب الشرقي والجنوب الغربي وكان للمراقد الفخمة فـي النبـي يونس والنبي شيت اللذان يقعان خارج الاسوار مدارس ايضاً. اما اقصى مدرسة شمالية يردها طلاب العلم في عهد الجليليين فكانت المدرسة الكمالية القديمة الواقعة في محلة رأس الكور والتي اهملت لـزمن طويـل جـداً ولكن اعيد بناؤها اخيراً في عام ١٨٠٤م/١٢١٩هـ من قبل عائلة نالت الثروة والقوة حديثاً وافادت محلة رأس الكور الى حد كبير[١].

وعلى خلاف المراقد-التي كانت خاضعة بصورة مباشرة الى مؤسسة دينية اكثر شمولاً كالجـامع او المسجد ولم تكن موطن اهتمام المستثمرين من الوجهاء بحد ذاتها- فان مدارس الموصـل تطـورت بصـورة مستقلة من الجوامع لانها خدمت اهدافاً معينة مما جعلها اكثر جذباً لرأسمال سرعان ما تحول الى رأس مـال سياسي. وكمكان بسيط ومنفرد للعبادة، فان المرقد (ميت) سياسياً. ولا يصبح نقطة جـذب الا عنـدما يوسّـع ويحول الى مكان للاجتماع وتصبح الخطبة الدينية فيها كلمة سياسية تجلب عامة وتستقطب النفوذ. وبالمقابلـة مع المرقد، فان المدرسة بصفتها للتعليم هي كالجامع اداة سياسية. وهذا يمكن ان يفسر سبب امتلاك المدرسـة، على خلاف المرقد، حرية التطور على مسؤوليتها[٢].

وخلافاً للصروح الدينية الاسلامية، فان الصروح الدينية المسيحية نجت من هذا الاتجاه المتميز للتوسع الحضري في انها كانت منتشرة في جميع ارجاء المدينة[٣]. والسبب الرئيسي لذلك هو ان بناء كنـائس جديـدة كان شبه مستحيل وحتى اصلاح الكنائس القائمة كان خاضعاً لقواعد صارمة وكانت الاجازة لعمل ذلك تمـنح نادراً وبالتالي فان الكنائس المسيحية، ومعظمها يعود تاريخه للقرون الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر، توفر استمرارية تتحادث وتتماش على نحو متميز نوعاً ما مع الاطوار المختلفة والمتعاقبة للتطور الحضـري كما يتوضح في بناء الجوامع والاسواق. وهكذا فان الكنائس تشبه المراقد من عدة وجوه.

كان هنالك ثمان كنائس في الموصل في النصف الاول من القرن الثامن عشر. وفـي عـام١٧٤٣م، ولمكافأة المسيحيين لموقفهم الشجاع اثناء حصار نادر شاه للموصل سمح لهم حسـين باشـا الجليلـي بتـرميم كنائسهم وبناء كنيستين جديدتين[٤]. وكنتيجة لذلك بنى النساطرة واليعاقبة كنيسة لكـل مـنهم قـرب الاسـوار الشمالية بجوار قلعة باش طابيا في محلة الميدان الاخضر[٥]. ويذكر الزوار الاوربيون في النصف الاول مـن القرن التاسع عشر ما بين ثمان واربع عشرة كنيسة في المدينة[٦] ونظراً للخصومات والانقسامات الطائفية بين

---

(١) المنهل(٢)، ٢، ٧٨؛ داؤد الجلبي، مخطوطات الموصل، (بغداد١٩٢٧)، ص٢٢؛ الديوه جي، جوامع، ص٢٣٠. عن هذه العائلة الوجيهة المعروفة بآل بكر، انظر فيما بعد ص ١٥٦.

(٢) المعلومات اخرى عن المدارس. انظر: صفحات١٧٣-١٧٥ فيما بعد.

(٣) كان لليهود كنيس واحد فقط في محلتهم الواقعة شمال غربي الموصل.

(٤) التاريخ السرياني، ص٥٠٣.

(٥) نيبور، ٢، ٢٩٣. احدى الكنائس المعروفة بطاهرة الكلدان (ولذا فهي نسطورية) كانت تقع على ما يبدو على الدير الاعلى القديم كما ذكره ياقوت.

(٦) اينزورث، الأسفار، ٢، ١٣٠؛ ساوث كيت، ٢، ٢٥٠-٢٥١؛ ولبول، ١، ٣٩١؛ بكنغهام، ص٢٨٩؛ بادجر، ١، ٨٢؛ دبليو. هود، ص٢١٨.

المسيحيين ولتحول الكنائس من طائفة الى اخرى–مثلاً خروج كنيسة من اليعاقبة الى السريان الكاثوليك وعودتها تارة اخرى لليعاقبة..والخلط الذي اثير في اذهان الرحالة الاوربيين، كل ذلك يجعل من الصعوبة بمكان اعطاء رقم دقيق لعدد الكنائس. ولكن يبدو انه كان هنالك اربع كنائس على الاقل في المنطقة الشمالية: اثنتان في الميدان الاخضر واثنتان اخريان في محلة النصارى، الى الجنوب منها تماماً. وهنالك ثلاث كنائس اخرى واقعة في الاسواق الجنوبية الشرقية، وخمس كنائس في الجنوب الغربي. **(ينظر ملحق الخرائط الخارطة ٨ توزيع اماكن عبادة الذميين).**

وخلافاً للجوامع فان نمط بناء الكنيسة كان خاضعاً مباشرة لنزوة الحاكم ولا يستطيع النصارى اختيار موقع الكنيسة الجديدة حتى لو منحوا الاجازة لبنائها. ولهذا السبب بالذات ولأن بناء الكنيسة كان قراراً رسمياً سياسياً، فانها نجت في واقع الحال من السياسة الحضرية. اصبحت الكنائس تحت حكم الجليليين، كالنصارى لا علاقة لها بالسياسة، أي انها تقع خارج العمليات الرسمية والواقعية لصنع القرار. واستمر ذلك حتى النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبازدياد اهمية القناصل الاوربيين واتساع نظام الحماية تسنى للمؤسسات الدينية المسيحية حينئذٍ ان تدخل حلبة السياسة المحلية.

الفصل الثاني

المجتمع الحضري

١- السكان

كان سكان الموصل طيلة العهد العثماني في حالة ثابتة من التغير المتواصل، وبالتالي فان من الصعب جداً ان نقدم للقارئ ارقاماً دقيقة، والعوامل التي ادت الى زيادة مفاجئة في السكان كانت: الحملات العثمانية ضد الفرس حين تمثل الموصل نقطة التقاء الاطراف المختلفة ومركز ترحيب بالجيوش الضخمة فضلاً عن كونها مركز استقطاب للهجرة الجماعية الوافدة من المدن والقرى والارياف المجاورة ولا سيما في اعقاب الكوارث الطبيعية او الاجتماعية[١]؛ ومن الامثلة على ذلك وصول سريتين انكشاريتين منفيتين من قبل باشا بغداد اوائل القرن الثامن عشر؛ وهزيمة سكان القرى امام الجيوش الغازية[٢]. اما العوامل التي ادت الى نقصان هائل في السكان فقد تمثلت في الزيارات العديدة للاوبئة والمجاعات التي اضطرت الناس للهرب الى ولايات اخرى اقل ضرراً سعياً وراء السلامة و الرزق[٣].

ويقدر دومينيكو لانزا سكان الموصل حوالي عام ١٧٧٥ بما لايقل عن ٣٠٠ الف شخص، قائلاً "انه على الرغم من عدم امكانية القيام باحصاء دقيق..يكفينا ان نقول ان ١٠٠ الف شخص قضوا في الوباء الذي حل بالمدينة عام ١٧٧١. وذلك ما وافاني به الاباء بعد ان غادرت الموصل الى روما، مضيفين ان المدينة كانت ما تزال عامرة بالسكان"[٤]. ولانزا هو الاوربي الوحيد الذي يعطينا هذا الرقم العالي.وبعد عشرين عاماً، يقدر سيستيني سكان الموصل بخمسين الفاً، واوليفييه بثلاث وستين الفاً الى ست وستين الفاً للمدينة وبمئتي الف للولاية كلها[٥]. وفي بداية القرن التاسع عشر يعطينا دوبري الرقم ٥٠,٠٠٠، وهود ٤٠,٠٠٠ الى ٤٥,٠٠٠ وبكنغهام اقل من ٥٠,٠٠٠[٦]. وفي اواخر الثلاثينات من القرن التاسع عشر فان سكان الموصل كانوا ١٩,٠٠٠ حسب تقدير اينزورث، و ٣٠,٠٠٠ حسب تقدير غرانت واوخر-ايلوي، و ٢٠,٠٠٠ عائلة حسب تقدير جيسني[٧]. واخيراً في عام ١٨٤٥م يقدر الممثل الفرنسي سكان الموصل بـ٤٣٢٨٠ شخصاً، أي

---

(١) ١٦٣٨، ١٧٢٦، ١٧٣٣، ١٧٣٤.

(٢) لانزا، صفحات٩-١٠؛ الديوه جي، جوامع، ص١٤٦، بغداد ص١٨٠؛ آر. دبليو. اولسن، "حصار الموصل والعلاقات العثمانية-الفارسية" ١٧١٨-١٧٤٣ (بلومنكتون، ١٩٧٥)، ص٥٣.

(٣) لانزا، صفحات ١٠-١١.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) سيستيني، ص١٤٩؛ اوليفيه، ٤، ٢٦٨-٢٦٩.

(٦) دوبري، ١، ١٢٠؛ هود، ص٢١٨، بكنغهام، ص٢٩٠.

(٧) اينزورث، الاسفار، ٢، ١٢٨؛ اوخر-ايلوي، ص١٩٨؛ اف. آر. جيسني، الرحلة لمسح نهري الفرات ودجلة (لندن، ١٨٥٠)، مجلد١، ص٢١؛ أي. غرانت، البساطرة (لندن، ١٨٤١)، ص٢٨.

٧٥,٠٠٠ شخص اقل من خمس عشرة سنة خلت[١]. ويبدو لنا معقولاً لان نفترض ان معدل سكان الموصل بعد الوباء العظيم لعام ١٧٧١ كان حوالي ٥٠,٠٠٠ شخصاً فقط[٢].

٢- التجمعات الحضرية:

ان دور الموصل التجاري بصفتها مركزاً للتجميع والتوزيع وموقعها الستراتيجي بصفتها حلقة وصل بين اجزاء مختلفة في الشرق الاوسط يؤكدان التعددية العرقية فريدة الطراز لسكانها: بدءاً بأحفاد العرب الفاتحين، الى الاكراد في شمال العراق، الى السيل المتأخر من القبائل التركمانية والتركية في العصور الوسطى. وعلى نحو موازٍ لهذه التعددية العرقية هناك تعددية دينية تسهم في تحويل شمالي العراق برمته الى فسيفساء من الشعوب والثقافات والدلالات.

أ- المسلمون

ان ثلثي سكان الموصل على الاقل هم مسلمون ينحدرون من ثلاث مجموعات عرقية: عرب، واكراد واتراك (تركمان). والتركمان فلاحون يقطنون القرى المحاذية للضفة الشرقية لنهر دجلة، كما يفعلون اليوم، ولا يبدو ان منهم من سكن المدينة نفسها. اما الاكراد فقد سكنوا في الجبال الى الشمال وكذلك في ولاية شهرزور الى الجنوب الشرقي. وخلال العهد الجليلي جاء الكثير منهم الى الموصل واستقر فيها، والتواريخ حينما تذكرهم، تشير اليهم حسب هويتهم العرقية (كردي، كردي الاصل)، او حسب مدينة المنشأ (اربيلي، عقراوي، الخ). وحول مدينة الموصل، وبخاصة على الضفة الغربية للنهر، بعض القرى التي يقطنها عرب شبه بدو. اما البدو الاخرون فقد استقروا الى الجنوب من اسوار المدينة وكذلك في الاقسام المهجورة والخربة من الموصل[٣].

---

(١) س س س (الموصل، جزء الاول)، بوتا الى كينرو، الموصل، ٣١ كانون الثاني ١٨٤٥.

(٢) أي. ريموند (الدلالات الحضرية ودراسة السكان المدن العربية الكبرى في العهد العثماني)، يستعمل الحمامات كمؤشر لتقدير السكان الحضريين في الامبراطورية العثمانية، في ب أي او، ٢٧ (١٩٧٥) فقدر حسابياً ان هنالك بالمعدل حماماً واحداً لكل ٤٠٠٠ الى ٥٠٠٠ شخص. والرقمان الوحيدان اللذان لدينا لعدد الحمامات في الموصل الجليلية هما عشرون حماماً لنهاية القرن الثاني عشر، وثلاثون حماماً لبداية القرن التاسع عشر. وآخذين خمساً وعشرين كمعدل، فعلى المرء ان يتقبل ان ثلث هذه الحمامات على الاقل كان يقع في مناطق قليلة السكان، اذ ان نصف المدينة كان يسمى (خراباً). وهذا يدع لنا (١٢) او (١٥) حماماً متفرغاً تماماً، ورقماً سكانياً محتملاً يتراوح بين ٤٨,٠٠٠ و ٧٥,٠٠٠ شخص. ويقدر م.س. حسن سكان شمال العراق في عام١٨٦٧ بحوالي= =٢٦٥,٠٠٠شخص، منهم ٥٥,٠٠٠ (٢١%) سكان حضريون: انظر م.س. حسن، "نمو وتركيب سكان العراق، ١٨٦٧-١٩٤٧"، في "التاريخ الاقتصادي للشرق الاوسط" للناشر شارلس عيساوي (شيكاغو١٩٦٦ ص١٥٧). والرقم ٥٥,٠٠٠ للسكان الحضريين لشمال العراق يبدو واقعياً حين نأخذ بنظر الاعتبار ان الموصل كانت اهم مركز حضري (باستثناء ديار بكر) وحسب تقدير كوينيه فان سكان الموصل في نهاية القرن التاسع عشر كانوا حوالي ٦١,٠٠٠ شخص: انظر فيتال كوينيه، تركيا في اسيا، جزء٢، (باريس، ١٨٩٢)، ص٨٢٠.

(٣) الاثار، ص٢٣٦، غرائب، ص٥٤، منية، من ٣٥-٤٦، ريج، جزء٢، ٣٤٩. وحتى اليوم فان العرب البدو يفدون الى الموصل ليستقروا فيها، واستطعت ان ارى بنفسي عائلة اقامت بيتها في مقبرة.

ويتألف معظم سكان المدينة من العرب والاتراك المستعربين وكلهم على المذهب السني. ولم يكن هنالك شيعة في المدينة نفسها ولكن هناك العديد من القرى التي يقطنها يزيدية وشبك[1]. وكان الغالبية العظمى من السنة احنافاً فيهم اقلية شافعية. وليس هنالك في جميع المصادر ما يشير الى أي دليل على الاحتكاك بين المذهبين، ولا أي دليل البتة على مشاعر عنيفة تعود لأي من اتباع المذهبين. في الحقيقة فان جوامع عديدة كان لها مصليّان، واحد للاحناف واخر للشافعية، وقد امتزج المجتمعين في المدارس حيث لم يكن من غير المألوف لطالب شافعي ان يتعلم الفقه الشافعي على يدي شيخ حنفي. ويظهر انه لم يكن هنالك تفرقة طبيعية (من جهة ما) او سياسية او ثقافية ضد الاقلية الشافعية، وكانت هناك عوائل شافعية من الوجهاء تشكل مؤسساً للنخبة المحلية[2].

ب- النصارى

في حوالي عام ١٧٦٠م كان في الموصل ما يقرب من ٦٠٠٠نصراني، واكثر من ذلك بكثير في القرى المجاورة[3]. وفي الحقيقة ان اهم قرى الولاية كان يقطنها المسيحيون. فقد ذكر نيبور ١٢٠٠داراً للنصارى في المدينة، يسكن اليعاقبة منها في ٨٠٠ دار، والبقية يسكنها نساطرة وكلدان[4] ان الزيادة السريعة في عدد الكلدانيين والسريان الكاثوليك كانت نتيجة مباشرة لتأسيس الارساليات الاوربية في الموصل. ففي عام ١٦٣٦ استقر الكبوجيون في المدينة ونجحوا في خلق نواة كاثوليكية بتحويل اليعاقبة والنساطرة الى تبعية روما الكاثوليكية. ومنذ ذلك الحين اصبح النساطرة المهتدون يعرفون بالكلدان، واليعاقبة المهتدون يعرفون بالسريان. وفي عام ١٧٢٤ اجبر الكبوجيون على اغلاق ارساليتهم، ولكنهم تركوا وراءهم حوالي ١٠٠٠ كاثوليكي، هم خمس عدد النصارى في المدينة[5] وبعد عشرين سنة من اغلاق الارسالية الكبوجية، دخل الدومينيكان الطليان الى الموصل ليواصلوا مهمتهم، ولو ان الكبوجيين على ما يبدو، حاولوا بكل ما لديهم من قوة ان يمنعوا الدومينيكان من اغتصاب "منطقة نفوذهم".

ان اعداد النصارى الموصليون يمكن ان يتزايد فقط بصورة طبيعية وعن طريق الهجرة من القرى، ذلك لان التبشير كان غير وارد. ولذلك فان الانشطة الارسالية كانت موجهة نحو الكنائس الشرقية واخذت صيغة صراع مرير للسيطرة على الانفس والاوقاف الدينية والاديرة.

---

(١) انهم طائفة مستقلة تماماً عن اليزيدية وهناك اختلاف كبير بينهم في المعتقد، وهم من اصل كردي. وهم يتميزون بتعصبهم للامام علي(ع) وتشير اليهم المصادر احياناً كـ(علي الاهية). حول الشبك انظر: ف. مينورسكي في الموسوعة الاسلامية(١)، جزء٤، ٢٣٨-٢٣٩. كوينيه يقدر عدد القرى الشبكية شرقي الموصل بنحو ٣٧قرية، والقرى اليزيدية الشرقية بنحو ٢٤ قرية بنهاية القرن التاسع عشر: انظر كوينيه، جزء٢، ٨١٥.

(٢) انظر فيما بعد، صفحات: ١١٣، ١١٤، ١٢٦، ١٧٠.

(٣) لانزا، صفحات: ١١-١٣؛ أي. آيفنر، رحلة من فارس الى انكلترة (لندن، ١٧٣٣)، ص٣٢٤.

(٤) نيبور، جزء٢، ٢٩٤.

(٥) ايفز، ص٣٢٤.

وطيلة العهد الجليلي بقي عدد النصارى كما هو، وفي عام ١٨٤٥ ذكر كريستيان رسام ٢٥٦٦ نصرانياً بالغاً[١] و٩٢٤ داراً نصرانية[٢] وأربعة عشر حياً نصرانياً[٣].

ان الصورة العامة لعلاقات النصارى بالمسلمين تحت حكم الجليليين هي صورة احترام وتسامح متبادلين، وقد كتب ساوث كيت عند زيارته للموصل في أواخر الثلاثينات من القرن التاسع عشر ان العلاقات الطيبة القائمة بين الطائفتين تعزى الى الدور الذي لعبه النصارى في الدفاع عن المدينة ضد نادر شاه، والى الجد النصراني (عبد الجليل) للأسرة الحاكمة، والى السيطرة النصرانية على "المهن المهمة"، والى وعي المسلمين المواصلة ان أسلافهم كانوا نصارى[٤] ومهما تكن الحقيقة وراء تصريحات كهذه، فان الحقيقة الماثلة هي ان الميزة المحلية لحكم الجليليين فضلت تعاوناً وثيقاً بين وجهاء الطائفتين الدينيتين حتى ولو لم يكن مثل هذا التعاون قائماً بين الطائفتين ككل. ويحدثنا نيبور ان نصارى الموصل كانوا يرتدون البسة كألبسة المسلمين، ويعملون في وظائف حكومية[٥] وهنالك دليل واضح على الميزة المحلية "دولة المدينة" للموصل تبطل الاعتبارات التمييزية القائمة على الدين. وفي عام ١٧٥٠، كان الكاثوليكي عبد الاحد صليوه رئيساً لطباخي الوالي، وحينما نقل حسين باشا الجليلي من الموصل الى حلب في عام ١٧٥٧، ذهب معه الاخوان الكاثوليكيان الياس ويوسف الحلبي، وعندما اعيد حسين باشا الى الموصل اصبح الياس مدير مصرفه؛ وشغل نصراني آخر هو زكريا الصائغ، وظيفة المصرفي لحسين باشا الجليلي. وفي الوقت نفسه تقريباً، لعب نصراني آخر دوراً نشطاً في الخصومات الحضرية كعضو في جماعة اسعد اغا الجليلي احد الوجهاء الرئيسيين، وقتل في احدى المعارك والى وقت قريب من عام١٨٣٠، كتب كروفز [وهو مبشر بروتستانتي] مقيم في بغداد ان "الكثيرين من اولئك المقربين الى باشا الموصل هم نصارى"[٦] وعلى المستوى الشعبي يظهر ان المسلمين والنصارى كانوا يشاركون في وجه ثقافي واحد هو الوجه الموصلي الذي يسمو على الهويات الدينية. ومن هنا فان الطائفتين تشاركان بعيد خضر الياس حيث يتزاور المسلمون والنصارى ويتبادلون هدايا الطعام. وفي اليوم الثاني للصوم الكبير وكذلك في الجمعة الاخيرة للصوم الكبير، ينظم المسلمون نزهات مقلدين بذلك العادات النصرانية. وفي عيد الصليب تحتفل الطائفتان. وينظم المسلمون ثلاثة ايام للفاتحة في المساجد..وهي عادة نموذجية للنصارى الشرقيين. واخيراً فان المسلمين والنصارى غالباً ما يتعبدون (يتبركون) في المراقد والاضرحة نفسها لقديسين واولياء، ويشتركون في العقيدة نفسها وبالإيمان بالقوى الشفيعية للاولياء[٧] كانت

---

(١) ٨ % من مجموعه.

(٢) ١٥% من مجموعه.

(٣) ٣٠% من مجموعه. انظر اف. او١٩٥/٢٢٨، رسام الى كننغهام، موصل، ٢٧مايس١٨٤٥.

(٤) ساوث كيت، جزء٢، ٢٥٣-٢٥٤. عن اصل الاسرة الجليلية، انظر فيما بعد، صفحات ١١٦-١١٨.

(٥) نيبور، الجزء٢، ٢٩٤. ولو انه لا يحدد طبيعة الوظائف الحكومية.

(٦) لانزا، ص٥٩؛ صايغ، جزء٢، ٢٨٩؛ رؤوف، ص٣٢١؛ أي. إن. كروفز، مفكرة اقامة في بغداد (لندن، ١٨٣٢)، ص٥٣؛ في عام١٧٥٨، "رئيس المدينة النصراني كان حرم باشي، رئيس الحرم" آيفز، ص٣٢٤. وهذه الاشارة الوحيدة لنصراني من الموصل شغل وظيفة كهذه. ويحدثنا نيبور (جزء٢، ص٢٩٤) عن نصراني "هو الملتزم الاول لمطبخ زوجة الباشا".

(٧) وحتى هذا اليوم فان مقام السيدة في دير الدومينيكان في الموصل تزوره النساء المسلمات والنصرانيات على حد سواء.

المؤسسة الدينية التي تشارك الناس احترامهم العميق وحبهم للقديسين تشجب هذه الابتداعات وكانت تدرك الصعوبة في رسم خط فاصل بين ما هو مسموح وما هو غير مسموح[١].

وهكذا يظهر ان نصارى الموصل كانوا مندمجين حقاً في جسم المدينة ويستفيدون من فترة الحكم المحلي[٢]. مع ذلك يجب التأكيد على ان اندماجاً كهذا كان قائماً بذاته في منأى عن الطائفية، هو لهذا لا يمكن له ان يفرز قوة سياسية.لقد خدم النصارى الولاة كموظفين او كمصرفيين[٣]، وجنوا من هذه الخدمة فوائد مالية ونفوذاً شخصياً في أوساط طائفتهم، ولكنهم لم يقدروا ان يستخدموا فوائد كهذه ونفوذاً كذلك ليثبتوا أنفسهم كقوة سياسية على المسرح الموصلي. ان نصارى الموصل..كأسرة او حارة او طائفة..لم يتظاهروا ولم يضربوا ولم يؤسسوا مجموعات ضغط الا في القضايا التي تهم النصارى، ولم يصبحوا اعضاء في ديوان الباشا. ومن خلال نسيانهم كونهم نصارى فقط يستطيعون كأفراد ان يأملوا ان يستفيدوا من النظام. ويحسن نيبور وصفهم جيداً حين كتب قائلاً "ان النصارى لايسمح لهم بالانخراط في صفوف الانكشارية ولكن بدفعهم لضريبة يستطيعون ان يصبحوا خدماً للقادة الانكشارية: موفرين حماية بدون (قوة) سياسية[٤]. ويبدو ان الجليليين فضلوا إدخال النصارى في الادارة وحاشية الباشا، بالطريقة نفسها التي فضلوا فيها افراداً مسلمين مغمورين ومنحوهم الوظائف على الأرجح بهدف تقليص قوة الأسر الرئيسية الوجيهة باستخدام أفراد "ميتون سياسياً" وكانوا يحققون أهدافهم على أفضل وجه ممكن وبالتالي عديمي الضرر-كالنصارى او عامة الناس.

لقد كانت اوربا خلال العهد الجليلي ممثلة في الموصل من قبل الإرساليات الكاثوليكية. وكان تبشيرهم يثير احياناً، نزاعات بين النصارى ويعكر سلام المدينة، وفي عام ١٧٥٨م اضطر حسين باشا الجليلي ان يحذر دومينيكو لانزا "بطريقة ودية" وان يسأله ان يخفف من حماسه التبشيري[٥]. وهذا التحذير الودي يعطينا مؤشراً عن العلاقات الجيدة القائمة بين الجليليين والارساليات الاوربية. وفي الحقيقة ان هذه الارساليات، سواء كانت دومينيكانية او كرملية، وضعها المواطنون المحليون على "منصة الابقراطية" (وهو من كبار الاطباء قديماً) كاملة الوصفات، واحاطوها بهالة من السحر تعود الى عالم آخر، وكانوا يظنون ان الارساليين قادرين على شفاء أي مرض معروف او غير معروف. فمن الموصل ومن العمادية ومن جزيرة عمر وقرة جولان ارسل الباشوات والامراء المرضى بطلب هؤلاء الاطباء الذين استطاعوا في اكثر الاحيان ان يحققوا توقعاتهم. ولكنهم فشلوا أحياناً مما حدا بالعائلة المرتابة ان تتبعهم بالمريض الذي فقدوه[٦]. ان البعد الطبي للإرساليات

---

(١) انظر المنهل(٢)، جزء٢، ٧٢-٧٣ عن الممارسات الدينية المشتركة بين النصارى والمسلمين، انظر اف. دبليو. هاسلك، النصرانية والاسلام تحت حكم السلاطين، جزءان (اكسفورد، ١٩٢٩).

(٢) آل (رسام) عائلة كلدانية تصاهرت مع اسرة الحلبي، المصرفيون النصارى لحسين باشا الجليلي: انظر رؤوف، ص٣٣٢ وقارن فيما بعد ص٣٣.

(٣) بينما في دمشق كان اليهود يؤتمنون على الامور المالية (رفيق، دمشق، ص١٩) والصراف في حلب كان على العموم يهودياً او ارمينياً (بودمان، ص٣٢).

(٤) نيبور، جزء٢، ص٢٩٧.

(٥) ايفز، ص٣٢٩.

(٦) المصدر نفسه، صفحات ٣٢١-٣٢٢؛ اوليفيه، جزء٤، ٢٦٧؛ دوبري، جزء١، ١١٥، سبستيني، صفحات ١٤٧-١٤٨. لشرح ممتع لوظيفة الارساليات الطبية، انظر ب. ام. كورماخيتغ، تاريخ الارسالية الدومينيكانية فيما بين النهرين وكردستان (روما، ١٨٩٦).

ساعد الى حد كبير في ازدياد نفوذها في المنطقة. وكنتيجة لذلك سهل الباشوات والأمراء مهمتها التبشيرية مما جعل البطاركة النساطرة واليعاقبة يرون اتباعهم يضمحلون بينما يتمتع الكاثوليك بقوة متزايدة.

ان العلاقات بين الأكثرية المسلمة والأقلية النصرانية..في مذاهبها المتنوعة..راحت تتغير في عهد ما بعد الجليليين وانتهاء الحكم المحلي، ووصول ادارة تركية اجنبية، فضلاً عن الأهمية المتنامية لأوربا. وكانت هذه العوامل متداخلة اذ كانت الادارة التركية تعمل جاهدة على إزاحة الوجهاء المحليين الى المركز الثاني، بينما كان التجار الأوربيون يستقرون في الموصل ويتنافسون مع رأسمال التاجر المحلي في حين كان القناصل الأوربيون –فرنسيون وبريطانيون– يكتسبون قوة ونفوذاً سياسياً كبيراً مع الباشوات من خلال اتصالاتهم في اسطنبول ومن خلال توسع نظام الحماية ازداد ارتباط/ توحد النصارى المحليين باوربا مما زاد من نفور السكان المسلمين المحرومين مسبقاً من الحكم المحلي التقليدي وحمايته.

ان تنامي القوة السياسية للقناصل الاوربيين في الفترة التي تلت سقوط الجليليين مباشرة هي ظاهرة ملموسة. فنائب القنصل البريطاني، كريستيان رسام، كان كلدانياً وعضواً في حملة الفرات(*) وقد درس في القاهرة(١). وقد شغل عمه مركزاً مرموقاً لدى الباشا في عام ١٨٣٧(٢)، اما الروابط بين الادارة التركية والقناصل..فتشبه الروابط بين القناصل والنصارى المحليين..من حيث تأثيرها الاكيد على الوجهاء المحليين الذين عاشوا ليروا مركز القوة وهو ينتقل من ايديهم الى ايدي الاتراك والاوربيين. وعلى المستوى الاقتصادي دخل القناصل والتجار الاوربيون الاخرون(٣) حلبة المنافسة مع رأسمال التاجر الموصلي حتى انهم تمكنوا من لعب دور مهم كمصرفيين للادارة: ففي عام ١٨٤٥ كتب رسام الى رؤسائه في اسطنبول، "ان عثمان افندي الذي كلفه الباب العالي لتسوية امور المرحوم محمد باشا، نقل الي عند مغادرته الموصل كفالات جميع الديون التي لم يستطيع استحصالها"(٤). وعلى المستوى السياسي تنامت قوة القناصل في طريقين متميزين. اولهما مع السلطات حيث كان لقنصل فرنسا نفوذ كبير(٥)، ففي عام ١٨٤٥ كتب رسام الى كننغهام ليخبره ان محمد باشا اطلع القنصل الفرنسي مسيو رويه، على حساباته وطلب اليه ان يتوسط له في اسطنبول(٦). وثانيهما مع الاقليات حيث تنامى نفوذ القناصل بين الاقليات: بمساعدة وحماية اليهود، واليزيدية والنساطرة في الوقت الذي كانوا فيه هدفاً للاضطهاد المنظم بل وحتى الذبح، وبذلك ضمن القناصل ولاء هذه الاقليات وعرفانها بالجميل بل وخدماتها ايضاً(٧).

(*) أي حملة جيسني لدراسة صلاحية نهر الفرات ودجلة للملاحة البخارية.

(١) اينزورث، السفرات، جزء١، ٢.

(٢) اينزورث، القصة، جزء٢، ٣١٣.

(٣) لايارد، (جزء١، ٢٢) كتب يقول: في عام١٨٤٤ كان هنالك تاجر بريطاني، مقيم في الموصل هو المستر روس.

(٤) اف. او (وزارة الخارجية) ٢٢٨/١٩٥ رسام الى كننغهام، الموصل، ٤كانون الاول، ١٨٤٥.

(٥) آي. جي. بنجامين، ثمان سنوات في آسيا وافريقيا (هانوفر، ١٨٦٣)، ص١١٦.

(٦) اف. او (وزارة الخارجية) ٢٢٨/١٩٥ رسام الى كننغهام، الموصل، ٤كانون الاول، ١٨٤٥.

(٧) اف. او (وزارة الخارجية) ٢٢٨/١٩٥ رسام الى بونسنبي، الموصل، ١٠ آب ١٨٤١؛ اف. او (وزارة الخارجية) ٢٢٨/١٩٥ رسام الى كننغهام، الموصل، ٣تموز١٨٤٣، ١٣ آب ١٨٤٣و ٥ تشرين الثاني١٨٤٣؛ بادجر، جز١، ٧١؛ جيسني، جزء١، ١١٢؛ لايارد، جزء١، ٢٧٢.

أمام هذا التهديد الحقيقي لعقائدهم ولسلطانهم، شرع وجهاء الموصل بالتآمر ضد الادارة التركية وباثارة الشغب ضد الاوربيين وضد النصارى. ففي عام ١٨٤٤ حين كان الدومينيكان يرممون دار ارساليتهم، انفجر اهل الموصل في غضب مجنون فهدموا البناية التي كانت قيد البناء، واحرقوا الكنيسة الدومينيكانية وطعنوا قساً ورشقوا القنصل الفرنسي والوالي التركي بالحجارة[١]. وفي السنة التالية اشترى رسام لنفسه خاناً يحتاجه لمصالحه التجارية التي كانت تتوسع بسرعة. ولكن اذ كان الخان المذكور يرتبط بوقف معين فقد حرض القاضي الرعاع على الشغب[٢]. وفي تقاريره الى السفارة البريطانية في اسطنبول يشير رسام الى ان اعمال الشغب كلها والمشاعر الغاضبة لم تكن موجهة ضد النصارى المحليين ولكن الاخيرين استعملوا كذريعة من قبل بعض الوجهاء والقادة الانكشارية بهدف تقويض سلطة الادارة التركية.

ج- اليهود

يقال ان السائحين الاوربيين الذين زاروا الموصل في الفترة العباسية وجدوا حوالي ٧٠٠٠ يهودي واكثر من كنيس (معبد)[٣]. وفي زمن الغزو العثماني لمدينة الموصل كان مازال فيها حي قائماً لليهود في شمال غربي المدينة ولكن عدد اليهود فيها تناقص الى اقل من الف يهودي. وحسب زعم لانزا لم يكن في الموصل اكثر من ٤٠٠ يهودي في حوالي عام ١٧٦٠، ويقدر نيبور عددهم بمئة وخمسين داراً في الفترة نفسها[٤]. وفي بداية القرن التاسع عشر وجد بكنغهام حوالي "٣٠٠ عائلة يهودية ولها كنيس للعبادة"[٥]، وبعد خمس وعشرين سنة كان في الموصل حوالي الف يهودي على زعم ساوث كيت، و٤٥٠ عائلة حسب تقدير بنجامين الذي يصيف قائلاً ان لهم كنيساً واسعاً ومدرسة ايضاً[٦].

وطيلة الفترة الجليلية تميز يهود الموصل باختفائهم من المصادر التاريخية. وخلافاً لإخوانهم في الدين في بغداد فانهم لم يقوموا بدور المصرفيين للباشوات، وكتب لانزا قائلاً ان يهود الموصل كانوا فقراء حقاً[٧]. لقد عاشوا مغمورين ولم يجلبوا انتباه الاكثرية المسلمة، ومن ناحية اخرى كانت علاقاتهم مع النصارى تبدوسيئة بلا ريب[٨].وعلى العموم يظهر ان يهود الموصل كانوا مندمجين في المجتمع:فقد كانوا يرتدون البسة المسلمين نفسها، وكاخوانهم في الدين في اورفه وديار بكر كانت معرفتهم بالعبرية قليلة جداً على الارجح[٩].

وفي الفترة التي اعقبت الجليليين، وصل عدد اليهود في ولاية الموصل الى ٨٠٠٠ يهودي، حيث ان الباشوية توسعت لتشمل الجبال الكردية في الشمال حيث يقيم عدد كبير من اليهود. ولأن شيوخ الاكراد كانوا

---

(١) اف. او (وزارة الخارجية) ٢٢٨/١٩٥ رسام الى كننغهام، الموصل، ٣٠ حزيران، ١٨٤٤؛ دي فوصيل، الحياة في العراق منذ قرن كما رآها قناصلنا (باريس، ١٩٦٣)، ص٥٨.

(٢) اف. او (وزارة الخارجية) ٢٢٨/١٩٥ رسام الى كننغهام، الموصل، ١٧ تشرين الثاني، ١٨٤٥.

(٣) جي. ام. في، "الموصل قبل عام١٩١٥، كما رآها السائحون الاجانب"، في مجلة سومر، جزء٢، ٢تموز ١٩٤٦، صفحات ٣٢-٣٤.

(٤) لانزا، ص١١، نيبور، جزء٢، ٢٩٥.

(٥) بكنغهام، ص٢٩٠.

(٦) ساوث كيت، جزء٢، ٢٣٨؛ بنجامين، صفحات١١٤-١١٥.

(٧) لانزا، ص١١.

(٨) نيبور، جز٢، ٢٩٥.

(٩) بنجامين، صفحات ٧٣، ٧٩، ٨٨، ١١٦.

يضطهدونهم ويضايقونهم فقد التمسوا حماية نائب القنصل البريطاني نتيجة لذلك صاغ رأس المال التجاري الاوربي علاقات اقوى مع الريف المنتج للعفص والصوف[١].

٣- طبقة الموظفين

ان البحث في حكومة الولاية العثمانية في الموصل تحت حكم الجليليين مسألة دقيقة حيث ان الفجوة في الاعم الاغلب بين النظرية والتطبيق كانت واسعة جداً. اذ ان الحقوق والامتيازات النظرية للوظيفة نادراً ما اكتسبت معنى حقيقياً ان لم تكن تستند الى قاعدة قوة محلية. وهكذا يصبح ما يقوم به الوالي من اعمال له ما يخول القيام بها مسألة اكاديمية، وهي مسألة يجب ان تفسح المجال لدراسة الطرق العديدة التي استطاع الوجهاء والموظفون من خلالها ان يحكموا الموصل من مركز القوة في الوقت الذي كانوا فيه داخل الحكم او خارجه[٢].

ان ولاية الموصل ترأسها والٍ يعين مباشرة من قبل الباب العالي ولأكثر من قرن اختير معظم هؤلاء الولاة من اوساط الاسرة الجليلية[٣]. وبغض النظر عن هوية الوالي..الجليلي كان موصلياً ام غير ذلك.. فان المرء يستطيع ان يجزم ان المدينة كانت في الحقيقة والواقع تحكمها الأسرة حتى عندما يكونون في منأى عن دفة الحكم. وفي عام ١٧٦٠ كتب دومينيكو لانزا قائلاً ان الاسرة الجليلية تسيطر على الانكشارية والشعب وحكمت كما تشاء بلا معارضة"[٤]. وواضح ان باشوات بغداد المماليك الأقوياء كانوا في موقع يمارسون فيه ضغطاً كبيراً على الجليليين ولكن جميع المحاولات لترشيح والٍ غير جليلي قوبلت بمعارضة الوجهاء والانكشارية، وفجرت نزاعات عديدة وفي النهاية اصبح الجليليون تارة اخرى رسمياً في دست الحكم. وفي عام ١٧٥٤ عُزِل امين باشا الجليلي من الحكم، "ولكنه مكث في المدينة وبقي حاكمها الفعلي"[٥]. وفي عام ١٧٥٨ وصل الوالي التركي الى الموصل. وكان باشا ذي طوغين ولكن الأهالي "اظهروا له احتراماً اقل كثيراً عما اعتادوا إظهاره لأقل الاغوات تواضعاً في المدينة"[٦].

وتجدر الاشارة الى ان جميع الولاة الأجانب الذين عينوا لحكم الموصل كانوا يستعينون على الحكم بالاعتماد على بيت جليلي بارز ليوازنوا به قوة البيوت الجليلية الاخرى، مما يؤكد ان حكومة فعالة تبدو مستحيلة طيلة الفترة قيد الدراسة. وفي عام ١٧٥٩ قتل الوالي التركي نعمان باشا احد الوجهاء، مما أدى الى إقفال الأسواق وعزل الوالي من وظيفته[٧]. وحتى عام ١٨٠٩ لاقت محاولة سليمان باشا الصغير والي بغداد إقصاء الجليليين وتعيين موصلياً اخر والياً للموصل معارضة المدينة مما تسبب بإخفاقها إخفاقاً مزرياً[٨]. ان

---

(١) اف. او (وزارة الخارجية) ٢٢٨/١٩٥، رسام الى بونسونبي، الموصل ١٠ آب ١٨٤١.

(٢) من اجل عرض كامل للاحداث التاريخية التي تشكل سياسة الموصل الحضرية خارج نطاق الهياكل والافكار النظرية لحكومة الولاية، انظر فيما بعد، الفصل الخامس.

(٣) انظر الملحق رقم ١.

(٤) لانزا، ص١٦.

(٥) المنهل(٢)، جزء١، ١٦٧.

(٦) لانزا، ص٤١.

(٧) الدر(١)، ص٦٠٦.

(٨) انظر فيما بعد، صفحات ١٥٨-١٥٩.

قاعدة القوة المحلية العريضة للجليليين مكنتهم من ان يتدخلوا في القضايا الاقتصادية، كأن يأمروا الوجهاء بفتح اهراءهم في اوقات الشحة، او ينشئوا افران جديدة عند الحاجة، ويستبدلوا العملات منخفضة القيمة بعملات افضل[١].

ويقوم الكتخدا بمساعدة الباشا في اداء وظيفته وغالباً ما يكون هذا الكتخدا ابناً او اخاً للباشا. وتحرم عوائل الموصل الوجيهة والبيوتات الجليلية المنافسة عادة من هذه الوظيفة من قبل الباشا الجليلي الذي يفضل ان يعين لها احد افراد بيته او فرداً عادياً لا يملك قاعدة قوة، يختاره من خارج حلقة الوجهاء. وعند موت او عزل الوالي فان الوجهاء، المجتمعين في الديوان، ينتخبون خلفاً له يكون دائماً ممثلاً لاقوى بيت جليلي في ذلك الحين. وطيلة هذه الفترة فان الوظائف المالية للصراف والخزندار تكاد لا تذكر اطلاقاً في المصادر كما لا تذكر المصادر الأشخاص الذين يشغلون هذين المنصبين-بصفتهما يلعبان دوراً نشطاً في الصراع السياسي: ويظهر ان من يشغل هذين المنصبين كانا نصرانيان او مسلمان تنقصهما القدرة السياسية. وكان احد اهم المراكز الادارية مركز رئيس ديوان الإنشاء، حيث يقوم شاغله بوظيفة مراسلات الولاية. ويكون أديباً وعادةً ما يتم اختياره من خارج حلقة الوجهاء. وكانت جميع المراكز المهمة في الادارة حصراً لبيت الوالي الجليلي الذي كان يستثني منها الوجهاء الآخرين، وبذلك يقلل المخاطر التي قد تمكن الوجهاء من اخذ المبادرة لاستلام السلطة. وكما هو الحال في مركز الوالي والمراكز التي تنجذب اليه..الكتخدا، الصراف، رئيس ديوان الانشاء..فان الوظائف الدينية الرئيسة اكتسبت ايضاً ميزة وراثية ودورية على الرغم من انها خارج الاسرة الجليلية: آل ياسين، العمريون، آل الفخري، آل الغلامي[٢].

٤- القوات المسلحة

حسبما يقول نيبور كان تحت امرة والي الموصل ١٠٠ جندي، و١٥٠سباهي و٨بيارق، و١٥لاوند و١٠٠ تفنكجي[٣]. وبعد حوالي عشرين سنة كتب اوليفييه قائلاً ان الوالي يعتمد على ٦٠٠رجل بامرة سبعة سناجق بيكات و ٢٧٤، وكذلك على ٢٠٠سباهي و٢٠٠ جندياً من حرسه الخاص[٤]. كما يذكر نيبور ان هنالك بعض النصارى في صفوف اللاوند والتفنكجية[٥]. وكان اللاوند فرساناً بينما يبدو ان التفنكجية كانوا يقومون بواجبات الشرطة. وفي بداية القرن التاسع عشر كتب بكنغهام قائلاً ان القوة العسكرية الدائمة للدفاع عن المدينة وما يجاورها لاتزيد على ١٠٠٠ رجل وهم فرسان في الاغلب. وهنالك في اكثر الاحيان نصف هذا العدد في القصر.."[٦].

وتبدو الصورة مشوهة على اقل تقدير، بل اكثر من ذلك لأن الرحالة الاوربيين هم شهود العيان الوحيدون لتلك الفترة اذ انهم حاولوا ان يميزوا بين القطعات العسكرية المختلفة. وتكاد التواريخ المحلية لاتذكر

---

(١) غرائب، ص١٥.

(٢) للاطلاع على جميع هذه المراكز الحكومية والدينية انظر فيما بعد، الصفحات ١٢٣-١٢٦، ١٣٧-١٣٩، ١٤٩-١٥٣، ١٥٦-١٥٧.

(٣) نيبور، جزء٢، ٢٩٦.

(٤) اوليفييه، جزء٤، ٢٦٩.

(٥) نيبور، جزء٢، ٢٩٧.

(٦) بكنغهام، ص٢٩٠.

تصنيفاً كهذا، وهنالك في مكان آخر اشارة واحدة فقط أي تفنكجي باشي تتصل عائلته برابطة قوية بالانكشارية[1]. وفي الواقع يحتكر الانكشاريون المساحة كلها. ففي بداية القرن الثامن عشر كان في الموصل ثلاث سرايا: السرية"١٠" يبدو انها انشئت في الايج قلعة جنوب شرقي الموصل؛ و السرية"٥٢" في محلة رأس الكور شمال الايج قلعة، و السرية"٥٨" في منطقة باب سنجار غربي الموصل. وفي عام ١٧٢٩م/١١٤٢هـ عمد احمد باشا والي بغداد الى نفي السرية"٣١" فجاءت الى الموصل واستقرت في باب العراق، جنوب غربي المدينة؛ وبعد ست سنوات نفى احمد باشا السرية "٢٧" فجاءت لتسكن في محلة الميدان، جنوب شرقي الموصل[2]. وكما في المدن العثمانية الاخرى فقد اجتذبت هذه السرايا السكان الحضريين "وانتمى معظمهم الى احدى هذه السرايا التي تأتي لعونهم في اوقات الحاجة"[3]. والانتماء الى هذه السرايا جاء من جميع شرائح المجتمع، ويظهر ان معايير الاختيار كانت جغرافية، تتعلق بتوزيع السرايا في مختلف المناطق الحضرية. فالانكشاريون كما يبدو كانوا "حراس المدينة" فهم في الواقع الذراع العسكري لمختلف الاسر الوجيهة والقادة الرئيسيون في أي صراع على السلطة او نزاع يهز الموصل. والقوتان الرئيسيتان هما السرية"٢٧" ومقرها في الميدان، والسرية"٣١" ومقرها في باب العراق، ومعظم النزاعات التي حدثت خلال هذه الفترة شهدت هاتين السريتين متواجهتين الواحدة ازاء الاخرى؛ بينما تنجذب البقية حولهما، اما الولاءات فتتقلب مع تقلب الظروف. واستخدم الجليليون الانكشاريين لشل حركة جميع الولاة الاجانب فتمكنوا من خلال سيطرتهم على السرايا والشارع من تقديم انفسهم "كفريق النظام"[4].

ولم يقتصر دور الانكشارية على المدينة، فقد ارسلهم الوالي في اكثر من مناسبة لدعم باشا بغداد في حملاته ضد الوهابيين وضد قبائل البصرة[5]. كما شاركوا ايضاً في الحملات التي جهزت ضد جبل سنجار[6]. وكانوا في وجوه عديدة جيوشاً خاصة وأتباعاً يسيطر عليهم الوجهاء لاسيما بيت الوالي الجليلي[7].

وبعد سقوط الجليليين استمرت السرايا بتأدية دور كبير في السياسة رغم تصفيتهم رسمياً ولم يعد لهم وجود شرعي. وكان الولاة الاتراك مابرحوا حتى عام ١٨٤٥ منشغلين بمحاولات الحد من قوتهم ونفوذهم[8]، وكان هؤلاء الولاة انفسهم هم المسؤولين الى حد كبير عن عصيان عام ١٨٥٤[9].

---

(١) سليمان، الورقة ٦٦.

(٢) بغداد، صفحات ١٨٠-١٨١. كانت هذه الاجراءات تتعلق بالتأكيد بانشاء البيوتات المملوكية.

(٣) لانزا، ص١١؛ بغداد، صفحات ١٨٠-١٨١.

(٤) انظر لانزا صفحات ٣٨-٣٩.

(٥) انظر فيما بعد، ص٧٩.

(٦) عنوان(١)، من ١٧٧-؛ الدر(١)، ص٦٤٦؛ زبدة، ص١٧٣.

(٧)عندما يتعين والي جليلي من قبل الباب العالي كحاكم لمدينة غير الموصل يذهب "قادته" الانكشاريون معه: انظر فيما بعد، ص١٤٠.

(٨) اف. او (وزارة الخارجية) ٢٢٨/١٩٥، رسام الى كننغهام، الموصل، ٥ آذار، ٢٢ آذار و ١٩ ايار ١٨٤٥.

(٩)أي. ايج. حوراني، "الاصلاح العثماني وسياسة الوجهاء"، في بدايات التحديث في الشرق الاوسط، دبليو. بولك و ار. جيموز (الناشران) (شيكاغو، ١٩٦٨)، ص٦١.

الفصل الثالث

البنية الاجتماعية الموصلية

١- الأرض ونتاجها

لم تكن ولاية الموصل واسعة. وفي الحقيقة انها لم تمتد، تحت حكم الجليليين، خارج نطاق التخوم القديمة للواء الموصل كما حُدد في القرن السادس عشر. وطيلة العهد الجليلي توسعت المدينة الى حد كبير وصارت منطقتها الخلفية مترامية الاطراف من عدة جهات، بحيث يمكن وصف الموصل "بدولة المدينة" تقريباً[١]. وقد تحددت الولاية الى الشمال والشمال الشرقي بالمقتربات لجبال كردستان، والى الشرق بنهر الخازر، والى الجنوب الشرقي بنهر الزاب الاعلى الذي يصب في نهر دجلة، والى الغرب بمدينة تلعفر. وكانت الموصل نفسها مركزاً لدائرة ناقصة لا يزيد نصف قطرها على ٢٥ميلاً. وفي هذه الدائرة وجد نيبور ٨٥ قرية جنوب شرقي نهر دجلة، و١٢٨ قرية شمال شرقي النهر، و٢٧ قرية غربي النهر. وفي نهاية القرن الثامن عشر عدد امين العمري ٢٠٠ قرية شرقية و ١٥ قرية غربية[٢]. **(ينظر ملحق الخرائط: الخارطة رقم٩ ولاية الموصل تحت حكم الجليليين)**

أ- الغلال الزراعية

ان الأراضي الزراعية المحيطة بالموصل مشهورة بخصوبتها العظيمة، فقد تأثر جميع الرحالة الاوربيين الذين زاروا الولاية بمنظر الحقول الممتدة بين الضفة الشرقية لنهر دجلة، ونهر الكومل الى الشمال ونهر الزاب الاعلى الى الجنوب. ومن ناحية اخرى فان الزراعة غرب نهر دجلة كانت مقصورة على ضفة النهر كما يوضح ذلك العدد الصغير من القرى الواقعة في الغرب، أي اقل من ٧% من اجمالي الاراضي الصالحة للزراعة. ذلك لأن امتداد الفلاحة لم يكن طيلة الحكم الجليلي مرتبطاً بطبيعة التربة فحسب، بل انه اعتمد على العلاقات بين المدينة والريف[٣].

وكان خارج اسوار المدينة مباشرة ما لايقل عن ٦٠ بستاناً تنتج مجموعة متنوعة كبيرة من الاثمار كالاعناب والرمان والمشمش والتين والتوت والخوخ والاجاص والليمون، والليمون الحلو وكذلك اللوز والفستق. بمحاذاة ضفتي النهر وعلى جزر صغيرة في النهر كان هنالك عدة جنائن ومزارع تجهز المدينة بالبطيخ والرقي واليقطين والخيار والقرع والباذنجان والفاصولياء والبصل والشلغم والجزر والشوندر والعدس والحمص والسمسم[٤].

واهم الغلال على الاطلاق هما الحنطة والشعير اللذان يزرعان بصورة رئيسية شرقي نهر دجلة في الغرب ايضاً في شريط محدد يمتد قرابة عشرة اميال في اعالي النهر. وفي اوقات القلاقل العشائرية يتقلص

---

(١) حوراني، الاصلاح العثماني وسياسة الوجهاء، ص٥٢.

(٢) نيبور، جزء٢، ٢٩٨-٣٠٠؛ المنهل(٢)، جزء١، ٦٢. ان هذا لايعني ان جميع هذه القرى تدفع الجزية لوالي الموصل.

(٣) انظر جونز، ص٣٦٨.

(٤)المنهل(٢)، جزء١، ٦٢؛ اوليفييه، جزء٤، ٢٧٥؛ سيستيني، صفحات ١٤١، ١٤٩؛ اينزورث، الرحلات، جزء٢، ١٣٣، ١٣٥، ١٤٨؛ بادجر، جزء١، ٨١؛ نيبور، جزء٢، ٢٩٥؛ لانزا، ص١٣؛ الصوفي، جزء٢، ١٠٤.

هذا الشريط من الارض المزروعة غربي النهر الى حوالي اربعة اميال عن المدينة[١]. وتبقى ارض زراعة الحبوب في ولاية الموصل بوراً بين سنة واخرى، وليس هنالك حاجة الى ري اصطناعي وتنتج كل بذرة بالمعدل ١٥حبة[٢]. ان الحراثة والبذار يتمان عادة في نهاية شهر تشرين الثاني، بينما يتم الحصاد في حزيران[٣] وذلك يعني ترك الغلال تحت رحمة انواع المفترسات..حيوان او انسان..لسبعة اشهر من السنة.

وهنالك غلة موصلية مهمة اخرى هي القطن الذي يزرع بمحاذاة الضفة الشرقية لنهر دجلة شمالاً حتى اسكي موصل وجنوباً حتى نهر الزاب. كما ان الارض الغرينية لنهر الخوصر تستخدم لانشاء مزارع القطن[٤]. وبعكس الحبوب فان القطن يعتمد بصورة رئيسية على الري الاصطناعي: الحاجة الى نظام معقد من القنوات والعناية الدائمة ولذلك كان لزاماً على السلطات ان تضمن تمتع الارض شرقي نهر دجلة بأقصى قدر من الامان. وهنالك كذلك شرقي نهر دجلة حول القرى الواقعة على جانب التلول ويشرف عليها جبل مقلوب وجبل بعشيقة وجبل عين الصفرا، وتحتوي بساتين الزيتون العديدة، التي تستهلك الصناعات الموصلية زيتها بأكمله[٥].

وبينما اعتمدت الزراعة على توازن قلق بين المدينة والريف، فان الإنشطة الريفية كانت قائمة على تفاهم بين الفريقين، اذ ان وجهاء الموصل غالباً ما يأتمنون القبائل الصديقة على قطعانهم..من الاغنام والابقار والخيل..ويقتسم الناتج بين المالك والراعي[٦].

ويحد ولاية الموصل من الغرب جبل سنجار الغني بالتمور، والمشمش والخوخ ونوعاً خاصاً من التين صغير الحجم "يجمع الناس على ان الذ انواعه في العراق العربي"[٧] والى الشمال تنتج جبال العمادية العسل، والعفص، والتوت الاصفر، وحلوى من السماء، والكتان، والحرير والقطن والتبغ والقنب والذرة والرز[٨].

وتنتج الموصل، نظرياً على الاقل، مواد غذائية كافية لسد حاجاتها، كما انها تصدر الى ولايات اخرى. ولكن الحقيقة والواقع ان الموصل تحت حكم الجليليين عانت من كوارث طبيعية متكررة حددت بقسوة ناتجها الزراعي. وفي سرده لاحداث الموصل يورد المؤرخ ياسين العمري الكوارث الاتية:

١٧٤٩م/ ١١٦٣هـ	دمر الثلج جميع الخضراوات والفواكه
١٧٥٠م/ ١١٦٤هـ	تلف المحاصيل اعقبته المجاعة
١٧٥٣م/ ١١٦٧هـ	دمر الحالوب (البَرَد) جزءاً من المحاصيل

(١) جاكسون، صفحات ١٢٩، ١٣٦؛ اينزورث، الرحلات، جزء٢، ١٤٩؛ نيبور، جزء٢، ٢٨٣؛ بادجر، جزء١، ٨٠؛ لانزا، ص١٢؛ آيفز، ص٣٣٠.

(٢) في السنين الجيدة جداً، تنتج البذور ٣٠ او ٤٠ حبة: انظر ريج، جزء٢، ٦٣؛ اوليفييه، جزء٤، ٣٨٠.

(٣) بكنغهام، ص٢٣٦؛ سيستيني، ص١٤٠؛ ريج، جزء٢، ٦٧.

(٤) دوبري، جزء١، ١١٢-١١٣؛ ريج، جزء٢، ٥٦، ٦٢.

(٥) الزبدة، ص١٣٩؛ المنشئ، ص٨٤؛ غرانت، ص٣٠؛ اوخر-ايلوي، صفحات٢٠٠-؛ ريج، جزء٢، ٦٧-٦٨، ٧٩.

(٦) غرائب، ص٨٠؛ لايارد، جزء١، ٨٦. وفي الفترة نفسها، دخل الوجهاء الدمشقيون في مشاركات مماثلة مع القبائل ذاتها: انظر ميخائيل دمشقي، حوادث الشام ولبنان، ل. معلوف (الناشر)، (بيروت ١٩١٢)، ص٧.

(٧) ا هـ. ام. كينير، رحلة عبر اسيا الصغرى، أرمينية وكردستان (لندن، ١٨١٨)، ص٤٣٤. انظر ايضاً هود، ص٢٢٧؛ اوتر، جزء٢، ٢٥٤؛ ساوث كيت، جزء٢، ٢٦٣.

(٨) بغداد، ص٩٤؛ نيبور، جزء٢، ٢٦٩؛ بنجامين، ص١٠٤؛ جيسني، جزء ١، ١٢٣.

١٧٥٦م/ ١١٧٠هـ	غزو الجراد رفع الاسعار عالياً
١٧٥٧م/ ١١٧١هـ	الانجماد الشديد سبب ارتفاعاً في اسعار المواد الغذائية
١٧٥٨م/ ١١٧٢هـ	غزو الجراد سبب مجاعة عظيمة ومات الكثير
١٧٦٩م/ ١١٨٣هـ	جفاف شديد
١٧٧١م/ ١١٨٥هـ	الوباء يسبب اخلاء الريف
١٧٧٤م/ ١١٨٨هـ	دمرت رياح عنيفة اشجار الفستق والزيتون، ودمر البَرَد بعض المحاصيل
١٧٧٨م/ ١١٩٢هـ	غلاء اسعار المواد الغذائية (لا يورد السبب)
١٧٧٩م/ ١١٩٣هـ	شتاء قاسي..بقي الثلج على الارض ٤٠ يوماً
١٧٨٢م/ ١١٩٧هـ	فيضان اعقبه جفاف دمر المحاصيل
١٧٨٥م/ ١٢٠٠هـ	جفاف سبب مجاعة
١٧٨٦م/ ١٢٠١هـ	جفاف ومجاعة
١٧٨٩م/ ١٢٠٤هـ	جفاف
١٧٩١م/ ١٢٠٦هـ	جفاف شديد دمر جميع محصول الحنطة ونصف محصول الشعير، واعقب ذلك امطار صيفية شديدة
١٧٩٤م/ ١٢٠٩هـ	غزوتان من الجراد خربت ثلث الغلة، ودمرت النار غلة القرى الجنوبية الشرقية، والبَرَد في الاخرى
١٧٩٥م/ ١٢١٠هـ	اكل الجراد الحنطة والشعير وهاجم القطن مرتين
١٧٩٦م/ ١٢١١هـ	دمر البرد غلة ٧٠ قرية
١٧٩٧م/ ١٢١٢هـ	اغرق نهر الخوصر مزارع القطن وتساقط الثلج ليضيف الى الكارثة وارتفعت الاسعار
١٧٩٩م/ ١٢١٤هـ	الوباء
١٨٠٠م/ ١٢١٥هـ	ازدادت شدة الوباء
١٨٠١م/ ١٢١٦هـ	دمر البرد غلة ٥ قرى
١٨٠٢م/ ١٢١٧هـ	امطار جارفة وفيضانات لمدة ٦ شهور
١٨٠٤م/ ١٢١٩هـ	اسعار المواد الغذائية عالية جداً (لا يورد سبب)

ولد ياسين العمري عام ١٧٤٥م ويقف تاريخه للاحداث حوالي عام ١٨١٠م. وخلال هذه الفترة..عمر انسان..تلفت المحاصيل ٢٥ مرة، مسببة ارتفاع اسعار المواد الغذائية، وغالباً ما تسبب معاناة شديدة للسكان، واحياناً تسبب مجاعات كارثية، وبطبيعة الحال تعوق تجارة تصدير المواد الغذائية. وخلال الفترة الجليلية بارت الارض، على الاقل مرة كل ثلاث سنوات، فلم تعط الغلة المتوقعة منها، اثر هذا العجز على المجتمع كله من خلال الاسعار العالية والمجاعات. ولكنها اثرت ابلغ التأثير على الحرف (زيت الزيتون، القطن) والتجارة (تصدير المواد الغذائية) بل وحتى النقل لأن قلة العلف الحيواني تسبب غالباً بزيادة اسعار حيوانات

الحمل الى ثلاثة أمثالها، ولذا تأثرت كافة أنواع المبادلات[1]. **(ينظر ملحق الخرائط: الخارطة رقم ١٠ الأرض الزراعية شرقي دجلة).**

اضف الى هذه الكوارث الطبيعية، تأثير سلب ونهب البدو، وكذلك الإتاوات التي يفرضها باشوات بغداد الاقوياء[2]، فيصبح واضحاً ان الصورة لم تكن دائماً وردية كما بدت.

ان ضآلة المنطقة المزروعة وتأثيرات الكوارث الطبيعية لا بد انها زادت من اعتماد الفلاح على التاجر الذي كان في وضع يؤهله لأن يعيره النقود وينتظر عند الضرورة ليتقاضاها في وقت افضل.

ب- السيطرة على الأرض

رغم انه ليس هنالك دليل يشير الى تغيير في الوضع القانوني للارض منذ الفتح العثماني واعادة التنظيم، فان التقارير التي يقدمها المؤرخون المحليون والمسافرون تشير الى ان الوجهاء المحليون كانوا قد صاروا ملاك اراضي مهمين عند وصول الجليليين الى السلطة. ويظهر ان هذه العملية قد بدأت منذ ان انشئ لواء الموصل كولاية مستقلة منفصلة عن حاكمية ديار بكر عام ١٦٣٩م. ولابد ان ذلك كان قد اعطى الوجهاء المحليين سيطرة مباشرة اكثر من ذي قبل على اراضٍ منحت عادة الى سباهية غائبين انجذبوا حول العاصمة القديمة للولاية على مسافة قرابة ١٠٠ ميل عنها. وهذه السيطرة التدريجية لابد وانها حظيت بتبريكات الباب العالي الذي صار ولاء الوجهاء الحضريين الاقليميين اكثر اهمية له من الخدمات النادرة المقدمة من قبل الارستقراطية العسكرية[3]. ان هذا الانقسام بين الأرستقراطية الريفية والوجاهة الحضرية يجب ان لا يبالغ في توكيده، وعلى المرء ان يتكلم بصيغة التكافل، فبينما كان الوجهاء الحضريون ينتشرون بطريق الإقطاع كانت الأرستقراطية العسكرية وفي الوقت نفسه توحد المجتمع الحضري: وكانت العملية كلها تتم وبكل تأكيد تحت رعاية رأسمال التاجر.

وفي الحقيقة ان ملاك الارض العسكريون كانوا تحت ضغط متزايد طيلة العقود الاخيرة من القرن السابع عشر وفي القرن الثامن عشر وهو ضغط عبر عن نفسه في طريقتين مختلفتين اولاهما ان الباب العالي لم يتردد في منح أراضيهم الى الوجهاء الموصليين وثانيهما ان الضغط الذي بُذل لم يقع على حساب حق السباهيين في التملك، بل بالاحرى على الاستغلال الفعلي للملكية المذكورة: المصحوبة بسيطرة رأسمال التاجر، وفقدان التمييز السابق بين الوجيه ومالك الارض لأهميته. وبالتأكيد فالمرء لا يجد أي دليل، تحت حكم الجليليين، لكيان سياسي منفصل يمثل مالكي الارض في معارضة للتجار او الوجهاء المحليين.

ان هذا الاتجاه نحو توحيد الطبقات المالكة توج في النهاية بصعود اسرة محلية الى قمة السلطة. فقد اصبح الجليليون باشوات الموصل وكنتيجة لاحتكار هذه الوظيفة صارت الممتلكات الكبيرة الخاصة التي تحجز عادة للوالي جزءاً من ميراث الجليليين. وعلى نحو متزايد استخدم الوجهاء المحليون نظام الاوقاف الدينية ليؤمنوا اصولهم العقارية ضد المصادرة والتجزئة، وكنتيجة لذلك راحت كل الارض الخلفية للموصل تكتسب تماسكاً لم يعرف من قبل، حيث اصبح الحكام والوجهاء والتجار ومالكوا الارض شيئاً واحداً بوجوه عديدة.

---

(١) آيفز، ص ٣٢٤.

(٢) الخارطة ١٠: الارض الزراعية شرقي دجلة.

(٣) في النصف الثاني من القرن السابع عشر اعطي لاثنين من الوجهاء المحليين على الاقل ارضاً من قبل السلطان: علي ابو الفضائل العمري وياسين المفتي (آل ياسين): انظر فيما بعد صفحات: ١٠٧و ١١١.

٢- الحرف والصناعات

لقد عانت الحرف والصناعات اشد المعاناة واقساها خلال قرون الاضطراب السياسي التي تلت احتلال الموصل من قبل المغول عند موت بدر الدين لؤلؤ. وقد ساعد توحيد المدينة في كيان سياسي واقتصادي عريض عقب الفتح العثماني على تجديد تطوير الحرف. وكان توسع منطقة السوق في الحي الجنوبي الشرقي مؤشراً لتطور اقتصادي جوهري بدءاً من القرن الثامن عشر فصاعداً.

وتحت حكم الاتابكيين يبدو ان صناعة قماش القطن كانت اهم نشاط صناعي في الموصل، ويقال ان سبط بن الجوزي قد عدَّ ٧٥,٠٠٠ نول[١]. ومع ان هذا الفرع المحدد من الصناعة لم يرق الى أمجاده السابقة، تحت حكم الجليليين، الا انه على الرغم من ذلك كان مهماً الى حد تطلب استيراد قطن خام لأن محصول الولاية غير كاف لسد حاجياتها[٢].

كان القطن يغزل وينسج في الموصل كما في الريف من قبل "الطبقات الدنيا" الذين يعملون في بيوتهم واحياناً في الورشات[٣]. ولكن سواء في المدينة او في الريف فان صناعة غزل القطن وحياكته تبدو وكأنها صناعة منزلية اكثر منها صناعة كبرى قائمة بحد ذاتها، ويرد ذكر لسوق القطن مرة واحدة فقط (ويدعى ايضاً خان الغزل) حيث يبدو ان القطن يباع خاماً قبل ان يصنع. ولأن غزل القطن وحياكته كانتا تنجزان في القرى كما في المدينة نفسها، ولأن وحدة الانتاج كانت البيت وليست الورشة، فان ذلك يشير الى حقيقة المراحل الاساسية الثلاث لصناعة القطن..زراعة، غزل وحياكة..التي افلتت من الاطر المشتركة وكانت بالتأكيد يسيطر عليها رأسمال التاجر من خلال العلاقة المباشرة تاجر/مزارع، تاجر/حلاج وتاجر/حائك. ان القطن المنسوج كان يؤخذ بعد ذلك الى الدقاق لتنظيفه وتشذيبه، وبعد ذلك الى القصار الذي يقصره ويغسله في المنبع الكبريتي "عين الكبريت" التي تقع مباشرة خارج السور الشمالي قرب قلعة باش طابيا[٤].

وهنالك حرفة موصلية مشتركة مع صناعة القطن هي الصباغة، ان مياه دجلة كيفت لاغراض هذه الصناعة، وفي شرقي الموصل نبع يستخرج الغرين منه لاستعماله كصبغة زرقاء[٥]. وحوالي عام ١٧٦٠م كانت الموصل تستورد ما قيمته مليون قرش من الاصباغ سنوياً للاستهلاك في الصناعات المحلية[٦]، وعلى نحو متزايد خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر خضعت صناعة الاصباغ لسيطرة رأسمال التاجر وتطورت بصورة مستقلة عن صناعة الاقمشة القطنية. وفي النصف الثاني من القرن السادس عشر تغلبت

---

(١) الصوفي، جزء٢، ٦٥؛ الديوه جي، اعلام الصناع، ص٣٦. ان هذا الرقم غير واقعي ويجب ان يؤخذ بدرجة اقل كبينة تاريخية تتعلق بصناعة القطن منها "كمؤشر فكري" للترابط القوي الذي صاغه المؤلف بين الموصل وصناعة القطن.

(٢) انظر فيما بعد، ص٦٤.

(٣) سيستيني، ص١٤٠؛ لانزا، ص١٣؛ بكنغهام، ص٢٨٧؛ لايارد، جزء١، ١٧٨.

(٤) الديوه جي، اعلام الصناع، ص٤٣. كان القصارون يقيمون على مقربة من النبع الذي يستخدمون، وذلك يمكن ان يفسر لماذا كان للدقاقين، الذين يرتبطون بهم الى حد بعيد، خان في الشمال الغربي من الموصل، بينما استقرت اكثر الحرف الاخرى في الجنوب الشرقي.

(٥) جاكسون، ص١٦٢؛ اوتر، جزء١، ١٤٠. فرينج: ليمون.

(٦) لانزا، ص١٤؛ الديوه جي، اعلام الصناع، ص٣٨.

اسرة وجيهة اخرى هم العمريون على معارضة اشراف الموصل الذين يبدوا انهم كانوا قد احتكروا هذه الصناعة وبنوا ورشتهم للصبغ فيها (المصبغة)[١]، و كانت صناعة صبغ الاقمشة مازالت مزدهرة بصورة مستقلة عن انحطاط صناعة الاقمشة القطنية، حيث اصبح الاعتماد يتجه على نحو متزايد الى الاقمشة البريطانية والهندية[٢] المستوردة. وكما هو الحال في زراعة ونسج القطن، كان رأس مال التاجر يسيطر على الصباغة ايضاً.

وهنالك حرفة اخرى ترتبط بالقطن هي الطباعة التي يقوم بها النقاش والبصمجي مستخدماً كتلاً خشبية للطباعة[٣]. وبصرف النظر عن تزايد مستوردات الاقمشة القطنية، يظهر لنا في النصف الثاني من القرن الثامن عشر ان القطن قد وظف قسماً هاماً من سكان الولاية..الزراعة، الغزل، النسيج، التنظيف، والقصر والصبغ والطباعة[٤]. والمنتجات القطنية الرئيسية كانت القماش القطن الخام من الملابس، الالبسة التحتانية، البطانيات، العمائم، حصران الصلاة، اللحف، الشراشف، الستائر، المناديل، اغطية المائدة، المناشف، الاحزمة والجواريب[٥].

وفضلاً عن القطن كانت القرى تنتج قماش الكتان الخشن ايضاً[٦]، ويستعمل الحرير في المدينة من أجل التطريز بالدرجة الاولى. وعلى اساس الصناعة المنزلية ايضاً ازدهرت حياكة الصوف في المدينة وفي الريف[٧]، وفي نهاية القرن الثامن عشر وبنمو منطقة السوق في الموصل غزا الشعارون (مصنعوا وتجار منتوجات شعر الماعز) فناء الجامع الكبير[٨]. ان ازدهاراً منقطع النظير كهذا في بناء الورشات والحوانيت يوضح افتقار الصلابة في الاطر المشتركة..وحتى ان وجدت. وكانت المنتجات الصوفية الرئيسية تتضمن الملابس والبطانيات والشالات ومعارق الخيل والاقتاب وسروج البغال والحقائب والجواريب[٩].

وكان للموصل ايضاً صناعة صابون مهمة، اعتمدت على زيت الزيتون الذي كان يأتيها من القرى المجاورة، وعلى القلو الذي يؤتى به الى الموصل من قبل البدو[١٠]. ومع ذلك فان انتاج الصابون لم يكن يكفي

---

(١) انظر فيما بعد، صفحات ١٠٤-١٠٥.

(٢) اف. او (وزارة الخارجية) ٢٢٨/١٩٥، رسام الى كننغهام، الموصل، ٢٦ تموز ١٨٤٤. عن نمو صناعة الصباغة انظر سيستيني، ص١٤٩؛ نيبور، جزء٢، ٢٩٦؛ روسو، بغداد، ص٨٨. انظر الملاحق ٢ و٣.

(٣) الديوه جي، اعلام الصناع، ص٤٢.

(٤) لانزا، ص١٣.

(٥) بنجامين، ص١١٥؛ بكنغهام، ص٢٩١؛ ساوث كيت، جزء٢، ٢٣٨-٢٣٩؛ ديوه جي، اعلام الصناع، ص٤٠-٤٥.

(٦) آيفز، ص٣١٨.

(٧) بنجامين، صفحات١٢٩-١٣٠؛ الديوه جي، اعلام الصناع، ص٥٠.

(٨) الديوه جي، جوامع، ص٢٥.

(٩) الديوه جي، اعلام الصناع، صفحات ٤٨-٥٠.

(١٠) غرائب، ص٧١، ريج، جزء٢، ٦٨. عربي: شنان (انظر الادريسي، ص٣٧).

لسد حاجات المدينة ولذلك اضطروا لاستيراد الصابون من حلب بالمقام الاول[١]. ولقد كانت المدينة مشهورة بالنوعية الجيدة للجلد الاصفر[٢]، الذي تصنع منه الاحذية والسروج والصناديق[٣].

ومن الجبال وراء ديار بكر[*] كانوا يجلبون خامات الحديد والنحاس على الرغم من طول المسافة بواسطة نهر دجلة. ويستخدم الحديد في الاساس في صناعة السكاكين والمسامير وادوات مختلفة اخرى. وكان الحرفيون الموصليون مشهورين في مهارتهم في صناعة النحاس. وعند تفريغه في باب الجسر بالقرب من سوق الصفارين يقوم الصفار بصهر الخام ليصنع منه نحاساً اصفر ويعطيه الشكل الذي يشاء، ومن بعد ذلك يرسم النقاش التصميم، ومن ثم يحفرها الحفار، واخيراً يملأ المطعم الحفر بالذهب او الفضة[٤].

جهزت المقالع العديدة للجص والمرمر الواقعة شمالي المدينة البنائين بجميع المواد التي تحتاجها صناعة البناء. فالحجارة كانت تكسر في المقالع من قبل عاملين (شقاقين) يشقونها بواسطة المناشير؛ ثم تنقل الأحجار الى موقع البناء حيث يقوم النقار بصقلها واقتطاع الزوايا، ومن ثم يرسم النقاش التصاميم المطلوبة، ثم يأتي الحفار لحفرها، ويملأ المطعم تلك الحفر بحجر جيري مختلف اللون، واخيراً يضع المركب جميع هذه الأحجار سوية[٥].

واما بالنسبة للتنظيم القانوني والنقابي للحرف فان شيئاً لم يرد عنهم عملياً لا من المؤرخين ولا من الرحالة. ويبدو ان كل حرفة–مهما كانت محدودة– كان على رأسها شيخ صنف، كما يخبرنا امين العمري في ارباب الصنائع وارباب الحرف[٦]. وهنالك ذكرلشيخ الاصناف السبعة ولكن ليس واضحاً ما تعني تعبيرات..الاصناف الحرف، الصنائع[٧]. ويظهر لنا ان تنظيماً كالذي كان قائماً آنذاك، خدم اغراض الضريبة، وان الروابط المشتركة والواجبات والحقوق، ان وجدت، كانت غير محكمة على الاطلاق بل كانت مرنة بما فيه الكفاية على الاقل لتسمح برأسمال التاجر بالهيمنة على الحرف. وفي الحقيقة لم يرد أي ذكر في جميع الروايات حول النزاعات التي هزت الموصل في الفترة الجليلية لـــ "نقابة" او اكثر تتصرف كمجموعة متماسكة بينما كانت الاسرة، والاتباع وسرية الانكشارية والحي الحضري مجموعات قائمة بذاتها.

وعند اخذ صناعة القطن كمثال فان الزراعة والغزل والنسيج التي تتم في البيوت لابد وانها افلتت من القواعد المشتركة. وفي القرن التاسع عشر، هنالك دليل قوي على ان صباغة النيل كانت تتم في القرى، وذلك

---

(١) جي. باورنغ، تقرير عن الاحصاء التجاري لسوريا (نيويورك، ١٩٧٣)، ص٨٣؛ جي–بي. روسو، وصف حاكمية حلب، في كنوز الشرق، جزء٤ (فيينا، ١٨١٤)، ص٩٧.

(٢) مقارنة بالجلد الازرق الذي تنتجه طوقات+ والاحمر الذي تنتجه بغداد والاسود الذي تنتجه اورفا.

(٣) تافرنيه، جزء١، ١٣؛ اوليفييه، جزء٤، ٢٧٣؛ الصوفي، جزء٢، ٦٧.

(*) تقع ديار بكر في جنوب شرق تركيا، وهي على نهر دجلة، كما انها بعيدة جداً عن البحر الاسود.

(٤) المنية، من ٤٦ر؛ دوبري، جزء١، ٦٠–٦٢؛ اوليفييه، جزء٤، ٣٧٤؛ جاكسون، صفحات: ١٣٢، ١٧١؛ جزء٢، ٦٦–٦٧؛ الديوه جي، اعلام الصناع، ص٧٣؛ ميرزا، ابو طالب خان، رحلات..، ج. ستيورت(ترجمة) (لندن، ١٨١٠)، الجزء٢، ص٢٧١. تجلب الفضة من جبال عمادية: انظر هود، ص٢١٩ و هاول، صفحات ٩٢–٩٤.

(٥) روسو، بغداد، ص٨٧؛ اوليفييه، جزء٤، ٢٦٨؛ ساوث كيت، جزء٢، ٢٣٧؛ الديوه جي، اعلام الصناع، ص١٢٥.

(٦) المنهل(٢)، جزء١، ١٤٢. انظر ايضاً الدر(١)، ص٦٦٣.

(٧) هنالك ذكر لشيخ الاطباء بدون تفاصيل اخرى: انظر خلاصة، من ٥/٦٢.

يجعل أي عمل مشترك مسألة مستحيلة من الناحية العملية[١]. وحتى في الحرف الاكثر توغلاً في القدم والواقعة في الاسواق القديمة والقائمة على الورشة لابد وان قبضة رأسمال التاجر اشعرت نفسها باكثر من طريقة: فالمواد الخام غالباً ما كانت تجلب من اماكن بعيدة، مؤكدة بذلك الموقع الخاص للوسيط، وكانت الاسر التجارية في العادة هي المسؤولة عن جباية الضرائب من الحرف[٢]. فمن المؤكد اذن ومنذ اوائل القرن السابع عشر ان يؤدي ضغط رأسمال التاجر الى توسع الحرف والصناعات المحلية خارج نطاق الاطر المشتركة[٣].

٣- التجارة

ان الصفحات السابقة تبين ان الطريقة السائدة لتوليد الفائض الداخلي هي استنزاف المحصول الزراعي..بالدفع عيناً او نقداً..من قبل المدينة الممثلة بمالكي الارض والتجار وموظفي الحكومة. ويغذي هذا الاسلوب من الانتاج الزراعي بدوره نوعاً ثانياً يشمل الحرف المختلفة. ومع ذلك يبدو ان ضآلة الارض الخلفية الريفية، ومستوى التقنية الزراعية، والكوارث الطبيعية المتكررة التي حلت بالولاية اعاقت نمواً جوهرياً في تراكم الناتج الزراعي الذي كان اساسياً في مساندة مستوى عالٍ من الحياة الحضرية. وعلى نحو متزامن فان الحرف محلية الاتجاه لم تك تبدو طموحةً بما فيه الكفاية لكي تولد نمواً ملحوظاً في الحياة الحضرية. لذلك يستطيع المرء ان يفترض مطمئناً ان اساليب الانتاج الموصلي كانت في احسن الأحوال قادرة على إعالة الموصل ضمن اقتصاد شبه استبدادي ومكتف ذاتياً، ولكنه اقتصاد غير قادر باية طريقة على توفير القاعدة المادية اللازمة للتوسع الحضري والثقافي.

وتبعاً لما ذكرنا، على المرء ان يعترف بحقيقة ان الموصل شهدت طيلة الفترة الجليلية توسعاً حضرياً وزيادة هائلة ايضاً في مستوى الانشطة الثقافية. ومن هنا يبرز السؤال: اين نشأ الفائض اللازم؟ ويتعلق بهذا السؤال حقيقة ان الحرف والزراعة اصبحت تحت هيمنة رأسمال التاجر. وهكذا يبدو ان تطور البنية الاجتماعية الموصلية اعتمد بالدرجة الاولى على اسلوب من العلاقات التجارية الرأسمالية كان افضل من أي اسلوب آخر للانتاج. وبعبارة اخرى انه اعتمد على مقدرة الموصل على اجتذاب الفائض المولد في بنى اجتماعية اخرى اكثر من اعتماده على الفائض المولد في داخلها[٤].

ان الموقع الجغرافي المتميز للموصل كمركز مرور بين جبال كردستان وسهول العراق المؤدية الى الخليج العربي وكذلك الى "ثغرة" ما بين النهرين المؤدية الى الساحل السوري، مكنت الموصل من لعب دور تجاري كبير عبر تاريخها. إذ يصفها ياقوت بأنها "البوابة الى العراق ومفتاح خراسان واذربيجان"[٥]، وفي وقت اقرب الى عصرنا من عصر ياقوت كتب لانزا قائلاً ان الموصل "تستفيد من موقعها الوسطي حيث يلتمسها بدو الصحارى واكراد الجبال، ويفصلها مجرد جبل عن فارس، وبينها وبين بغداد التي تقع في متناولها السهل ومن هناك ينفتح الطريق الى البصرة والهند، وجميع البضائع القادمة من الجبال في الشمال تمر في

---

(١) اف او (وزارة الخارجية) ١٩٥/٢٢٨، رسام الى كننغهام، الموصل، ٢٧ايار١٨٤٥.

(٢) انظر فيما بعد ص ١١٩.

(٣) للاطلاع على الصناعات الموصلية للعام ١٨٤٥ انظر الملحق رقم ٢.

(٤) انظر س.امين، التطور غير المتكافئ (باريس، ١٩٧٣)، صفحات١٢-١٧.

(٥) معجم البلدان، جزء٤، ص٦٨٣.

الموصل في طريقها الى الجنوب"[1]. **(ينظر ملحق الخرائط: الخارطة١١ طرق القوافل التي تربط الموصل بحلب)**

أ- طرق التجارة

ان انعدام الاستقرار السياسي الذي جاء به الغزو المغولي للعراق، وانقسام المنطقة الخطير الذي أعقب الغزو الى دول صغيرة متنافسة، اعاق التجارة التي تعتمد على طرق مواصلات مفتوحة وآمنة. الا ان الفتح العثماني للعراق منح الموصل اخيراً فرصة ذهبية للاندماج في كيان اقتصادي واسع يمتد من البحر الأبيض المتوسط الى الخليج العربي. وباستقرار الحدود الفارسية-العثمانية في القرن الثامن عشر، استعادت الموصل مكانتها كحلقة اتصال مهمة في شبكة معقدة من طرق التجارة. وابرز هذه الطرق الآتي:

١- الموصل-سوريا عبر عانة والصحراء:

"تبعد عانة عن الموصل سبعة ايام، ومثلها عن حلب ودمشق وبغداد ومكة والمدينة"[2]. وكان تجار الموصل يستخدمون هذه الطريق كثيراً في القرنين السادس عشر والسابع عشر[3]، ولكن بحلول القرن التاسع عشر وصل فقدان الأمان في الصحراء الى حد ان احداً لم يسلك ذلك الطريق على مدى ذاكرة الإنسان"[4].

٢- الموصل- سوريا عبر ما بين النهرين:

١. طريق بري من حلب الى بيرجيك على الفرات، ثم اورفة وماردين وجزيرة ابن عمر، ومن الجزيرة اما على نهر دجلة او بمحاذاته الى الموصل. وللمسافر الذي يلتمس الوصول الى الموصل بسرعة فان الطريق عبر الجزيرة يشكل تحويلة باتت ضرورية حين يصبح طريق الصحراء من ماردين الى نصيبين غير آمن[5]. وفي بداية القرن التاسع عشر اشتكى بيك الجزيرة الى كينير قائلاً "ان القوافل كانت اما نادرة او لا تصل الى مدينته" وطلب منه ان "يشرح لباشوات بغداد والموصل ان الطريق في وضع ممتاز وانه يسعى لاقناعهم لحث جميع التجار على المرور بالجزيرة في المستقبل"[6]. وذكر نيبور ان الطريق عبر الجزيرة هو الاطول والاصعب، ولكنه يمر خلال مناطق مسكونة[7].

٢. طريق بري من حلب الى بير (بيريجيك) واورفة مباشرة الى ماردين ونصيبين والموصل. وهذا هو طريق القافلة المعتاد، ويمر به العديد من القوافل، وهو بلا ريب الاسرع حين يكون الامان مضموناً[8].

---

(١) لانزا، ص١٤.

(٢) بغداد، ص٧٥.

(٣) بي. تيزيرا، الرحلات..، دبليو. اف. سنكلير (مترجم وناشر) (لندن، ١٩٠٢)، ص١٦.

(٤) ريج، جزء٢، ١٠٩.

(٥) اوتر، جزء٢، ٢٥٣، اوخر-ايلوي، ص١٩٠؛ نيبور، جزء٢، ٣٠٠.

(٦) كينير، ص٤٥٢.

(٧) نيبور، جزء٢، ٣٠٠.

(٨)غرائب، ص٣١؛ آيفز، صفحات ٣٢٦، ٣٢٩؛ سيستيني، صفحات ٣-٤؛ دي. كامبل رحلة برية الى الهند، (لندن، ١٧٩٦)، ص٩٤؛ دبليو. بيوز، رحلة من حلب الى البصرة عام ١٧٤٥، بـــ..، دي. كرتزز (الناشر) (لندن، ١٩٢٩)، صفحات ٥٠٧.

٣. طريق من حلب الى بيرجيك اورفة وديار بكر، وبعد ذلك طريق نهري على دجلة الى الموصل، اذ يكون النهر صالحاً للملاحة في اتجاه المجرى وحين تكون المياه عالية بما فيه الكفاية[١].

٣- الموصل- اسيا الصغرى عبر ديار بكر[٢].

٤- الموصل-العمادية عبر القوش ودهوك، ومن هناك الى جولميرك واورمية[٣].

٥- الموصل-السليمانية عبر اربيل ومن هناك الى همدان فأصفهان.

وهذا واحد من الطرق الرئيسية الخمسة التي تربط حلب بفارس[٤].

٦- الموصل- الخليج العربي:

١.الموصل الى بغداد عبر تكريت على الضفة الغربية لنهر دجلة. وهذا الطريق اسرع من الطريق الشرقي عبر كركوك، ولكنه نادر الاستخدام لأنه اخطر بكثير[٥].

٢.الموصل الى بغداد عبر اربيل وكركوك، شرقي نهر دجلة، تستخدمه القوافل عادة وبصورة خاصة على طريقها من بغداد الى الموصل[٦].

٣.الموصل الى بغداد على نهر دجلة. وتتم هذه الرحلة على الاكلاك التي تفكك في بغداد، والرحلة في الاتجاه المعاكس صعبة وبطيئة وخطرة[٧].

٤.بغداد-البصرة على نهر دجلة، او نهر الفرات او الطريق البري، وهذا يرتبط بالوضع الامني.

(ينظر ملحق الخرائط: خارطة ١٢ طرق القوافل التي تصل الموصل ببغداد)

(ينظر ملحق الخرائط: خارطة ١٣ الموصل في شبكة من طرق التجارة العالمية)

ويستطيع المرء ان يدرك بوضوح ان الموصل تقع في مركز نظام معقد من طرق التجارة التي تربط الخليج وبغداد[٨] بساحل البحر الابيض المتوسط واسيا الصغرى، وتربط سوريا بفارس. وهنالك بالطبع طرق بديلة لا تستفيد منها الموصل[٩]: من فارس الى اسطنبول عبر ارضروم، ومن فارس الى سوريا عبر بغداد والصحراء[١٠]، والطريق المباشر الذي يربط الخليج بالبحر الابيض المتوسط عبر الصحراء وهو الاسرع الى حد بعيد ولكن يخضع لعلاقات المدينة بالبدو والبدو بالبدو[١١]. وفي اوقات انعدام الامن فان طريق بصرة-

---

(١) سيستيني، ص١٠٨؛ رؤوف، ص٤٠.

(٢) انظر ساوث كيت، جزء٢، ٢٩١-٢٩٢.

(٣) غرانت، ص٤٠؛ ريج، جزء٢، ١١١.

(٤) المنشئ، ص٧٥؛ تافرنيه، جزء١، ١٥٧، ١٩٥-١٩٧.

(٥) نيبور، جزء٢، ٢٨٨؛ المنشئ، صفحات ٨٦-٨٧.

(٦) نيبور،جزء٢،٢٧١؛المنشئ،صفحات٨٦-٨٧؛بنجامين،ص١١٦؛لانزا،ص١٤.

(٧) نيبور، جزء٢، ٢٨٧-٢٨٨؛ بادجر، جزء١، ٨٠-٨١؛ ساوث كيت، جزء٢، ٢٣٩، لايارد، جزء٢، ٩٧.

(٨) خارطة ١٢ طرق القوافل التي تصل الموصل ببغداد.

(٩) خارطة ١٣ الموصل في شبكة من طرق التجارة العالمية.

(١٠) ساوث كيت، جزء٢، ١٨٧؛ المنشئ، ص٤٩؛ اولسن، ص٨.

(١١) كروفز، صفحات ٤٩، ٥١؛ سيستيني، صفحات ٢٣٩، ٢٧٠؛ تيريزا، ص٧٢، نيبور، جزء٢، ١٩٣-١٩٤؛ تافرنيه،جزء١، ١٥٣؛جي-بيزروسو،"تقريرعن طائفة الوهابيين"،في كنوزالشرق،الجزء١(فينا،١٨٠٩)،ص١٩١؛=

بغداد-كركوك-اربيل-الموصل-اورفة- سوريا يفضل على الطريق الصحراوي المباشر. ومع ذلك فبحلول بداية القرن التاسع عشر، جعلت الاهمية المتنامية لمدينة دمشق في جنوب سوريا، الطريق الصحراوي اكثر اغراءاً للتجارة[1]. وبالطبع لم يكن هنالك نظرياً أي شيء يمنع الموصل من الاستفادة من هذا الاتجاه التجاري الجديد بارسال البضائع عبر مدينة عانة. مع ذلك يبدو ان التنقلات العشائرية الكبرى التي تمت في النصف الثاني من القرن الثامن عشر[2] والتي وصلت الى نوع ما من التوازن في جنوب ووسط العراق ما زالت ذات اثر في الشمال خلال القرن التاسع عشر وذلك اعاق فرص الموصل بجعل الطريق من الموصل الى الحضر وعانة غير آمن. وهكذا فان التجارة الفارسية والعراقية مع دمشق كانت ما برحت لا تمر بالموصل بل عبر بغداد.

وخلافاً من البصرة وحلب فأن الموصل لم تكن مكاناً ضرورياً لمرور التجارة، بمعنى ان الموصل لم تقع على أي شريان حيوي للمواصلات، وتحاشت القوافل على الاغلب دخول الولاية ودفع رسوم الكمرك. ولكن، وللسبب نفسه، وعلى خلاف للبصرة وحلب، فان الموصل تقع في السويداء من شبكة طرق تجارية معقدة، تستطيع ان تستفيد منها كلها مهما كانت الفائدة هامشية. ان قوة الموصل الحقيقية تكمن في مرونتها. وتستطيع البصرة وحلب ان تزدهرا وتبلغا شأواً لا تحلم الموصل بالوصول اليه، غير ان البصرة وحلب تعتمدان الى حد كبير على طريق تجاري رئيسي واحد، وتتبع حظوظهما حظوظ ذلك الطريق التجاري المنفرد. والموصل من الناحية الاخرى، وكحلقة وصل اكثر منه طرف نهائي، استفادت من عدة طرق ولا يمكن لها ان تتأثر الى حد كبير بإغلاق أي طريق معين. وحتى عندما تحاشت القوافل مدينة الموصل، فان الجليليين وتأثيرهم الاستقراري كان اساسياً لضمان سيادة الامن على طول الطرق العديدة التي تطوق الولاية.

ب- وسائل النقل والمواصلات

منذ المراحل المبكرة للتاريخ وحتى القرن التاسع عشر بقيت تقنيات النقل ثابتة لم تتغير عملياً في المنطقة تحت الدراسة. وعلى طريق-حلب-اورفة-الموصل شملت القوافل الجمال والبغال والخيل، ومن حلب الى اورفة عبر الصحراء كان معدل سرعة القافلة حوالي (١٠) اميال باليوم، ولكن هذا المعدل يقل كثيراً حين تصبح تضاريس الارض صخرية جداً وجبلية جداً بما لا ينسجم وما اعتاد عليه الجمل. فالجمل الذي يستطيع ان يحمل ١٦٠٠ باوناً (٧٢٥كغم) عبر الصحراء، يستطيع ان يتحمل حوالي ٨٠٠ باون او (٣٧٠كغم) في الجبال حين يفضل البغال والخيل وخصوصاً على الطريق بين الموصل وكردستان والموصل وجزيرة ابن عمر[3].

وعلى الطرق التي تصل الموصل ببغداد فان البغال والخيول تستعمل في التجارة المحلية (الموصل-بغداد) وكذلك في التجارة بين بغداد وآسيا الصغرى. وعلى الطريق نفسه فان القوافل المسافرة بين البصرة

=أي. بارسونز، رحلات في اسيا وافريقيا، (لندن، ١٨٠٨)، صفحات ٩٧، ١٠٩؛ ستيفن هيمسلي لونكريك، اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث (اكسفورد، ١٩٢٥)، ص٢٥٢.

(١) كروفز، صفحات ٨١-٨٢؛ ساوث كيت، جزء٢، ١٨٥-١٨٦.

(٢) انظر البرت حوراني، "وجه الهلال الخصيب المتغير في القرن الثامن عشر"، في دراسات اسلامية، الجزء الثامن (١٩٥٨)، صفحات ٩٥-٩٧؛ لونكريك، ص٢٠٢.

(٣) تافرنيه، جزء١، ٢٠، ١٨١؛ جاكسون، ص١٩١؛ بكنغهام، ص٤٦.

وسوريا (عبر الموصل) تستخدم الجمال بدلاً من البغال والخيل. ويقع اكثر الطرق امناً شرقي نهر دجلة، وبعد مغادرة الموصل تعبر القوافل نهر الزاب على ارماث صغيرة (اكلاك) من جلود الماعز، قبل ان تبدأ طريقها الى بغداد عبر اربيل والتون كبري وكركوك. اما الطريق الغربي عبر تكريت فانه اسرع ولكنه عادة غير آمن[١]. واسرع الطرق بين الموصل وبغداد هو نهر دجلة. وتحمل البضائع على ارماث (اكلاك) مصنوعة من جلود الماعز المملؤة بالهواء.. ٢٠٠ الى ٦٠٠ جلد-تستطيع ان تحمل ٦٠ قنطاراً؛ والارماث الكبيرة لها مقصورة خشبية لايواء المسافرين. وفي الموسم الجيد حيث يكون التيار قوياً يمكن الوصول الى بغداد خلال ثلاثة ايام. وعند الوصول الى بغداد تفكك الارماث لأن الرحلة في الاتجاه المعاكس مستحيلة عملياً: فيباع الخشب في بغداد وتحمل الجلود المفرغة من الهواء على البغال والحمير في طريق عودتها الى الموصل[٢].

أما بين بغداد والبصرة فان قوارب مجهزة بالصواري والاشرعة تحمل البضائع على نهر دجلة وكذلك على نهر الفرات. والقارب المعدل يستطيع ان يحمل ٣٥ طناً، ولكن بعضها كان كبيراً ويحمل ١٠٠طن. وبريح جيدة وحينما يكون التيار سريعاً يمكن اكمال الرحلة على نهر دجلة خلال سبعة او ثمانية ايام؛ والا فان الرحلة سوف تستغرق خمسة عشر يوماً للوصول الى البصرة من بغداد. واما الرحلة بعكس اتجاه تيار النهر فانها مملة اذ يجب سحب القوارب الطريق كله من قبل فرق من الرجال تسير بمحاذاة ضفة النهر، وتستغرق الرحلة عادة خمسين يوماً للوصول الى بغداد من البصرة[٣]. وفي عام ١٨٣٠، فضل باشوات بغداد ادخال الملاحة البخارية[٤]، وفي عام ١٨٤٥ كان هنالك باخرة بريطانية صغيرة تجوب الاطراف السفلى لنهر دجلة[٥]. وكما قلصت الى حد كبير فترة الرحلة فان الملاحة البخارية اثرت في جعل التجارة اكثر امناً، اذ ان البدو الذين يرتادون كثيراً ضفاف النهر، لا يستطيعون ان يغيروا على باخرة عاقدة العزم على السير بسرعتها الميكانيكية بالسهولة التي يستطيعونها على سفينة تسحبها الحبال بمشقة من على ضفة النهر.

واخيراً وعلى الطريق الصحراوي من الخليج الى سوريا فان الجمال تستخدم في قوافل كبيرة ما بين ٢٠٠٠ الى ٦٠٠٠ جمل، وتستغرق الرحلة عادة ٢٠ الى ٣٠ يوماً من بغداد الى حلب ومن ٣٠ الى ٤٠ يوماً من البصرة الى حلب[٦].

ج- طبيعة التجارة

تطورت تجارة الموصل بصورة مستقلة عن حالة القوى المنتجة في الولاية طيلة الفترة الجليلية. فصناعة القطن التي كانت في القرن الثامن عشر "مصدر ربح وافر للمدينة"[٧]، هبطت الى حد كبير بحلول

---

(١) سيستيني، ص٢١١؛ المنشئ، صفحات ٨٦-٨٧.

(٢) بادجر، جزء١، ٨٠؛ سيستيني، صفحات ١٥٣-١٥٤؛ تافرنيه، جزء١، ٢٢٥-٢٣٠؛ بنجامين، ص٨٦؛ لايارد، جزء٢، ٩٧؛ نيبور، جزء٢، ٢٨٧-٢٨٨؛ ساوث كيت، جزء١، ٢٣٩.

(٣) جاكسون، صفحات٣٩-٤١؛ اوتر، جزء١، ١٥٦-١٥٧؛ بكنغهام، صفحات٣٨٥-٣٨٦؛ بارسونز، صفحات١٤١-١٤٥؛ لكي يعوضوا عن طول فترة الرحلة، كان التجار يتصلون من مدينة الى اخرى بواسطة رسل الحمام.

(٤) كروفز، ص٣.

(٥) لايارد، جزء١، ١٣٩.

(٦) سيستيني، ص٢١١؛ تافرنيه، جزء١، ١٥٧؛ بارسونز، صفحات١١٤-١١٥.

(٧) لانزا، ص١٣.

١٨٣٠ وأشار معظم الزوار الى حالة الركود في الحرف بصورة عامة. وبينما يكتب لانزا حوالي عام ١٧٧٠ قائلاً ان تجارة الموصل ارتكزت على الأرباح المحققة في صناعة القطن، نجد رسام بعد ذلك بسبعين عاماً يكتب الى رؤسائه في اسطنبول قائلاً إن "قيمة المستوردات يفوق بقدر عظيم قيمة الصادرات، واضطر التجار أن يرسلوا النقد الى اسطنبول لشراء بضائعهم"[١]. ومهما تكن حالة قواها المنتجة فان الموصل رغم ذلك حققت فوائد تجارية كبيرة[٢].

١- تجارة الموصل مع جيرانها المباشرين

لعبت الموصل دائماً كمدينة دور السوق للقبائل المجاورة الذين يأتون ليتبادلوا منتجاتهم-الجلود، الاغنام، الجمال، الحليب، الجبن..وناتج الصحراء..الملح والقلو والكمأ والقار..بمختلف انواع المواد الغذائية والبضائع (السلع) المصنعة في المدينة..الالبسة، الادوات، الجلد المصقول والجبال[٣]. فمن جبل سنجار، ومن مدينة تلعفر التي تقع على الطريق اليه، تأتي التمور والتين وكذلك كمية قليلة من العفص..حوالي ٤٠ قنطاراً في السنة..والتي يأخذها الموصليون الى حلب[٤]. ويدير التجار المواصلة التجارة مع جبل سنجار وذلك بذهابهم الى مدينة سنجار التي تقع اسفل الجبل اذ ان اليزيدية انفسهم لا يأتون الى الموصل، وهكذا تستفيد الموصل من نقل البضائع. لكن احتكار البدو تجارة القار والملح والكمأ في اواخر القرن الثامن عشر شكل ضربة قاسية للموصل اذ حرم تجارها من مهمة النقل المربحة، وتوضح ايضاً عدم القدرة على السيطرة على طرق التجارة المحلية[٥].

٢- تجارة الموصل مع امارة بهدينان الكردية

ان المبادلات بين الموصل والجبال الكردية كانت واسعة جداً اذ سعت السلطات دائماً على ضمان امن الطرق التي تربط الموصل بالعمادية وعقرة ودهوك وكذلك على التأكد من استتباب الامن في هذه المنطقة الجبلية. ذلك لأن الموصل تتأثر عادة بالنزاعات الكردية الى حد كبير في تجارتها وكذلك في حرفها[٦].

ويعد العفص اهم مادة في التجارة بين الموصل والجبال الكردية يجلبها تجار الموصل والاكراد من الجبال ويشحنونه الى ساحل البحر الابيض المتوسط والخليج العربي[٧]. ويشتهر العفص "الموصلي" بنوعيته الجيدة ويقدر الحاصل السنوي عام١٨٣٠م بحوالي٧٠٠٠ الى ١٠,٠٠٠ قنطار،يصدر ربعه الى حلب[٨]، ويجد

---

(١) اف او (وزارة الخارجية) ١٩٥/٢٢٨، رسام الى كننغهام، الموصل، ١٨تشرين اول١٨٤٥، قارن مع الملحق ٣.

(٢)ايزورث، الرحلات، جزء٢، ١٢٧؛ رؤوف، ص٢٠٥؛ بكنغهام، ص٢٩١؛ لانزا، ص١٤؛ساوث كيت، جزء٢، ٢٣٨؛ ولبول، جزء١، ٣٩١؛ اوليفييه، جزء٤، ٢٧٢-٢٧٣.

(٣)لانزا، صفحات٨، ١٤؛ بادجر، جزء١، ٨١؛ لايارد، جزء٢، ٤٧؛ سي سي سي (الموصل، جزء١)، التقرير التجاري لعام١٨٥٣.

(٤)باروينغ، ص٣١؛ ميرزا، جزء٢، ٢٨٥؛ دوبري، جزء١، ١٠٥؛ لايارد، جزء١، ٣٢٣؛ الصوفي، جزء٢، ١٢١؛ القنطار يساوي ٥٥٠باوناً (٢٥٠كغم).

(٥) انظر: ريج، جزء٢، ١١٠.

(٦) غرائب، ص٤٨؛ لانزا، ص٥٧.

(٧) راوولف، ص٢٠٣؛ بغداد، صفحات٩٦-٩٧؛ تافرنيه، جزء١، ١٩٢؛ اف او (وزارة الخارجية) ١٩٥/٢٢٨، رسام الى سترانفورد دي ريد كليف، الموصل، ٢٧شباط١٨٥٤.

(٨) باورينغ، ص٣١.

الباقي طريقه الى البصرة ليصدر الى الهند واوربا او لاستعماله في الحرف العراقية. وطيلة القرن الثامن عشر لم يستطع انتاج القطن في الموصل ان يسد متطلبات الصناعة المحلية ويشتري التجار القطن ويجلبوه من جبال العمادية[1]. مع ذلك لم يرد ذكر لاستيراد القطن البريطاني المغزول. وبالإضافة الى العفص والقطن فقد جهزت إمارة بهدينان الموصل بالتبغ "الأقل جودة من تبغ اللاذقية"[2] وجهزتها كذلك بجميع احتياجاتها من الخشب وفحم الخشب الذي ينقله عادة تجار الموصل بأنفسهم[3]. اما منتجات الجبال الأخرى فهي: الصوف، والجلود المدبوغة و حلوى من السما و الزبيب و الأعناب والتفاح والعرموط والرمان والجوز والخيار والعسل واللبن وكذلك الأواني الفخارية التي تستعمل في المدينة لحفظ الماء نقياً[4]. وبالمقابل جهزت الموصل اكراد الجبل بالحنطة والشعير والالبسة والقماش والقطن والتمور والملح والمنتجات الاوربية[5].

ويظهر من هذا النمط التبادلي ان التجارة بين الموصل وامارة بهدينان لم تكن في صالح اهل الموصل وتجارها حيث فاقت الاستيرادات الصادرات كثيراً. مع ذلك فحين نضعها في اطار اوسع، فان هذا النمط من التبادل يوضح دور الموصل كوسيط ناجح بين المناطق المنتجة والاطراف النائية للتجارة على ساحل البحر. ولا بد ان الموصل استفادت الى حد كبير من التجارة مع الجبال اذ كانت البضائع تنقل الى الموصل بصورة رئيسية ومنها الى مراكز اخرى من قبل تجار الموصل.

٣- تجارة الموصل مع شرقي كردستان

بقيت المبادلات التجارية طيلة الفترة الجليلية بين الموصل وشرقي كردستان (السليمانية، راوندوز وكويسنجق) متواضعة. فقد تكونت استيرادات الموصل من العفص والرز، وفي حالة شحة المحاصيل في الموصل فأنها تستورد الذرة ايضاً. وبالمقابل تصدر الموصل الجزم والاحذية وقطع العمائم والشيت والقماش القطني المطبوع وكذلك منتجات سوريا وديار بكر. اما بالنسبة لامارة بهدينان فلم يكن للاكراد المحليين دور بالتجارة، ويبدو ان ذلك النشاط كان حصراً على النصارى واليهود والأرمن[6].

٤- التجارة الايرانية

ان تاريخ التجارة الايرانية مع الموصل هو تاريخ العلاقات الفارسية-العثمانية وتأثيرها على تدفق الحرير من المناطق المنتجة الى البحر الابيض المتوسط: وهذه نقطة توضحها الحقيقة الآتية: فعندما غزا العثمانيون بلاد ما بين النهرين في القرن السادس عشر، طلب حاكم المنطقة المنتجة للحرير جيلان الحماية

---

(١) بغداد، صفحات٩٦-٩٧؛ لانزا، ص١٣. لم تحدد المصادر فيما اذا كان القطن قطناً مغزولاً ام غير ذلك.

(٢) اوليفييه، جزء٤، ٢٧٥-٢٧٦. انظر: سيستيني ايضاً، ص١٥٠، ودوبري، جزء١، ص٩٣.

(٣) زبدة، ص١١٤؛ ريج، جزء٢، ١٠٥-١٠٦.

(٤) بغداد، ٩٦-٩٧؛ سيستيني، صفحات١٤٤، ٢٥١؛ جيسني، جزء١، ١٢٤؛ اينزورث، الرحلات، جزء٢، ١٣٥؛ لايارد، جزء١، ١٥١، ٢٢٨.

(٥) بغداد، ٩٦-٩٧؛ روسو، بغداد، ص١٠١؛ سيستيني، ص١٥١.

(٦) الزبدة، ص١١٣؛ ريج، جزء١، ٨٦، ١٤٢، ٣٠٥-٣٠٦؛ اينزورث، الرحلات، جزء٢، ١٩٣؛ هود، ص٢٠٠؛ آر. ميناں، رحلة شتوية في روسيا والالب القفقاسي وجورجيا ومن هنالك الى كردستان (لندن، ١٨٣٩)، جزء١، صفحات ٢٨٧-٢٨٨.

العثمانية[1] معترفاً بذلك بان السيطرة على طرق التجارة واطرافها النهائية كان اكثر اهمية من السيطرة على المناطق المنتجة. وكنتيجة للحصار التجاري الذي فرضه سليم الاول (١٥١٢-١٥٢٠م)، فان طريق الحرير تحول من الشمال الى الجنوب، عبر الموصل وديار بكر الى حلب والاسكندرونة[2]. وفي القرن السابع عشر، كانت الموصل ومازالت رابضة على احد اهم الطرق التي تربط حلب بفارس وقد كتب تافرنييه في اثناء عام ١٦٤٤ قائلاً "رئيس قافلتنا الارمني"[3].

وطيلة النصف الاول من القرن الثامن عشر قلصت الحروب الروسية-الفارسية و الفارسية-العثمانية تجارة الحرير الى حد كبير وزادت اوروبا من استيراداتها لحرير المشرق بينما كان الحرير الفارسي يصدر الى الشمال عبر روسيا[4]. وبحلول النصف الثاني من القرن، على الرغم من العلاقات العادية القائمة بين العثمانيين والفرس، فان الموصل توقفت عن الاستفادة من التجارة منذ ان راح باشوات بغداد المماليك الاقوياء يحولون بالتدريج تجارة الحرير من الموصل الى "العاصمة" لتنتقل منها الى سوريا وآسيا الصغرى[5]. وبقدر ما يتعلق الامر بتجارة الحرير، فان المواصلة لم يلعبوا دور الناقلين المربح او دور الوسطاء..كما في حالة العفص.. وخضعت التجارة للارمن واليهود القائمين عليها من بغداد. مع ذلك فان الموصل ما زالت تتاجر مع فارس ولو باعتدال". وكتب سيستيني يقول "ان القافلة من تبريز تصل الموصل في غضون ٢٥يوماً، جالبة الحرير وجلود الحلان المولدة اجهاضاً لاستخدامها في صناعة القبعات. وبالمقابل تأخذ القافلة العائدة الى فارس القماش المحلي والشال والجوخ الفرنسي[6].

٥- الروابط التجارية في بغداد

تمتعت بغداد بصفتها احدى المدن الكبرى في الامبراطورية العثمانية وعاصمة الباشا الذي يحكم عملياً العراق كله، بوضع خاص في العلاقات التجارية، فقد سعى الباشوات المماليك طيلة الفترة قيد الدراسة لجذب التجارة المارة عبر العراق اليها. وفي مطلع القرن الثامن عشر استفادت بغداد الى حد كبير من اضافة البصرة الى اقليمها، فأصبحت نتيجة ذلك تسيطر على احد الاطراف النهائية لطريق الهند العظيم. وكان باشوات بغداد في الوقت نفسه يوسعون نفوذهم في الشمال، مستوعبين ماردين مركز المرور المهم. وعلى الورق على الاقل كانت جميع طرق التجارة العراقية تحت سيطرتهم. وفي نهاية القرن الثامن عشر، ساعدت الفوضى الضاربة اطنابها في فارس على تحويل معظم التجارة الهندية الى البصرة وبغداد، وبينما استمرت العلاقات التجارية بين بغداد وكرمنشاه وهمدان واصفهان، فان العديد من التجار الفرس تركوا قطرهم الذي مزقته الحرب وجاؤا

---

(١) اولسن، ص١٦.

(٢) المصدر نفسه، ص١٥.

(٣) تافرنيه، جزء١، ١٩٢-١٩٣.

(٤) جي. بيل، رحلات من سان بترسبيرغ في روسيا الى مختلف اطراف اسيا (لندن، ١٧٦٤)، جزء١، صفحات ٤٠-١١١؛ اولسن، صفحات ١٠٤-١٠٥، ١١٩-١٢٠.

(٥) اوليفييه، جزء٤، ٤٤٦-٤٤٧ و جزء ٥، ٣١١؛ اف او (وزارة الخارجية) ١١٣/١٩٥ القسم الاول، هيكتور الى تيلور، بغداد، ٢٢ ايلول ١٨٤١؛ جي-ب. روسو "مقتبس من يوميات رحلة في فارس عن طريق بغداد"، في كنوز الشرق، جزء٣، (فينا، ١٨١٣)، ص ٨٥.

(٦) سيستيني، صفحات ٢٥٢-٢٥٣.

ليستقروا في بغداد[1]. والى الجنوب ورغم العلاقات العدائية مع الوهابيين استمرت التجارة مع جزيرة العرب[2]. واعادت بغداد تصدير البضائع التي تستلمها من الهند وفارس وجزيرة العرب الى الساحل السوري وآسيا الصغرى عبر الموصل، او على نحو مباشر الى سوريا عبر الصحراء. وقد بلغت قيمة الصادرات السنوية من بغداد الى حلب عبر طريق الصحراء في بداية القرن التاسع عشر ٦ ملايين قرش وشملت: القماش الموصلي، والقماش السوراتي* والقطن السوراتي، وقطن بغداد، وقماش بغداد، والقماش الايراني، وقهوة مخا، ونيل لاهور والتبغ من طهران وبغداد، والتوابل الهندية، والاشوال الكشميرية[3]. ولأن معظم هذه التجارة لم تمر من الموصل فان المدينة لم تستفد منها بصورة مباشرة. ورغم ذلك فان قرب الموصل من مضيق رغروس الذي يقع على الطريق الرئيسي من همدان الى بغداد[4]، دعى الى بقاء قربها من الصحراء السورية، الحاجة الى الجليليين ليعاونوا في ابقاء شرايين المواصلات مفتوحة وآمنة. وكانت العلاقات الخاصة بين باشوات بغداد والجليليين ضرورية ايضاً لأن كلتا المدينتين تقعان على الطريق الذي يربط الخليج بآسيا الصغرى. فالموصل تشحن الى بغداد العفص والتبغ القادمين من شمالي كردستان، وكذلك النحاس من ديار بكر[5]. ويعاد تصدير هذه السلع الى البصرة وسورية. فضلاً عن ذلك ترسل الموصل الى بغداد الحنطة والشعير، حينما يكون الحاصل المحلي وافراً والخشب من كردستان، والمرمر المستعمل في صناعة البناء، وكذلك عدة انواع من الفواكه والخضر، وتستهلك جميع هذه السلع التجارية في بغداد نفسها[6]. وبالمقابل تجهز بغداد الموصل بمختلف انواع البضائع الهندية التي يعاد تصدير قسم منها من الموصل الى اعالي ما بين النهرين وآسيا الصغرى. وحسب رواية اوليفيه، ففي اواخر القرن الثامن عشر كانت قوافل صغيرة من ٣٠ الى ٤٠ حماراً تغادر بغداد مرتين او ثلاث مرات في الشهر، متجهة الى الموصل وارمينية واسيا الصغرى، بينما كانت القوافل الكبيرة ذات الـ ١٥٠ الى ٢٠٠ حماراً تذهب مرتين بالسنة الى اسطنبول[7].

لقد كانت التجارة بين بغداد والموصل حلقة واحدة في سلسلة تربط الهند باسيا الصغرى وسورية. وتصديقاً لدورهم كوسطاء فقد حاول المواصلة مراراً ان يتحاشوا البغداديين ويتاجروا مع البصرة مباشرة، ويذكر تافيرنييه بعض تجار الموصل العاملين في التجارة في الخليج[8].وفي عام ١٧٤٩ انتعشت آمال الموصل بتعيين حسين باشا الجليلي والياً على البصرة. وتتضح اهمية تعيين كهذا، ومضامينه للتجارة وللثروات الخاصة بالموصل وبغداد من خلال المعارضة الشديدة التي قابلت هذا الترشيح من قبل باشا بغداد. الذي استطاع

---

(١) الكونت فيريرسوفبرف، مذكرات تاريخية، سياسية وجغرافية لـ...(باريس، ١٧٩٠)، جزء٢، صفحات ٣٩، ٨٥. يقدر اوليفييه (جزء٤، ٣٢٤-٣٢٥) هؤلاء التجار الفرس بين ١٢٠٠٠ و ١٥٠٠٠.

(٢) غرائب، ص٥٣.

* نسبة الى مدينة سورات الهندية القريبة من بومبي (المترجم)

(٣) روسو، "حلب"، ص٩٣. انظر ايضاً باورينغ ص١١٣؛ روسو، بغداد، ص٥٤؛ بنجامين، صفحات ١٥٠-١٥١؛ بكنغهام، ص٣٨٥.

(٤) أي. بوادبارد، "الموصل وطريق الهند" في اسيا الفرنسية، ملحق رقم ٣ (ايار ١٩٢٨)، صفحات ٢٦-٢٧.

(٥) بارسونز، ص١٣٤؛ جاكسون ص٩٢؛ باورينغ، ص٣٢؛ ريج، جزء٢، ٢٦.

(٦) تيزيرا، ص٦٢؛ لانزا، صفحات٧-٨؛ جاكسون، صفحات٩٢-٩٣؛ ريج، جزء٢، ١٥؛ اوليفييه، جزء٤، ٤٢٣.

(٧) اوليفييه جزء ٢، ص٢٩١.

(٨) تافرنيه، جزء١، ١٥٢.

بمعونة القبائل الجنوبية ان يشل الوالي الجليلي في البصرة، كما استطاع وبمعونة الاكراد ان يمنع حسين باشا الجليلي من مغادرة الموصل. وهكذا تلاشت آمال الموصل واعيدت البصرة الى باشا بغداد القوي. ولو تحققت السيطرة الجليلية على البصرة لتمكنت الموصل من تحاشي بغداد، ولعوضت من خلال السيطرة على الميناء الرئيسي على الخليج العربي خسارة الطريق الصحراوي الى سورية[١] ولكن ذلك لم يحدث وعلى العموم فان تجار الموصل في تجارتهم مع الخليج العربي كانوا يلقون قيوداً جنوباً في بغداد..حيث تتفكك الارماث ويسيطر البغداديون. وبطبيعة الحال فان ذلك لا يعني ان تجار الموصل كانوا غير قادرين على المسير من بغداد الى البصرة، مع ذلك فان الشيء الاكيد هو: ما بعد بغداد، حيث يفلت نقل البضائع من ايديهم، لأن دور الارماث ينتهي وتسيطر السفن.

ترسل البصرة الى الموصل القهوة والسكر والتوابل وازداد في القرن التاسع عشر القطن الهندي المغزول وقماش القطن[٢] وكذلك تصل من البصرة كميات كبيرة من الاصباغ التي تستخدم في الحرف الموصلية. في عام ١٧٥٩ كتب هينر من حلب الى هانسن كلارك وشركاه في لندن يقول انه "لم يستطع ان يبيع نيلهم بسبب نوع عادي من النيل-ولكن رخيص جداً- مجلوب من الهند الى بغداد ومن هنالك يرسل الى الموصل وماردين واورفة وديار بكر.."[٣]وفي السنة التالية كتب هينر الى بوسانكيث في لندن عن "النيلة الكمبودي المجلوب من الهند الى بغداد والموصل ودمشق.."[٤] وفي القرن التاسع عشر كانت سوريا تستلم كل انواع الاصباغ من البصرة ولكن تقرير باورينغ التجاري لا يذكر صادرات النيلة من حلب الى الموصل[٥] ان الصادرات الموصلية الى البصرة كانت في الاساس العفص وخامات الحديد والنحاس. وفي عام١٧٩٧م كتب جاكسون يقول ان تجارة النحاس بين الموصل والبصرة "لم تكن طويلة العهد ولكنها تزداد بسرعة؛ فأحياناً تبحر السفن من البصرة وهي موسوقة بكاملها بالنحاس"[٦] وفي التجارة العالمية مع الهند لعبت الموصل دور مركز التجميع والتوزيع لما بين النهرين وكردستان، ولكن دورها الى الجنوب يبدو محدداً ببغداد.

٦- العلاقات التجارية مع اعالي ما بين النهرين وآسيا الصغرى

كان محصول الشمال يسلك طريقه الى الموصل وبالأرماث وعلى البغال والحمير التي تصدر بدورها الى بغداد والبصرة والهند خامات النحاس والاواني النحاسية من طوقات و العفص من الجزيرة وديار بكر والحور والبلوط ومجاميع اخرى من الاشجار من ديار بكر وتبليس و القنب والصابون والخام الخشن والجلد الاصفر من ديار بكر اما مُن السما وزيت العفص و البندق والزبيب المجفف فيستخدم للاستهلاك المحلي في

---

(١) الدر(٢) من ٣٣٧-. بحلول بداية القرن الثامن عشر كان الجليليون اسرة راسخة ذات روابط قوية في الموصل. ولذلك فان تعيين حسين باشا لم يكن ليقطع الرابطة الجليلية بالموصل وكانت المدينة تستفيد من ذلك الترشيح.

(٢)غرائب، صفحات: ٤٠، ٤٨؛ الدر(١)، ص٦٣٠؛ بغداد، ص٥٢؛ دوبري، جزء١، ١٢٠-١٢١؛ اوخر-ايلوي، ص٢٠٠؛ اوليفييه، جزء٤، ٤٣٩، ٤٤١، ٤٤٨.

(٣) اوراق الدولة ١٣٥/١١٠، هينر الى هانسن كلارك، صلة حلب، ١٥ آب ١٧٥٩.

(٤) اوراق الدولة ١٣٥/١١٠، هينر الى بوسانكيت، صلة حلب، ١ حزيران ١٧٦٠.

(٥) باورينغ، صفحات ٣٥-٧٦.

(٦) جاكسون، صفحات٩٢-٩٣ و ص١٣٢؛ تقارير حكومة الهند، جي/٢٩/٢٥، التقرير التجاري، اف ٢٢٩/٥؛ اوليفييه، جزء٤، ٢٧٣، ٤٣٥-.

الموصل نفسها[١] ان صادرات الموصل تتكون من البضائع الهندية القادمة من الجنوب وكذلك بعض الاقمشة القطنية المحلية[٢] وبحلول القرن الثامن عشر انقطعت تقريباً تجارة النهر المباشرة بين بغداد وبيريجيك على الفرات[٣] لفائدة التجار المواصلة اذ راحت القوافل بين الجنوب وارمينية تمر الآن عبر الموصل[٤] وفي اوائل القرن التاسع عشر كان تجار الموصل يتاجرون مع اورفة وطوقات وارضروم وقيساري واورفة[٥].

٧- صلة حلب

ما زالت حلب في القرن الثامن عشر احدى المخازن الرئيسية للمنتجات الاوربية المتجهة لسورية والعراق وكذلك للبضائع العثمانية المتجهة الى اوروبا. ونحو بداية القرن التاسع عشر وعلى الرغم من تنامي تجارة دمشق وبيروت وموانئ اناضولية و من الهبوط العام لتجارة البحر الابيض المتوسط بسبب الحروب الانكلو-فرنسية، بقيت حلب الطرف النهائي الرئيسي لتجارة الموصل مع اوروبا. وفي اوائل الفترة العثمانية كانت الموصل ترسل عادة كميات كبيرة من العفص وشعر الماعز والاقمشة الى حلب عبر عانة والصحراء السورية، وكذلك عبر اورفة وديار بكر[٦] وفي القرن الثامن عشر كانت القهوة التي تجلب من البصرة تسلك طريقها الى حلب عبر الموصل. وبقي العفص وشعر الماعز سلعتين تجاريتين مهمتين، ولكن القماش أخذ يصبغ وينقش فقط في الموصل، بعد استيراده اولاً من الهند[٧].

كانت صلة حلب قوية نوعاً ما وكان لبعض التجار المواصلة وكلاء تجاريون في المدينة السورية[٨] وبعد سقوط الجليليين استمرت الموصل بارسال العفص والصوف الى حلب[٩] لكن الاطراف النهائية اصبحت اكثر تنوعاً. ولذلك ارسلت شركة رسام في الموصل عام١٨٤٤م ٢١ حملاً من العفص الى حلب، و٢٨ حملاً الى صمصوم* و ١٨ رزمة من الصوف الى ازمير[١٠] وبعد بضعة اشهر ارسلت الشركة نفسها ٩٠ حمل-

---

(١) آر. بوكوك، وصف للشرق (لندن، ١٧٤٥)، جزء٢، ص١٦١؛ بغداد، ص١١٢؛ راوولف، ص٢٠٥؛ بايندر، صفحات ٢٢٩، ٢٣٤-٢٣٥؛ لايارد، جزء١، ١٦٧؛ فيرير-سوفبوف، جزء٢، ٢٠٨؛ دوبري، جزء١، ٧٢؛ بادجر، جزء١، ٢٣.

(٢) دوبري، جزء١، ٤٢-٤٤.

(٣) يذكرها بوكوك، جزء٢، ١٦٢.

(٤) كامبل، ص١٣١.

(٥)غرائب، صفحات ٥٢، ١٠٠؛ فيريرسوفبوف، جزء٢، ٢٠٤؛ دوبري، جزء١، ٤٢-٤٤؛ سيستيني، ص٥٣؛ باورينغ، ص٤٥.

(٦) تيريزا، صفحات ٨٦، ٨٨، ٩٩؛ تافرنيه، جزء١، ١٥١-١٥٢.

(٧)غرائب، ٦١؛ سيستيني، ص١٤٩؛ نيبور، جزء٢، ٢٩٦، ٣٠٣؛ باورينغ، صفحات ٣١-٣٢؛ بادجر، جزء١، ٧٨-٨٠؛ اوليفييه، جزء٤، ٢٧٣.

(٨) بكنغهام، ص٣. يكتب باورينغ قائلاً: كان هنالك حوالي ٢٥ تاجراً موصلياً ينجر مع حلب برأسمال قدره ١٧٠,٠٠٠ الى ٢٠٠,٠٠٠ دولار، وانهم كانوا اغنى تجار ما بين النهرين (ص٤٤).

(٩) اف او (وزارة الخارجية) ٢٢٨/١٩٥، رسام الى كننغهام، الموصل، ٢٨ حزيران ١٨٤٥.

*هكذا يوردها المؤلف بينما يذكرها الاطلس التخطيطي (بارثوليمبو١٩٤٤) سمسون (المترجم)

(١٠) اف او (وزارة الخارجية) ٢٢٨/١٩٥، رسام الى كننغهام، الموصل، ٢٩ تشرين الثاني، ١٨٤٤.

بعير من العفص والصوف اليها[١] وفي الاربعينات من القرن التاسع عشر كان التجار البريطانيون المقيمون في الموصل يعبرون عن املهم بشمول عانة في ولاية الموصل، على الارجح بسبب الاهمية المتنامية لدمشق وبيروت والفرصة المفقودة التي عانتها الموصل[٢]

لقد استوردت الموصل من حلب كل انواع المنتجات الاوربية كالجوخ وقماش الكتان، والنيلة[٣] والورق، والزجاج، والاواني الحديدية، والاطلس، والقبعات والادوات المعدنية[٤] اما المنتجات الحلبية فكان الصابون اهمها اطلاقاً حيث صدرت حوالي عام ١٨٠٠ الى الموصل وحدها ٣٢٠ قنطاراً في السنة[٥].

وخلال النصف الاول من القرن التاسع عشر تغيرت طبيعة التجارة، بتزايد مستوردات خيوط القطن البريطانية، والاقمشة الملونة والاشوال القطنية الاوربية، بينما كانت عائدات الموصل الرئيسية تردها من العفص والصوف والنقد[٦].

٤-الخاتمة

كان التحول في طبيعة الصادرات والواردات الموصلية طيلة الفترة الجليلية مطابقاً لنمط التبادلات التي تتم ضمن نوع الاقتصاد المعروف بالاقتصاد الإستعماري، ذلك بان الصادرات التي يتداولها تجار الموصل اصبحت بصورة بطيئة ولكن اكيدة، مقصورة على المواد الخام..العفص والصوف..بينما انخفضت صادرات المنتجات الموصلية. وفي الوقت نفسه تزايدت بسرعة واردات البضائع الاوربية المصنعة واستطاعت ان تزيح صناعات محلية، كالاقمشة القطنية بوجه خاص[٧] وليس لنا ان ننكر ان هذا النمط من المبادلات وضع البنية الاجتماعية الموصلية في موقع التبعية الاقتصادية كما لا ننكر ان الواردات للبضائع الاجنبية المصنعة سددت ضربة قاسية لصناعات محلية تقليدية معينة مع ذلك وعلى الرغم من هذه الصورة الكالحة، ما يزال المرء يواجه حقيقة متساوية لا يمكن انكارها وهي ان الموصل شهدت طيلة الفترة الجليلية توسعاً في الحياة الحضرية يتنافر مع أي افقار للمجتمع. وهذه الملاحظة تستدعي فحصاً دقيقاً للبنية الاجتماعية قيد الدرس، وهو فحص يقع خارج نطاق الطموحات المتواضعة لهذه الدراسة التي ستتوقف عند اقتراح اتجاهات ممكنة للبحث.

ان الحقيقة الساطعة الاولى هي ان معظم الصادرات الموصلية قبيل الهيمنة الاوربية بزمن طويل تتألف من مواد خام. فضلاً عن ذلك فان هذه المواد الخام–والفائض الذي تولده..لم تنشأ في البنية الاجتماعية الموصلية نفسها ولكن في البيئات المجاورة حيث تجمعت ومن ثم نقلت من قبل تجار الموصل. وهكذا يصبح

---

(١) اف او (وزارة الخارجية) ٢٢٨/١٩٥، رسام الى كننغهام، الموصل، ٣ آيار ١٨٤٥. ان هذه الارقام لا تمثل مجموع انشطة اعمال الشركة، لكنها توضح التنويع في الاطراف النهائية.

(٢) اف او (وزارة الخارجية) ٢٢٨/١٩٥، رسام الى كننغهام، الموصل، ٤آيار ١٨٤٦.

(٣) انخفضت مستوردات النيلة من حلب بقدر كبير في النصف الثاني من القرن الثامن عشرالميلادي. انظر ص٦٩ سابقاً.

(٤) غرائب، ص٥٥؛ لانزا، ص١٤؛ روسو، بغداد، ص٩١؛ سيستيني، ص١٤٩؛ باورينغ، ص٣٨.

(٥) روسو، "حلب"، ص٩٧. انظر ايضاً باورينغ، ص٨٣.

(٦) باورينغ، صفحات ٣٦-٣٧، ٤٤.

(٧) **انظر الملحق رقم ٣.**

جلياً ان التوسع والانحطاط الاقتصادي كانا متلازمين الى حد بعيد باسلوب ارتباط الفائض اكثر منه مع أي اسلوب لانتاج الفائض او مع وضع القوى الانتاجية المحلية. ثانياً يبدو ان واردات المنتجات الاوربية المصنعة لم تحدث انحطاطاً عاماً في الحرف الموصلية بقدر ما حثت على اعادة توجيه هذه الحرف واعانتها لكي تتكيف مع الظروف الجديدة وكذلك مع هيمنة رأس مال التاجر المحلي–وليس الاجنبي بعد. من هنا وحتى القرن الثامن عشر انتجت الموصل وباعت الاقمشة القطنية كمنتوج مصنع. ومن نهاية القرن الثامن عشر وما بعد، سددت الواردات الهندية والاوربية الرخيصة من الاقمشة القطنية. ضربة لصناعات الغزل والنسيج المحلية. ومع ان الارقام لم تتيسر لنا، بيد ان من الافضل ان ننظر الى الانحطاط الذي تلا بمعايير نسبية اكثر منه معايير مطلقة، وذلك يعني ان حصة الموصل من اجمالي عائدات السوق قد انخفضت ولكن في وقت كان هذا السوق متجهاً للتوسع. وكانت هذه الواردات نفسها من الاقمشة القطنية الرخيصة التي نافست صناعات الغزل والنسيج المحلية، تحدث نمواً في حرف الصباغة والطباعة والتطريز تحت رعاية رأسمال التاجر المحلي.

و اعتمدت ثروات الموصل دائماً على قدرتها في اجتذاب الفائض المنتج في بيئات اجتماعية اخرى قد تكون احياناً بعيدة، والذريعة العامة المطروحة القائلة بان اوربا سددت ضربة عنيفة للقوى المنتجة هي بطريقة او باخرى غير واردة. واسباب انحطاط الموصل الاقتصادي منها ما يرجع ذلك الى الهيمنة الاوربية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر يجب البحث عنها في مكان آخر. فلعدة قرون كان رأسمال التاجر مهيمناً على القوى المنتجة للبنية الاجتماعية الموصلية، ودراسة ديناميكية رأسمال التاجر هذا فقط يستطيع ان يعيننا على فهم تطور البنية الاجتماعية الموصلية. ففي العصور الوسطى يبدو ان تجار الموصل ذهبوا بعيداً حتى البندقية بحثاً عن اسواق للتوابل والموسلين الذي ينقلونه[1] مع ذلك فان رؤية تجار الموصل في بلاد بعيدة لم يكن امراً مألوفاً اذ كانت الموصل بعيدة جداً عن البحر والمحيط لكي تلعب الدور الحقيقي لدولة المدينة. لذا فمنذ البداية رسم الموقع الجغرافي للموصل..وهو مربح من عدة وجوه..طموحات القوى المنتجة ومستقبلها في اللحظة نفسها التي كان يحدد فيها تطلعات رأسمالها التجاري. ان التفاعل بين الموقع الجغرافي ورأسمال التاجر والقوى المنتجة يبدو اساسياً لفهم طبيعة البنية الاجتماعية للموصل. والآن عندما نأخذ في نظر الاعتبار التركيب السياسي والاقتصادي الاعرض الذي شمل الموصل تحت حكم الجليليين، علينا ان نعترف بان الامبراطورية العثمانية، حتى في اوج عظمتها، سيطرت على طرق تجارية بحرية محدودة جداً. وبأكثر من طريقة واحدة، كان مستقبل القوى المنتجة العثمانية قد "قضي امره" قبل توسع الامتيازات الاجنبية، وقبل البراءات، وقبل مصانع لانكشاير، وقبل تحول التجارة العالمية عن البحر الابيض المتوسط، وعن الخليج العربي وعن السيطرة العثمانية، بغياب اية "ارادة" (رغبة سواء فكرية او مؤسساتية) للتجارة الدولية او للسيطرة على طرق التجارة الدولية من اجل التوسع التجاري. ويبدو ان المسألة لا تكمن في حقيقة ان التجار الاوربيين كانوا يثبتون انفسهم في الموانئ العثمانية ولا في سيطرة القوى الاوربية على الطرق الكبرى للتجارة. بل في حقيقة ان وضعاً كهذا لم يشكل مسألة بقدر ما يتعلق الامر بالدولة العثمانية او بوجهة النظر العثمانية للعالم. والاكثر اهمية من ذلك بكثير ان السلطات العثمانية نفسياً لم تعتبر ذلك تهديداً، بينما كانت حساسة جداً لقضايا اخرى تشمل الاوربيين (الحرب والتهديد العسكري، العلاقات بين اهل الذمة واوربا، الخ..). وبقدر ما يتعلق الامر بالموصل فان دينامية رأسمالها التجاري تأثرت بالتأكيد بهذا التفكك بين الدولة

---

(١) فييه، "الموصل قبل عام ١٩١٥"، صفحات ٣٣-٣٤.

والولاية، وبين الولاية والولاية. وهذه "التجزئة وتعارض الارادات والرغبات هي ما حدد سلفاً مدى ثروات الموصل التجارية[١]، وضمن هذه الاطر بقي تجار الموصل نشطين في الامبراطورية العثمانية وفارس. وفي القرن السادس عشر غامر عدد قليل جداً من التجار الاوربيين فيما وراء حلب الى ما بين النهرين[٢]، وفي القرن السابع عشر تعامل تجار الموصل بصورة منتظمة مع فارس[٣] ومحلياً اكثر، هيمن رأس المال التجاري الموصلي على المبادلات حتى القرن التاسع عشر: العفص وشعر الماعز من كردستان، والملح وصوف الاغنام من الصحراء. وكما لاحظ نيبور[٤]:(نص باللغة الفرنسية في الاطروحة الاصلية ص ٧٤)

مع ذلك فبحلول بداية القرن التاسع عشر، بدأت هذه التجارة تفلت من رأس المال التجاري الموصلي وللأسباب الاتية:

اولاً: فقدان الامن في الصحراء اضطر التجارة ان تعتمد بازدياد على البدو في النقل والحماية. ومع انتشار الامن في الصحراء وجبال كردستان، واستقرار القناصل والتجار الاوربيين في الموصل، تعددت البراءات، وانفتحت تجارة العفص والصوف لرأس المال التجاري الاجنبي. وفي عام ١٨٤٥، كان التجار البريطانيون في الموصل يتعاملون، مباشرة او من خلال محمييهم الذميين، مع العمادية، والسليمانية وراوندوز، وحتى مع بدو الصحراء الذين يشترون منهم الصوف، ويقترضون منهم النقود[٥].

ثانياً : كانت الصناعات الاوربية ومن ورائها رأس المال التجاري الاوربي، المدعوم من قبل الدول الاوربية، هي التي شلت البنية الاجتماعية الموصلية بمنافسة محركها الحيوي المتمثل برأس المال التجاري المحلي.

ثالثاً : ولأن رأس المال هذا محدود مسبقاً ومنذ زمن بعيد بالسيطرة الاجنبية على بعض طرق التجارة العالمية فان رأس المال التجاري المحلي فقد بالتدريج الطرق العثمانية، ومن ثم الطرق المحلية للتجار الاجانب الذين، وبما يدعو الى السخرية، راحوا يستفيدون من امتداد الامن من خلال اخضاع الدولة العثمانية لعصيان الجبل وانشقاق الصحراء. واصبح النقل ووسائل النقل التجاري تحت سيطرة اوربا وفقد رأس المال التجاري الموصلي اسلوبه المتميز بالنتيجة.

---

(١) لا يعني هذا ان استفادة رأس المال التجاري المحلي من ظروف افضل كانت ستحدث بالضرورة تطوراً في القوى المنتجة المحلية. ان هذا ليس تمريناً لاعادة تركيب التاريخ، وليس هدفه الاشارة الى التوقف في اتجاه حقيقي للتطور، ولكن بالاحرى يشير الى لحظة التمزق في اتجاه كامن للتطور. واذا قيل ان الـ العامل الاحيائي المحلي قد "فشل" فان مرجع ذلك بالتأكيد الى برمجة رأس ماله التجاري وكذلك في مؤسساته الحكومية وليس في قواه المنتجة. واذ نضع المال في تعابير ليبينيزية، فان اوربا جاءت لتهيمن على البنية الاجتماعية المحلية لانها كانت اكثر "كمالاً" بمعنى ان احدنا يقدر ان يجد في اوربا البيئة التي توفر سبباً مقبولاً سلفاً لما حدث في البيئة الاجتماعية المحلية في المنطقة.

(٢) راوولف، ص١٢٣.

(٣) تافرنيه، جزء١، ١٩٢-١٩٣.

(٤) نيبور، جزء٢، ٣٠٣.

(٥) اف او (وزارة الخارجية) ٢٢٨/١٩٥، رسام الى كننغهام، الموصل، ٢تشرين ثاني ١٨٤٤ و ٣ ايار ١٨٤٥ و ١٠ آب ١٨٤٥.

الفصل الرابع

السيطرة على طرق التجارة

لا تستطيع تقنيات النقل، والاسعار، ونقل البضائع والوسطاء، ان تفسر كل شيء. اذ يجب على المرء ان يفحص فيما وراء ذلك فيتساءل عن السيطرة الفعلية على طرق التجارة. ومن كان القادر على رفع الضرائب؟ ومن كان في وضع يستطيع معه ان ينتزع منه اتاوات غير قانونية؟ ومن كان يفرد لنفسه من غير اذن القسم الاعظم من الفائض الذي ولدته التجارة؟ ان الصفحات التالية ستحاول الاجابة على هذه الاسئلة اولاً وقبل كل شيء بالنظر في المجالات الرسمية والشرعية والمعترف بها للنفوذ والسيطرة وثانياً بفحص ما وراء ذلك من المجالات الحقيقية والواقعية للنفوذ والسيطرة كما نتجت عن علاقات القوة المختلفة والمتتالية التي نشأت بين العديد من القوى التي كونت العراق في الفترة قيد الدراسة.

تزامن الحكم الجليلي في الموصل مع حكم المماليك في بغداد. ففي القرن الثامن عشر وخلال جزء كبير من القرن التاسع عشر امتد ظل هيمنة بغداد على الحياة السياسية في العراق. فقد استهل حسن باشا وولده احمد باشا الحكم المملوكي في بداية القرن الثامن عشر، وللتو توسعت الإمبراطورية المملوكية لتشمل كل العراق العثماني. واستطاع حسن باشا ان يفصل ماردين عن ولاية ديار بكر ويدخلها في ولايته وفي الوقت نفسه عين ولده وولي عهده احمد والياً على البصرة. وبذلك أمن الطريق الذي يصل الخليج العربي بالبحر الابيض المتوسط واسيا الصغرى واستطاع ان يضع الاساس لمملكة دائمة. وطيلة القرن الثامن عشر وحتى سقوطهم كان تحت سيطرة مماليك بغداد المباشرة والرسمية جميع مدن العراق من البصرة جنوباً وحتى ماردين شمالاً، ومن عانة غرباً حتى كركوك شرقاً[1]. فضلاً عن هذه الاقاليم التي اندمجت رسمياً في ولاية بغداد، فان المماليك سيطروا على كردستان الشرقية (سليمانية وكويسنجق) وامارة بهدينان الكردية الشمالية (العمادية)، كما عين المماليك الوالي ذي الطوغ او ذي الطوغين لهذه الولايات. وفي جميع العراق، فان الموصل وحدها هي التي افلتت من السيطرة الرسمية لبغداد، اذ ان واليها كان يُعَيَن مباشرة من قبل الباب العالي[2]. الا ان ضآلة الحاكمية والحضور القسري لجار تحيط اقاليمه واقعياً بالموصل من كل مكان تُبرز بوضوح علاقة خاصة بين الجليليين والمماليك.

لقد استفاد باشوات بغداد من الحروب الفارسية-العثمانية في تحقيق قدرٍ من الحكم الذاتي- وكانت حكومة قوية بزعامة قائد عسكري في بغداد تُعد عنصراً اساسياً للدفاع الناجح عن العراق. ولكن في اعقاب اخفاق طموحات نادرشاه في العراق، والاعتراف الضمني اللاحق بالحدود "الطبيعية" بين الامبراطوريتين، وشبه-استقلال الباشوات الذين اعقبوا احمد باشا زاد من اعباء الباب العالي. مع ذلك فقد برهن المماليك على انهم لا يتزحزحون، وفي عام ١٧٧٤ علق بارسنز: والي بغداد "لم يعينه السيد العظيم ولكنه عينه الاعيان المثقفون في بغداد"[3]. ان تاريخ تعزيز حكم المماليك في بغداد يدين بنفس القدر على الاقل للسياسة العثمانية ولمكائد القصر كما يدين للوضع الجغرافي السياسي للعراق. ولسوء الحظ بقي الجزء العثماني من المعادلة

---

(١) بغداد، صفحات٥٠-١١؛ نيبور، جزء٢، ٢٦٧؛ بكنغهام، ص٣٨٣؛ جيسني، جزء١، ١٠٧؛ اوتر، جزء١، ١٦٤؛ بارسونز، صفحات ١٣٤-١٣٥.

(٢) لانزا، ص١٥؛ روسو، بغداد، صفحات ٨٨-٨٩.

(٣) بارسونز، ص١٠٤.

خارج متناولنا. مع ذلك يبدو ان اصحاب المقامات الرفيعة من العثمانيين كانوا يرغبون بمشاركة الوضع القائم الذي اسسه المماليك في العراق ما دامت الجزية ترسل الى العاصمة التي كانت هي العاصمة فعلاً. وقد اكد الصراف اليهودي لسليمان باشا الكبير، للسير هارفورد جونز بريدجز ان من المليون باون ستيرليني التي تكون الدخل الاجمالي للوالي عام ١٧٨٠ يرسل حوالي ١٠% على الاقل الى الباب العالي على شكل جزية او هدايا للسلطان والاسرة العثمانية والموظفين. وعندما بعث سليمان الكبير الكتخدا علي ضد الوهابيين، كلفت الحملة الخزينة ٣٠٠,٠٠٠ باون سترليني. واخيراً حينما كان الوزير الكبير يوسف باشا يستعد للحملة المصرية ضد نابليون بونابرت ساهم سليمان باشا في مصروفات بمبلغ قدره ٥٠٠,٠٠٠ باون[١]. وهكذا يبدو ان قوة واستقرار حكم هذا الباشا العظيم يعزى جانب منه على الاقل الى المساهمات الكبيرة التي قدمها للخزينة الامبراطورية والى الصناديق الخاصة للموظفين العثمانيين في اسطنبول.

ان قوة كقوة المماليك لا يمكن للجليليين ان يتجاهلونها فقد مضت الموصل على نحو بطيء ومضطرد بالانجذاب اليهم. وقد جذبت بغداد الموصل مادياً (حيث تزاحمت عماراتها على الاسوار الجنوبية) وسياسياً ايضاً. وفي عام ١٧٥٢م/١١٦٦هـ عُين امين باشا الجليلي والياً بفضل سليمان باشا ابو ليلة والي بغداد؛ وبعد مضي اربع سنوات على ذلك قام والي بغداد بدور الوسيط بين البيوتات الجليلية المتخاصمة؛ ومن عام ١٧٦٠م حتى عام ١٧٦٨م اصبحت بغداد الى حد كبير مسؤولة عن سوء حظ آل حسين باشا الجليلي وتعيين الجليليين المتخاصمين ولاة للموصل، وفي عام ١٧٧٥م/١١٨٩هـ عهد الباب العالي الى امين باشا بن حسين باشا الجليلي مهمة ازاحة عمر باشا عن بغداد، ولكنه مات في السنة نفسها، وشارك ابنه سليمان باشا والي شهرزور آنذاك في الحملة العثمانية ذاتها ضد عمر باشا. وفي السنة التالية كان سليمان باشا والي الموصل حينئذٍ في خصام مع عبد الله باشا والي بغداد الذي استطاع ان ينتزعه من الوظيفة[٢] واحل محله المملوك حسن باشا الذي صار فيما بعد والياً لبغداد[٣]. ويبدو ان العلاقات المتوترة بين الفريقين تعود الى الزمن الذي عين فيه حسين باشا والياً على البصرة.

فقد تغيرت العلاقات بين الولايتين بمجيء سليمان باشا الكبير عام ١٧٨٠. على مدى سبع وعشرين سنة حتى اغتيال علي خليفة سليمان باشا..وقد انعكس الاستقرار النسبي لحكم المماليك في العلاقات مع الجليليين حيث كان مجيء سليمان باشا الكبير للحكم طالعاً حسناً لبيت امين باشا الجليلي، ذلك لأن تعيين سليمان باشا حاكماً لبغداد تزامن مع سفره لعاصمته من البصرة وكان لمنصبه الجديد في بغداد الفضل في سحق عصياناً قاده اعداء الوالي الكبير[٤]. وفي السنة التالية شاركت الموصل في الحملة التي شنتها بغداد ضد

---

(١) ايج. جي. بريدجز، تقرير عن صفقات بعثة صاحب الجلالة الى غرب فارس في السنوات ١٨٠٧-١٨١١ (لندن، ١٨٣٤)، جزء٢، ص١٨.

(٢) وهذا رغم المقام العظيم الذي اسبغ على ابيه امين باشا الذي اسره الروس في اوروبا الشرقية واطلق سراحه واكرمه السلطان باللقب النادر "الغازي".

(٣) عن هذه الحوادث العرضية من العلاقات الجليلية/ المملوكية، انظر: ايفز، ص ٢٨١؛ هاول، ص٦٠؛ اوتر، جزء٢، ١٨٣؛ لانزا، صفحات ٣٠-٣٤، ٥٠، ٥٤-٥٥؛ الزبدة صفحات ١٤٠-١٤٤؛ بغداد، ص١٨٨؛ المنهل(٢)، جزء ١، ١٦٧، ١٨٤؛ لونكريك، ص١٨٢.

(٤) بغداد، ص١٨٩.

الاكراد البابانية[1]، وفي عام ١٧٨٤م/١١٩٩هـ وبطلب من سليمان الكبير، ارسل سليمان باشا الجليلي اليه من الموصل ٥٠٠ تفنكجي[2]. مما يؤكد ان العلاقات بين الاسرتين كانت ودية. وفي عام ١٧٩٥م/١٢١٠هـ ذهب محمد باشا الجليلي الى بغداد بهدية ثمينة لسليمان الكبير[3]. وبعد ثلاث سنوات كان ٤٠٠ من انكشارية الموصل يقاتلون الى جانب بغداد ضد قبيلة الخزاعل؛ وفي السنة نفسها ضمن سليمان الكبير الوزارة (باشا ذي ثلاث حواشي) لمحمد باشا الجليلي[4]. وفي عام ١٨٠١م/ ١٢١٦هـ ارسل محمد باشا الجليلي الى بغداد ٥٠٠ انكشاري و ٣٠٠ طغاراً من الحنطة[5]، وكذلك سلاحاً وعتاداً، وعندما مات كتخدا محمد باشا في السنة نفسها كان سليمان الكبير هو الذي عين خليفته[6]. وفي عام ١٨٠٢م/١٢١٧هـ ارسل محمد باشا ٣٠٠ انكشارياً الى بغداد و ٢٥٠ آخرين ليمحو الوهابيين من كربلاء[7]. وعندما مات الوالي الجليلي، كان علي باشا والي بغداد هو الذي ضمن (أمّن) الولاية لنعمان باشا الجليلي[8].

ان هذه العلاقات الحميمة..القائمة على اعتراف الجليليين بسلطة بغداد وكذلك على استعدادهم لتقديم العون العسكري والمالي..انتهت اخيراً باغتيال علي باشا عام ١٨٠٧ ومجيء سليمان باشا الصغير الى الحكم[9]. وفي عام ١٨٠٨م/١٢٢٣هـ مرض نعمان باشا الجليلي واستقال من منصبه واصبح ولده يحيى متسلماً. ولكن الاوامر جاءت من بغداد لتقضي بتعيين عثمان، اخي نعمان، متسلماً. ولم يكتف سليمان الصغير بذلك بل نجح في تعيين شخصاً اخر من غير الجليليين، احمد بن بكر الموصلي، والياً على الموصل وذهب الرؤساء الجليليون الى بغداد محتجين ولكن من غير طائل فثارت الموصل تأييداً للجليليين مما دعا بغداد الى ارسال جيش لمساندة أحمد باشا.

وفي المعركة التي نشبت قتل احمد باشا وتقهقرت جنود سليمان الصغير[10]. وعين جليلي لوظيفة المتسلم ولكن سليمان الصغير لم يكن مستعداً ليتسامح فاغتصب لنفسه عشر قرى موصلية، مدعياً بأنها تعود لاربيل، واطلق العنان لجنوده فنهبوا الريف حول الموصل. وفي النهاية اعيد السلام مع الجليليين ودفع تجار الموصل له ١٠٠,٠٠٠ قرش كتعويض[11]. وفي السنة التالية لعبت الموصل والجليليون دوراً حاسماً في العمليات العسكرية التي سببت سقوط هذا الباشا[12]، وبعد سقوط سليمان الصغير، بقي الجليليون معتمدين الى

---

(١) الدر (١)، ص٦٣٣.
(٢) المصدر نفسه، ص٦٣٧.
(٣) بغداد، ١٩٣.
(٤) الدر (١)، ص٦٥٢.
(٥) يساوي الطغار حوالي ٩٠٠ باوناً.
(٦) غرائب، ص٦٠، بغداد ص١٩٧.
(٧) الدر (١)، صفحات ٦٦٥-٦٦٧.
(٨) دوبري، جزء١، ١١٨.
(٩) غرائب، ص٧٤.
(١٠) المصدر نفسه، صفحات ٨٣-٩٠.
(١١) المصدر نفسه، صفحات، ٩٥- ١٠٥.
(١٢) المصدر نفسه، صفحات ١٠٥-١٢٢.

حد كبير على ولاة بغداد[١]، حيث اصبح مصيرهم في الحقيقة مرتبطاً بمصير الاسرة المملوكية. ان اعتماداً كهذا لم يكن ليعزى فقط لقوة المماليك، ولكن ايضاً للتآكل التدريجي لقاعدة قوة الجليليين في الموصل نفسها، والى تنامي طموح العوائل الوجيهة الاخرى كالعمريين. وفي النهاية كان على المماليك والجليليين ان يستسلموا امام ضربات منجنيقات التنظيمات [أي حركة الاصلاح العثماني في القرن التاسع عشر][٢].

ان هذا العرض للعلاقات المملوكية-الجليلية يظهر ان الموصل رغم كونها مستقلة عن بغداد، فأنها كانت في الحقيقة خاضعة خضوعاً تاماً لها. وتبعاً لذلك، فان هذا يجب ان يعيننا لنوضح الحقيقة القائلة على الرغم من ان معظم العراق العثماني كان خاضعاً قانونياً لبغداد، فان فحص الاحداث التاريخية قد يكشف عن صورة مختلفة: صورة وراء الصورة الرسمية. وسوف نقوم الان بدراسة طرق التجارة الرئيسية التي وصفناها سابقاً لفهم القوى المختلفة-رسمية وغير رسمية- التي سيطرت عليها ومن خلالها سيطرت على الفائض الذي جاءت به التجارة. وبإثبات أهمية التجارة وطرق التجارة في الصفحات السابقة سوف نتخذ طريقنا لفهم التاريخ السياسي للولايات العراقية في الإمبراطورية العثمانية كما كانت تدور حول محور التجارة وعلى طول طرق المواصلات.

١- الطريق الذي يربط الموصل بسوريا عبر الصحراء السورية:

ان هذا الطريق وهو الأسرع يمر بالحضر وعانة على الفرات قبل ان يدخل الصحراء السورية. وقد استخدمه التجار المواصلة غالباً ذاهبين الى دمشق وطرابلس وحلب في القرن السابع عشر[٣]. ولكن بحلول القرن الثامن عشر-وبغض النظر عن الجزء السوري من الرحلة-اصبح قسم الصحراء الممتد بين الموصل وعانة غير آمن، وتوقفت التجارة مع سوريا كلياً. وحتى اواخر عشرينات القرن التاسع عشر، كانت القبائل ما تزال مسيطرة مما جعل تجار الموصل يتخلون عن تجارة الملح لهم[٤]. وفي نهاية الفترة الجليلية كان الاندفاع الشمالي لقبيلة (عنزة) ما يزال يربك او يثير الفوضى في نمط الحياة القبلية في المنطقة، مسبباً اضطرابات اضافية[٥].

٢- شبكة الطرق التي تربط الموصل بسوريا عبر اعالي ما بين النهرين

أ- الموصل-نصيبين-ماردين-ديار بكر-اورفه-بير

كان هذا الطريق مرغوباً دائماً، اذ ان المدن العديدة الواقعة عليه اعانت التجار لكي يمارسوا التجارة المحلية في الوقت نفسه الذي كانوا فيه ينقلون البضاعة الى حلب والساحل السوري والقوافل القاصدة اعالي ما بين النهرين وسوريا تتجمع خارج الاسوار الجنوبية للمدينة حيث يدفعون رسوم الكمرك[٦]. وفي عام ١٧٧٥م كان يدفع لكل حمل بعير يدخل المدينة ١٠ قروش عن الحرير والقماش و٧,٥ قرشاً عن القهوة و ٣/٢، ٦

---

(١) المصدر نفسه، ص١٢٥.

(٢) كروفز، صفحات، ١٢٥، ١٣٩، ١٩٥، ٢٥٧، ٢٧٥. انظر ايضاً، رؤوف، صفحات ١٥١- ١٥٦.

(٣) تبريزا، ص٨٦.

(٤) اينزورث، القصة، جزء٢، ٣١٩؛ ريج، جزء٢، ١١٠.

(٥) ولبول، جزء١، ٣٢٦-٣٢٨.

(٦) ايفز، ص٣٢١.

قرشاً عن التوابل[١]. ولان قسماً كبيراً من هذه السلع يعاد تصديره، فان عليها ان تدفع رسماً آخر قبل مغادرتها الموصل. وفي عام ١٨٤٥ كانت الرسوم على البضائع المحلية والعراقية ١٠% للمستوردات و ٣% للصادرات، وبعض السلع-غير المحددة- تدفع الى حد ١٨%[٢]. وفي عام ١٨٣٨ كان النحاس والحديد والرصاص والصابون والفلفل، والفلفل الحلو القادم من حلب يدفع ١٠٠ قرش عن الحمل و ٢,٥% على المبلغ عند الوصول الى الموصل، بينما تدفع كل البضائع الاخرى القادمة من حلب ٢٠٠ قرش عن الحمل و ٢,٥% على مبلغ الوصل[٣]. ان الارقام من الندرة بمكان حتى لاعطاء فكرة غامضة عن الدخل الاجمالي للكمارك، ولكن دوبري كتب في مطلع القرن التاسع عشر يقول ان واردات الكمارك شكلت اكبر مصدر للدخل لوالي الموصل[٤]. وكمؤشر على تنامي أهمية تجارة المواد الغذائية..القهوة والتوابل..فان ضريبة جديدة قدرها زلطة[*] واحدة لكل من من القهوة فرضت في عام ١٧٩٥م/١٢١٠هـ[٥]؛ وفي عام ١٨٠٨م/١٢٢٣هـ فصل نعمان باشا المواد الغذائية عن جميع السلع الاخرى وخصص لها كمركاً خاصاً بها[٦].

١- الموصل- نصيبين:

بعد دفع الرسوم الكمركية قبل مغادرة الموصل، تذهب القافلة الى نصيبين التي كانت تحت سيطرة بغداد [وتحكم من قبل ويودة (أي حاكم) ماردين]. وهنا ايضاً يجب دفع الرسوم وعلى القوافل الكبيرة ان تبقى في نصيبين ثلاثة او اربعة ايام[٧]. وقبل الوصول الى نصيبين فان على القافلة ان تمر عبر "منطقة" اليزيدية الذين يعيشون في جبل سنجار. وفي عام ١٥٧٥ كتب راوولف قائلاً ان الطريق بين الموصل ونصيبين كان غير آمن[٨]. وفي الحقيقة ان الوضع لم يتبدل في الفترة الجليلية كما توضح ذلك تقارير العديد من الرحالة الذين زاروا المنطقة[٩]. في عام ١٧٧٧م/١١٩١هـ سرق اليزيدية بعض قطعان الماشية التي تملكها الموصل؛ وفي عام ١٧٨١م/١١٩٦هـ بلغ الوضع غير الآمن حداً بحيث ان مبشرين اختطفا على بعد ميل واحد من المدينة؛ وفي عام ١٧٨٥م/١٢٠٠هـ قتل السنجاريون والي الموصل الذي قاد حملة تأديبية ضدهم؛ وفي عام ١٧٨٨م/١٢٠٣هـ أغاروا على ضواحي الموصل؛ وبعد ذلك بثلاث سنوات كمنوا للساعي الإمبراطوري

---

(١) نيبور، جزء٢، ٢٨٧.

(٢) اف او (وزارة الخارجية) ١٩٥/٢٢٨، رسام الى كننغهام، الموصل، ٢٧ آيار ١٨٤٥.

(٣) باورينغ، ص٤٥.

(٤) دوبري، جزء١، ١١٩. في عام١٨٤٥ بلغت واردات الكمارك من البضائع المحلية والعراقية فقط، ١٠% من مجموع الواردات الاجمالية للوالي (انظر اف او ١٩٥/٢٢٨ رسام الى كننغهام، الموصل، ٢٧ آيار ١٨٤٥).

(*) عملة فضية عثمانية تُعرف باسم القرش الزولط ايضاً. وقد سُكّتْ لاول مرة في سنة ١١٠٦هـ/١٦٩٤م. وكانت تعادل ٩٠ اقجة عثمانية.

(٥) غرائب، ٤٠؛ الدر (١)، ص٦٤٦. المن الواحد يساوي ١٨ باوناً، والزلطة تساوي ٠,٧٥ قرشاً.

(٦) المصدر نفسه، ص٨٢.

(٧) ايفز، ص٣٣٧؛ نيبور، جزء٢، ٣٠٥، ٣٠٩؛ سيستيني، ص١٢١؛ اوتر، جزء٢، ٢٦٤-٢٦٥؛ اوليفيه، جزء٤، ٢٤٩.

(٨) راوولف، ص٢٠٦.

(٩) ومن بين الآخرين انظر اوليفيه، جزء٤، ٢٣٧؛ ميرزا، جزء٢، ٢٧٧-٢٧٩؛ بكنغهام صفحات ١١٦-١١٧؛ كينير، صفحات ٤٣٣-٤٣٦؛ روسو، بغداد، صفحات: ٩، ٩٤، ٩٨.

وسرقوا منه ستة أحمال من البضائع، تعود ملكيتها لتجار الموصل، والتي كان يقوم بنقلها وكانت قيمتها تقدر بـ٥٠٠ كيس؛ وفي السنة نفسها أغاروا على بعض القرى قرب نصيبين وعادوا بغنائمهم الى جبلهم؛ وفي عام ١٧٩٩م/١٢١٤هـ قتلوا الساعي الإمبراطوري الذي كان يحمل هدية من الباشا في بغداد الى الصدر الاعظم في اسطنبول؛ وفي عام ١٨٠٠م/١٢١٥هـ نهبوا قافلتين واخذوا بضاعة قيمتها ٧٠٠,٠٠٠ قرش؛ وفي السنة التالية اغاروا على قبيلة "صديقة" وهم الحديديون قرب الموصل. واخذوا ٤٠٠٠ رأس غنم؛ وفي عام ١٨٠٢م/١٢١٧هـ هاجموا قافلة في طريقها الى حلب ونهبوا قسماً منها-وبعد ذلك اضطرت القافلة للعودة الى الموصل؛ وفي عام ١٨٠٨م/١٢٢٣هـ اغاروا على بعض المطايا، التي تعود ملكيتها للموصل، والتي كانت في طريق عودتها من مراعيها قرب نصيبين؛ وبعد ذلك بسنتين نهبوا قافلة حلب قرب ماردين واخذوا بضائع يقدر ثمنها بـ ١٠٠,٠٠٠ قرش باستثناء الجمال والخيل والبغال[١]. واستمر السنجاريون بسلبهم ونهبهم طيلة الفترة الجليلية ولم تكسر شوكتهم الا في الثلاثينات من عام ١٨٣٠ حيث اخضعوا في النهاية من قبل السلطات الحضرية وحطمت قوتهم، في عام ١٨٤٠ كانوا يدفعون الجزية لوالي الموصل[٢]. ويستطيع المرء ان يدرك من هذه القائمة الطويلة للسلب المستمر ان السلطات الموصلية لم تكن قادرة على ضمان المرور الآمن للتجارة بين الموصل ونصيبين[٣]. وكبديل للنهب، يستطيع التجار ان يقدموا هدايا للشيوخ السنجاريين ويدفعوا إتاوة تتناسب مع قيمة البضائع التي ينقلونها[٤]. وهكذا من خلال السلب "والضرائب غير الرسمية" استطاع سكان جبل سنجار ان يفردوا لأنفسهم نصيباً من فائض التجارة. ورغم انها لم تكن قادرة على منع الهجمات اليزيدية الا ان السلطات الحضرية انتقمت بتنظيم حملات تأديبية ضد الجبل. ففي عام ١٧٥٢م/١١٦٦هـ اغار والي بغداد على جبل سنجار وقتل كثيراً من اليزيدية؛ وفي عام ١٧٦٣م/١١٧٧هـ وعام ١٧٦٥م/١١٧٩هـ هاجم امين باشا الجليلي الجبل وعاد الى الموصل برؤوس اليزيدية محمولة على الرماح؛ وفي عام ١٧٦٧م/١١٨١هـ ارسل ولده الذي انتزع ٨٠٠ رأس غنم من السنجاريين؛ وفي عام ١٧٧٣م/١١٨٧هـ اغار سليمان باشا الجليلي على الجبل ونهب الاغنام؛ وفي عام ١٧٧٩م/١١٩٣هـ نهب الموصليون محاصيل اليزيدية؛ وفي عام ١٧٩٢م/١٢٩٧هـ هاجم الموصليون جبل سنجار قبيل موسم الحصاد وعادوا الى الموصل بالمحاصيل وكذلك قطعان الماشية؛ وفي السنة التالية اغاروا على الجبل ايضاً وقبيل الحصاد؛ وفي عام ١٧٩٤م/١٢٠٩هـ ارسل باشا الموصل بعض العسكر لحماية الطريق: فقتلوا ١٣ سنجارياً وارسلوا رؤوسهم الى بغداد؛ وفي عام ١٨٠٠م/١٢١٥هـ شن والي اورفه، نيابة عن بغداد، هجوماً على اليزيدية الذين كانوا قد سلبوا للتو قافلة، وارغموهم على اعادة ٣٠ مطية وجزء من النقود المسروقة، وارسلت كلها الى بغداد؛ وفي عام ١٨٠٢م/١٢١٧هـ شن والي بغداد حملة كبرى ضد الجبل: وفي طريقه هاجم قبيلتين صغيرتين وغنم

---

(١) الدر (١)، صفحات، ٦٣٧، ٦٦٥؛ غرائب، صفحات، ١٤، ٢٥-٢٦، ٥٥، ٥٨، ٦١، ٨٠، ١٢١،؛ الزبدة، صفحات ١٦٩-١٧٠؛ بغداد، صفحات، ١٩٠، ٣٣٢،١٩٥؛ سيستيني، ص١٤١. الكيس يساوي ٥٠٠ قرش.

(٢) لايارد، جزء١، ٣١٠؛ اينزورث، الرحلات، جزء٢، ١١٨. س س س (الموصل)، جزء١، بوتا الى كينرد، بلا تاريخ (أي أي ٥ شباط ١٨٤٣).

(٣) نيبور (جزء٢، ٣١٥) واوتر (جزء٢، ٢٥٥) كتبا "رغم ان سنجار كانت مسؤولية الموصل، الا ان السلطات كانت اضعف من ان تأخذ قراراً حاسماً".

(٤) اوليفيه، جزء٤، ٢٥٠-٢٥٤.

بعض الاغنام وحوالي ٣٠٠ رأس جاموس، وبعد ذلك حاصر جبل سنجار ودمر بعض القرى وحرق المحاصيل واقتلع الاشجار؛ وفي عام ١٨٠٩م/١٢٢٤هـ اغار عسكر بغداد على الجبل تارة اخرى سالبين ومدمرين[١].

هذه هي الصورة التي رسمها السنجاريون خلال فترة تقرب من ٦٠ سنة وغطاها المؤرخ الموصلي ياسين العمري. ولاجل الحد من انشطة السنجاريين على الجزء من الطريق الممتد بين الموصل ونصيبين، اضطرت السلطات ان تعتمد على البدو، وبالذات على الطائيين الذين شاركوا في معظم الحملات التأديبية ضد الجبل. ولم تقف علاقة الطائيين بالتجارة عند ذلك الحد: فقد ذكر نيبور ان قافلة ذات ٢٠٠٠حمل رافقها ٣٠٠ مقاتل طائي، وكان عليها ان تعطي شيخهم حملاً من القهوة، وكمية معينة من التبغ والرز والزبد و ٣٠ عباءة؛ وفوق كل كذلك فان على القوافل المتجهة نحو نصيبين ان تدفع للطائيين "الحقوق العادية للمرور".. الرسوم العادية، كمؤشر على دوام ذلك التنظيم[٢]. وفي القرن التاسع عشر اعفيت طي من دفع الاتاوة لانها وفرت للقوافل الحرس الضروري ضد السنجاريين[٣]، وكتب كينير يقول "ان طي كانوا خاضعين اسمياً لباشا بغداد ولكنهم كانوا في الحقيقة سادة القطر كله بين نصيبين والموصل، وتحت قناع منحهم الحراسة الآمنة عبر الصحراء، فرضوا ضريبة على جميع القوافل التي تمر بالقرب منهم"[٤]. واخيراً أعطى والي بغداد نصيبين الى امير طي[٥]. وبأكثر من طريقة واحدة تمكنت طي ايضاً ان تتغذى على فائض التجارة ومن المثير للاهتمام ان نلاحظ في اوائل القرن الثامن عشر ان الجليليين، كوجهاء موصليين، كانوا على اتصال حميم مع طي، وغالباً ما حذروا القبيلة متى ما تهيأ الوالي غير الجليلي لشن حملة ضدهم[٦]. وفي أواخر القرن الثامن عشر يبدو ان هذه العلاقة الخاصة وصلت نهايتها، على الارجح كنتيجة للضغوط البغدادية. وبحلول عام ١٨١٤ حلت قبيلة شمر التي تحركت شمالاً وازاحت العبيد وطي، فيما يبدو محل طي حرساً للمسافرين على الطرق الغربية[٧].

ولنستعيد باختصار ان نمط تصريف فائض التجارة على طريق نصيبين، الموصل كان كما يلي: رسم يدفع لوالي الموصل عند المغادرة وآخر عند الوصول؛ ورسم يدفع في نصيبين فيذهب قسم منه الى طي والقسم الآخر الى سيدهم والي بغداد؛ وبين هذين اتاوة تدفع للحرس البدو وضريبة اخرى تفرضها طي عند قاصي كوبري. وفي القرن التاسع عشر حلت قبيلة شمر محل طي على الاقل على الطرق الغربية ولو ان مدى نفوذهم الى الشمال لم يكن معروفاً. وفي اوقات فقدان الامن فان على القوافل ان تدفع لليزيدية ايضاً

---

(١) الاخبار، من ٥/١٧٥؛ غرائب، صفحات: ٣١، ٣٣، ٣٥، ٥٥-٥٦، ٨٨؛ بغداد، ص٢٠٢. الدر(١)، صفحات: ٦١٠-٦١١، ٦٢١، ٦٣٠؛ الزبدة، صفحات: ١٠٨، ١٢٤، ١٢٥، ١٣٧، ١٤٧.

(٢) نيبور، جزء٢، ٣٠٤، ٣١١.

(٣) روسو، بغداد، ص٩٤.

(٤) كينير، ص٤٤٤.

(٥) دوبري، جزء١، ص٨٧.

(٦) انظر على سبيل المثال الدر(٢)، من ٣٣٦-

(٧) المراسلات القنصلية والتجارية (بغداد، جزء٤)، ص٣٧٤، يقتبسها ت. نيفن هويس، المماليك والشيوخ الكبار. الانظمة السياسية في نقطة بداية التاريخ العراقي الحديث١٧٨٠-١٨٣١، كتاب على وشك الصدور.

لتماشي السلب والنهب، وان ذلك لم يعف القوافل من الدفع الى الحرس البدو العاجزين انواع الاتاوات. وفي الغالب وبعد هجوم على احدى القوافل فان السلطات تقوم بحملات تأديبية ضد الفريق المغير او ضد مجموعة شريكة له. وهكذا تسترد السلطات..نقداً او بضاعة او ماشية..اجزاء على الاقل من قيمة البضاعة المسلوبة من القافلة. ومع ذلك فان النقود التي تسترجع من قطاع الطرق نادراً ما تعود الى التجار المنهوبين لان السلطات التي شنت الحملة على الموصل او طي كانت تغتصب لنفسها تارة واخرى حصة من فائض التجارة بطريق عملية نهب مضادة. والشيء الوحيد الذي يمنع الخسارة الكاملة بقدر ما يتعلق الامر بتجار الموصل هو الرابطة الحميمة بينهم وبين الاسرة الحاكمة. ولأن الموصل كانت تحكم من قبل اسرة محلية فان الفائض الذي كان يعود في الاساس للتجار الموصليين او غير الموصليين يتخذ سبيله الى المدينة ويستثمر فيها. ومهما كانت الطريقة الفعلية لاعادة توزيع الثروة المنتزعة من اليزيدية (بين طي، والباشا وعسكره، والانكشارية، والتجار المحليين) فانها لحقيقة ان هذا الاغتصاب، مهما كان استثنائياً ونادراً ما زال يشكل ربحاً خالصاً للمدينة. ويمكن ان نرى ان العلاقات العدائية بين الموصل ويزيدية جبل سنجار لم تكن مضرة دائماً للموصل كبنية اجتماعية استفادت في المناسبات من انتزاع ثروة تولدت في بنى اجتماعية اخرى. والشيء الاكيد ان هذه العملية العنيفة من الانتزاع واعادة الانتزاع اثرت بصورة حادة في اعادة توزيع الثروة وتدفق رأسي المال السريع، وتبقى دراستها خارج نطاقات طموحات هذا البحث[1]. ويبدو ان المشكلة بدأت، بقدر ما يتعلق الامر بالموصل، عندما أصبحت طي تعتمد على باشوات بغداد الى حد كبير، ولا سيما عند نهاية القرن الثامن عشر اذ بدأت بغداد تلعب دوراً مهيمناً في حفظ النظام في المنطقة. وكنتيجة لذلك تبدل نمط تصريف الفائض وتحول بازدياد طريق الفائض نحو بغداد فما شكل خسارة للموصل.

٢ – نصيبين–ماردين:

كان والي ماردين حتى بداية القرن الثامن عشر، يعين مباشرة من قبل الباب العالي[2]، ثم حسن باشا والي بغداد بإدخال هذه المدينة ضمن ممتلكاته وبقيت خاضعة لبغداد حتى سقوط السلالة المملوكية[3]. وفي ماردين كانت تفرض ضريبة على جميع البضائع المارة، وكان المستفيد والي بغداد في القرن الثامن عشر وتحت قيادة جديدة انتشر أكراد المللي جنوباً باتجاه نهر دجلة وافسدوا نمط الحياة القبلية حول ماردين[4]. وفي عام ١٧٧٥ قدر نيبور عدد خيامهم بـ ١١,٠٠٠ خيمة، بينما كتب بكنغهام في القرن التاسع عشر عن ٥٠,٠٠٠ خيمة انتشرت بين جبال طوروس شمالاً، والصحراء الكبرى (جنوباً) والبحر غرباً وماردين

---

(١) يكشف سيستيني عن الاساس المنطقي وراء الحملات العسكرية ضد القبائل: (أ) يهيء الباشا الاستعدادات الضرورية وينتظر قدوم الرسول من القبيلة "المذنبة" حاملاً معه اخبار خضوعها ووعدها بدفع الاتاوة؛ (ب)واذا لم ينجح هذا التهديد، يغادر الباشا المدينة على رأس جنده، وعلى الاغلب تدفع الاتاوة بدون معركة؛ (ج) واذا نشبت المعركة وانتصر الباشا تشكل غنيمة الحرب نوعاً من الاتاوة (انظر سيستيني، ص٢٦٠).

(٢) نيبور، جزء٢، ٢٥٤.

(٣) فيرير–سوفبوف، جزء٢، ٢٠٤؛ اوتر، جزء٢، ٢٦٧؛ آيفز، ص٣٤٠، هود،ص ٢٥؛ ساوث كيت، جزء٢، ٢٨٥–٢٨٦.

(٤) حوراني، "الهلال الخصيب"، ص٩٦.

شرقاً[1]، بينما يورد سيستيني عدد ١٠,٠٠٠ شخص على الارجح للمنطقة الواقعة بين ماردين واورفه على طول طريق التجارة[2]. وقد استخدم ولاة بغداد هذه القوة الجديدة لكي يمارسوا ضغطاً على طي وجلبهم تحت سيطرتهم المباشرة[3]. ويبدو انهم قد افلحوا في ذلك المسعى، اذ راحت طي بصورة متزايدة تدور في فلك القيادة في بغداد. ان العلاقات بين بغداد وهذه القوة القبلية الجديدة، المليين، لم تكن هادئة دائماً. وفي عام ١٧٩٠م/١٢٠٥هـ حرض سلوكهم الجامح بغداد على الزحف ضدهم: فهرب المليّون فاقدين ١٠,٠٠٠ رأس غنم وكذلك ٣٠٠٠ من الجمال والابقار[4]. وفي السنة التالية هاجم المليّون قافلة وثلاث قرى بالقرب من اورفه[5]. ولكن بعد بضع سنين ذهب رئيسهم الى بغداد: فعفي عنه وطلب منه البقاء في العاصمة[6]. ويبدو ان بغداد استطاعت من خلال المليين ان تمارس نفوذها على طريق التجارة بين نصيبين وماردين واورفه، وفي عام ١٨٠٠م/١٢١٥هـ ازداد الحلف بين الفريقين قوة بتعيين امير ملي والياً على اورفه اذ ضمنت بغداد ذلك الترشيح، وكنتيجة لذلك انتشر نفوذ المماليك غرباً الى الحدود السورية[7]. وسهل التعاون بين بغداد والمليين ايضاً للمماليك ان يخضعوا قبيلة العبيد التي كانت تسكن بين الفرات ودجلة[8] وفقدت الوضع المتميز الذي كانت تتمتع به لدى باشا بغداد عقيب مقتل سليمان بيك الشاوي الذي كان يقوم بدور ضابط الارتباط بين الباشا والقبائل. وبالنسبة لبغداد التي كانت تسعى للسيطرة على طرق التجارة بين جنوبي وشمالي العراق، كان التعاون مع المليين اكثر اهمية نظراً لاندفاع عنزه الشمالي والذين كانوا يزيحون شمر من غربي الفرات الى شرقية وكانوا هم انفسهم متجهين شمالاً الى اقليمي ماردين واورفه[9]. وبحلول عام ١٨٤٥ كانت عنزه "تتدفق على الفرات بحشودها مدمرة الريف كله"[10] وكانوا يسكنون كذلك في السهل بين الموصل وجبل سنجار[11]، وراحوا الآن يدفعون بشمر الى الشمال الغربي الى منطقة الخابور حيث كانوا ينهبون القوافل[12]. ولكن هذه التطورات كانت تالية للجليليين. خلال الفترة قيد الدراسة استطاع مماليك بغداد ان يسيطروا على الطريق من نصيبين الى ماردين وكذلك على الطريق بين الفرات ودجلة المؤدي الى ماردين من بغداد. ومن الواضح ان هذه السيطرة لم تكن دائمة ولا كلية. ولكن في اوقات السلام كما في اوقات انعدام الامن بقي والي بغداد المرجع النهائي والملاذ الاخير. وذلك يعني ان بغداد تستطيع ان تعزل الموصل عن سوريا من خلال سيطرتها

---

(١) نيبور، جزء٢، ٣٣٩؛ بكنغهام، ص١٦٦.

(٢) سيستيني، ص٢٥٤.

(٣) المصدر نفسه، صفحات ٢٣٨-٢٤٩.

(٤) بغداد، ص١٩١.

(٥) غرائب، ص٢٥.

(٦) بغداد، ص١٩٢.

(٧) اخبار، من ١٦٩/٥؛ بغداد، ص١٩٦.

(٨) انظر غرائب، صفحات، ٦٦، ٨٨، وبغداد، صفحات: ٢٠٢-٢٠٣، ٢٠٧-٢٠٨.

(٩) بكنغهام، ص١٥٨؛ لونكريك، ص٢٠٢.

(١٠) اف او (وزارة الخارجية)، ٢٢٨/١٩٥، رسام الى كننغهام، الموصل، ٣٠ نيسان١٨٤٥،

(١١) لايارد، جزء١، ٣١٢.

(١٢) اف او (وزارة الخارجية)، رسام الى كننغهام، الموصل، ١٤ حزيران ١٨٤٥.

على الطرق الغربية والشمالية الغربية. وتتضح الضغوط الناتجة عن هذه السيطرة بجلاء من خلال النفوذ العظيم الذي مارسه سليمان باشا الكبير والي بغداد على الحياة السياسية في الموصل.

٣- الموصل- جزيرة ابن عمر:

متى ما كان الطريق الصحراوي من الموصل الى ماردين غير آمن، تستطيع القوافل ان تسلك طريقاً غير مباشر عبر شرقي نهر دجلة الى الجزيرة وبذلك تنجو من اليزيدية. وتستطيع القوافل ان تذهب مباشرة من الجزيرة الى ديار بكر متجنبة ماردين والمليين[١] مع ذلك فان تفادي اليزيدية والمليين كليهما، فان التجارة الموصلية لم تستطع ان تتحاشى والي بغداد، لان الجزيرة كانت منفصلة خلال حكم سليمان باشا ابو ليلة عن ديار بكر و كانت جزءاً من سلطة المماليك[٢]. غير ان سلطة بغداد على الجزيرة كانت على الرغم من ذلك تبدو اسمية حيث ان اسرة كردية وارثة حكمت المدينة. وهذا لا يعني طالعاً حسناً لاهل الموصل الذين كانوا يسعون الى التخلص من قبضة بغداد: وقد جعلت النزاعات الداخلية التي تكاد تكون مستمرة في المنطقة هذا الطريق غير جذاب للتجارة. ولكن بالسيطرة على الجزيرة تستطيع بغداد ان تمارس ضغطاً اكبر على الموصل. فطرق الموصل الثلاثة الى سوريا، غرباً، وشمال غرباً، وشمالاً كانت تحت سيطرة بغداد. وفضلاً عن ذلك يمكن استخدام الجزيرة لعزل الموصل عن ظهيرها الداخلي في جبال كردستان.

٤- ديار بكر – اورفه – بير:

عمل باشوات بغداد في القرن الثامن عشر على سرقة باشوات ديار بكر والجزيرة وماردين. الا ان نفوذ المماليك توقف عند ديار بكر اذ ان جميع جهود سليمان الصغير للسيطرة عليها واخضاعها باءت بالفشل[٣]. وفي القرن السابع عشر بلغت الرسوم التي تدفعها قوافل الموصل ٢,٢٥ قرشاً عن كل حمل للبضائع مهما كانت قيمته[٤]. وفي القرن التاسع عشر دفعت جميع البضائع سواء كانت قادمة الى المدينة او مارة بها ٥% من قيمتها[٥]. وهذه الضرائب التي تضمن حق المرور لم تضمن المرور الآمن. ويخبرنا المسافرون طيلة الفترة قيد الدراسة ان الطرق كانت تعج بقطاع الطرق. وهذا يتطلب نفقات اضافية للتجار، حيث ان جزءاً آخر من فائض التجارة وجد سبيله الى جيوب الحرس النظامي او القبلي، وكذلك الى جيوب العديد من اللصوص الذين كانوا يجوبون الطرق[٦].

وتفرض الرسوم الكمركية في اورفه تارة اخرى. وكانت بمعدل ٢,٥ قرشاً[٧] للحمل في القرن السابع عشر، فصارت ٥ قروش للحمل الواحد[٨] في القرن التاسع عشر. وكانت واردات الكمرك في اورفه كبيرة اذ تقع المدينة على الطرق المارة من ديار بكر وماردين وكذلك على الطريق الصحراوي الجنوبي القادم من

---

(١) بكنغهام، ص١٨٧.

(٢) بغداد، ص١١١؛ نيبور، جزء٢، ٣١٣.

(٣) غرائب، ص٨٩؛ لونكريك، ص٢٢٥.

(٤) تافرنيه، جزء١، ١٨٧.

(٥) بكنغهام، ص١٢٥.

(٦) جاكسون، صفحات: ١٦٦-١٦٧؛ اوتر، جزء١، ١١٦.

(٧) تافرنيه، جزء١، ١٨٥.

(٨) بكنغهام، ص ١٢٥.

الخابور[1]. وهذا يفسر سبب سعي مماليك بغداد، الذين اخفقوا في اخضاع ديار بكر، للسيطرة على اورفه: رسمياً بتعيين امير مللي والياً عليها، وعلى نحوٍ غير رسمي بالسماح للمللبين بالسيطرة على طريق ماردين-اورفه. ومن خلال السيطرة على اورفه يستطيع المماليك ان يعزلوا ديار بكر عن سوريا[2].

وقبل الوصول الى سورية نجد ان آخر مدينة هي ألبيرة التي تقع على الفرات، هي تابعة لحلب، ولكن في النصف الثاني من القرن الثامن عشر وضعت تحت سيطرة اورفه[3]. وهكذا بعد السيطرة عليها استطاعت بغداد ان تؤثر على التجارة المتدفقة بين الخليج وسوريا عبر العراق وما بين النهرين كلها.

٣- الطريق الذي يربط الموصل بإمارة بهدينان:

كان هذا طريقاً حيوياً للموصل اذ انه يربطها بالمنطقة المنتجة للعفص. وكانت اجزاء من الامارة تعود للموصل خلال العهد الاتابكي[4]. مع ذلك فأبان حكم الجليليين لم تكن هناك اواصر شرعية تربط رأس المال التجاري للموصل بالجبال المنتجة للعفص. وفي عام١٧٣٠م ارسل احمد باشا والي بغداد كتخداه لحصار العمادية، وبعد هذا الحدث راح والي بغداد يرسل فرماناً سنوياً ومعه رداء الشرف الى "والي" العمادية[5]. ومع انه خاضع اسمياً لسلطة والي بغداد فان والي العمادية بقي في الحقيقة حاكماً مستقلاً وراثياً[6]. مع ذلك ومهما كانت الصلة بين العمادية وبغداد، يبقى ان الموصل عانت من عزلها ادارياً عن هذه المنطقة المنتجة المهمة. وطيلة الفترة قيد الدراسة سعت الموصل لادامة السلام مع الامارة وكذلك لادامة طريق آمن يؤدي اليها. وتتضح الاهمية التي اعطتها الموصل لهذا الطريق بجلاء بالذكر النزر للسلب والنهب الذي رواه المؤرخون والمسافرون على الطريق شمال-شرقي نهر دجلة مما يؤكد ان الخطر حينما يقدم كان يقدم من اليزيدية في منطقة الشيخان، شمال-شرقي الموصل، وكذلك من القبائل التي تغير على الولاية من كردستان الشرقية[7]. وكانت احداث كهذه نادرة فالمنطقة الواقعة بين الموصل والعمادية مغطاة تغطية جيدة بالقرى والحقول: مما يقدم دليلاً واضحاً على امانها.

ومع ان الموصل كانت قادرة على ان تضمن بقاء هذا الطريق الحيوي خالياً من قطاع الطرق-كان هنالك، رغم ذلك عاملان معوقان للتجارة لم تكن الموصل قادرة على التأثير عليهما مباشرة. الاول هو النزاعات المتبادلة داخل العشيرة للسيطرة على الامارة. وفي عام ١٧٦٨م/١١٨٢هـ مات بهرام باشا القوي وخلفه ولده اسماعيل، ومع ذلك فان احد اقربائه، بيرام بيك، حاول استلام السلطة بدعم من والي بغداد فنشب النزاع. وفي عام ١٧٨٧م/١٢٠٢هـ وكنتيجة للنزاع في الامارة هرب اهالي عقرة الى الموصل طلباً للامان.

---

(١) انظر: سيستيني، ص٢٦٤.

(٢) يبدو ان سيطرة المماليك على اورفه كانت متقطعة وخاضعة لقوة الوالي المملوكي آنذاك. ففي عام ١٧٩٠م/١٢٠٥هـ سمح اضطراب المليين في منطقة اورفه لسليمان الكبير ان يقدم نفسه للباب العالي كالحاكم الوحيد الذي يستطيع ان يكسر شوكتهم. وكنتيجة لذلك نجح في عزل والي اورفه (غرائب، ص٢٤).

(٣) بكنغهام، صفحات ٣٥-٣٦، نيبور، جزء٢، ٣٣٤.

(٤) بغداد، ص٩٦.

(٥) بغداد، ص٩٣؛ اوتر، جزء١، ١٤٧؛ سيستيني، ص١٥٠؛ لونكريك، ص١٥٩.

(٦) كينير، ص٤٥٦.

(٧) انظر، ريج، جزء٢، ٨٩.

وفي السنة التالية انتزع حاكم عقرة النقود من التجار وشاطرهم التجارة. وفي عام ١٧٩٨م/١٢١٣هـ فجر موت والي العمادية نزاعاً نجم عنه توقف العلاقات التجارية مع الموصل. وحث التأثير المؤذي الذي جلبه هذا النزاع على الموصل الجليليين لأن يتوسطوا بين المتنازعين على السلطة..ولكن بدون فائدة. وضمن احد الامراء، قباد بيك، دعم والي بغداد بارساله اليه ١٢٠ كيساً واعطاء ٥٥ كيساً آخر لوكيله؛ ولكن النزاع استمر رغم المساعدة العسكرية التي اعطتها بغداد لمرشحها[١]. وبعد سبع سنوات لم يهدأ النزاع، فطلب علي باشا والي بغداد من محمد باشا الجليلي ان يسوي الخلاف فسواه بارسال "الوالي" الكردي الجديد ١٠٠,٠٠٠ قرشاً الى بغداد[٢].

وكان العامل الآخر الذي كان خارج نطاق السيطرة الجليلية هو السياسة الكردية تجاه الموصل. وهنا ايضاً سعى الجليليون الى احتواء الاكراد وتسوية الخلافات بسرعة. ففي عام١٧٣٧م/١١٥٠هـ حاصر حسين باشا الجليلي العمادية في اعقاب خلاف؛ وكنتيجة لذلك توقفت التجارة تماماً، ولكن تم الاتفاق على شروط واعيدت العلاقات الطبيعية بسرعة[٣]. وطيلة حكم سليمان الصغير بقيت العلاقات بين الموصل والعمادية متوترة في ضوء جهود سليمان الصغير المستمرة لأن يضع ضغطاً على الجليليين باستخدام نفوذه مع اكراد الجبل[٤]. الا ان بغداد التي لم تكتفِ بالسيطرة على طرق التجارة التي تربط الموصل بأسواقها السورية، حاولت ايضاً ان تعزل الموصل عن اغنى اراضيها الداخلية.

وبعد سقوط الجليليين، اندمجت امارة بهدينان في ولاية الموصل[٥]. وبهذه الطريقة استطاع رأس المال التجاري للمدينة ان ينشئ روابط عضوية مع المنطقة المنتجة للعفص وشعر الماعز. وحينئذ، على اية حال، لم يكن رأس المال التجاري المحلي هو المستفيد كثيراً من اخضاع الجبل، بل رأس المال التجاري الاوربي. فمن خلال انشاء القنصليات والشركات التجارية في الموصل، ومن خلال امتداد الحماية الاوربية لليهود والنساطرة استطاع رأس مال تجاري اجنبي..ذي روابط قوية في موانئ سورية والاناضول..ان يتنافس بأفضلية مع رأس المال التجاري الموصلي.

٤- الطريق الذي يربط الموصل بإمارة بابان وايران:

منذ استقرار الحدود الفارسية-العثمانية كانت الامارة البابانية مشهداً للعبة السلطة والنفوذ تتشاطر ادوارها فارس وبغداد من خلال القادة الرئيسين للاسرة البابانية. ففي عام ١٧٥٠ زحف سليمان باشا ابو ليلة ضد المرشح الفارسي للامارة وهزمه. وكنتيجة لذلك صار محمي بغداد سليمان باشا بابان حاكماً للولاية لفترة ١٤ سنة كتابع لابي ليلة. وعند موت ابي ليلة حاول سليمان باشا بابان ان ينفض عنه هيمنة بغداد بدعم من الفرس. ومع ذلك وبحلول عام ١٧٧٥ كان محمي بغداد، احمد في السلطة تارة اخرى[٦]. وكانت السيطرة على امارة بهدينان اساسية بالنسبة لبغداد لانها تعني السيطرة على مضيق زاغروس، احد الممرات الرئيسية بين

---

(١) لانزا، صفحات ٥٦-٥٧، غرائب، صفحات١٩، ٢١، ٤٧-٤٨، ٥١، ٥٣؛ بغداد، ص١٩٦.

(٢) بغداد، صفحات، ٢٠٣، ٢٠٥، ٢٠٨؛ غرائب، ص٧٠.

(٣) غرائب، ص١٠٨.

(٤) المصدر نفسه، صفحات، ٨٠-٨٢، ١٠٧.

(٥) دي فوصيل، ص٣٩؛ بنجامين، صفحات١٠٥، ١٢٤؛ لايارد، جزء١، ١٥٩.

(٦) لونكريك، صفحات ١٧٩-١٨٠.

فارس والعراق. فبعد ان ادمجوا اربيل في ممتلكاتهم وكونهم في وضع يؤثر على ادارة الامور في كويسنجق[١]، فقد سعى مماليك بغداد ان يبقوا امارة بابان (قره جولان) ضمن منطقة نفوذهم. وكان والي قره جولان-ذو الطوغ او الطوغين..والياً رسمياً تابعاً لوالي بغداد الذي يتلقى منه ترشيحه[٢]. وفي الحقيقة فقد مكن العامل الفارسي آل بابان من معارضة بغداد في اكثر من مناسبة. ففي عام ١٧٨٠م/١١٩٥هـ ثار محمود باشا بابان وشن سليمان الكبير حملة ضده وساهمت الموصل في الجهد العسكري. وعندما اعلن محمود باشا خضوعه امره سليمان الكبير ان يغادر عاصمته قره جولان ويبني مدينة اخرى هي السليمانية، جنوب غربي العاصمة*. ومن السخرية ان بقدر ما يتعلق الامر بآل بابان، فان عاصمتهم الجديدة سميت باسم الباشا المملوكي الكبير[٣]. وفي عام ١٧٨٢م/١١٩٧هـ وحينما توفي محمود باشا بابان، رشحت بغداد ولده عثمان خلفاً له[٤]. وكانت قبضة سليمان الكبير قوية الى حد كبير بحيث انه في عام ١٨٠١م/١٢١٢هـ استبدل حاكم كويسنجق البابانى بمنافسه الامير الصوراني[٥]. وفي عام ١٨٠٥ هاجم البابان اكراد كويسنجق الصورانيين ولكن والي بغداد علي باشا دحرهم[٦]. وتزامن موت علي باشا مع التغيير في العلاقات بين الباب العالي وفارس. وكنتيجة لذلك افلتت الامارة البابانية من نفوذ بغداد رغم الحملة الكبرى التي شنها سليمان الصغير والتي نجم عنها احتلال السليمانية[٧]. وفي عام ١٨١٠م/١٢٢٥هـ لعب البابان دوراً حاسماً في اسقاط سليمان الصغير وانتشر نفوذهم لامد قصير الى بغداد بتعيين والٍ تتجه ميوله اليهم..وهذا رغم معارضة الباب العالي[٨]. وطيلة حكم المماليك المتأخرين، استمرت الامارة البابانية بالتملص من سيطرة بغداد وذلك بالاعتماد على العامل الفارسي[٩].

خلال الفترة الجليلية، اثر الصراع على السلطة بين البابان وبغداد على تجارة الموصل مع فارس، ويصح ذلك مهما كانت نتيجة الصراع. ومتى ما كان البابان في ثورة مكشوفة ضد بغداد، ادت الحروب الى انقطاع التجارة. ومتى ما تمكن البابان من فرض حكمهم الذاتي، استطاعت بغداد ان تعيق التجارة من خلال سيطرتها على كويسنجق واربيل[١٠]. واخيراً فمتى ما استطاع المماليك السيطرة على الامارة، تتوجه التجارة

---

(١) نيبور، جزء٢، ٢٧٧.

(٢) نيبور، جزء٢، ٢٦٨؛ اوليفيه، جزء٤، ٣٣٨؛ روسو، بغداد، ص١٠٠؛ دوبري، جزء١، ص٩٠.

* تبعد ١٢ ميلاً عنها حسب خارطة لونكريك-اربعة قرون من العراق الحديث (المترجم).

(٣) الزبدة، صفحات١٤٩-١٥٠؛ بغداد، ص١٨٩.

(٤) بغداد، ص١٩٠.

(٥) بغداد، ص١٩٨.

(٦) المصدر نفسه، صفحات ٢٠٥-٢٠٧.

(٧) غرائب، صفحات، ٧١-٧٢، ٧٧-٧٨، ١٠٧.

(٨) المصدر نفسه، صفحات، ١٢٠-١٢٥؛ لونكريك، صفحات٢٢٧-٢٢٨.

(٩) المنشئ، ص٦١؛ لونكريك، صفحات ٢٢٧-٢٤٥.

(١٠) ان المستوى الواطئ للانشطة التجارية يدل عليه التطور الحضري الهزيل في العاصمة البابانية، انظر نيبور، جزء٢، ٢٦٨ وهود، ص٢٠٠.

الى بغداد بدلاً من الموصل[1]. وبعد سقوط الجليليين تبدل الوضع في كردستان الشرقية الى حد كبير ببروز وتوسع امير راوندوز الصوراني الذي هدد الموصل نفسها. واخيراً وعندما تم تفادي هذا التهديد وهدأت المنطقة، دخل رأس المال الاوربي ليتعامل مباشرة مع المنتجين الزراعيين والريفيين[2].

٥- طريق التجارة بين الموصل والخليج العربي:

أ-الموصل-بغداد:

ان اسرع طريق بري من الموصل الى بغداد هو الطريق الواقع غرب دجلة ماراً بتكريت. فقد كان هذا الطريق اقل الطرق امناً لانه يمر بأراضي قبائل مختلفة. ابرزها العبيد وطي [سهل او منطقة] شمامك، والبو حمد والبو سلمان، الذين يكتفون عادة بانتزاع اتاوة من القوافل ولكنهم يعمدون في اوقات الاضطراب الى سلب ونهب المسافرين[3]. وفي القرن التاسع عشر دفعت الهجرة الشمالية لعنزة قبائل الجبور وشمر عبر نهر الفرات الى الشرق، مما زاد من حالة انعدام الامن[4].

يحاذي الطريق البري البديل من الموصل الى بغداد الضفة الشرقية لنهر دجلة ويعبر نهر الزاب ثم يمر بأربيل والتون كوبري وكركوك. ان هذا الطريق كان اكثر امناً من الطريق الغربي الا انه لم يخل دائماً من الاخطار. فقبل عبور الزاب وهي ما تزال داخل ولاية الموصل، كان على القوافل ان تمر عبر منطقة تقع قرب قرية نمرود التي وُصفت حوالي عام ١٧٧٠ بأنها وكر لقطاع الطرق[5]. وفي هذه الانحاء يأتي الخطر ايضاً من يزيدية جبل سنجار الذين يعبرون الزاب لمهاجمة القوافل[6]. وعند الوصول الى الزاب تؤخذ القوافل على عبارات صغيرة عبر النهر من قبل اليزيديين لقرية اسكي كلك مقابل اتاوة صغيرة[7]. وعلى الجانب الاخر من النهر تقع الاراضي الخاضعة لوالي بغداد[8]. وكانت القوافل تدفع رسوماً كمركية في اربيل والتون كوبري وكركوك[9]. كما تدفع النقود الى الحراس البدو الذين يحمون القوافل من القبائل المعادية في ذلك الوقت..والادوار كانت تُعكس بكل سهولة[10]، وتعتمد سلامة التجارة في هذه المنطقة كثيراً على سيطرة بغداد على هذه القبائل وعلى التوازن فيما بين القبائل نفسها[11]. وحينها كان تجار الموصل لم يكن لديهم أي امل

---

(١) في بداية القرن التاسع عشر كانت تجارة السليمانية "بأكملها في ايدي بضعة ارمن كانوا وكلاء لبعض تجار بغداد الاثرياء" مينان، جزء١، ٢٨٧-٢٨٨.

(٢) اف او (وزارة الخارجية) ١٩٥/٢٢٨، رسام الى كننغهام، الموصل، ٣مايس١٨٤٥؛ اف او (وزارة الخارجية) ١٩٥/٣٩٤، رسام الى ستراتفورد دي ريدكليف، الموصل، ٢٧شباط١٨٥٤.

(٣) لانزا، ص٦٥؛ المنشئ، ص٨٢؛ روسو، بغداد، ص٩٢.

(٤) لايارد، جزء١، ٧٢ و جزء٢، ٤٥، ٧٢، ٩٧.

(٥) الدر (١)، ص٦٤٧؛ ريج، جزء٢، ١٤٣.

(٦) المصدر نفسه، ص٦٤٧؛ ريج، جزء٢، ١٤٣.

(٧) نيبور، جزء٢، ٢٨٧؛ بكنغهام، ص٣٢٠.

(٨) المصدر نفسه، جزء٢، ٢٧٥؛ اوتر، جزء٢، ٢٤٠؛ اوليفيه، جزء٤، ٢٩٦، ٣٠٠، بكنغهام، ص٥٩.

(٩) نيبور، جزء٢، ٢٨٧.

(١٠) جاكسون، صفحات١٦، ١١٩.

(١١) المنشئ، صفحات ٥٢-٥٣.

باسترجاع بضائعهم، لانه حتى حين تنظيم حملة انتقامية ضد الفريق الناهب السالب فان بغداد وليست الموصل هي التي تقوم بذلك.

ان اكثر الطرق السالكة من الموصل الى بغداد هو طريق عبر نهر دجلة. فعندما يكون التيار قوياً تصبح التجارة امنة من القبائل المغيرة التي لا تستطيع ان توقف رمثاً سريع الحركة، الا ان الخطر سرعان ما يبرز في الاجزاء الضيقة من النهر وحينما يكون التيار بطيئاً[١]. وعلى البضائع التي تسلك هذا الطريق ان تدفع رسوماً عند الوصول الى بغداد[٢]، ولكن لا يعرف فيما اذا كانت هذه تحسب بالتناسب مع الرسوم التي كانت ستدفع لو ان القافلة سلكت الطريق البري عبر اربيل، التون كوبري فكركوك. وعدا عن سلامته (أمنه) فان طريق النهر يروق لتجار الموصل الذين يستفيدون من صناعة الارماث التي منح السلطان احتكارها لبعض العوائل الوجيهة مقابل مبلغ اسمي[٣]. ان طريق نهر دجلة طريق ذو ممر واحد، اذ ان الارماث تفكك في بغداد، ولا بد للقبائل ان تستفيد من التجارة بين بغداد والموصل بكل وجوهها.

ب- بغداد-البصرة

تتم التجارة بين المدينتين عبر البر او النهر معتمدة على حالة الامن[٤]. فالبضائع الموصلية التي دفعت الرسوم عند الوصول الى بغداد لم تعد تدفع ضرائب اضافية قبل مغادرتها المدينة[٥]. وهنالك على نهري دجلة والفرات عدة بيوت كمركية، يحصل اما والي بغداد او القبائل على الحصة العظمى من مدخولاتها.. اعتماداً على ميزان القوى. ويقدر اوليفييه عدد الرسوم على الفرات بسبع قروش وعلى دجلة الضريبة بقرشين الى خمسة قروش على كل بالة بضائع[٦]. وكانت القبائل الساكنة على ضفاف النهرين تخضع اسمياً لسلطة بغداد. وفي القرن التاسع عشر استخدم الباشوات المماليك هذه القبائل لتفرض هيمنتها على البصرة ولتحبط محاولات الباب العالي للسيطرة على هذا الميناء التجاري. وكما رأينا فان الجليليين والموصل خسرا كثيراً في هذه العملية[٧]. لم تكن العلاقات بين باشوات بغداد واقوى القبائل..المنتفق، الخزاعل، كعب وبنو لام..هادئة دائماً. ففي عام١٧٤٢ ارسل احمد باشا كتخدا سليمان ابو ليلة على رأس حملة عسكرية مربحة جداً ضد القبائل. ترتب على بني لام وحدهم ان يدفعوا اثرها ٦٠٠ كيس[٨]. وبعد عشرين سنة، شن الوالي الجديد علي باشا حملة كبرى ضد المنتفك والخزاعل وكعب وبني لام[٩]. وفي اوقات السلم وحين تكون بغداد ضعيفة بما فيه الكفاية لاخضاعها، فان القبائل تقيم بيوتها الكمركية على النهرين، منتزعة الضرائب من التجار. ومع أن

---

(١) بكنغهام، صفحات ٣٣١-٣٣٢، ٤٩٧.

(٢) سيستيني، ص١٦٠. يقدر بارسونز هذه الرسوم بـ٨% من القيمة (ص١٠٤)؛ ويقدرها اوليفيه٨% على البضائع الثقيلة..المعادن، الذرة، التبغ.. وبـ٥% على البضائع الثمينة..القماش بمختلف انواعه (جزء٤، ٤٣٣).

(٣) اف او (وزارة الخارجية) ٢٢٨/١٩٥، رسام الى كننغهام، الموصل، ٢٧آب١٨٤٣.

(٤) انظر بكنغهام، ص٣٨٥.

(٥) اوليفيه، جزء٤، ٤٣٢-٤٣٣.

(٦) المصدر نفسه.

(٧) اوتر، جزء٢، ١٤٧، ١٥٥. انظر ما سبق ص٦٨.

(٨) اوتر، جزء٢، ١٧٠، ١٨٥.

(٩) الزبدة، ص١٢٠.

القبائل كانت تقوم رسمياً بدور الوكلاء لباشوات بغداد فمن الواضح انها تغتصب لنفسها الحصة الاكبر من فائض التجارة. هكذا كان الحال عام ١٧٧٠، بعد ان استفاقت القبائل من الضربات العنيفة التي سددها اليهم ابو ليلة[١]. الا ان هذه القبائل نادراً ما كانت تنهب، لان توقف التجارة لم يكن في صالحهم. اذ انها كانت تسعى بالاحرى الى انتزاع الضرائب المنتظمة لكي تستقطع لها جزءاً من فائض التجارة. وحينما تكون العلاقات مع بغداد سيئة فحينذاك فقط ينهبون التجار بانتظام فيحرمون المماليك من دخل كبير، وينسحبون امام العسكر عميقاً في الصحراء او في الاهوار. وفي عام ١٧٨٠م/١١٩٥هـ حينما عين سليمان الكبير والياً على بغداد، سار على طريقه من البصرة مستصحباً معه أطفالاً كرهائن من جميع القبائل[٢]. وفي السنة نفسها زحف ضد القبائل وانتزع منها نقوداً[٣].

وفي عام ١٧٨١م / ١١٩٦هـ "عندما نقض الخزاعل السلام" هاجمهم سليمان باشا وأرغمهم على أن يعطوه مبالغ كبيرة من النقود[٤]. ولعدة سنوات جنت سياسات سليمان الكبير الحديدية ثمارها، وجنى القسم الأعظم من فائض التجارة الذي سلك طريقه الى جيوب التجار وخزينة الوالي من القبائل[٥]. ولكن في عام ١٧٨٧ استطاعت قبيلة المنتفك أن تحتل البصرة وتبقى فيها ثلاثة أشهر[٦]. وانه لمن الممكن التصور أن حدثاً دراماتيكياً كاحتلال البصرة يرتبط مباشرةً بسياسة سليمان الكبير التي تسببت بحرمان القبائل من دخل منتظم تفرزه التجارة.

وفي نهاية القرن الثامن عشر ظهر خطر جديد على العراق حين احتل الوهابيون الأقليم العربي، الاحساء في عام١٧٩٥م/١٢١٠هـ[٧]. وفي السنة نفسها عقد سليمان الكبير السلام مع المنتفك وأعطى أميرهم ثويني ١٠٠ كيس و١٠٠ جمل و١٠٠ فرس وأرسله ضد الوهابيين[٨]. وبينما كان ثويني منشغلاً بحملته ضد الوهابيين، أخضع سليمان الكبير الخزاعل وأخذ منهم ٧٠٠٠٠ رأس غنم و٧٠٠ جاموس و٧٠٠ طغار من الحبوب والرز[٩]. ولكن رغم هذه الحملة فان الطريق من البصرة الى بغداد ما زال تحت سيطرة القبائل. ففي صيف عام ١٧٩٧ دفع جاكسون ١٣٠٠ قرشاً لشيخ عربي من أجل ثلاثة قوارب وحراسة من البصرة الى بغداد[١٠]. وفي بداية تموز من السنة نفسها ولمهاجمة الخزاعل لمدينة الحلة أرسل سليمان الكبير جيشاً ضدهم، فأخضع القبيلة التي أعطت الوالي ٢٠٠ كيس و٥٠٠ طغار من الحبوب[١١]. ويذكر جاكسون في ذلك الوقت أن

---

(١) نيبور، جزء٢، ١٩٢-١٩٣، ١٩٩، ٢٠٣؛ بارسونز، ص١٤٦.

(٢) الزبدة، ص١٤٦.

(٣) بغداد، ص١٨٩.

(٤) المصدر نفسه، ص١٨٩-١٩٠.

(٥) السير ايركوت، "يوميات رحلة مع.." في مجلة الجمعية الجغرافية الملكية، العدد٣٠ (١٨٦٠)، ص٢٠١. يتفق جميع الرحالة الاوربيون على ان سليمان الكبير وضع القبائل تحت السيطرة.

(٦) هاول، ص٢٩.

(٧) بغداد، ص١٩٤.

(٨) بغداد، صفحات ١٩٣-١٩٤؛ جاكسون، صفحات ٥١-٥٢.

(٩) المصدر نفسه، ص١٩٤.

(١٠) جاكسون، ص٩٧.

(١١) بغداد، س١٩٤.

الأغنام التي أخذت كغنيمة كانت تباع رخيصة في بغداد[١]. وبعد بضعة أيام وصلت بغداد أخبار موت ثـويني على يدي عبد من العبيد مما أدى الى اخفاق الحملة الكبرى ضد الوهابيين حتى كان هنالك مخاوف على سلامة البصرة[٢]. فقد أدى تهديد الوهابيين الى اعادة تراصف الأحلاف في بغداد وتعاون القبائل الكبرى مـع بغـداد. وفي عام ١٧٩٨م/١٢١٣هـ أرسل سليمان الكبير كتخداه علياً ضد الوهابيين وفي السنة التاليـة عنـدما نفـذ الوهابيون الى العراق قاتلهم الخزاعل، وفي عام ١٨٠٠م/١٢١٥هـ وعام ١٨٠١م/١٢١٦هـ أغار الوهابيون على كربلاء وكبيسة وعانة فانتقمت المنتفك بالاغارة على بلاد الوهابيين[٣]. غير أن الوهابيين لم يتمكنوا مـن الحصول على مغانم أقليمية من العراق ولكنهم وضعوا من خلال سيطرتهم على الجزيرة العربية أيديهم علـى طريق الحج ومن خلال اغارتهم على أراضي باشوات بغداد أعاقوا تجارة الخليج مع العراق وسوريا[٤]. فضلاً عن ذلك فان تهديدهم اضطر باشوات بغداد الى الاعتماد كثيراً على القبائل الذين تلقوا مبالغ كبيرة مـن المـال لحماية البصرة[٥]، وهذا بدوره زاد من حصة القبائل في فائض التجارة. وفي حوالي عام ١٨٠٧ توقف اندفاع الوهابيين[٦]، وبدأت القبائل الجنوبية تفرض وجودها: ففي عام ١٨١٠م/١٢٢٥هـ كانوا يسيطرون على طريق القهوة وفي ١٨١٢م/١٢٢٧هـ توقفت الملاحة بين البصرة وبغداد على نهر دجلة ونهبت السفن وفي أيلول من عام ١٨١٩م/١٢٣٤ هـ هوجم اسطول من السفن في طريقه من البصرة الى بغداد ونهبت ثلاث سفن ببضائع تقدر قيمتها ب ٤٠ كيساً وفي شهر تشرين الثاني من السنة نفسها شنت بغداد حملة غير ناجحة ضد القبائـل[٧]. كانت هذه اوقات ازمة حادة لم تدم طويلاً: ففي اوقات السلام..السلام القلق.. تفرض القبائل ضرائبها وتسـتمر التجارة على النهرين[٨].

وعلى طول طريق بغداد–البصرة، يعتمد التوزيع الفعلي الشرعي وغير الشرعي للحصـة المغتصـبة من فائض التجارة بين الافراد والجماعات، كثيراً على ميزان القوى بين المدينة والبدو. ان السياسات الشـديدة والحملات العسكرية الكبيرة التي يشنها باشوات بغداد تجعل القبائل عادة "غير مسؤولة" وتـؤدي الـى توقـف التدفق العادي للتجارة: حين تلجأ القبائل الى اجراءات قوية فتعاني التجارة كثيراً جداً. ومن ناحية اخرى، متـى ما "سمح" للقبائل الكبيرة ان تنشئ بيوتها الكمركية، فان الارباح التـي تجنيهـا..يجعلهـم يسـتفيدون مـن النظام..تحثهم على كبح جماح القبائل الصغيرة لكي يستمر تدفق المبادلات.

---

(١) جاكسون، ص٩٧.

(٢) المصدر نفسه، ص١٠١.

(٣) بغداد، صفحات ١٩٤-١٩٧؛ غرائب، صفحات٥٣-٥٤؛ ميرزا، جزء٢، ٣٢٦-٣٢٨.

(٤) ان تأثير الوهابيين على تدفق التجارة يتوضح بما يذكره روسو عن العلاقات الجيدة بينهم وبين الوكيل الانكليزي في البصرة: انظر، روسو، بغداد، ص٣٩. يخبرنا بريدجز انه وكذلك اسلافه مانيستي ولاتوش كانوا يتبادلون الهدايا مع سعود، وانه "كان من الضرورة المطلقة لاجل سلامة مراسلاتنا العامة التي كانت ترسل عبر الصحراء الى حلب ومنها، وان تكون محطتنا التجارية في البصرة على علاقات طيبة مع سعود"، بريدجز، جزء٢، ١٥.

(٥) دوبري، جزء١، ١٦٦؛ روسو، بغداد، ص٤٣.

(٦) روسو، الوهابيون، ص١٩١.

(٧) غرائب، ص١٢٣ ؛ ريج، جزء٢، ١٦٣، ١٦٥، ٣٩٧، ٤٠٢.

(٨) ريج، جزء٢، ١٦٥، ١٧٤.

٦- الطريق من البصرة الى بغداد عبر سوريا:

استفادت البصرة كثيراً جداً من حروب فارس الداخلية، وقد رأى والي بغداد مدخولاته الكمركية تزداد زيادة فائقة كنتيجة لتحويل تجارة الخليج بعيداً عن الموانئ الفارسية. ففي نهاية القرن الثامن عشر كانت الرسوم على البضائع الداخلة الى البصرة من البحر والبر ٧% على السلع الثمينة و ٨,٥% على السلع الثقيلة، بينما دفع الاوربيون ٣% فقط على جميع البضائع[١]. وجميع السلع التي تغادر البصرة الى بغداد تدفع رسماً آخر عند وصولها العاصمة، بينما تدفع جميع السلع التي تغادر البصرة آخذة الطريق الصحراوي المباشر الى سوريا، الرسوم الكمركية لبغداد قبل مغادرتها البصرة[٢]. وحينما تشهد العلاقات توتراً بين بغداد وقبائل الصحراء، فان الوالي يسعى دائماً لمنع القوافل من السفر مباشرة عبر الصحراء، ليس خوفاً على سلامتها ولكن لأن ذلك بالاحرى يشكل خسارة مباشرة للوالي الذي يدخل عادة باتفاق مع القبائل حول النسبة التي يتقاضاها كل فريق من الفائض[٣]. وهكذا فحين تكون علاقات المدينة بالبدو سيئة تستفيد الموصل من تحويل التجارة التي تذهب الطريق كله شمالاً عبر ما بين النهرين الى سورية. ولكن ذلك يعني رحلة اطول، وزيادة في رسوم الكمرك وارتفاعاً في تكاليف النقل بالنسبة للقوافل: ان الطريق الصحراوي..الذي يغدو آمناً من خلال الاتفاق بين التجار والقبائل..كان مفضلاً دائماً لدى التجار الذين لايتاجرون مع مدن ما بين النهرين[٤]. وتنتفع قبائل الصحراء من هذه التجارة لأن، كما يقول بارسونز "القافلة لا تستطيع ان تمر عبر الصحراء آمنة بدون تأجير الأعراب من كل قبيلة تقطن الحدود.."[٥] وكانت الضرائب التي تفرضها القبائل كبيرة. ففي عام ١٧٧٤ على الطريق من حلب الى بغداد كان على القافلة ان تدفع لشيخ بدوي ١,٢٥ قرشاً عن كل جمل محمل، بالاضافة الى ان الشيخ كان يأخذ ١٠ ارطال قهوة وبضائع اخرى[٦]. لقد توقفت قافلة تافرنيه لخمسة اسابيع في عانة وكان عليها ان تدفع للبدو ٤٠ قرشاً لكل حمل بعير قبل ان تواصل سيرها لطيشها[٧]. وفي عام١٧٤٥ كلفت الحماية على الطريق من حلب الى البصرة التاجر ١٤ دولاراً للحمل ذي الـ ٥٠٠ باونا مقارنة بكلف نقل وقدرها ٣٥ دولاراً بالحمل الواحد[٨]، وذلك يعني ٤٠% من كلف النقل. وطيلة القرن الثامن عشر، تغادر بغداد قافلة او قافلتان بالنسبة الى حلب، وقافلة واحدة الى دمشق. وتغادر البصرة قافلتان كل سنة الى سوريا[٩]. وتحت ظروف طبيعية تستطيع القوافل ان تسافر عبر الصحراء بدون تعويق، لان القبائل تدرك

---

(١) المصدر نفسه، جزء٢، ١٦٥، ١٧٤.

(٢) بارسونز، ص١٥٥.

(٣) بي. بليستيد، قصة رحلة من البصرة الى حلب في عام١٧٥٠..، دي. كرذرز (الناشر)، (لندن، ١٩٢٩)، ص٦٤. انظر ايضاً ايليوت، في بليستيد، ص١٩.

(٤) انظر الملحق ٣.

(٥) بارسونز، ص١٠٣؛ بيويس، ص٣٤.

(٦) بارسونز، صفحات ٩٠-٩١.

(٧) تافرنيه، جزء١، ١٥٣.

(٨) بيويس، صفحات ٨، ١٣.

(٩) اوليفيه، جزء٦، ٢٩٠، بيويس، صفحات ١١، ٣٤؛ بارسونز، ص١٥٠؛ بليستيد، صفحات ٦٢-٦٣؛ أي. اردين، سلسلة من المغامرات (لندن، ١٧٨٧) جزء٢، ص٨١، احدى هذه القوافل التي ذكرت آنفاً لم تك تحمل بضائع ولكنها تكونت من جمال اخذت لكي تباع في سوريا.

انها ستكون اول من يعاني من أي تخريب للتجارة. مع ذلك فحينما اضطرب نمط الحياة القبلية، كما حدث في نهاية القرن الثامن عشر، عانت التجارة وهجر طريق الصحراء الى سوريا. ويصح الافتراض هنا ان الموصل لابد وانها استفادت من هذا النهب والسلب من خلال تحويل التجارة عبر ما بين النهرين. مع ذلك وبعد عام ١٨٠٠ وحتى نهاية الفترة الجليلية فان الجزء الجنوبي من الطريق بين البصرة وبغداد وسوريا كان آمناً، بينما كانت الموصل تعاني من الاضطرابات المستمرة التي جلبتها قبيلتا الجبور اللتين دفعتهما عنزه الى الشمال والشمال الشرقي.

٧- الخاتمة

لقد بينت الدراسة ان الطرق الثلاثة الاكثر اهمية بقدر ما يتعلق الامر بالموصل هي: طريق الجبال الكردية، والطريق الى حلب والطريق الى الخليج العربي. وكمركز تجميع لعفص وصوف الجبال، وكمركز توزيع لموانئ البحر الابيض المتوسط والخليج، اعتمدت الموصل من اجل رخائها على سلامة هذه الطرق التجارية الثلاثة.

والدراسة السالفة للسيطرة السياسية على طرق التجارة تبين ان نفوذ الموصل العسكري لم يمتد خارج نطاق العمادية شمالاً، ونصيبين الى الشمال الغربي والى الزاب جنوباً. ان الموصل المستقلة رسمياً عن المماليك كانت في الحقيقة تحت رحمة بغداد واعتمدت عليها لتضمن بقاء طرق التجارة مفتوحة. وهذا يفسر لماذا دارت الحياة السياسية في الموصل في فلك المماليك الذين كانوا في موقع اقوى للتأثير على الجليليين. وبعد سقوط المماليك والجليليين تبدلت العلاقة بين الموصل وبغداد، وصار اندماج امارة بهدينان في ولاية الموصل طالع خير للتجارة، واستطاعت الموصل ان تمد نفوذها العسكري وحلت محل بغداد بالسيطرة على الطريق الى سوريا. مع ذلك ففي ذلك الحين كان رأس المال التجاري الاوربي قد نفذ ليستثمر التوسع في الامان وتكامل الارض الداخلية المنتجة للسلع التجارية.

الفصل الخامس

سياسة الوجهاء

المشهد السياسي قبل قيام الجليليين

عندما ظهر الجليليون لاول مرة على الساحة الموصلية السياسية في اواخر القرن السابع عشر، كانت الاسر الرئيسية في المدينة هي: العمريون، فروع الاشراف المختلفة (الفخري، العبيدي، الاعرجي) آل ياسين المفتي، آل قره مصطفى بيك، يتلوهم العبدليون وآل الغلامي.

ان العمريين الذين يهموننا هنا هم احفاد قاسم الذي عاش في محلة باب العراق جنوب-غربي الموصل[1]. وفي عام ١٥٦٢م/٩٧٠هـ كان قاسم هذا في صراع مع الاشراف في المدينة حول مشروعه لانشاء مصبغة. ويبدو ان النزاع نشب لان الاشراف كانوا يحتكرون صناعة الصباغة في المدينة[2]. وبدعم من الحاكم العثماني آنذاك تغلب قاسم في النهاية على معارضة الاشراف، ولأنه كان مسلحاً برخصة رسمية من الصدر الاعظم، استطاع ان يبني مصبغته في عام ١٥٧٤م/٩٨٢هـ. وبعد ذلك بسنين نشب نزاع في الموصل فدمر الاشراف المصبغة. وتارة اخرى وبدعم من الادارة العثمانية ربح العمريون المعركة وتحطم احتكار الاشراف واعطيت المصبغة معادة البناء وقفاً للجامع الذي بناه قاسم عام ١٥٧١م/٩٧٩هـ على موقع مسجد قديم في محلة باب العراق قريباً من دار العمري. وبالاضافة الى المصبغة كان للجامع اوقاف اخرى: حمامان واقعان قريباً منه، اجزاء من بستان، وقطعة ارض زراعية، وثمانية دكاكين واقعة في سويقات باب العراق ودكانان آخران في سوق العلافين[3]. وحسبما يروي ياسين العمري عهد بالجامع واوقافه الى الاعدل والاحكم من ذوي القربى[4]، واشترطت الوقفية ان تعطى الامامة والخطابة دائماً الى احد العمريين[5]، من هنا ضمنت ثروة العائلة ووجاهتها. وكان لقاسم ولد واحد فقط هو علي الذي مات عام ١٥٩١م/١٠٠٠هـ، قبل وفاة ابيه بسنة واحدة مخلفاً ثلاثة ابناء: عثمان وموسى ومحمد. ومن ذرية عثمان نعرف مراد (توفي عام ١٦٨٠م/١٠٩١هـ) مدرساً وواعظاً في نبي الله يونس، وكان يجيد التركية والفارسية والكردية وكذلك العربية وبرز ليصبح رئيساً للعلماء[6]. وقد درس احد ابنائه، وهو عبد الباقي، في الموصل ثم ذهب الى آسيا الصغرى حيث درّس هناك. وعند عودته الى الموصل اصبح مدرساً في [مدرسة جامع] نبي الله يونس محتذياً حذو ابيه في هذه الوظيفة. وقد عزل من هذه الوظيفة في مرحلة متأخرة ولكن ضمن دعم شيخ الاسلام فأعيد اليها. وقد

---

(١) كان هنالك عمريون آخرون في الموصل سابقاً لظهور قاسم، ولكن المصادر لا تذكرهم على انهم وجهاء.

(٢) ان المصادر غالباً ما تذكر مصبغة السادة والذي كان متوليها دائماً عضواً بارزاً من الاشراف. يخبرنا امين العمري (المنهل(٢)، جزء٢، ١٥١) انه سابقاً لانشاء مصبغة قاسم العمري، كان هنالك مصبغة واحدة في الموصل، عادت فوائدها، كوقف، للاشراف والعلماء (برسم السادة والفقهاء). ويخبرنا ياسين العمري (الدر(١)، ص٤٢٥) انه سابقاً لعام ١٥٧٤م/ ٩٨٢هـ كان هنالك مصبغة واحدة في الموصل وانها كانت وقفاً وان اصحابها كانوا الاشراف.

(٣) سجل الوقفيات، ص٤٤؛ عنوان(١) من ١٨٣ر؛ الديوه جي، جوامع، صفحات ١٣٢-١٣٣.

(٤) بغداد، ص٣٤٠.

(٥) الديوه جي، جوامع، صفحات ١٣٢-١٣٣.

(٦) المنهل(٢)، جزء١، ٢٢٤؛ الصائغ، جزء٢، ١٣٤، ١٣٧؛ الجلبي، ص١٤؛ الديوه جي، جوامع، ص١٠٣. ان لقب رئيس العلماء لقب فخري وليس وظيفة.

عين قاضياً في عدة مدن ولأنه يفضل البقاء في الموصل كان يرسل نواباً ليقوموا مقامه[1]. والابن الاخر من ابناء مراد، علي ابو الفضائل (توفي عام ١٧٣٤م/١١٤٧هـ)، درّس في [مدرسة جامع] نبي الله يونس بعد اخيه وابيه واصبح رئيس العلماء ومفتي الموصل، واصبح بعد ذلك قاضياً لبغداد لمدة سنتين. وعند عودته الى الموصل أُعيد تعيينه مفتياً للموصل واحتفظ بذلك المنصب زمناً طويلاً جداً، وزار اسطنبول عدة مرات ومنح مع المنصب والشرف قرى كير اسحاق، كبر شكيست، قبة، اغج قلعة، جام كرم، ينكجه، خراب كرك، ساندانيك، حسن شامي، برطلي، تل اسقف وميمان، وكذلك نصف قرى جبل مقلوب. ويصف ياسين العمري علياً ابا الفضائل بأنه "اول من ملك قرى في الموصل لأنها كانت تمنح كلها سابقاً للحاكم". وبالاضافة الى ممتلكاته الريفية، ملك علي ابو الفضائل ايضاً عدة اسواق وخانات وحمامات ومقاهي في المدينة. وفي عام ١٧٢٠م/١١٣٣هـ اصلح الجامع العمري ومنحه مدرسة[2]. وفي ذلك الزمن الذي كان الجليليون يعلنون عن ظهورهم السياسي لاول مرة، كان علي ابو الفضائل بلا منازع الوجيه الرئيس في المدينة. كان هو المفتي ونجح في ضمان القضاء لولده محمد. وفي موقف واحد حينما نشب خلاف بين هذا الابن ووجيه جليلي هدده بالخنجر، هدد علي ابو الفضائل بالذهاب الى اسطنبول ليقدم الشكوى، فكان على الوجيه الجليلي ان يقدم الى بيت العمرية ليقدم اعتذاره[3].

وفي فرع آخر من الاسرة العمرية، فرع محمد بن علي بن قاسم، كان الشخص البارز احمد بن محمد الذي ذهب الى اسطنبول حيث تقلد مناصب مهمة غير معروفة. وعاد الى بلده غنياً قوياً وفي "عام ١٦٥٠م/١٠٦١هـ اغتاله والي الموصل الحاقد الذي شعر انه اهين"[4].

وفي الوقت نفسه كان الشخص البارز في الفرع الثالث من الاسرة، فرع موسى بن علي بن قاسم، فتح الله بن موسى القارئ والمدرس في الموصل وقاضي البصرة، والذي يبدو انه قد اكتسب ثروة طائلة من خلال ممارسته للوظيفة. ولكنه مع ذلك بدد تلك الثروة مخاصماً ابن عمه علي ابي الفضائل من اجل السيطرة على الجامع العمري. وفي النهاية حكم بينهما الصدر الاعظم فأصبحا شريكين[5] ومات فتح الله عام ١٦٩٥م/١١٠٧هـ وعمره ثمانون سنة، فبقى علي ابو الفضائل مسؤولاً عن الجامع. ولكن مسألة التولية عمرت اكثر من كلا الرجلين.

---

(١) المنهل(٢)، جزء١، ٢٢٧؛ الصائغ، جزء٢، ١٤٥؛ الجلبي، ص١٤؛ الديوه جي، جوامع، ص١٠٣.

(٢) بغداد، صفحات: ٣٤٠-٣٤١؛ المنهل(٢)، جزء١، ٢٢٥-٢٢٦؛ الصائغ، جزء٢، ١٥٢؛ سيوفي، ص١٣١؛ الجلبي، صفحات١٤-١٥، ٨٥-٨٦؛ الديوه جي، جوامع، ص١٠٣.

(٣) قضاة، من ١٢٧/٥-٢٨ ار.

(٤) عنوان(١) من ٣٩-؛ المنهل(٢)، جزء١، ٢٣٠-٢٣٢. اثار (ص١٢٥) تعطي التاريخ ١٦٦٠.

(٥) قضاة، من ٩٤-؛ المنهل(٢)، جزء١، ٢٢٤-٢٢٥.

ومع ان هنالك دليلاً على احلاف زواجية عمرية[1]،

الجدول رقم ١ : اسرة عثمان بن علي بن قاسم العمري

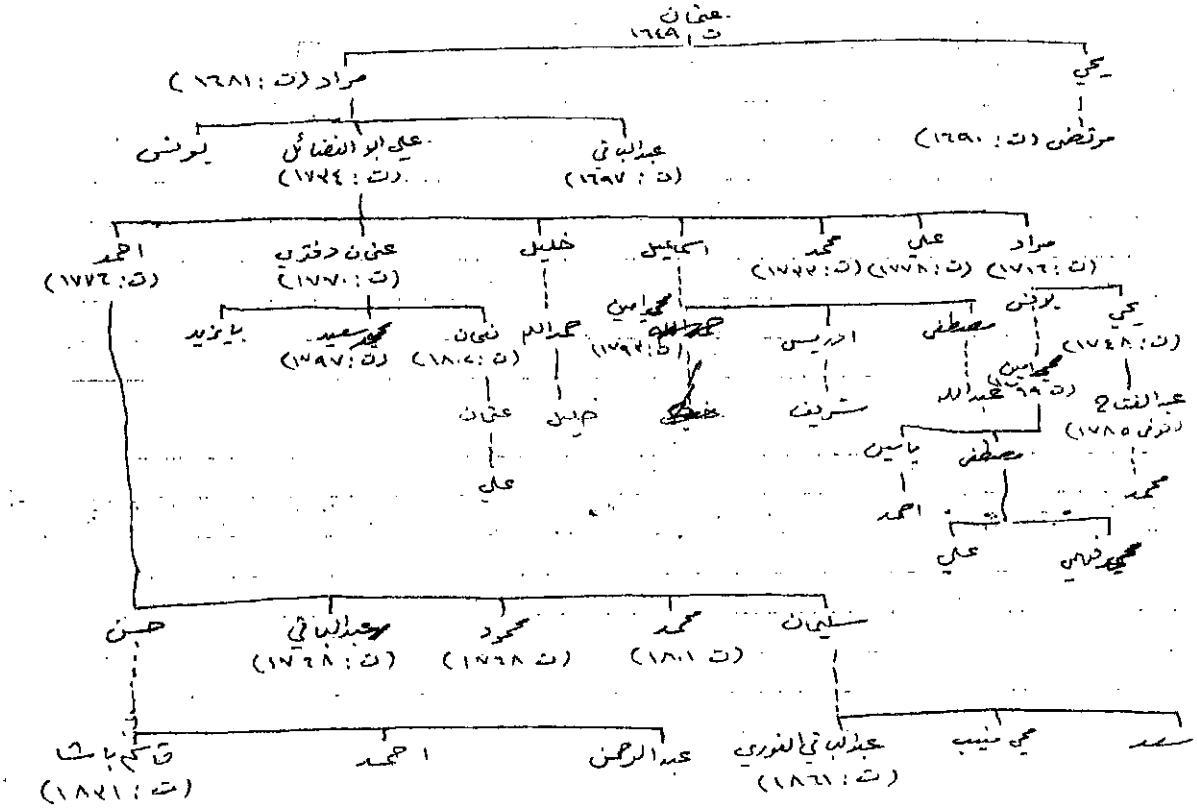

الا ان الاسرة رغم ذلك انشقت ثلاثة افرع في الجيل الثالث[2]. وبحلول بداية القرن الثامن عشر برز فرع عثمان بن علي بن قاسم كفرع رئيسي وعلى رأسه علي ابو الفضائل. ولقد امتلك العمريون قرى ومزارع، وبساتين حول المدينة، واسواق، وخانات، ومقاهي، وحمامات وعلى الاقل مصبغة واحدة. وكانوا ايضاً مسؤولين عن جامع ومدرسته وكذلك عن مرقد مقدس[3]. واضافة الى ذلك يبدو ان لهم نفوذاً كبيراً على ادارة المدرسة القديمة المعتبرة [لجامع] نبي الله يونس وانهم احتكروا لسنين طويلة وظيفتي المفتي والقاضي[4]. ومن خلال الوظائف والمؤسسات الدينية التي سيطروا عليها، استطاع العمريون ان يجذبوا اتباعاً من العلماء والادباء: جرجيس بن درويش (توفي ١٧٢٧م/١١٤٠هـ) كان صديقاً وتابعاً لعلي ابي الفضائل وامامه الشخصي؛ محمود الكردي الخراتي (توفي ١٧٤٧م/١١٦١هـ) كان مدرساً؛ اسماعيل بن ابي جحش (توفي ١٧٢٧م/١١٤٠هـ) كان مدرساً آخر[5].

---

(١) انظر مثلاً، المنهل(٢)، جزء١، ١٤١.

(٢) من الممتع ان نلاحظ حينما احتل الفرس الموصل في عام ١٦٢٣ هروب موسى بن علي بن قاسم الى جزيرة ابن عمر، بينما لجأ اخواه الى العمادية: آثار، ص٢١١.

(٣) هو مرقد سلطان عبد الله الذي منحه الباب العالي لاحمد بن محمود بن موسى: سيف، ص١٣٢.

(٤) كان العمريون احنافاً، والمرادي هو المصدر الوحيد الذي ينص على ان علي ابا الفضائل كان شافعياً: انظر سلك الدرر في اعيان القرن الثاني عشر (بولاق، ١٨٨٣)، جزء٢، ص٢٣١.

(٥) المنهل (٢)، جزء١، ٢٧٢-٢٧٣، ٢٩٥-٢٩٦؛ صائغ، جزء٢، ١٤٠، ١٤١، ١٥٨.

الجدول رقم ٢ : اسرة محمد بن علي بن قاسم العمري

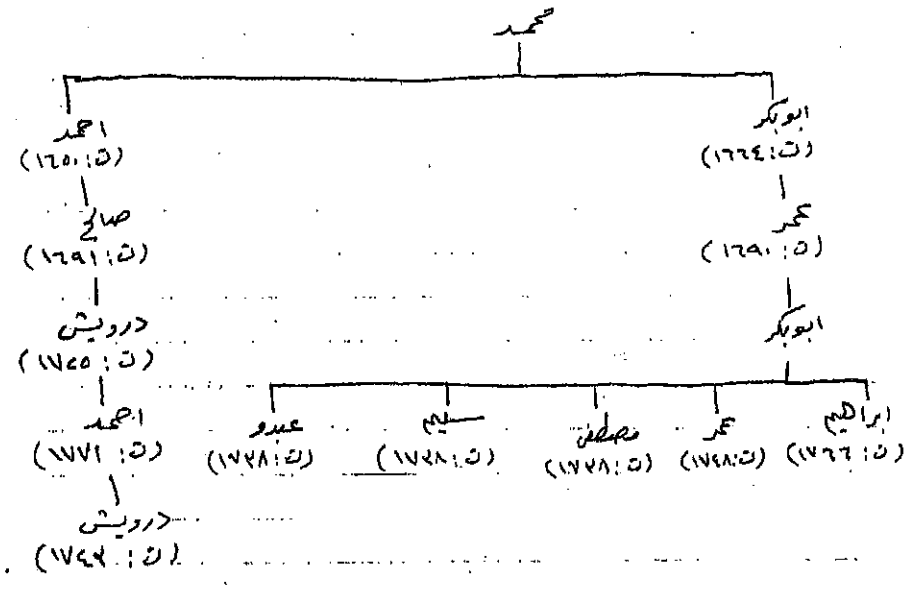

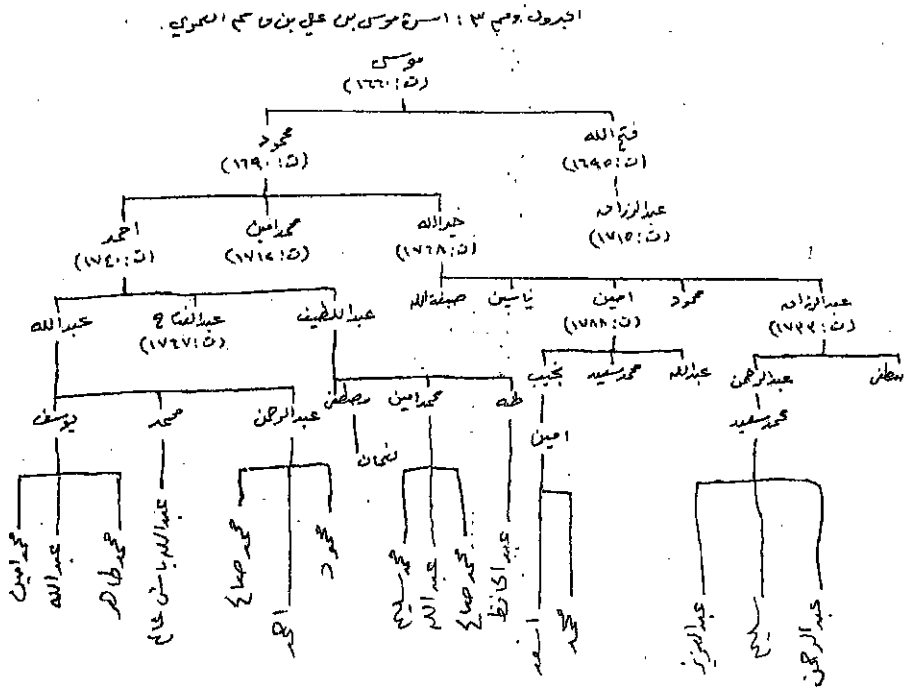

أما اشراف الموصل فقد شكلوا قوة اخرى في السياسة المحلية. ويظهر ان علاقاتهم مع العمريين كانت متوترة على الاقل منذ حادثة المصبغة. وبعد اقل من قرن تفجر حادث اكثر خطورة بين الفريقين. اذ يحدثنا ياسين العمري انه في وقت ما خلال النصف الاول من القرن السابع عشر في يوم عاشوراء حين نظم اشراف الموصل مسيرة جنائزية كما تعودوا ان يفعلوا كل عام. ويبدو ان هذه السنة بالذات رأى العمريون في هذه المسيرة استفزازاً، وكنتيجة لذلك امر عثمان بن علي بن قاسم العمري "اهالي محلته ان يفتحوا النار على الاشراف فقتل احدهم"[1]. ثم يضيف ياسين العمري بان الاشراف احتجوا لدى الباب العالي الذي انحاز الى

(١) يعتقد الناس في الموصل الآن ان الاشراف انتقموا وقتلوا اثني عشر عمرياً على الاقل.

جانب العمريين وامر الاشراف ان يغادروا حيهم وينتقلوا الى شمال الموصل، بعيداً عن الحي العمري[1]. وهكذا في مناسبتين تدخل الباب العالي نيابة عن العمريين وضد الاشراف. وقد يكون السبب في ذلك ان الولاء الحنفي للعمريين مفضل لديهم. وهكذا يبدو لنا في اوائل القرن السابع عشر ان اشراف الموصل سكنوا في محلة امام عون الدين التي تقع مباشرة شمال محلة باب العراق القلعة العمرية. وفي الحقيقة، يظهر ان محلة امام عون الدين كانت تسمى في السابق محلة الطالبيين، وفي مرقد الامام عون الدين ما يزال المرء يستطيع ان يرى قبوراً قديمة مختلفة تعود للاشراف، وكذلك المحراب في قبو القبر (المدفن) الذي يقرنه السنة الموصليون بالتقاليد الشيعية[2]. وبعد نزاع عاشوراء المشهور هجر الاشراف بيوتهم واستقروا في محلة الخاتونية، شمالي الجامع الكبير وجنوبي محلة الميدان الاخضر.

آل ياسين المفتي اسرة رجال علماء وجدهم عبد المحسن عالم من سامراء استقر في الموصل عام١٥٤٣م/٩٥٠هـ، وصار حفيده محمود (توفي١٦٧١م/١٠٨٢هـ) مفتياً للموصل وعند وفاته شغل المنصب ولده ياسين (توفي١٧٢٢م/١١٣٥هـ) الذي سميت الاسرة باسمه من بعده[3]. وقد درس ياسين المفتي في اسطنبول وعند عودته الى الموصل بنى خاناً كبيراً يعرف بخان المفتي ومدرسة ايضاً، وكلاهما يقعان في محلة باب السراي الى الجنوب الشرقي. وقد سكنت الاسرة غرب الموصل بالقرب من باب سنجار. ويحدثنا محمد الغلامي ان ورثة ياسين تخلوا عن العلم والمعرفة واصبحوا رجال سيف[4]، إلا ان التقليد العلمي رغم ذلك انتقل الى يوسف النائب صهر ياسين، (توفى ١٧٣٧م/١١٥٠هـ) والذي صار بفضل ياسين نائب قاضي الموصل كما صار ولده وحفيده كذلك من بعده[5]. وتمتلك الاسرة ارضاً منحت لياسين كإقطاع حين سافر الى اسطنبول بصحبة ابيه في عام ١٦٥٠م[6].

---

(١) الدر(١)، ص٥١٨.

(٢) محادثة مع سادن الامام عون الدين، الموصل، ٢٠ آذار١٩٧٩.

(٣) حاشية مكتوبة بقلم حفيد ياسين على هامش العمدة تخبرنا ان ياسين عمل كقاضي العسكر.

(٤) بالعربية: وكسروا الاقلام وطعنوا بالسيف (انظر محمد الغلامي، شمامة العنبر والزهر المعنبر (بغداد، ١٩٧٧، ص١٠٤). ونعرف ان خليل بن محمود بن ياسين كان قائد الانكشارية في عصيان عام ١٧٧٨م (انظر العمدة، من ٥/٢٢).

(٥) لانزا، ص٥٩؛ المنهل(٢)، جزء١، ٢٢٣.

(٦) الدر(٢)، من ٥/٣٠٠.

الجدول رقم ٤ : آل ياسين الحنش

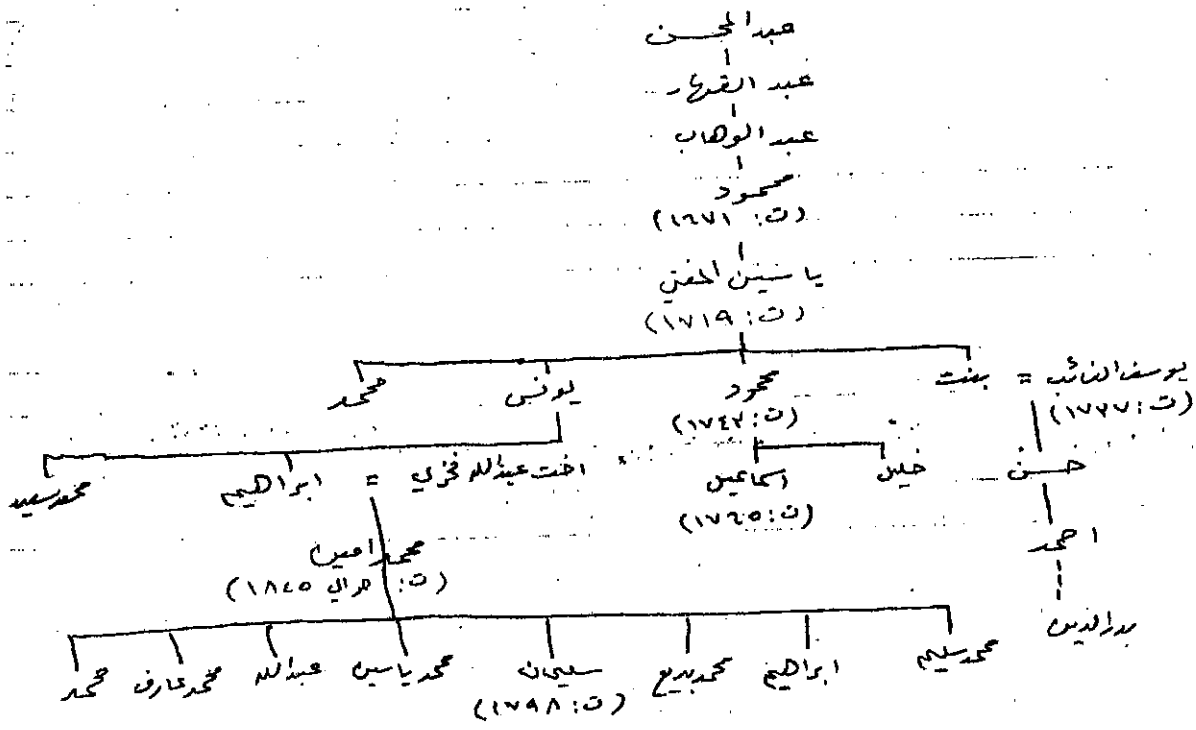

سكنت الاسرة غرب الجوصق، قرب باب سنجار

والعائلة الاخرى هي آل قره مصطفى بيك وهي عائلة موصلية بارزة من ملاكي الاراضي والمزارعين، والتي تتحدث المصادر عنها بالنزر القليل لسوء الحظ طيلة الفترة الجليلية. ويبدو ان جد العائلة يعقوب اغا ينحدر من قبيلة الموالي وقد استقر في الموصل حينما منحه السلطان مراد الرابع اقطاعاً. ويذكر ولده قره مصطفى بيك خلال حصار الموصل من قبل نادر شاه. ويظهر ان الاسرة اختفت عن الحلبة السياسية حين تخلى زعيمها عن اقطاعه وانقطع للزهد والتصوف[١].

كان الغلاميون اسرة شافعية معروفة لعلمها وليس لثروتها او سطوتها. ولا يعرف محل سكناهم في المدينة على وجه التحديد، ولكن محلة الخاتونية كانت مقرونة باسمهم في اواخر القرن التاسع عشر. وكان ممثلهم الرئيس في بداية القرن الثامن عشر مصطفى بن علي الذي درس في الموصل ودرّس في نبي الله يونس. وقد اشغل منصب مفتي الشافعية. ويصبح البعد السياسي للمؤسسات الدينية واضحاً حينما نعلم ان مصطفى هذا كان صديقاً حميماً لعبد الباقي العمري الذي مارس نفوذاً قوياً، كما رأينا سابقاً، على مدرسة نبي الله يونس. ولقد سافر مصطفى بيك مرتين الى اسطنبول ومات فيها عام ١٧١٧م/١١٣٠هـ[٢].

---

(١) انظر سيوفي، ص١٠٩.

(٢) المنهل(٢)، جزء١، ٢٥٢-٢٥٣؛ الصائغ، جزء٢، ١٥٠؛ الديوه جي، جوامع، ص١٠٣؛ الجلبي، ص١٤.

الجدول رقم ٥ : اسرة الغلامي

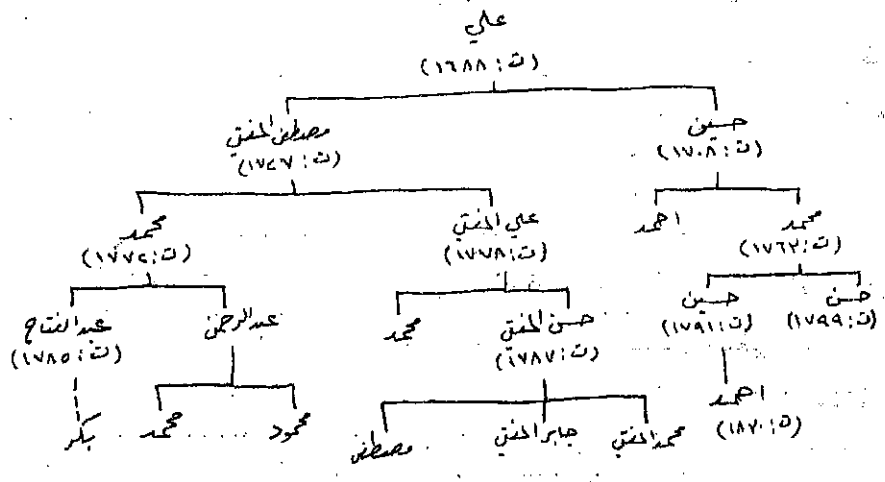

والاسرة الشافعية الاخرى هي العبدليون الذين سكنوا بالقرب من باب السراي. ومؤسس هذه الاسرة هو الشيخ عبدال الذي كان تاجراً واديباً ومات عام ١٦٨٨م/١١٠٠هـ. وفي عام ١٦٦٩م انشأ جامعاً ومدرسة بالقرب من داره واوقف لهما خاناً وبعض الدكاكين والمقاهي. وفي عام ١٦٧٢م انشأ وقفاً آخر يشمل نصف خان واثنتي عشرة دكاناً تقع كلها في محلة باب السراي واوقف نصف الدخل للمدرسة المارة الذكر والنصف الآخر وقفاً ذرياً لاسرته. وبعد خمس سنوات بنى سبيلاً وفي عام ١٧٠٠م، وبعد وفاة الشيخ عبدال باثنتي عشرة سنة، وسعت الاسرة الجامع؛ وفي عام١٧١٨م اعاد العبدليون بناء مسجد اليتيم الواقع في محلة العبدو خوب الى الشمال الشرقي، وبعد ثماني سنوات انشأ يحيى بن عبدال وقفاً آخر (بعض الدكاكين) التي اقتسم دخلها بين الجامع والاسرة. وتدل سياسة الاستثمار في البنايات الدينية على ان ثروة الاسرة ما زالت تتنامى في القرن الثامن عشر، فكان لديها في القرن التاسع عشر سبع دكاكين ومصبغتان، ومخزن للشوفان (الهرطمان) ونصف سوق، تقع كلها في محلة باب السراي المزدحمة، وكلها ملك لجامع العبدالية[1]. وحيث كان الغلاميون الشافعيون اسرة رجال علماء، كان العبدليون الشافعيون بالتأكيد تجاراً اثرياء.

واما بالنسبة للاسر الوجيهة الاقل اهمية في ذلك الزمن، فاننا نسمع عن آل التوكندي الذين اعادوا بناء جامع مهدم ومدرسة في سوق الصغير (١٦٧٤م/١٠٨٥هـ). وكذلك الجويجيون، وهم اسرة تجارية تسكن محلة باب العراق، الذين بنوا حمامين في محلة المكاوي ووهبوهما وقفاً لجامع الجويجاتي (١٦٥١م/١٠٦٢هـ). واما حاج علي النعمة التاجر الساكن في محلة خزرج فقد انشأ قبة على مرقد النبي شيت في عام ١٦٥٩م/١٠٧٠هـ، بينما شاد احفاده، بعد سبعين سنة، عدداً من المساجد، ووسعوا مسجداً آخر في محلة باب العراق وآخر قرب باب لكش، ثم اعادوا بناء جامع خزرج واقاموا له مدرسة. وفي هذا مؤشر واضح على تنامي ثروة هذه الاسرة التجارية. اما آل محضر باشي فقد انشأوا مسجداً ومدرسة في محلة باب النبي في عام ١٦٢٠م/١٠٣٠هـ. واما المنصوريان فهما شقيقان تاجران سكنا محلة باب البيض، وانشاءا جامع الشيخ محمد واوقفا له حماماً عام (١٦٧٠م/١٠٨١هـ) ثم اعادا بناء جامع في محلة المنصورية (١٦٧٣م/١٠٨٤هـ)، بينما بنى احد الاخوين، وبعد عشر سنوات، جامعاً آخر في شهر سوق. اما آل العراقي

---

(١) سجل الوقفيات، ص١١٠؛ مجموعة الوقفيات؛ بغداد، ص٣٧٦؛ سيوفي، صفحات: ٤٧-٥٤، ٨١، ١٢٣-١٢٤؛ الديوه جي، جوامع، صفحات١٤٢، ١٥٢، ١٥٥-١٥٦؛ والمدارس، جزء١، ٧٨؛ الجلبي ص١٦٤.

فهم اسرة وجيهة قديمة سكنت في محلة باب المسجد وبنوا مسجداً فيها. اما آل الجمعة فهم اسرة جاءت من الحديثة وسكنت الموصل في محلة باب المسجد واعادت بناء جامع سلطان ويس عام (١٦٨٣م/١٠٩٥هـ). اما آل الجردي فهم اسرة شافعية وتجار اقمشة يتاجرون مع حلب، وفي بداية القرن الثامن عشر كان عبد الباقي بن احمد الجردي صديقاً وتابعاً لعلي ابي الفضائل العمري. اما آل الجوير فهم اسرة تصنع الشموع و تجار، وقد بنوا مسجداً قرب باب العراق عام ١٧٠٧م/١١١٩هـ. اما آل الخلوتي فقد انشأوا مسجداً في محلة الشيخ ابي العلا الى الجنوب الشرقي. اما آل درويش فقد اعادوا بناء مسجد في محلة المحمودين عام ١٧٢٢م/١١٣٥هـ. اما الوجيه.المعروف باسم الياس بيك فقد اصلح الجامع الاموي. وفي عام ١٧٠٠م/١١١٢هـ وسع ابراهيم بن عبد السلام مسجداً صغيراً يقع في السوق الصغير[١].

وفي بداية القرن الثامن عشر كانت الموصل تحكم من قبل ولاة يرسلون من اسطنبول، ومع ان الوجهاء المحليين كانوا قادرين على ملئ الوظائف الدينية العليا، يبدو ان الادارة استمرت تفلت منهم. ولذا كان هنالك تمييز واضح بين الوجهاء المحليين الدائميين وبين الادارات التركية العابرة. ولكن تمييزاً كهذا يجب ان لا يفهم باعتباره انقسام ثنائي ومعارضة بين ما هو محلي وما هو اجنبي. وكما رأينا سالفاً فان التناقضات المحلية (مثلاً الاشراف/ العمريين) كانت على الاقل مهمة كأي تناقضات او مصادمات في المصالح بين المحلي والاجنبي او بين "الحكم الذاتي" الموصلي الحكومة المركزية. بالاحرى ان هذا التمييز بين المحلي والاجنبي يجب ان يفهم كتعبير عن ان في كل معادلة سياسية في الموصل يكون العامل الاجنبي (الوالي، الباب العالي) قاسماً مشتركاً: الممثل، المحرض، المحكم، مصدر القوة. وطيلة الفترة التي سبقت الجليليين كان الباب العالي البعيد المرجع النهائي وغالباً ما زار الوجهاء المواصلة اسطنبول، متلقين قوتهم السياسية من ارتباطاتهم في العاصمة..كما رأينا العمريين يفعلون ذلك في اكثر من مناسبة. ولكن بحلول بداية القرن الثامن عشر تغير هذا النمط السياسي بظهور عاملين جديدين: الجليليون في الموصل والباشوات المماليك في بغداد.

تحدثنا المصادر بان مؤسس الاسرة الجليلية، عبد الجليل، كان تاجراً يتجر على طريق ديار بكر–الموصل. و استقر في النهاية في الموصل وصار له سبعة ابناء هم: خليل، ابراهيم، يونس، اسماعيل، صالح، زبير وعبد الرحمن. وحتى هذا اليوم يعتقد نصارى الموصل ان عبد الجليل كان نصرانياً وانه اعتنق الاسلام ويشيرون الى قبر في قبو كنيسة شمعون الصفا يعرف بقبر الباشا الذي يعتبرونه قبر عبد الجليل. ومع ذلك يبدو ان تسمية القبر المذكور قد يكون لها اصل مختلف. ان الحقيقة ان مبشراً كرملياً اوربياً مات في الموصل في اوائل القرن الثامن عشر، فاجبر اسماعيل باشا بن عبد الجليل النساطرة المكرهين على دفنه في كنيستهم شمعون الصفا. وبعد ذلك بعدة عقود وحين مات مبشر كاثوليكي آخر ارغم امين باشا بن حسين باشا بن اسماعيل باشا الجليلي النساطرة المتذمرين ان يدفنوه في القبر نفسه[٢]. وحسب المصادر الموصلية في القرن العشرين ان هذا هو السبب في تسمية القبر بقبر الباشا وليس لأن القبر يضم بقايا النصراني عبد الجليل. ان

---

(١) ان جميع المعلومات التي عرضت في هذه الفقرة اخذت من المنهل؛ المرادي؛ الجلبي؛ سيوفي؛ الصائغ؛ الديوه جي، المدارس والجوامع والجامع الاموي في الموصل، في سومر، العدد٢، ١٩٥٠.

(٢) انظر: كورماختيغ، ص٢٤.

المصادر نفسها الوثيقة الصلة بالموضوع تقول ان النصارى الذين كانوا يعتنقون الاسلام يتخذون عادة اسماً كأحمد او محمود او..الخ وغالباً ما يدعون انفسهم بابن عبد الله، بينما كان ابو عبد الجليل يدعى عبد الملك[1].

الجدول رقم ٦: اسرة عبد الجليل (الجيلان الاول والثاني)

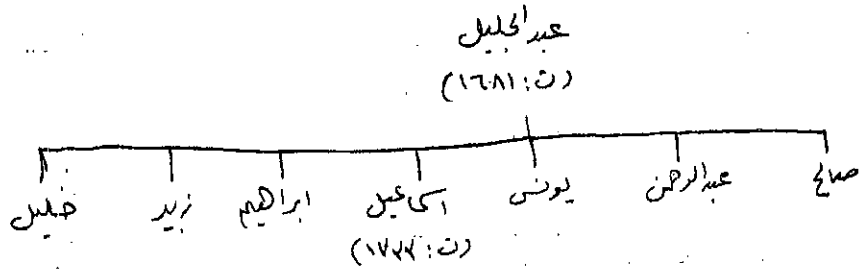

ولأن كلا الاسمين عبد الجليل وعبد الملك قد يشيران الى مسلم وكذلك الى نصراني فمن الجائز ان نصرانياً تحول الى الاسلام ان يسقط الاسمين الناقصين (الملتبسين) كليهما لصالح اسمين مسلمين صريحين.

والاعتقاد السائد عموماً ان عبد الجليل كان تاجراً وان رأس مال الاسرة التجاري تحول بالتدريج الى رأسمال سياسي من خلال بناء المؤسسات الدينية والاقطاع بالالتزام وتمويل الحملات العثمانية. وليس هنالك شك في ان ثروة تجارة تستطيع ان تمول الجهد الحربي العثماني وترسل فريقاً من المواصلة الى الجبهة لابد ان تكون كبيرة. ليس لأن شيئاً كهذا كان مستحيلاً او حتى مرجحاً ولكن من الجائز جداً ان تكون قوة وثروة الجليليين ووجاهتهم ايضاً قد نشأت قبل انتقالهم الى الموصل. وفي القرن السابع عشر كان النوع الوحيد من القوة والثروة اللتان يجدر ذكرهما قد وجدتا جذورهما في الارض. اذن، هل كان عبد الجليل "مالك ارض"؟؟ ان اشارة ياسين العمري الى علي ابي الفضائل العمري بانه اول من ملك قرى في الموصل تميل الى اسقاط هذه الامكانية. ولكن اشارة كهذه قد تكون لغة مغالاة بسيطة، لاننا نعلم ان ياسين المفتي منح ارضاً قبل ذلك حوالي عام ١٦٥٠م. ولكن تارة اخرى يمكن ان تكون القرى التي سيطر عليها عبد الجليل واقعة خارج حدود ولاية الموصل. ولان الاسرة نشأت في ديار بكر فمن الجائز ان يكون انتقالهم الى الموصل مرتبطاً بجعل لواء الموصل القديم (الذي كان سابقاً جزءاً من ولاية ديار بكر) ولاية مستقلة. ان كل هذا مجرد تخمين، ولكن الوثائق المتوفرة لدينا تعطينا اشارتين تتعلقان بالممتلكات الريفية للاسرة الجليلية في اواخر القرن السابع عشر. ان الفرمان الامبراطوري الذي منح حسين باشا الجليلي قرية قره قوش (الخاضعة لولاية شهرزور) مكافأة للدفاع عن الموصل ضد جيوش نادر شاه عام ١٧٤٣م، منحه القرية المذكورة كملك خاص (على وجه الملكية هو واولاده واعقابه..)[2]. وليس هنالك شك في ان القرية اعطيت لحسين باشا من قبل السلطان كملك خاص (مُلك) والسؤال الذي يثار هو: لماذا، من بين جميع الافضال الممكنة التي كان يمكن ان يسأل من السلطان، طلب حسين باشا قطعة من الارض ان تعطى له كملك؛ ولماذا، من بين جميع الارض الخصبة الواقعة في ولاية الموصل، اصر على تملك قرية كانت جزءاً من ولاية شهرزور؟ يبدو ان الجواب ينبثق من نص الوقفية لقرية قره قوش التي ينص فيها الواقف، حسين باشا، بكل وضوح:..قرية قره قوش..المتصرفين نحن بها من

(١) محادثة مع محمود بك الجليلي، الموصل، ٢٥ آذار ١٩٧٩.

(٢) لسوء الحظ، لقد تمكنت ان افحص بامعان صيغة منشورة فقط من الفرمان: انظر، رؤوف، صفحات: ٥٢٠-٥٢١.

القديم اباً عن جد بطريقة الملكية..استدعيت والتمست من الجانب السلطاني تمليكي القرية المذكورة..[1]. ويشير هذا الى ان حسين باشا قد اختار قرية قره قوش لأن اسرته قد "ملكتها" وكملكنا لثلاثة اجيال (اباً عن جد). وهناك اشارة اخرى للحقيقة نفسها تظهر في وقفية النبي شيت التي تخبرنا في اواخر القرن التاسع عشر بان قرية بلوات "تخص" احمد باشا بن سليمان باشا بن امين باشا بن حسين باشا الجليلي[2]، بينما "تخص" قرية كرمليس عبيد اغا بن صالح اغا بن عبد الجليل[3]. والامر المثير للانتباه هنا ان القرى الثلاثة، قره قوش وبلوات وكرمليس هي قرى متجاورة. والمرء يغرى لأن يفكر بان القرى الثلاث كانت في الاساس جزءاً من قطعة واحدة وخضعت لوصية واحدة: وتلك الوصية هي بجلاء وصية عبد الجليل، القاسم المشترك الاعظم الوحيد بين اسرة حسين باشا واسرة عبيد اغا، والمصدر الطبيعي لذلك الميراث. وهكذا يظهر ان الاسرة الجليلية، وفي بواكير القرن السابع عشر، قد ملكت ارضاً عدّتها ملكاً لنا "ملكنا" جنوب شرقي الموصل، وهو ما يفسر ثروتهم ووجاهتهم الملفتتين للنظر.

ويظهر ان عبد الجليل قد اختار بعد وصوله الموصل الاقامة في محلة امام عون الدين، وبالتدريج راح الجليليون يحلون في البيوت القديمة للاشراف الذين اجبروا سابقاً على النزوح الى الشمال. وبأسلوب مشابه لأسلوب الاسر الغنية الاخرى سعى الجليليون الى ضمان ممتلكاتهم وتحويلها الى رأسمال سياسي بتشييد المؤسسات الدينية. ففي عام ١٧٠٢م/١١١٤هـ بنى ثلاثة من ابناء عبد الجليل هم: اسماعيل وخليل وابراهيم، جامع الاغوات ومدرسته في سوق باب الجسر وعهدو بها للاسرة، مشترطين في الوقفية ان يكون الامام والواعظ والمدرس من الجليليين او من اتباعهم[4]. وفي زمن مقارب لذلك بنى علي بن يونس بن عبد الجليل (توفي عام١٧٣٤م/١١٤٧هـ) مدرسة[5]. وفي عام ١٧١٦م/١١٢٩هـ بنى اسماعيل (باشا فيما بعد) بن عبد الجليل مدرسة في جامع النبي جرجيس الواقع في سوق الشعارين[6]، وكان احد اوائل المدرسين فيه يوسف النائب صهر ياسين المفتي (آل ياسين). ومن الممتع ان نلاحظ في هذه المرحلة المبكرة ان الجليليين لم يشيدوا البنايات الدينية في المنطقة الجنوبية الغربية بل بالاحرى في منطقة السوق الجنوبية الشرقية، شاقين بذلك طرقهم في منطقة الميدان، قلعة الادارة التركية. وفي عام١٧٢٠م استحوذ الجليليون على التزام الطمغة المربح[7]، وبالاشتراك مع علي ابي الفضائل العمري ومصطفى قره بيك، اصبحوا جباة للضرائب من الحرف[8]. وكتجار وكجباة ضرائب حضريين كان الجليليون في موقع قوة قدروا معه على مدّ نفوذهم على

---

(١) لسوء الحظ، لقد تمكنت ان افحص بامعان صيغة منشورة فقط من الوثيقة المذكورة: انظر المصدر نفسه، ص٥٢٥.

(٢) انظر مجموعة الوقفيات.

(٣) المنية، من ٢٦و٢٤-؛ الدر (١)، ص٦٣٣؛ الزبدة، صفحات: ١٥٠-١٥١.

(٤) مجموعة الوقفيات.

(٥) المنهل(٢)، جزء١، ٢٥٩.

(٦) الديوه جي، المدارس، جزء١، ٨٢-٨٣.

(٧) الطابع العام. رسم يفرض على البضائع المنتجة محلياً قبل وقوع البيع: انظر هـ. جب و هـ. بون، المجتمع الاسلامي والغرب (لندن، ١٩٥١-١٩٥٧)، الجزء٢، ص٨. في عام ١٨٤٥ كان الالتزام يقدر بـ ١٤٢٠٠٠ قرش في الموصل: انظر اف او (وزارة الخارجية) ١٩٥/٢٢٨، رسالة الى كننغهام، الموصل، ٢٧ ايار١٨٤٥.

(٨) رؤوف، صفحات ٥١-٥٤.

الاسواق، وسعوا بالتأكيد لتجنيد تأييد عامة الناس. وقد كتب امين العمري قائلاً "انهم اعتنوا بالفقراء والحرفيين ودافعوا عنهم وحموا مصالحهم وجدوا في الغاء الاتاوات وكل مبتدعات الضرائب"[1].

الجدول رقم ٧ : الاسرة الجليلية

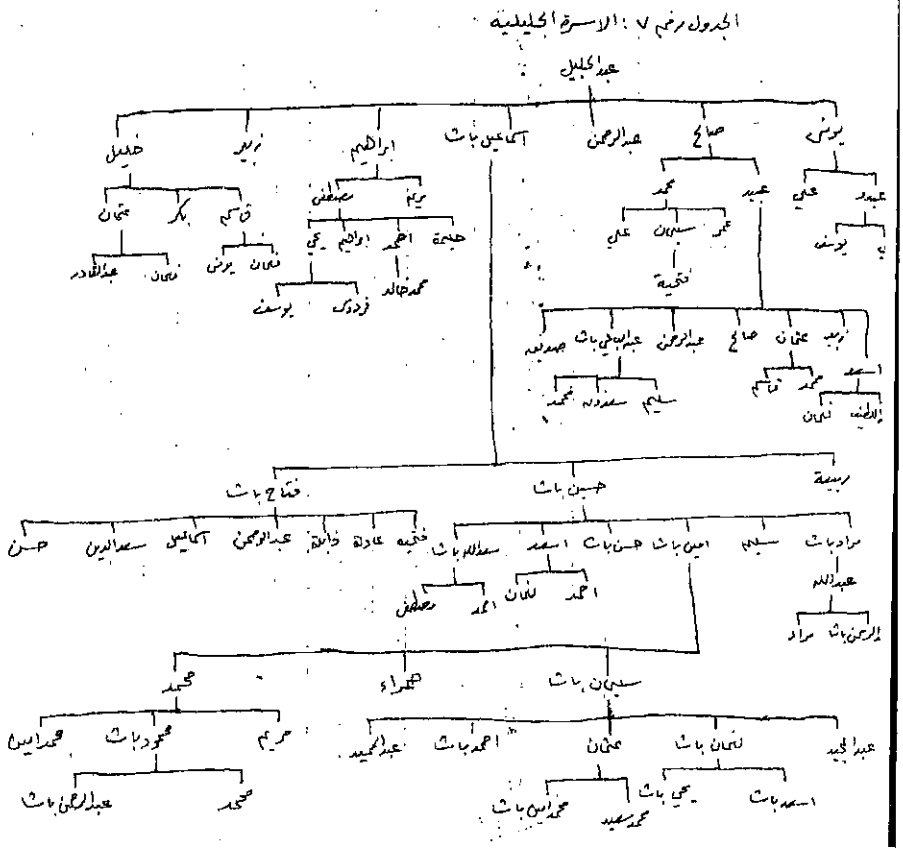

والى جانب مسعاهم لضمان تأييد "الشارع" فلقد وجه الجليليون جهودهم نحو كسب غاية الباب العالي. لقد ساهم اسماعيل بن عبد الجليل مالياً في الحروب العثمانية ضد فارس، وارسل ابنه حسين (باشا فيما بعد) مع مجموعة من المحاربين ليشاركوا في حملة ضد الصفويين. ولكي يكافأ لحماسته ومعونته يبدو ان اسماعيل بن عبد الجليل (الجليلي) منح لقب سنجق بيك وبعد ذلك عين والياً على الموصل عام ١٧٢٦م/١١٣٩هـ. وبقي في ذلك المنصب سنة واحدة فقط، ولكنها كانت كافية لتثبيته وجيهاً اول في المدينة.

٢- السنوات الاولى للحكم الجليلي

ولو ان القول بانحياز الاسر يبدو مجازفة، الا انه يظهر ان علي ابو الفضائل العمري كان مسيطراً تماماً على الحي الجنوبي الغربي (المعروف بباب العراق) في بداية القرن الثامن عشر. ومن ثم على الاسر القاطنة هناك لسبب بسيط هو انه يسيطر على المجال الذي يسكنون فيه. وضد هذه الكتلة كانت هنالك كتلتان: الاشراف والادارة التركية. وجاء الجليليون ليكونوا كتلة اخرى ليست بالضرورة معارضة لكتلة آل العمري ولكنها بالتأكيد منافس كامن لشهرة علي ابو الفضائل وقوته[2] وبينما كان العمريون ما زالوا محصنين في باب

---

(١) المنهل، الجزء٢، ١٤٢.

(٢)ان زيارة قصيرة للجامع العمري كافية لاعطاء الشعور بمعنى "الوجاهة" وكذلك لتفسير الصدمة التي سببها البروز الشهابي لآل الجليلي للفرع الرئيسي للاسرة. ففي الوقت الذي كان الجليليون يستقرون في الموصل، كان العمريون قد برزوا كأسرة وجيهة رئيسية قد كسرت للتو سيطرة الاشراف. وكان علي ابو الفضائل الحلقة الرابطة بين المدينة والادارة التركية. ان هذه الوجاهة للاسرة يمكن الشعور بها في الجامع الرائع الذي يتولون ادارته. ووراء هذا الجامع=

العراق، كان الجليليون الساكنون في محلة امام عون الدين يثبتون انفسهم بالتدريج في الحي الجنوبي الشرقي المعروف بالميدان حيث كانوا يشيدون الجوامع والمدارس. فضلاً عن ذلك فان روابطهم بالميدان مركز الموظفين ازدادت قوة بتعيين اسماعيل بن عبد الجليل والياً على الموصل. وقبيل وفاة اسماعيل باشا عام ١٧٣٣ اصبح احد ابنائه حسين باشا والياً على الموصل وهو الوالي الجليلي الثاني خلال اربع سنوات. وبين عامي ١٧٣٠ و ١٧٥٠ عين حسين باشا الجليلي والياً سبع مرات (١٧٣٠، ١٧٣١-٣٣، ١٧٣٣، ١٧٣٨-٤٠، ١٧٤١-٦، ١٧٤٧-٨، ١٧٥٠). ان الوضع المزدوج للجليليين بصفتهم ولاة ووجهاء، لا بد وانه قد عزز سلطة هذه الاسرة وهيبتها التي ظهرت في تلك المرحلة متحدة وراء حسين باشا. وبالتدريج راح الجليليون يستغلون وظيفة الوالي وفي الوقت نفسه اثبتوا الحاجة المتزايدة اليهم لصيانة القانون والنظام. وحتى حينما لم يكن حسين باشا والياً، فان روابطه "بالشارع" جعلت منه الحاكم الفعلي للمدينة[١]. وحين وصل اوتر الموصل عام ١٧٣٦ لاحظ ان المدينة كانت قلقة في اعقاب وصول الوالي التركي الجديد الى الموصل[٢]. في هذا الصدد يجب ان نتذكر الآن ان السنة الماضية شهدت وصول السربة "٢٧" الانكشارية المنفية من بغداد لتستقر في الحي الجنوبي الشرقي للموصل. ويبدو ان حسين باشا الجليلي قد كون روابط متينة بالسربة "٢٧"[٣] التي نصبت نفسها في السويداء من قلب مركز الحكم: السراي، مخزن العتاد، محطة البريد، دار الكمرك، والمحكمة كلها كانت هناك.

وخلال هذه الفترة استمر الجليليون ببناء المؤسسات الدينية. ففي عام ١٧٣٥ اضاف حسين باشا المصلى الشافعي في جامع النبي الله جرجيس[٤]. وبعد ثلاث سنوات اعاد بناء الجامع النوري (الكبير) بعد ان كان خراباً ميتاً. ولكن العامل الاكثر حسماً في تقوية سلطة وهيبة الجليليين كان المقاومة الناجحة للمدينة بقيادة حسين باشا للجيوش الغازية لنادر شاه عام ١٧٤٣. ويقف الانتاج الموصلي الادبي والتاريخي لذلك العهد شاهداً على الفائدة السياسية الهائلة التي جناها بيت حسين باشا الجليلي من المقاومة البطولية التي ابدتها المدينة ضد اكباش الغازي الفارسي[٥].

وكنتيجة لتوليهم الادارة فقد حل الجليليون محل العمريين كامراء بين الوجهاء: في نظر الموصليين وكذلك في نظر الباب العالي. وبدأ الوجهاء الاصغر شأناً ورجال العلم ينجذبون حول الحكام الجدد وفتح بروز

=الذي يهيمن على حي باب العراق، هنالك مقبرة العمريين، والتي تضفي على الجامع (مكان العبادة العامة والاجتماع) "ظلالاً من المملكة الخاصة".

(١) في السنوات الاولى للحكم الجليلي وقبل ان يعين والياً، امر حسين بن اسماعيل الجليلي باغتيال ثلاثة قادة انكشاريين بارزين: انظر الدر(٢)، في ٣٢٦- -٣٢٨/٥.

(٢) اوتر، الجزء١، ١٣٥. كان الوالي ايلجي مصطفى باشا.

(٣)عندما وصل قادة السربة "٢٧" منفيين من بغداد، الى الموصل عام ١٧٣٥، كرمهم ابراهيم اغا بن مصطفى اغا الجليلي، حليف بيت حسين باشا: انظر الدر(٢)، في ٣٢٩-

(٤)الديوه جي، جوامع، صفحات ١١٥-١١٧.

(٥) المصدر نفسه، جوامع، ص٢٤.

الحكم المحلي ابواب الادارة للموصليين. وكوجهاء قد يكون الجليليون منافسين للعمريين والاشراف وآل ياسين، ولكن كحكام كانوا بالتأكيد في المركز في قلب حركة كبيرة راحت تضم الموصليين في الطبقة الحاكمة[1].

وهنا قد يكون من الممتع ان نتعقب حظوظ الاسر الوجيهة الرئيسية في محاولة لرؤية تأثير ظهور الحكم المحلي.

لقد مات علي ابو الفضائل العمري في عام ١٧٣٤م/١١٤٧هـ، مخلفاً حفيده يحيى بن مراد مفتي الموصل منذ ان تقاعد جده، كمتولي للجامع العمري. ولقد توفي يحيى في عام ١٧٤٨م/١١٦١هـ. وقبل ذلك بعشر سنوات استطاع عمه احمد، بتأييد من والي بغداد، ان يأخذ التولية منه ويحتفظ بها لاربعين سنة: وقد خلفه اخوه علي بن علي ابي الفضائل الذي ذهب الى اسطنبول وتوفي فيها عام ١٧٧٨م/١١٩٢هـ. وفي ذلك الزمن كان العمري المهم عثمان الدفتري بن علي ابي الفضائل مؤلف [الروض] النضر قد درس في الموصل وتحت اشراف الحيدريين في ماوران[2]، وبعد ذلك دخل في خدمة حسين باشا الجليلي وتبعه الى آسيا الصغرى. ولكنه ترك خدمته بعد خصام مع يونس افندي كاتب الديوان وعاد الى الموصل ليخدم امين باشا بن حسين باشا الجليلي. وفي عام ١٧٥٧ ذهب الى اسطنبول حيث عين دفتردار لبغداد. وقد امضى في بغداد اربع سنوات وبلغ درجات رفيعة ولكنه طرد فيما بعد ومات محطماً في اسطنبول عام ١٧٧٠م/١١٨٤هـ[3]. اما بالنسبة للفروع الاخرى للاسرة العمرية فانهم لم يحققوا اية درجة من الاهمية بعد موت علي ابي الفضائل ولكن صعود الجليليين كان لابد قد منحهم الفرصة ليتملصوا من قبضة وسلطة متولي الجامع، لانهم بدأوا في اكتساب التكريم بطريق التماس خدمة الحكام المحليين. اما مسألة تولية الجامع فما زالت عنصراً انقسامياً في العائلة. فكما رأينا فان يحيى المفتي خلف جده علي ابي الفضائل، لكن ياسين بن خير الله العمري يدعي ان علي ابا الفضائل كان في الحقيقة قد منح قبل موته التولية الى ابيه خير الله لأنه كان "اعقل واوثق قريب". ويخبرنا ياسين ايضاً بان يحيى المفتي قد احتج وبتأييد من حسين باشا الجليلي الوالي آنذاك، ربح الجولة "لأن ابي لا يستطيع ان يأمل ان يخاصم قوة ونفوذاً كهذين. وكان يعطي ٣٠ درهماً ورطلاً من القهوة كل شهر،

---

(١) في عامي ١٦٢٠ و ١٦٢٥ اعطي حكم الموصل (وكانت لواءاً انذاك) الى موصلي يدعى بكر باشا بن يونس. وفي عام ١٦٣٦ كان ولده محمد باشا حاكماً ايضاً، ولم تستطع هذه الاسرة الموصلية رغم ذلك ان تؤسس نفسها بصورة دائمة، وكما يخبرنا "المنهل"، "انهم لم يمكثوا طويلاً، فزالت دولتهم وبيعت املاكهم ولم يبق الا بضعة عوام من عائلتهم الى هذا اليوم" (المنهل(٢)، جزء١، ١٣٦). ورغم ذلك فيبدو ان هذه السنوات القليلة قد سمحت لاسرة موصلية واحدة على الاقل ان تنشئ نفسها في الادارة. وهذه الاسرة المعروفة بآل محضر باشي (موظفو خدمة مدينة كما يوحي الاسم) ما فتئت بارزة تحت حكم الجليليين ويبدو انها ارتقت مواقع متميزة في الادارة خلال فترة بكر باشا واولاده الذين حكموا الموصل حوالي عام١٦٣٠. وفي الحقيقة ان المدرسة التي بنوها في محلة باب النبي يعود تاريخها الى تلك الفترة. ولذلك كان طبيعياً لتولي الجليليين للادارة ان تفتح ابواب الادارة على مصاريعها للعناصر المحلية.

(٢) بالقرب من راوندوز.

(٣)عنوان (١)، في ٢٥٣-؛ بغداد، صفحات ٣٤٢-٣٤٤؛ المنهل(٢)، جزء١، ٢٣٣-٢٣٦؛ المنية، في ٢٥-؛ الدر(١)، صفحات ٦١٦، ٦٢٦.

والشيء نفسه لعمي"[1]. ان قضية التولية للوقف العمري تقدم لنا توضيحاً جيداً للطريقة التي بدأ فيها الجليليون، كقوة محلية ذات بعد موصلي فوقي، يزيحون الباب العالي كقاسم مشترك اعظم كملاذ وكحكم في النزاعات العديدة للمصالح بين الوجهاء المحليين. وهذه القضية نفسها تعيننا على ادراك الاهمية المتنامية لتدخل باشوات بغداد في السياسة الموصلية.

قد تكون العلاقات بين الاشراف والعمريين مضطربة: ولكن علاقاتهم مع الجليليين ليست كذلك. السيد عبد الله بن فخر الدين (توفي عام ١٧٧٤م/١١٨٨هـ) الاديب الذي خدم حسين باشا الجليلي قبل ان يصبح رئيس ديوان الاعاشة في بغداد. واما اخوه يحيى (توفي عام ١٧٧٣م/١١٨٧هـ) فقد خدم الجليليين وولاة بغداد وكان نقيباً للاشراف ومفتياً لوقت طويل. ويبدو ان آل فخر الدين (الفخريون) راحوا يبرزون كعائلة رئيسية بين الاشراف. وقد تبدو متزامنة ولكنها حقيقة ان ظهور الجليليين وازاحة مناصب القاضي والمفتي بعيداً عن العمريين قد حدثتا في الوقت نفسه.

واما بالنسبة لآل ياسين، فيجب التذكر بان صهر ياسين، يوسف، كان اول مدرس في المدرسة الجرجسية التي شيدها اسماعيل باشا الجليلي. لقد كان يوسف نائباً لقاضي الموصل (ومن هنا تسميته بالنائب) حتى وفاته على ما يبدو وقد خلفه ولده حسن. وبعد ذلك صار حفيده بدر الدين بن احمد نائب القاضي[2]. لقد تزوج ابراهيم بن يونس بن ياسين، احد احفاد ياسين، سيدة من الاشراف، شقيقة السيد عبد الله بن فخر الدين الذي ذكرناه آنفاً. وقد اصبح ولدهما محمد امين الشخصية البارزة في العائلة في اواخر القرن الثامن عشر. وهكذا يبدو لفترة قصيرة على الاقل ان اسر آل ياسين وآل النائب و آل الفخري كانت متحدة بطريق التصاهر الى حد بعيد. ومن الناحية الاخرى فاننا نعرف ان كلاً من الاسر الثلاث تمتعت بعلاقات جيدة مع الجليليين.

واما الاسرة الوجيهة الاخرى في ذلك الحين فكانت آل قره مصطفى بيك، فقد كانوا جباة ضرائب من الحرف بالاشتراك مع الجليليين والعمريين. وفي عام ١٧٤٠م/١١٥٤هـ ما زالت الاسرة تمثل مكاناً بارزاً اذ يخبرنا ياسين العمري ان والي الموصل التركي آنذاك قام بزيارة لدارهم بمناسبة حلول شهر رمضان (عيد الفطر المبارك). ولا نعرف شيئاً عن علاقاتهم بالجليليين، وليس لهم ذكر في التواريخ بعد حصار الموصل من قبل نادر شاه وبعد ان صار زعيم الاسرة ناسكاً متعبداً[3]. وفي اواخر القرن الثامن عشر يظهر اسم الاسرة تارة اخرى في وثائق الوقف تحت اسم آلاي بكي.

واما عن الغلاميين في هذه الفترة فقد وصلتنا ثلاثة اسماء هي محمد بن حسين (توفي عام١٧٦٣م/١١٧٧هـ) كان موظفاً لدى حسين باشا الجليلي. وعلي بن مصطفى (توفي عام ١٧٧٨م/١١٩٢هـ) الذي اصبح المفتي بعد ابيه وكان شاعراً ومدرساً وصديقاً لحسين باشا الجليلي الذي بعثه ليتفاوض مع نادر شاه في اثناء حصار الموصل. واما اخوه محمد (توفي عام ١٧٧٢م/١١٨٦هـ) فقد كان

---

(١) قضاة، في ٨٨-٩٠. ان العم المذكور لابد ان يكون احمد بن محمود، لأن العم الآخر محمد امين مات قبل ظهور المسألة بكثير. لقد كان خير الله العمري خطيباً للجامع العمري لستين سنة. وكان كذلك امين الفتوى فعلي ابي الفضائل ولحفيده يحيى من بعده: انظر الخلاصة، في ٧٨

(٢) المنهل(٢)،الجزء٢٤٩،١-٢٥٠؛ قضاة، في ٤١-٤٢؛ الصنائع، جزء٢، ١٣٩-١٤٠.

(٣) عنوان(١)، في٨٤؛ زبدة، ص٩٨.

عالماً واديباً مشهوراً وكان يعتاش على نظم شعر المديح[1]. ويجب ان نلاحظ ان اباهم مصطفى كان صديقاً وتابعاً لعلي ابي الفضائل العمري. ولكن بحلول منتصف القرن الثامن عشر راح الغلاميون ايضاً ينجذبون حول الحكام المحليين.

لم يكن الغلاميون الاسرة الشافعية الوحيدة التي اقامت علاقات طيبة مع الجليليين، فان محمد العبدلي (توفي عام ١٧٥٢م/١١٦٤هـ) الاديب والطبيب، كان طبيب الجليليين[2]. وهكذا فان بناء المصلى الشافعي في جامع النبي جرجيس من قبل حسين باشا يعد تأكيداً متزامناً على تلك الصلة.

وتبين الصورة السالفة لوضع الاسر الوجيهة الرئيسية ان بيت الولاة الجليليين قد نجح في اجتذاب الشخصيات البارزة في المجالات السياسية والدينية والثقافية. ومن الواضح ان حقيقة ان بعض العمريين والفخريين والغلاميين قد دخلوا فعلاً في خدمة الجليليين لا يعني ان هذه الاسر موضع البحث كانت تؤيد الجليليين كلها بصفتها كتلة واحدة. مع ذلك فانها تبين ان الاسر لم تكن كتلاً متراصة وان الجليليين استطاعوا ان يجتذبوا اولئك الباحثين عن السلطة والمال والشهرة وانتهكوا بذلك الروابط العائلية التقليدية. لقد استطاعت السلطة وبضمنها منصب الوالي–دائماً وفعلاً ان تقوم بمثل هذه الانتهاكات: الشيء الجديد الآن هو ان السلطة لبست رداءً محلياً حيث صار الحكام والوجهاء الشيء الواحد نفسه.

في الفترة التي سبقت العهد الجليلي مباشرة، كان نمط السياسة الحضرية كما نشأ في المجال الحضري ذو ميزة وانفصالية واضحتين بين الولاة الاجانب العابرين القاعدين في الميدان والوجهاء الرئيسيين في باب العراق. ولكن في خلال خمس وعشرين سنة (١٧٢٥ الى ١٧٥٠م) تبدل هذا النمط تبدلاً جذرياً. لقد مات علي ابو الفضائل ولكن ورثته–على ما يبدو– قد بددوا معظم الثروة التي جمعها[3]. واما الفراغ السياسي التالي الذي خلق في حي باب العراق فلا بد ملأته السرية الانكشارية "٣١" المنفية من بغداد والتي استقرت في باب العراق في عام ١٧٢٩م/١١٤٢هـ[4]. وفي الوقت نفسه كان الجليليون يرتقون سلم المجد ويؤسسون انفسهم كحكام للمدينة. ولأن الولاة كانوا ينتقون بصورة متزايدة من بين اسرة محلية، فان حي الميدان الجنوبي الشرقي مقر الادارة، اصبح جزءاً مكوناً للسياسة المحلية للوجهاء. وقد تعزز هذا الحي بوصول السرية الانكشارية "٢٧" في عام ١٧٣٥م/١١٤٨هـ التي استقرت، على ما يبدو، في الساحة المقابلة للايج قلعة في الوقت الذي كانت الساحة تزدحم بالدكاكين والخانات.

٣– نزاع عام ١٧٥٤:

ان ضعف جميع الولاة الاجانب الذين قدموا الموصل، وحقيقة ان اسرة محلية لم تبرز لتهدد السيادة الجليلية ادت الى انقسامات في الاسرة نفسها. وقد كتب دومينيكو لانزا ان حوالي عام ١٧٦٠ كان هنالك ما لايقل عن خمسة عشر من البيوتات الجليلية المختلفة[5]. والمنافسة الاولى نشبت بين مصطفى بن ابراهيم بن

---

(١) الدر(١)، صفحات ٦١٠، ٦٢٩؛ الصائغ، جزء٢، ١٧٦، ١٩٧؛ اولسون، ص١٧٥.

(٢) المنهل(٢)، جزء١، ٢٦٧–٢٦٩؛ الصائغ، جزء٢، ١٦٨–١٦٩؛ جلبي، ص١٥.

(٣) انظر المنهل(٢)، جزء١، ٢٢٥–٢٢٦.

(٤) عندما وصل قادة السرية "٣١" الموصل، كرمهم ورحب بهم احمد بن علي ابي الفضائل العمري. انظر: الدر(٢)، في ٥/٣٢٥.

(٥) لانزا، ص١٦.

عبد الجليل (توفي عام ١٧٥٧م/١١٧١هـ) وفتاح (باشا فيما بعد) بن اسماعيل باشا (توفي عام ١٧٧٢م/١١٨٥هـ). ومصطفى هذا ابن عم حسين باشا وصهره، اذ ان شقيقته مريم تزوجت حسين باشا. واما فتاح فهو شقيق حسين باشا ولو انهما من والدتين مختلفتين[١]. وعندما نشب الخلاف على المكشوف في عام ١٧٥٢م/١١٦٦هـ، كان امين باشا الجليلي قد حل للتو محل ابيه حسين باشا كوالي، وكان امين باشا قد تزوج حليمة ابنة مصطفى، فهو اذن صهر احد المتخاصمين وابن اخ الاخر. وبدافع من القلق على الاثر الذي يمكن للنزاع ان يحدثه لسلطة الاسرة، فقد ارسل امين باشا المتخاصمين الى بغداد لكي يلتمسا تحكيم سليمان باشا ابي ليلة. ان النزاع-مسألة وراثة- لم يحل رغم ان الرجلين انفقا مبالغ ضخمة من النقود محاولين كسب تأييد والي بغداد. وعندما عادا الى الموصل اضطرا ان يبيعا جميع الحبوب التي احتكراها ليسدوا الديون التي جلباها على نفسيهما. وما زالت العداوة بينهما متقدة. وعندما شعر فتاح بان الوالي، ابن اخيه امين باشا، يؤيد خصمه مصطفى، بدأ بالتآمر واستطاع ان يكسب تأييد بيتين جليليين مهمين-غير معنيين- وكذلك تأييد السرية الانكشارية "٣١" في قاعدتها بباب العراق. ولكن امين باشا تحرك بسرعة وحاصر فتاح في داره. ولكن الجليلي المسن المحترم محمد بن صالح بن عبد الجليل تدخل لايقاف النزاع وكنتيجة لوساطته وافق امين باشا ان يصفح عن عمه فتاح وامره واولاده واتباعه ان يغادروا المدينة. وذهب الفريق المندحر الى بغداد حيث تدخل الباشا نيابة عنهم وضمن لهم العفو من امين باشا الذي سمح لهم بالعودة الى الموصل[٢].

---

(١) المصدر نفسه، ص٣١.

(٢) الدر(١)، ص٦٣٧؛ الزبدة، صفحات ١٠٩-١١٠؛ لانزا، صفحات ٣٠-٣٤.

الجدول رقم - ٨ : بيت اسماعيل باشا الجليلي

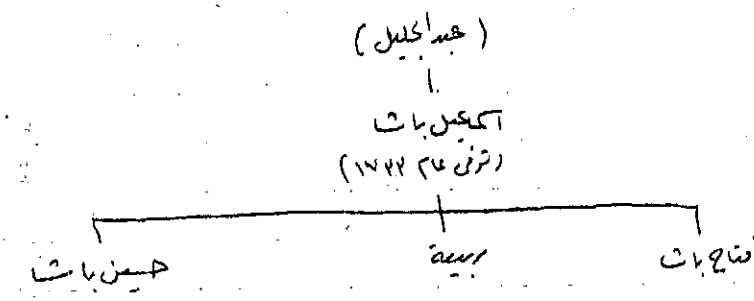

الجدول رقم - ٩ : اسرة ابراهيم الجليلي (من الجليليين للجيلاني ص)

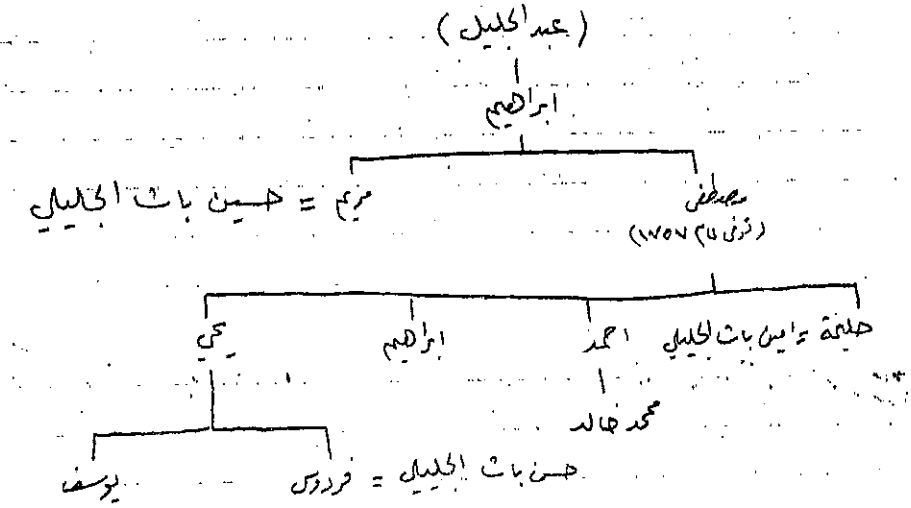

ان هذا النزاع الجليلي الداخلي الاول ينبئنا ان الاسرة انشطرت الى قسمين رئيسيين: الاول برئاسة امين باشا، والثاني بزعامة عمه فتاح. ومع ان المعلومات نادرة، يبدو ان النساء لعبن دوراً مهماً في تقوية التحالفات السياسية مهما كانت مؤقتة. وخصوصاً في ضوء حقيقة ان الشخصيات الجليلية البارزة (على سبيل المثال حسين باشا او امين باشا) لم تمارس تعدد الزوجات، وتزوجوا ثانية فقط بعد موت زوجاتهم. وقد تكون متزامنة ولكن يبدو ان مصطفى الذي زوج اخته لحسين باشا او ابنته لامين باشا استطاع ان يكسب تأييداً البيت الجليلي الرئيسي. ويلقي هذا النزاع ايضاً ضوءاً على النفوذ المتنامي لباشوات بغداد.

٤- نزاعات عامي ١٧٥٦ و ١٧٥٨

بعد سنتين من اخضاع فتاح، عُزل امين باشا من منصبه وحل محله مصطفى باشا العظم. وحال وصول الوالي الجديد شرع فتاح يتملقه لنيل افضاله وكسب تأييده ضد امين باشا الذي قرر ان من الحكمة مغادرة المدينة. وبناء على ذلك ذهب ليجتمع بوالده المريض حسين باشا المقيم في كوتاهية. وقبل مغادرته المدينة عين اسعد بن عبيد اغا الجليلي مسؤولاً عن فريقه وائتمنه على حماية اسرته ومصالحه. ويخبرنا لانزا ان اسعد اغا هذا كان اقوى الوجهاء وتحترمه المدينة كلها. وبعد مغادرة امين باشا بوقت قصير، تمرد انكشارية الميدان والقلعة الذين كانوا يؤيدونه، وطردوا الوالي من السراي. فاضطر مصطفى باشا العظم ان يلجأ الى باب العراق معقل فتاح. وبعد عدة ايام من قتال الشوارع عاد السلام، ولكن سلطة الوالي الاجنبي

تقلصت وتلاشت ولعدم قدرته على الحكم عزل من منصبه خلال بضعة اشهر من وصوله. وبمغادرته المدينة تمكن اسعد اغا بن عبيد اغا التابع لفريق امين باشا الوكالة. مما تسبب في خسارة فتاح تارة اخرى، وظهر بيت امين باشا وابوه حسين باشا منتصراً عزيز الجانب.

وبينما كان حسين باشا وامين باشا مازالا مقيمين في آسيا الصغرى، وصل الموصل والٍ تركي جديد يدعى رجب باشا، ولافتقاره للقوة العسكرية لم يتمكن من الحكم، وبقي اسعد اغا مهيمناً على المدينة. فاختار فتاح تارة اخرى التحالف مع الوالي الاجنبي ضد ابن اخيه. فاتصل هو ورجب باشا بوالي بغداد واستحصلا منه امراً يجعل القادة الانكشارية للميدان والقلعة الموالين لأمين باشا خارجين على القانون. ولما اشعر هؤلاء بالامر لجأوا الى القلعة ورفضوا ان يسلموها الى مبعوث باشا بغداد قائلين له انهم مستعدون للموت من اجل حسين باشا ونجله امين باشا الذي دافع عنهم وعن عوائلهم ضد نادر شاه[1]:

الجدول رقم ١٠ : اسرة حسين باشا الجليلي

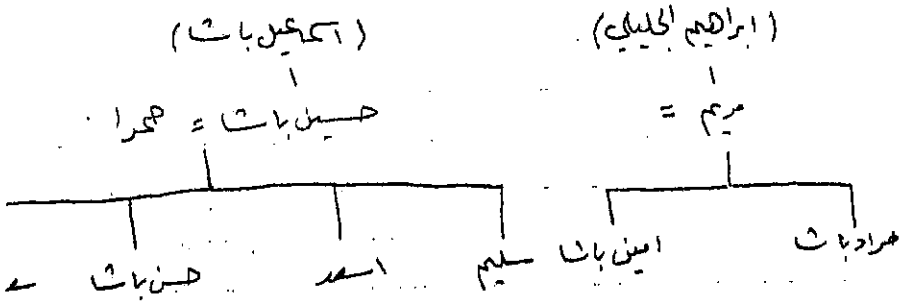

الجدول رقم ١١ : اسرة عبيد اغا الجليلي

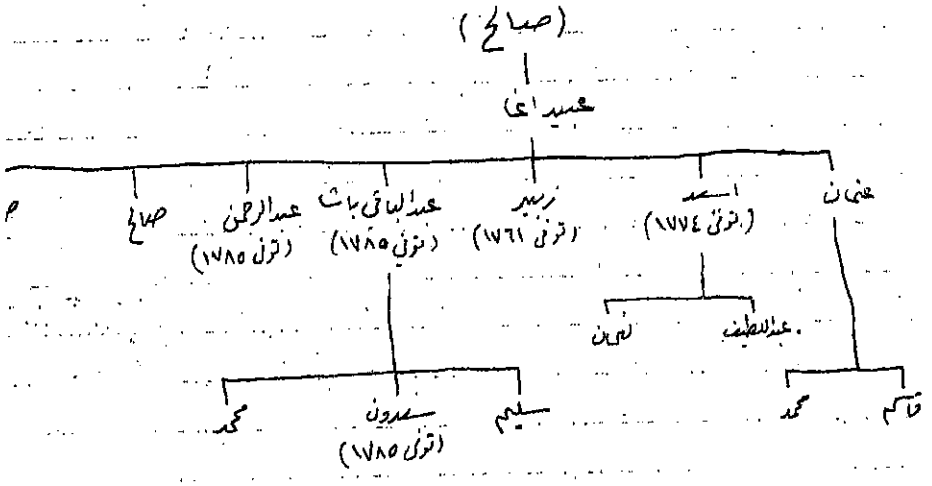

مما يدل على الثراء السياسي الذي جناه حسين باشا من الحصيلة السعيدة لمقاومته للفرس؛ ويؤشر بوضوح الى حقيقة ان انكشارية الميدان والقلعة كانوا مندمجين جداً في التركيب الحضري الموصلي.

---

(١) لانزا، ص٤٣.

وعندما جوبه بتصميم وثبات عزم الانكشارية غادر مبعوث بغداد الموصل ومن ثم هاجم الانكشارية الوالي الجديد الذي اضطر الى الهرب من السراي واللجوء الى بيت عثمان الدفتري بن علي ابي الفضائل العمري الوجيه الرئيسي للاسرة. وبعد ان ضمن التأييد الكامل لحي باب العراق، اتصل فتاح الجليلي بالبيوتات الجليلية الاخرى واستطاع ان يكسبهم لجانبه. وخلال نزاع عام ١٧٥٤، انقسم بيت اسماعيل باشا الجليلي الى قسمين بفتاح المعارض لابن اخيه واخيه. وجاء الآن دور بيت عبيد اغا الجليلي لكي ينقسم هو الاخر. وفيما كان ولداه اسعد وزبير على رأس فريق امين باشا كان النجلان الاخران عبد الباقي وعبد الرحمن ينحازان الى فتاح. وبينما كان الميدان يؤيد امين باشا كان باب العراق مؤيداً لفتاح.

واستمر الخصام اثنين واربعين يوماً واقيمت المتاريس في الشوارع لتعوض النقص الناجم عن الانقسام التركيبي بين الاحياء المختلفة[١].

واستخدم انكشاريو الميدان مدافع القلعة لقصف باب العراق، ثم توقف النزاع يوم ١٥ آيار اذ وصل المدينة خبر تعيين حسين باشا الجليلي والياً. وحال وصوله المدينة سجن اخاه فتاح وكذلك عبد الباقي وعبد الرحمن وقادة السرية "٣١" وفرض عليهم غرامات باهضة وصلب رجلين ايضاً. وبعد ذلك بوقت قصير مرض ومات بعد شهرين تقريباً من وصوله الموصل. وقد خلفه ولده امين باشا الذي جمع مجلساً حضره المفتي والقاضي والوجهاء الرئيسيون وقادة الانكشارية لتقرير مصير الفريق المندحر. وقد اوصى المجلس بالرحمة والرأفة فأعفي السجناء وظهر بيت امين باشا منتصراً تارة اخرى[٢].

٥- نزاع عام ١٧٦٠-١٧٦١

لم يتمتع امين باشا بنجاحه طويلاً..فبعد عدة اشهر من تعيينه نقل من الموصل الى شهرزور. وخلفه نعمان باشا الحلبي الذي ذاع صيته بالشدة قبل وصوله الى الموصل. وتارة اخرى غرس فتاح الجليلي آماله في الوالي الجديد وبحث معه السبل لكسر قوة فريق امين باشا. فقبض الوالي الجديد على اغا القلعة الانكشاري، وكاد يقتل المفتي الشافعي علي الغلامي صديق امين باشا. فثبت فريق امين باشا واستعد لحملة لم تتحقق لأن نعمان باشا عزل من منصبه قبل ان يتمكن من انجاز أي شيء. وليس معروفاً فيما اذا كان عزل نعمان باشا يعزى الى ضغط مارسه اصدقاء امين باشا في العاصمة، ولكن امين باشا حل محل نعمان باشا حال عزله[٣].

وبعد بضعة شهور عزل امين باشا من منصبه، فذهب الى اورفة آملاً ان واليها وهو صديقه قد يعينه لاستعادة منصبه. وبينما كان امين باشا في اورفة، انفجر الصراع في الموصل بين سرايا الانكشارية. مع ذلك فان هذه المرة اعدت السربتان "٢٧" و "٣١" سوية ضد السرايا الثلاث الاخرى "١٠" و "٥٢" و "٥٨". وتوقفت التجارة والحرف توقفاً تاماً ودحرت السريتان الرئيسيتان السرايا الثلاث الاخرى. ان الاسباب وراء هذا التحالف الغريب بين السريتين "٢٧" و "٣١" غير معروفة لدينا. وفي الحقيقة ان التراكيب الداخلية لوحدات الانكشاريين، والسيطرة التي يمارسونها على المقاطعات الخاصة بهم، والارتباطات التي تشدهم الى الحرف والتجارة وكذلك التي تربطهم بالاسر الوجيهة غير معروفة لدينا اطلاقاً. والحقيقة ان الجليليين صاروا يعرّفون بالسرية "٢٧" والعمريين واسر باب العراق يعرّفون بالسرية "٣١"، وآل ياسين بالسرية "٥٨" ولو لاسباب

---

(١) خارطة١٤: توزيع الاسر الرئيسية والانكشارية في الأحياء الحضرية. **انظر ملحق الخرائط (الخارطة رقم ١٤)**

(٢) الدر(١)،ص٤٠٦؛ المنية، في ٥٣؛ الزبدة، صفحات ١١٤-١١٥؛ بغداد، ص٣٢٥؛ لانزا، صفحات٤٠-٤٥، ٥٨.

(٣) لانزا، صفحات ٤٨-٤٩.

جغرافية فحسب. ولكن هذا اقصى ما يستطيع ان يذهب اليه المرء. فليس معروفاً الى أي مدى تصل هذه الوحدات ككتل متجانسة، وما هو نوع الوحدات الفرعية في داخل هذه الكتل، وما هي طبيعة الصراعات القيادية في داخل كل سرية.

وبعد انتهاء النزاع مباشرة عاد امين باشا الى الموصل والياً ولكنه لم يتعامل بقسوة مع مثيري الشغب واكتفى بتقريعهم. وبعد بضعة اشهر وحينما عزل امين باشا من منصبه، نشب النزاع تارة اخرى. وحال وصول الوالي الجديد مصطفى باشا شاه سوار الى الموصل فانحاز اليه فتاح الجليلي، وانتقض هذه المرة التحالف التقليدي بين فريق امين باشا وحي الميدان. وفي الحقيقة ان الوالي الاجنبي وفتاح حظيا بتأييد الميدان، بينما انحاز باب العراق الى فريق امين باشا. وبعد ثلاثة ايام من القتال إندحر باب العراق ونفى احد قادته المدعو عبدو اغا.

ان السؤال الذي يجب على المرء ان يحاول الاجابة عليه هو: هل شهد هذا النزاع تحولاً كاملاً في التحالفات التقليدية بين الوحدات الانكشارية المختلفة والوجهاء، واذا كان الامر كذلك، الى أي حد كان التحول متعلقاً بطبيعة سيطرة كل سرية على مقاطعتها التقليدية؟ يبدو ان الدرس الاول الذي يستخلص من هذا النزاع هو ان السرية لا يمكن كقاعدة ان تعتمد، كوحدة متجانسة لأن فيها اطرافاً وان التحالفات المختلفة المعقودة من قبل كل سرية لم تعقد في الواقع من قبل قيادتها الرسمية او غير الرسمية آنذاك. وعلى المرء ان يدرك ان القادة الانكشارية للسرية "٢٧" لا تعني بالضرورة السرية "٢٧"، وان السرية "٢٧" لاتعني بالضرورة حي الميدان. ويجب التذكر بان في الفترة السابقة للعهد الجليلي، كان الميدان معقل الادارة التركية وفيه كان مقر السرية "١٠". ومنذ عام ١٧٣٥ وما تلاه، تمكنت السرية "٢٧" من السيطرة على حي الميدان واستطاعت دائماً..على الارجح بالتحالف مع السرية "١٠"..من طرد الولاة الاتراك من السراي ومن الحي. ولذلك فان التحالف بين فريق امين باشا والميدان اعتمد على مقدرة القيادة على عقد تحالف بين الفريق والسريتين ٢٧ و ١٠ الذين تشاطروا عملياً المجال الحضري نفسه وكذلك على مقدرة القيادة الانكشارية للسيطرة على الميدان ككيان جغرافي. ويبدو أن السبب في عدم تأييد الميدان كفريق أمين باشا في النزاع الأخير يعزى لعجز قادة السرية ٢٧ من السيطرة على المجال الطبيعي المعروف بالميدان ان هذا العجز الذي سبق اعلانه بنهاية التحالف بين السرية ٢٧ والسرية ١٠ قبل ذلك ببضعة أشهر قد تأكد بوصول مصطفى باشا الشاه سوار الذي قدم الى الموصل مصحوباً بحاشية من الرجال المسلحين. وهذا بالضبط يفسر لماذا لم يطرد هذا الباشا من السراي ان الضغط لم يكن عليه بل على السرية ٢٧ التي كانت تهاجم أو تهدد من قبل السرية ١٠ وجنود الباشا كليهما وقد سبق ذلك ببضعة أشهر أن الضغط الشرقي الذي مارسته السرية ١٠ على السرية ٢٧ تمخض عن تحالف بين السرية ٢٧ الشرقية والسرية ٣١ الغربية بحيث تغير التقسيم التقليدي بين الميدان وباب العراق. وبوصول الباشا التركي الجديد وحاشيته التي استقرت في الميدان استمر التسرب الغربي للسرية ٢٧ وأثبتت السرية عدم قدرتها على السيطرة على القطاع الحضري المخصص لها لذلك فان في هذا النزاع بالذات يشهد المرء عودة النمط القديم السابق للجليليين وانتهاجهم للسياسة الحضرية اذ تؤسس الادارة التركية على ما يبدو هيمنتها على الميدان والقلب الاقتصادي للموصل.

وهكذا كان التحول في التحالفات يعزى الى تحول في السيطرة الفعلية للأحياء الحضرية وهذه نقطة يقام عليها الدليل الاضافي في حقيقة أن عند نشوب النزاع مرة أخرى بعد بضعة أشهر أشير الى السرية ٢٧

بالاسم.. وليس ضمن تسميته الميدان.. كمؤيدة لفريق أمين باشا جنباً الى جنب مع السرية ٣١ ضد الوالي التركي وفتاح الجليلي وقد استمر النزاع أربعين الى خمس وأربعين يوماً وانتشر من الموصل الى بعض القرى المجاورة. وقد قصف الوالي حي باب العراق وكسب تأييد يزيدية الشيخان وكذلك قبيلة طي ولقد حوصرت المدينة وارتفعت الأسعار حين انقطعت تجهيزات الخضراوات والفواكه الطازجة وقد أقيمت متاريس مبنية بالصخر والجبس في الشوارع وبالمجموع فقد مات ١٥٠ شخصاً وجرح ثلاثمائة. ولقد توقف القتال عندما وصل خبر تعيين أمين باشا الجليلي والياً للموصل وغادر مصطفى باشا شاه سوار المدينة وحذا فتاح حذوه[١].

لقد وصل أمين باشا الى الموصل في عام ١٧٦١م/١١٧٥هـ وبقي هذه المرة والياً حتى عام ١٧٦٨م/١١٨٢هـ وخلال حكمه الطويل ليس هنالك ذكر لأي نزاعات في المدينة.

٦- وجهاء الموصل حوالي عام ١٧٦٠

ان تولي الجليليين للمناصب مكنهم من زيادة ثروتهم التي تحولت الى عقارات ومن هنا جاء التأكيد على الميزة المحلية لحكمهم. وقد لاحظ نيبور أنهم ملكوا أجمل الحمامات والمقاهي والأسواق[٢]. وقد سيطرت أسرة حسين وأمين باشا على جامع ومدرسة الأغوات والجامع الكبير وجامع ومدرسة النبي جرجيس ومن خلالها يبدو أنهم استطاعوا أن يؤثروا في مختلف رجال العلم وكذلك العمال الحرفيين. ان الاهمية السياسية والاقتصادية للمؤسسات الدينية يجب أن لا يبخس قدرها لأنها في المقام الأول منظمة بشكل تجعل عدداً كبيراً من الاشخاص في قوائم رواتب الوقف. ومن هنا فان وقفية جامع الأغوات تنص على أن يدفع راتب يومي للامام وللمؤذن ولمؤذن صلاة الجمعة وصانع الفرش والمنظف[٣]. وفي وقفية جامع ومدرسة النبي شيت (١٨١٥م/١٢٣١هـ) تشمل قائمة الرواتب: الخطيب والامام والمدرس وواعظ صلاة الجمعة وشهر رمضان ومؤذناً وكناساً وصانع الفرش وشيخ القرّاء وجنائنياً وطباخاً ومعلماً للصبيان وحارساً وبنّاءً ونجاراً[٤]. أما وقفية المدرسة الحسنية (١٨١٦م/١٢٣٢هـ) التي أنشأها حسن الجليلي (الباشا فيما بعد) فانها توفر راتباً لمدرس العلوم المختلفة ومدرس للقراءة وأمين المكتبة والطلبة والخادم والمنظف وحارس المراقد وخادم السبيل[٥]. واختيار المتولي ذو أهمية كبرى كما توضح ذلك من الخصومات العمرية الداخلية حول تولية جامعهم. ان اختيار جميع موظفي الجامع أو المدرسة كان أمراً سياسياً جلياً كما يتبين من الشروط المنصوص عليها في وقفية جامع الأغوات التي تشترط أن يكون الخطيب والامام والمدرس والواعظ جليلياً أو من

---

(١) حول هذه النزاعات، أنظر: الرسالة من محمد أمين آل ياسين الى عمه سيد عبد الله الفخري مكتبة الأوقاف في الموصل، رقم جلبي ٩/٦٥؛ لانزا، صفحات ٤٨ -٤٩، ٥١، ٥٨-٥٩، الزبدة، ص١١٨؛ الدر(١)، صفحات:٦٠٧-٦٠٨.

(٢) نيبور، جزء ٢، ٢٩٣.

(٣) مجموعة الوقفيات.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) مجموعة الوقفيات. ان الاشخاص الملحقين بالجامع يختلفون بالعدد بين ثمانية الى عشرين شخصاً.قبل أقل من أربعين عاماً كان عدد الموظفين في جامع النبي يونس يتراوح بين ثمانين الى اثنين وثمانين شخصاً من الخطيب الى حامل السيف الى المنظف(محادثة مع أكرم بن عبد الوهاب امام وخطيب جامع النبي يونس، الموصل ٢٢ آذار ١٩٧٩).

محمييهم[1]. وأما وقفية جامع الباشا (حسين وأمين باشا، ١٧٥٥م/١١٦٩هـ) فانها تشترط أن يكون اختيار المستخدمين تحت تصرف المتولي[2]. وفي عام ١٧٦٧م/١١٨١هـ عندما أوقفت ربيعة بنت اسماعيل باشا الجليلي الجامع الذي شيدته في شهر سوق عينت ابن أخيها أمين باشا متولياً، ووضعت قاعدة الرواتب لثمانية عشر شخصاً واشترطت أن نصبهم وعزلهم منحصر بالمتولي[3]. ان المؤسسات الدينية لم ينظر اليها كمجرد أدوات اقتصادية (من خلال نظام الأوقاف) ولكن أيضاً كأدوات سياسية.

ان الأصل المحلي للولاة فتح أبواب الادارة أمام أهل الموصل فقد عاد آل محضر باشي للظهور تارة أخرى في هذه الفترة: اذ دخل يونس بن يحي بيك في خدمة حسين باشا الجليلي وأصبح كاتباً في ديوان الاعاشة في أعقاب خلاف بين يونس هذا وعثمان الدفتري العمري الذي ترك خدمة حسين باشا[4]. وفيما بعد خدم يونس أمين باشا ككاتب. وأما حفيده صالح بن يحي الشاعر والأديب فقد خدم أحمد باشا الجليلي وبعد ذلك يحي باشا الجليلي.

والجليليون مسؤولون عن البزوغ الشهير للأسرة المعروفة بآل بكر فقد كان حسن بن الحاج شعبان نسّاخاً يبيع الورق. وقد دخل ولده يونس (توفي ١٧٩٢م/١٢٠٧هـ) في خدمة الجليليين وفي عام ١٧٨٠م/١١٩٤هـ كان ثرياً بما فيه الكفاية ليتمكن من بناء الجامع والمدرسة المعروفة بأسم بكر أفندي الواقعة في محلة رأس الكور قريباً من داره وقام أيضاً باصلاح الجامع الأحمر الواقع خارج باب الطوب ويبدو أنه قام في عام ١٧٨٨م/١٢٠٣هـ ببناء سبيل قرب جامعه وانه أوقف "المجمع" بمختلف الحوانيت والمقاهي الواقعة في محلة رأس الكور وكذلك بثلاث انوال للنسيج ونصف حمام تقع قرب الميدان الأخضر وخان صغير قرب باب الطوب وبستان وكذلك بمسلخ وحوانيت مختلفة أخرى ودار كلها تقع قرب الجامع. ويبدو أن هذا اليونس كان خادماً وفياً لأمين باشا الجليلي فقد لحق به في أوربا الشرقية وأقام في اسطنبول عندما أسر الروس أمين باشا. وعاد الى الموصل مع أمين باشا فخدمه بمنصب الكتخدا حتى توفي الباشا وبعد ذلك صار مستشاراً لسليمان باشا بن أمين باشا وترك الموصل عندما صار المنافس الجليلي عبد الباقي بن عبيد والياً على الموصل في عام ١٧٨٤[5].

وفي أثناء هذه الفترة عاد اسم آل المتولي الى الظهور في المفكرات والوثائق ويبدو أن هذه الأسرة فرع من الأشراف قد أخذت اسمها من السيد نصير الدين الذي أؤتمن في عام ١٣٦٥م/٧٦٧هـ من قبل حاكم الموصل آنذاك جلال الدين ابراهيم الختني على وقف النبي يونس الذي كان قد أقامه للتو[6]. وفي خلال الفترة التي تهمنا كان فتح الله بن عبد القادر (توفي ١٧٨٩م/١٢٠٤هـ) الرجل العالم متولياً لجامعي النبي يونس والنبي جرجيس بمشاركة القاضي السيد عبيد الله بن خليل البصيري صديق الجليليين والصدر الأعظم راغب

---

(١) أنظر مجموعة الوقفيات.

(٢) أنظر سجل الوقفيات ص٣٢١ بالعربية: شرط ارادة المتولي.

(٣) أنظر مجموعة الوقفيات. بالعربية: واشترطت أن نصب وعزل أرباب الوظائف منحصراً بالمتولي.

(٤) أنظر ما قبل ص١٢٤.

(٥) أنظر مجموعة الوقفيات؛ الدر (١)، ص٦٤٤، صفحات: ٣٦٥-٣٦٦؛ الجلبي ص٧١ الديوه جي، جوامع، ص٢٠٨.

(٦) أنظر مجموعة الوقفيات بشمل الوقف اثنتي عشرة قرية وبعض المزارع.

باشا ويبدو أن ولده صبغة الله بن فتح الله قد خلف أباه ولكنه مات بعد بضعة شهور من وفاة أبيه. وقد خلفه أخوه سعد الله الذي أصبح متولياً لجامع النبي يونس بمشاركة مع بكر بن يونس (آل بكر) خادم الجليليين وأما عن أخيه الآخر سيف الله (توفي ١٧٧٢م/١١٨٦هـ) فقد كان خطيب جامع النبي جرجيس[١].

وأما الأسرة الأخرى في ذلك الزمن بيت شيخ القرّاء فقد أصبحت معروفة باسم شخصية بارزة ان شيخ القرّاء لم تكن منصباً أو وظيفة ذات راتب بل لقب تشريف. شغله سعد الله بن أحمد (توفي ١٧٧٤م/١١٨٨هـ) الذي كان صديقاً للولاة الجليليين وقد كتب بعض الأشعار يمتدح جامع الرابعية وكان خطيباً ومدرساً فيه حتى وفاته[٢]. ان أعداداً لا حصر لها من رجال العلم أصبحوا جزءاً من الأتباع الكثيرين للجليليين.

الجدول رقم ١٧ : آل بكر

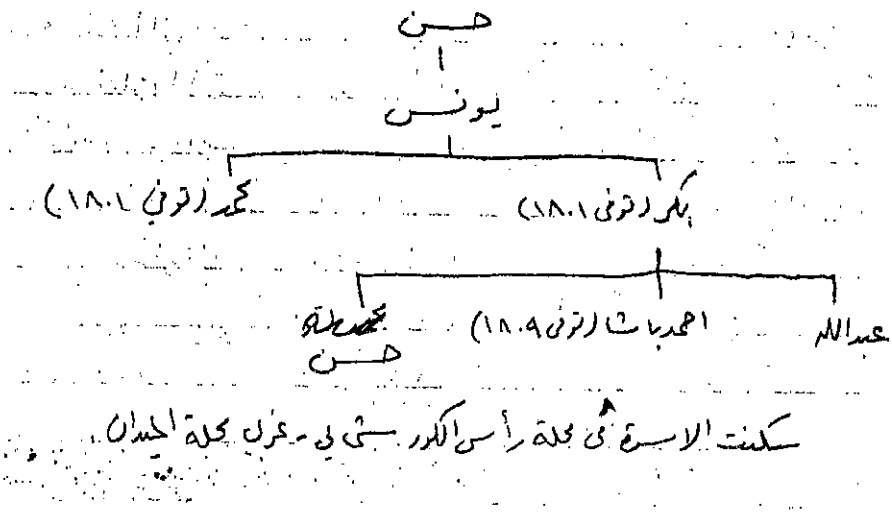

سكنت الاسرة في محلة رأس الكرمي في حارة محلة الحيدان.

محمد بن ده ده القصار كان الامام الخاص لحسن بن حسين باشا؛ وسليم الواعظ (توفي ١٧٤٨م/١١٦٢هـ) الفلكي المشهور المفضل لدى حسين باشا عين مدرساً في مدرسة الباشا وواعظاً في [جامع] النبي جرجيس وحمد الجميلي (توفي ١٧٥٦م/١١٧٠هـ) كان صديقاً مقرباً لمصطفى بن ابراهيم بن عبد الجليل حمو أمين باشا ودرس في الجرجيسية؛ وعبد الوهاب بن حسين (توفي ١٧٥٩م/١١٧٣هـ) كان اماماً ومدرساً في النبي جرجيس وعبد القادر بن طه (توفي ١٧٥٩م/١١٧٣هـ) كان خطيباً في النبي جرجيس وبكر بن يحي (توفي ١٧٦٠م/١١٧٤هـ) الأديب كان كاتب أوقاف النبي جرجيس وموسى الحدادي (توفي ١٧٧٢م/١١٨٦هـ) كان ذا نفوذ عظيم مع أمين باشا درس في مدرسة الباشا ومدرسة الجامع الكبير[٣]. وعثمان بن عمر (توفي ١٧٧٦م/١١٩٠هـ) الأديب الذي دخل الادارة الجليلية وأصبح الكاتب المسؤول عن

---

(١) المنهل(٢)، الجزء١، ٢٩٣-٢٩٥؛ الدر (١)، ص٦٣٢؛ الصائغ، جزء٢، ٢٠٣.

(٢) الدر(١)، ص٦٢٣؛ بغداد، صفحات ٣٧٦-٣٧٧؛ الجلبي، صفحات: ١٥-١٦؛ الديوه جي، جوامع، صفحات ١٩٧-١٩٩.

(٣) ينحدر من أصول متواضعة ودخل أولاً خدمة علي ابي الفضائل العمري وفيما بعد خدم يحيى بن مصطفى بن ابراهيم الجليلي كقارئه الشخصي قبل أن يلتحق بأمين باشا.

المراسلات العربية. وقد انتفع بعض الأكراد أيضاً من الانبعاث الثقافي والديني فقد كان علي بن رسول السوسني (توفي ١٧٧٧م/١١٩١هـ) مدرساً في مدرسة الأغوات؛ وأما علي الكوراني (توفي ١٧٨٠م/١١٩٤هـ) فكان امام النبي جرجيس[١]. ومن خلال الشبكة الكبيرة للجوامع والمدارس اختارت أسرة الولاة الجليليين أعداداً لا حصر لها من رجال العلم الذين يحترمهم ويصغي اليهم أهل الموصل والذين لابد أنهم قاموا بمهمة الوسطاء بين الحكام المحليين والشارع.

٧-نزاعات ١٧٦٨-١٧٧١م

في عام ١٧٦٨م/١١٨٢هـ استدعى الباب العالي أمين باشا ليشارك في الحرب المقدسة ضد الروس فغادر الموصل مصحوباً بالقادة الانكشاريين لفريقه[٢]. وبعد رحيله مباشرةً نشب الخصام بين الانكشاريين ولفترة ستة أشهر لم يتمكن الوالي الأجنبي المدعو حسين باشا أن يفرض سيطرته وفي نيسان من عام ١٧٦٨م تمكن أسعد أغا الجليلي وسليمان بن امين باشا الجليلي أن يضمن حلف بين السريتين ٣١ و ٥٢ ضد السرية ٢٧ ويبدو أن غياب أمين باشا والقادة الانكشاريين من فريقه قد سبب توتراً في العلاقات بين فريق أمين باشا والسرية ٢٧ وبدعم من السريتين ١٠ و ٥٨ هاجمت السرية ٢٧ بيوت أسعد أغا وسليمان بيك في محلة امام عون الدين معلنةً أنها تتعقب هذين الوجيهين فقط وليس لها رغبة اطلاقاً في ايذاء أحد من فريق أمين باشا. وحين هرعت السرية ٣١ لنجدة أسعد وسليمان فشل الهجوم واضطرت السرية ٢٧ الى الانسحاب وقد وضع الحلف بين السريتين ٣١ و٥٢ ضغطاً على السرية ٢٧ من جهتين مختلفتين: من الغرب حيث مقر السرية ٣١ من باب العراق ومن الشمال حيث مقر السرية ٥٢ من رأس الكور.

وفي اليوم التالي للهجوم الفاشل ذهب أسعد وسليمان الى دار آل ياسين وهنالك استطاعا أن ينقضا الحلف الذي أقامته السرية ٢٧ مع السريتين ١٠ و ٥٨. وهكذا أصبحت هذه معزولة وتقل عدداً مما أدى الى تقهقرها الى الشرق تتعقبها السرايا المتحالفة مواصلةً هجومها فتغلبت على منطقتها ونهبت الميدان. وفي تلك المرحلة تدخل سليمان بن أمين باشا وأمر الانكشارية المنتصرين باعادة الغنيمة ففعلوا وخلال ذلك هرب (٧٠) انكشارياً من السرية من الموصل وذهبوا الى بغداد حيث توحدوا مع فتاح الجليلي المقيم هناك منذ هروبه من الموصل عام ١٧٦١[٣].

وبعد ذلك مباشرةً راحت الشائعات تدور في الموصل حول امكانية تعيين فتاح – الذي يحظى بتأييد باشا بغداد-بوظيفة الوالي. وكنتيجة لذلك تشجعت السرية ٢٧ وبطشت بالسرية ٥٢ التي قاتلتهم في النزاع السابق وآثر سليمان بيك بن أمين باشا الذي أحس بتغير الريح أن لا يتدخل ولحرمانه من الدعم المالي لم تتمكن السرية ٣١ من التدخل نيابةً عن السرية ٥٢ وبعد أربعة أيام توقف القتال اذ قام سليمان بيك والمفتي بالتوسط بين الفريقين[٤].

---

(١) ان جميع المعلومات المتضمنة في هذه الفقرة تأتي من: بغداد، الاخبار، المنهل، الدر، الصائغ، الجلبي والديوه جي، الجوامع والمدارس.

(٢) ومن ضمنهم صالح أغا الشويخ قائد السرية ٢٧ الذي يسكن في محلة الجولاق.

(٣) حول هذا النزاع، أنظر الدر (١)، ص٦١٤؛ المنية، في ٥/٥٣؛ لانزا، صفحات ٥٨-٦٠.

(٤) لانزا، صفحات: ٦١-٦٢.

وفي كانون الثاني عام ١٧٦٩ نشب الخصام تارةً أخرى اذ انضمت السرية ٥٢ الى السرايا ٢٧ و ١٠ و ٥٨ ضد السرية ٣١. ولكن رغم تفوقها العددي فان السرايا المتحدة لم تتمكن من خرق دفاعات السرية ٣١ لتدخل باب العراق وبعد ثمانية أيام من بداية النزاع وصل الى المدينة صالح أغا الشويخ وولده عبد الرحمن أغا ويبدو أن صالح هو الأغا الرئيس للسرية ٢٧ وقد لحق هو وولده بأمين باشا في اوربا الشرقية أمر صالح سريته بايقاف مقاتلة السرية ٣١ وحينما واجهته معارضة داخلية هدد باعدام كل من يعصي أوامره فتوقف النزاع وبعودة صالح أغا الشويخ يبدو أن السرية ٢٧ عادت الى فريق أمين باشا[1].

وفي نهاية عام ١٧٦٩ وصلت المدينة أخبار تعيين فتاح والياً على الموصل لم يستطع فريق أمين باشا أن يتفق على مسلك مشترك للعمل وفقد تماسكه وحين هرب أسعد أغا بن عبيد واخوته ذهب آخرون الى أربيل أو الى الجبال الكردية بينما قرر سليمان بيك بن أمين باشا أن يبقى في الموصل ويمتنع عن استفزاز عم أبيه وفي ١٤ نيسان ١٧٧٠ دخل فتاح باشا الى المدينة واغتصب في الحال بيت خصمه القديم أسعد أغا بن عبيد وصادر احتياطيات حبوبه وخيوله وبعد ذلك وبطلب من حاكم قره جولان وباشا بغداد سمح لأسعد واخوته بالعودة الى الموصل شريطة أن يدفعوا له عشرة آلاف دينار وكذلك انتزع النقود من جميع خصومه واقترض ٨٠٠٠٠ قرش من تجار المدينة.

لم يمكث فتاح باشا طويلاً في الموصل فبعد بضعة شهور من وصوله أرسله الباب العالي الى سوريا ليساعد في صد تهديد علي بيك من مصر وترك في الموصل ولده.

الجدول رقم ١٣: بيت فتاح باشا الجليلي

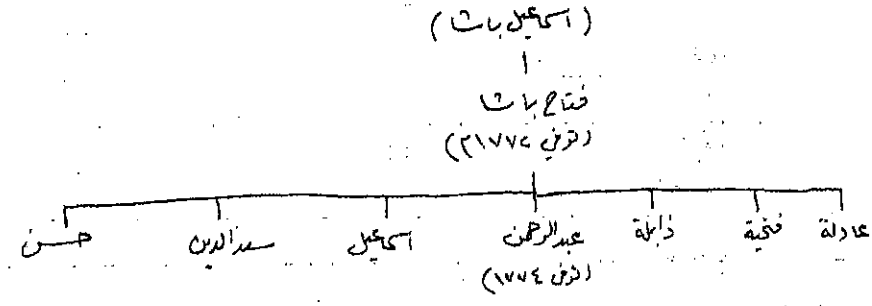

عبد الرحمن ليقوم مقامه وأحمد بن مصطفى بن ابراهيم الجليلي كمتسلم والأخير هو ابن مصطفى بن ابراهيم الذي خاصمه فتاح باشا قبل خمسة عشر عاماً ان هذا دليل على التقلب العظيم للتحالفات العائلية صفة قد تبدو متناقضة ظاهرياً ولكنها عملت دائماً لمصلحة الجليليين والموصليين وقد ذهب مع فتاح باشا الى سوريا أحد أبناء عمه علي بن محمود بن ابراهيم بينما بقي أخوه محمد بن محمود في الموصل ليساعد عبد الرحمن.

وبعد أشهر قليلة من مغادرة فتاح باشا نشب الصراع حيث اتحد انكشاريو السرايا ٢٧ و ١٠ و ٥٢ و ٥٨ ضد السرية ٣١ وفريق فتاح باشا واستمر النزاع لخمسة عشر يوماً استطاع بعدها حاكم ماردين التوصل الى تسوية بين الفريقين ودامت الهدنة أربعاً وعشرين ساعة فقط وفي نهايتها استؤنف القتال واستمر لخمس وأربعين يوماً أخرى. وعند ذلك تدخل سليمان بن أمين باشا محكماً واتفق على هدنة أخرى بين الفريقين المتحاربين وأما قادة الانكشارية الرئيسيون الذين كانوا مسيطرين على الميدان والقلعة -صالح أغا شويخ،

(١) المصدر نفسه، صفحات: ٦٤-٦٥، في هذه الاثناء كان أمين باشا في الأسر في روسيا.

الياس المنزلجي، يحي بن بولو، عباس الأشرم ومحمد الديوه جي-فقد ذهبوا جميعاً الى دار عبد الرحمن بن فتاح باشا بعقد السلام وهنالك وقعوا في كمين ولم ينج منهم من الموت سوى واحد هو محمد الديوه جي. وبعد تصفية القادة الانكشارية الرئيسيين وسع عبد الرحمن سيطرته على المدينة كلها، الا أنه كان قصير العمر فبعد ثمانية أيام من المجازر وصلته أخبار موت أبيه فتاح باشا فاضطر الى مغادرة الموصل يصحبه مؤيدوه ومن بينهم أحمد بن مصطفى الجليلي ومحمد بن محمود الجليلي[1].

٨- محاولة عبد الباقي بن عبيد الجليلي لاستلام السلطة

عند وفاة فتاح باشا عين سليمان بن أمين باشا والياً على الموصل وحكم المدينة-وتخلل حكمه انقطاعان قصيران-من عام ١٧٧١م حتى عام ١٧٨٣م. وفي عام ١٧٧٤م/١١٨٨هـ أعدم عبد الرحمن بن فتاح باشا وخمسة من أتباعه بأمر من سليمان باشا لأنهم كانوا يحاولون اثارة النزاع[2]. وبموت عبد الرحمن انتهى التحدي النابع من بيت فتاح باشا وفي السنة نفسها مات أسعد بن عبيد الجليلي أحد الوجهاء الرئيسيين في المدينة والشخصية القائدة في جميع النزاعات التي هزّت الموصل[3].

جاء الانقطاع الأول لحكم سليمان باشا في عام ١٧٧٥م/١١٨٩هـ حين عين والده أمين باشا والياً على الموصل، فقد أطلق الروس سراح أمين باشا وأفرط السلطان في تكريمه فمنحه لقب الغازي واضافةً الى تعيينه والي الموصل فقد عهد اليه المهمة الدقيقة لقيادة الحملة العثمانية ضد عمر باشا والي بغداد وقد دخل الموصل وسط ابتهاج عظيم ولكن الأسر الطويل كان قد أوهنه فمات بعد شهرين من ذلك فخلف سليمان باشا والده وحسب أوامر الباب العالي ذهب الى بغداد ليزيح عمر باشا تاركاً أخيه محمد كمتسلم[4].

جدول رقم ١٤- بيت امين باشا الجليلي

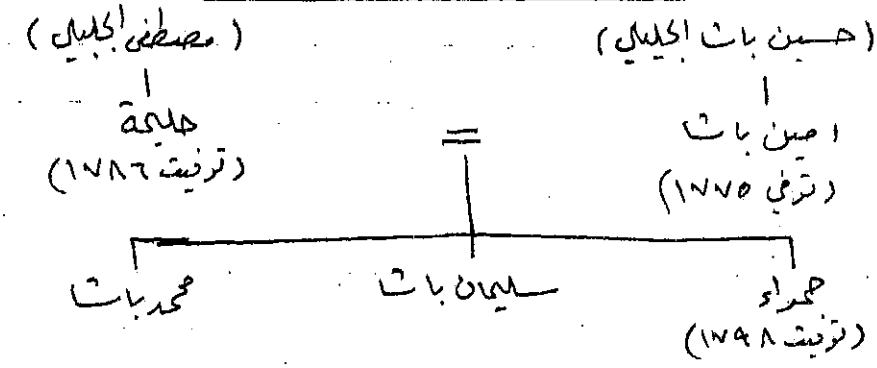

وجاء الانقطاع الثاني لحكم سليمان باشا في عام ١٧٧١م/١١٩١هـ حين أعطيت الموصل لوالي شهرزور حسن باشا وقد عين هذا الأخير كمتسلم للموصل أحمد بن مصطفى بن ابراهيم الجليلي الذي قام سابقاً بوظيفة المتسلم لفتاح باشا وكان عدواً قديماً لانكشارية الميدان والقلعة وله يد طولى في قتل قادتهم في عام

---

(١) حول الوقائع التي حدثت خلال حكم فتاح باشا، أنظر: المنهل(٢) جزء١، ص١٨٤-١٨٥؛ الدر (١)، صفحات: ٦١٦-٦١٨: لانزا، صفحات: ١٢٧، ١٣٤، ١٣٥؛ بغداد، صفحات: ٣٣٨-٣٣٩ المنية، من ف ٥/٥٣ - ٥/٥٤؛ لانزا، صفحات ٦٦-٦٩.

(٢) الدر (١)، صفحات: ٦٢٢-٦٢٣.

(٣) لانزا، ص٣٨.

(٤) الدر (١)، ص٦٢٤؛ المنهل(٢)، الجزء١، ١٧٥.

١٧٧١م. فثارت السرايا واضطر الوالي حسن باشا أن يعزل أحمد الجليلي وعين مكانه عبد الباقي بن عبيد أغا الجليلي وفي ذلك الوقت كانت المدينة تعاني من شحة قاسية في الحبوب وعندما غادر المتسلم الموصل ليغير على قبيلة يزيدية منعه القادة الانكشارية من العودة الى المدينة مستفيدين من السخط وانتخبوا متسلماً آخر هو خالد أغا الجليلي وقد صادق حسن باشا الذي أصبح الآن والياً على بغداد على قرارهم[١].

وبعد عودة سليمان باشا الى الحكم أعيد الهدوء وعرفت الموصل خمس سنوات من السلام وبعد ذلك من عام ١٧٨٣م عين وال أجنبي هو مصطفى باشا اليازجي والياً على الموصل ونقل سليمان باشا الى أورفة وفي الحال نشب القتال بين الميدان وعبد الباقي الجليلي المؤيد على الأقل لفترة قصيرة من باب العراق حيث يقع منزله وفي النهاية أرغم عبد الباقي على مغادرة المدينة فذهب الى كرمليس القرية التي يمتلكها وأقام هناك[٢].

عزل مصطفى باشا اليازجي من منصبه وحل محله والي أجنبي آخر هو تيمور باشا وتحت حكمه القصير نشب الصراع بين فريقين يسميهم المؤرخ ياسين العمري الكرمليسية والقره قوشية[٣]. والتسمية قد تكون منسوبة الى القريتين المتجاورتين كرمليس وقره قوش يملك الأولى عبد الباقي الجليلي والثانية يملكها بيت حسين باشا الجليلي والنزاع قد يكون نقلاً للسياسة الحضرية الى القرى المحكومة من قبل الوجهاء المتخاصمين. ومن ناحية أخرى قد تشير هذه الحوادث الى التنازع داخل المجتمعات النصرانية[٤].

وفي السنة التالية عين عبد الباقي الذي يؤيده باشا بغداد والياً على الموصل بلقب ميرميران (باشا ذو طوغين) وعندما وصل خبر تعيينه الى الموصل ابتهج أتباعه في حي باب العراق وتهيأوا لمهاجمة فريق سليمان باشا بن أمين باشا الجليلي وخلال هذه الفترة كان مركز النشاطات السياسية بيت نعمان بن عثمان الدفتري العمري في باب العراق وفيما سبق أيد والد نعمان فتاح باشا ضد بيت أمين باشا. وفي الوقت الذي عين فيه عبد الباقي باشا والياً على الموصل كان سليمان باشا الجليلي والياً على قارص فأسرع أتباعه الى مغادرة الموصل وأما الآخرون كأخيه محمد وعمه سعد الله بن حسين باشا ويونس آل بكر قد ذهبوا الى

---

(١) الدر (١)، ص٦٢٨، الزبدة، صفحات ١٤٢-١٤٤؛ العمدة ف ٢٣، ان هذا الخالد هو على الارجح محمد خالد بن أحمد بن مصطفى بن ابراهيم بن عبد الجليل (أنظر شجرة بيت ابراهيم الجليلي تذكرة بعض المصادر كخالد بن أسعد ولكن ذلك مشكوك فيه لأن أسعد أغا ليس له ولد بهذا الاسم.

(٢) المنية، ف٢٦؛ ٥٤؛ الدر (١)، ص٦٣٣؛ الزبدة، صفحات، ١٥٠-١٥١ هنالك رسالة من الأب ريفو في الموصل الى الأب كارزوني في روما تتحدث عن أربع ثورات انكشارية في عام ١٧٨٣م، وعن (٦٠) قتيلاً تركياً وخمسة أو ستة قتلى نصارى: أنظر كورماختيغ، صفحات ٧٩-٨٢.

(٣) الآثار، ص٢٤٧.

(٤) يحدثنا أوليفييه أن قره قوش يسكنها السريان الكاثوليك (الجزء الرابع ٢٨٦) ويكتب نيبور أن كرمليس كانت نسطورية قبل ذلك ولكنها كانت كلدانية عندما زارها (جزء٢، ٢٨٣) وفي عام ١٨٢٠ كتب المنشئ أن المنطقة المحيطة بكرمليس كانت مليئة بالكلدان والنساطرة ص٧٨ ويخبرنا ياسين العمري أنه في عام ١٧٨٣م انقسم الأشرار من بين أهل الموصل (أهل الموصل الأشرار) الى فريقين: فريق عبد الباقي أغا الجليلي المدعو الكرمليسية وفريق سليمان باشا الجليلي المدعو القره قوشية. والتعبير أهل الموصل هنا غامض ويمكن أن يشير بالتساوي الى شعب مدينة الموصل أو الى سكان القرى في ولاية الموصل ومع ذلك فبعد أن يبلغنا بالخبر يتحفنا ياسين بقصيدة هجائية ضد آل كرمليس والتي تبدو أنها تشير الى أن التسميتين تنسب الى القريتين: أنظر العمدة، ف٣٠/٥.

بغداد[1]. وآخرون لحقوا بسليمان باشا في قارص وبينهم أعمامه أسعد وحسن ابنا حسين باشا وكلاهما خدماه بوظيفة الكتخدا وبازاحة فريق سليمان باشا من الطريق استطاع عبد الباقي باشا أن يأمل بحكم الموصل بلا منازع وأعوانه الرئيسيون هم أخواه عبد الرحمن وصالح وولده سعدون وولدا عمه محمود وصالح ابنا عبد الله[2]، ونعمان العمري ولكن حكمه كان قصير العمر لأنه قتل هو وأخوه عبد الرحمن وولدا عمه صالح ومحمود خلال الحملة ضد يزيدية جبل سنجار في السنة التالية وبعد شهرين من ذلك مات سعدون بن عبد الباقي باشا في الموصل[3].

بعد موت عبد الباقي باشا عاد سليمان الجليلي والياً على الموصل عام (١٧٨٦م/١٢٠٠هـ) وعاد معه أتباعه الذين غادروا الموصل حين صار عبد الباقي باشاً والياً عليها ومن هؤلاء حسن بن حسين باشا الجليلي واخوه سعد الله ومحمد بن أمين باشا ويوسف بن عبدو بن يونس الجليلي[4]. وحسن بن علي الغلامي، وشخصاً يدعى محمد أغا بن حاج سليمان، ونعمان أغا الصراف[5]. وحين حل سليمان باشا في المدينة نفي نعمان العمري[6].

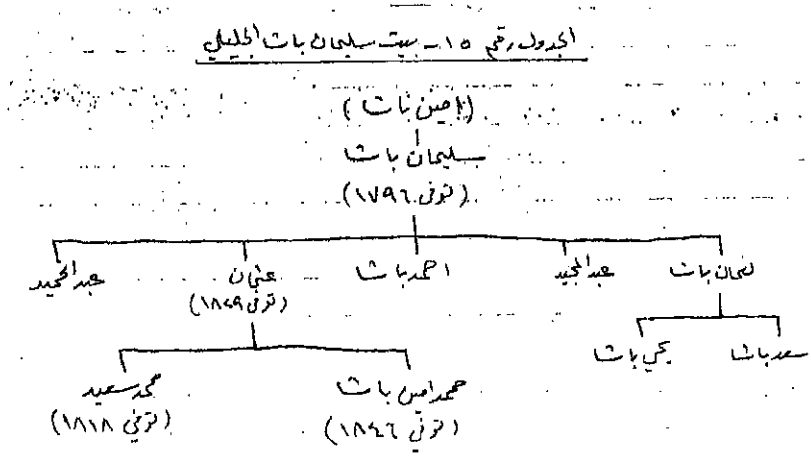

وحكم الموصل بلا معارضة حتى عام ١٧٨٩م/١٢٠٤هـ حين استقال من منصبه فخلفه أخوه محمد الذي حكم بلا انقطاع لثمانية عشر عاماً حتى وفاته عام ١٨٠٦م/١٢٢١هـ ومنذ عام ١٧٨٦م حتى عام ١٨٠٦م عاشت الموصل خلواً من النزاعات والمشاغبات.

---

(١) من المحتمل أن محمداً أخا سليمان باشا قد أرسل ليسعى لمصادقة وتنمية أفضال والي بغداد سليمان الكبير وانها حقيقة انهما صارا صديقين حميمين بعد سنوات قليلة.

(٢) لم أتمكن لسوء الحظ من اقتفاء أنساب هذين الجليليين.

(٣) حول حكم عبد الباقي باشا، أنظر المنهل(٢)، جزء١، ١٩٥-١٩٦، الدر (١)، صفحات: ٦٣٤-٦٣٦؛ الزبدة، صفحات: ١٥٣-١٥٤؛ الغابة، ص١٤.

(٤) كان أخاً لمؤلف السراج.

(٥) لم أتمكن من التعرف على الرجلين المذكورين أخيراً.

(٦) يبدو أن صالحاً أخاً عبد الباقي باشا، قد نفي أيضاً لأن ياسين العمري يخبرنا أنه كان مقيماً في بغداد في عام ١٨٠١م/١٢١٦هـ (أنظر الدر (١)، ص٦٦٢). وشجرة نسب الأسرة الجليلية تخبرنا أنه مات في بغداد.

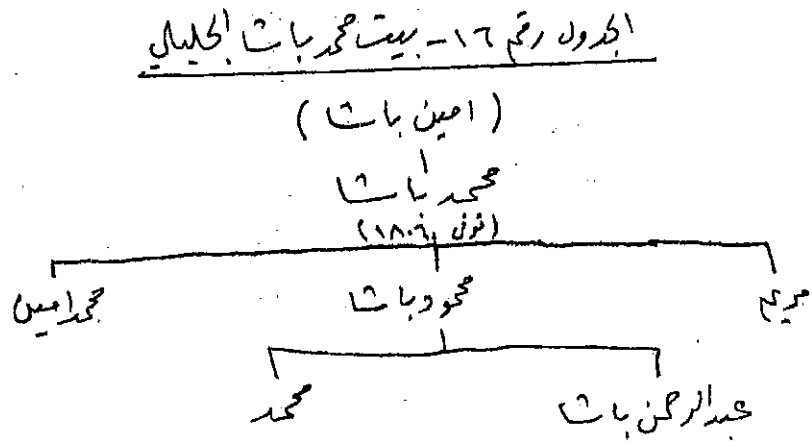

٩- وجهاء الموصل في نهاية القرن الثامن عشر

ان أحداث السنين ١٧٧١-١٧٧٤م حطمت في النهاية قوة بيت فتاح باشا وتركت بيتي أمين باشا وعبد الباقي باشا متنافسان رئيسين على السلطة المطلقة في الولاية وبموت عبد الباقي باشا في عام ١٧٨٦م؛ حكم بيت أمين باشا الذي يرأسه آنذاك ولداه سليمان باشا ومحمد باشا بدون معارضة لعشرين سنة. والشخصيات الرئيسية الجليلية لهذه الفترة كانت: سليمان باشا وأبناؤه نعمان وأحمد وعثمان[١] ثم محمد باشا وولده وكتخدا محمود وكذلك حسن وأسعد وسعد الله أبناء حسين باشا.

أستمر الجليليون في تشييد البنايات الدينية خلال هذه الفترة فرمموا جامع الباشا في عام ١٧٧٨م/١١٩٢هـ وأعاد سليمان باشا بناء مدرسته بالكامل في عام ١٧٧٥م شيدت عادلة وفتحية بنتا فتاح باشا مدرسة سمياها مدرسة الحجيات في محلة القنطرة في جنوب غربي المدينة على موقع دار أبيهما[٢]. وفي عام ١٧٨٠م/١١٩٤هـ شيدت فتحية بنت سليمان بن محمد بن صالح بن عبد الجليل جامعاً ومدرسة تعرف بالعراقدة في محلة حمام المنقوشة غرب الموصل وفي عام ١٧٧٩م/١١٩٣هـ شيد سليمان باشا وأمه حليمة وأخوه محمد وأخته حمراء الجامع الزويني قرب باب البيض وفي عام ١٧٩٧م/١٢١٢هـ شيد عثمان بن سليمان باشا مدرسة مدرسة في جامع الرابعية وأوقف لها مقهى يملكه قرب باب لكش وخاناً يقع خارج الباب وفي السنة نفسها شيد أخوه نعمان (باشا فيما بعد) جامعاً ومدرسة في محلة السرجخانة بالقرب من الجامع الكبير على موقع مسجد قديم وكذلك في عام ١٧٩٧م/١٢١٢هـ بنى محمود بن محمد باشا (أصبح باشا فيما بعد) وأمه جامعاً في محلة المحمودين جنوب غربي المدينة[٣].

واستمر أتباع الجليليين بالتنامي، ابراهيم بن كرز علي (توفي في ١٧٩٠م/١٢٠٥هـ) كان شافعياً يدرس في جامع الأغوات، يونس الطويل (توفي في ١٨٠٢م/١٢١٧هـ) كان يعظ في الجامع الزويني، مصطفى بن رحماني (توفي في ١٧٩٩م/١٢١٤هـ) كان مدرساً في جامع الرابعية وأمين الكتب التي وهبها

---

(١) كان عثمان أديباً وشاعراً، وكان أحد مدرسيه محمد أمين بن سعد الله شيخ القرآء (الديوه جي، المدارس، جزء١، ٧٠) وجدير بالذكر أن العائلة كانوا أصدقاء الجليليين.

(٢) كانت عادلة زوجة لعبد الرحمن بن عبيد أخي عبد الباقي باشا.

(٣) أنظر: غرائب، ص٧٢؛ بغداد، صفحات: ٣٧٥، ٣٨٢؛ الالمنية، ف٢٦؛ سيوفي، ص١٣٦؛ الصائغ، جزء١، ٣٠٤؛ الجلبي، صفحات: ٤٦،٨٥، ٨٩، ٩٩، ١٦٨، ١٧١، ٢٢٤؛ الديوه جي، جوامع، صفحات: ١٨٣-١٨٤، ٢٠٠-٢٠٦، ٢٢٣، ومدارس، جزء١، ٨٤-٨٨، ٩٥، ٩٦.

سليمان باشا للجامع الزويني، سعد الدين المعماري (توفي بعد عام ١٧٨٨م) كان اماماً لجامع الزويني، يوسف الواعظ (توفي في ١٨٢٩م/١٢٤٤هـ) درس في مدرسة الباشا، قاسم بن فالح (توفي بعد عام ١٧٨٨م) كان أميناً لمكتبة مدرسة الباشا، جرجيس الجوادي أكثر العلماء احتراماً (توفي في ١٧٩٩م/١٢١٤هـ) يعظ في جامع الباشا، حسين بن بكر (توفي في ١٨٠٠م/١٢١٥هـ) صار كاتب أوقاف النبي جرجيس بعد والده[١]، وأصبح أخوه يحي بن بكر (توفي بعد عام ١٨١٧م) خطيباً لجامع الأغوات واماماً لجامع الباشا.

وقد اجتذب الجليليون أكراداً كثيرين وفدوا الى الموصل من الولايات المجاورة، كان عزيز الكردي المدرس الأول في مدرسة المحمودين عندما أفتتحت في عام ١٧٩٧م ودرس جرجيس الأربيلي (توفي في ١٧٩١م/١٢٠٦هـ) في مدرسة الزيواني وكان مدرساً وخطيباً في جامع الباشا. وكان ولي الأربيلي (توفي ١٧٨٨م/١٢٠٣هـ) خطيباً في الجامع الزيواني. وكذلك كان فتحي بن حنكو (توفي في ١٧٩١م/١٢٠٦هـ) واستقر محمود الأربيلي في الموصل في عام ١٧٧٦م/١١٩٠هـ وأصبح امام جامع الباشا وهكذا امتد النفوذ الثقافي للموصل خارج حدود الولاية وانتفع رجال العلم الذين ينحدرون من أصول متواضعة من الحماس الديني لحكام الموصل ووجهائها واحتضنهم الجليليون.

ومات عثمان بن علي أبي الفضائل العمري منفياً بعد أن كان دفتر دار بغداد وكان قد أيد ولده نعمان عبد الباقي باشا الا أن سليمان باشا الجليلي نفاه من الموصل وجرده أيضاً من التولية المهمة للجامع العمري تلك التولية التي أعطيت فيما بعد لابن عم نعمان أمين بن اسماعيل بن علي أبي الفضائل وقد أجرى هذا الأمين اصلاحات في الجامع في عامي ١٧٨٦ و ١٧٨٩ وأعاد بناء ضريح قاسم مؤسس الأسرة العمرية وعندما مات في عام ١٧٩٣م/١٢٠٨هـ خلفه أحد أخوته متولياً وما زالت مسألة التولية سبباً للاحتكاك في الأسرة ويخبرنا ياسين بن خير الله العمري أنه حين جرّد نعمان من رعاية الوقف ادعى أخوه أمين بن خير الله "وكان محقاً بذلك" أنه هو الذي يستحق أن يكون متولياً ولكن سليمان باشا الجليلي رفض هذا الادعاء على أساس أن هذه الوقفية، والقول لياسين، كانت مزيفة على افتراض أن الوقفية للجامع العمري تمنح التولية للأعقل والأتقى والأقرب رحماً وأن أخاه أمين كونه أحد الأدباء البارزين في ذلك الزمان كان الأكثر استحقاقاً لها. ان الوقفية التي وصلتنا تشترط أن لأحفاد قاسم الثلاثة يجب أن تؤول لبيت عثمان التولية، ولبيت موسى الخطبة، ولبيت محمد[٢] التدريس وهذه الوثيقة حسبما يقول ياسين بن خير الله بن محمود بن موسى بن علي بن قاسم "مزيفة" لأن الأصلية حرّقت من قبل محمود محضر باشي الذي دفع ستين درهماً[٣]، وبالتالي أعطيت التولية لأمين بن اسماعيل الذي ينحدر من بيت عثمان ومن بعده آلت الى أخيه "الذي كان أمياً"[٤] وقد تحاشى سليمان باشا الجليلي في موضوع التولية.. وهي مسؤولية تجعل منه بالتأكيد وجيهاً قوياً.. أمين بن خير الله العمري الذي

---

(١) أنظر: ص١٣٩ فيما سبق.

(٢) سجل الوقفيات، ص٤.

(٣) أنه أحد أجداد آل محضر باشي وليس أكيداً أي محمود يشار اليه قد يكون محمود بن يحي الذي توفي عام ١٧٥٨ وهو الذي أصلح مدرسة الأسرة في عام ١٧٥٤ وقد يكون جده محمود بن طه الذي بنى والده المدرسة في عام ١٦٢٥.

(٤) القضاة، ف ف٨٨-٩٠، مات أمين بن اسماعيل العمري في عام ١٧٩٣ وكان يجب أن تعطى التولية كما يخبرنا ياسين العمري اليه لأنه كان الأكبر والأقرب رحماً والأوفر علماً وبدلاً من ذلك فضل الوالي محمد باشا الجليلي الأصغر والأبعد رحماً والأكثر جهلاً فمنح التولية لمصطفى بن اسماعيل الذي أعطاه ٢٠٠٠ قرش لقاءها. أنظر العمدة، ف ٤٨.

بقي تابعاً للجليليين ودرس في جامع الزويني وقد عهد اليه سليمان باشا أيضاً مهمة اكمال كتاب التأريخ الذي تركه يحي بن عبد الجليل ناقصاً[١]. وأما أخوه ياسين فقد خدم سعد الله بن حسين باشا لأكثر من عشر سنوات اماماً خاصاً له[٢] والعمري الآخر الذي زامل الجليليين كان سليمان بن أحمد بن علي أبي الفضائل الذي دخل خدمة محمد الجليلي (الباشا فيما بعد) وبقي معه سنة في سيواس حيث ذهب هذا الأمير ليلحق بأخيه سليمان باشا الجليلي. وبعد ذلك عاد سليمان العمري الى الموصل وخدم عبد الباقي باشا الجليلي حتى قتل الأخير[٣].

من الصعوبة بمكان فهم سياسة الأشراف فقد تصادموا في الماضي مع العمريين في أكثر من مناسبة.

وفي حوالي عام ١٧٥٠ استطاع أحدهم المدعو سيد بكتاش (توفي في ١٧٦٤م/١١٧٨هـ) أن يحصل على رعاية المرقد المهم للامام الباهر (عبد الله) والتي كانت حتى ذلك الوقت بعهدة الأسرة العمرية فأصبح السيد بكتاش متولياً وشيد جامعاً على موقع المرقد المذكور والواقع في غربي الموصل قريباً من محلة الخاتونية وخلفه ولده محمد متولياً[٤]. وهكذا يبدو أن علاقات الأشراف بالعمريين بقيت متوترة ولما كان الفريقان أحنافاً فان المصادمات حول التعيينات الدينية كانت مرجحة دائماً ويبدو أنه منذ مجئ الجليليين الى الحكم انتقلت وظيفتا القاضي والمفتي الى رعاية الأشراف وكان آخر مفتي عمري مسجل في العهد الجليلي هو يحي بن مراد بن علي أبي الفضائل الذي مات عام ١٧٤٨ وآخر قاضي عمري مسجل هو محمد بن علي أبي الفضائل الذي مات في عام ١٧٣٣ والسيد يحي الفخري كان على الأرجح مفتي الموصل من عام ١٧٥٥ حتى وفاته في عام ١٧٧٣. وقد خلفه سيد عبيد الله بن خليل البصيري الذي حلّ ابن عمه السيد حسن بن ابراهيم محله حين نقل الى القضاء عام ١٧٧٦ وبقي السيد حسن بن ابراهيم مفتياً حتى وفاته في عام ١٧٨٧م/١٢٠٢هـ. وقد خلفه سيد أحمد بن سيد حامد الفخري الذي احتفظ بمنصبه حتى وفاته في عام ١٨٠٤م/١٢١٩هـ أما أخوه السيد سليمان بن سيد حامد الفخري فقد خدم سليمان باشا الكبير والي بغداد الذي له الفضل في منحه من قبل الباب العالي رعاية أوقاف مكة والمدينة في الموصل وعلى جانب القضاء فان السيد عبيد الله بن خليل البصيري كان بالتأكيد قاضياً من عام ١٧٧٦ حتى وفاته في عام ١٧٨٤ وكان عبيد الله هذا صديقاً لراغب باشا الصدر الأعظم كما كان أبوه خليل من قبله[٥]. ولدينا بعده اسم محدد هو السيد عبد الله بدون أي تفاصيل أخرى الذي كان قاضياً عامي ١٧٨٦ و ١٧٨٨ وأما بالنسبة للسيد محمد بن حامد الفخري أخي أحمد فيبدو أنه احتكر وظيفة القاضي منذ عام ١٧٨٩ في ١٨١٩ [٦].

---

(١) أنظر: ص٢٠٢ فيما بعد.

(٢) بغداد، صفحات: ٣٣١، ٣٥٠ -٣٥٣؛ الصائغ، جزء٢، ٢٠٥.

(٣) سليمان، ف ف: ٨٩-٩٠/٥.

(٤) الدر (١)، ص٦١٠؛ الديوه جي، جوامع، صفحات: ١٨٨-١٩٤.

(٥) قضاة، الورقة ٩٢.

(٦) سجل الوقفيات، مجموعة الوقفيات؛ الدر (١)، صفحات: ٦٢٢، ٦٣٣، ٦٣٨؛ بغداد، ص، الغابة، ص١٩؛ المنهل(٢)، جزء(١)، ٢٤٣-٢٤٦؛ الصائغ، جزء(٢)، ٢٢١؛ سليمان الاوراق: ١٢، ١٨، ٨٨/٥.

الجدول رقم ٧ ـ الاشراف الرئيسيون الذكور في المصادر

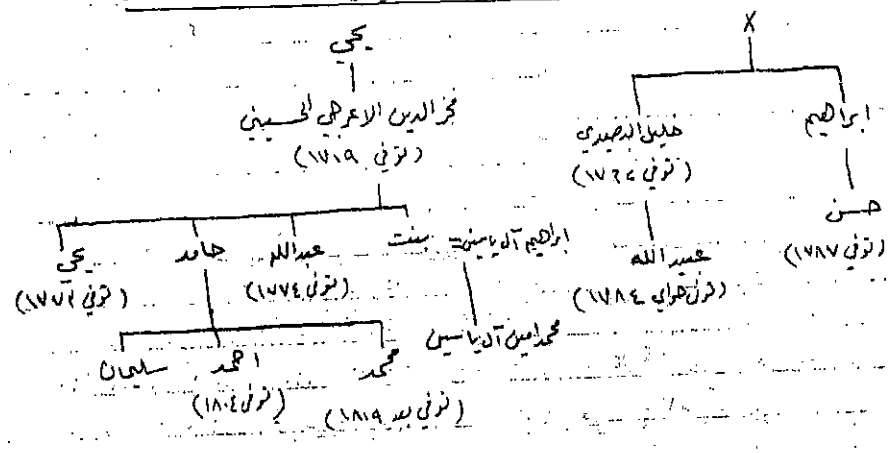

يبدو أن آل ياسين لم ينشؤا روابط مع أي من الفريقين الانكشاريين الرئيسيين بل الأحرى مع السرية ٥٨ واحتمالاً مع السرية ١٠ فقد كان محمد أمين بن ابراهيم بن يونس بن ياسين (توفي بعد عام ١٨٢١)[١] ملاك أرض وشاعراً وطبيباً وتزوج في بغداد في عام ١٧٧٠م[٢] وقد خدم ولده سليمان (توفي عام ١٧٩٨م/١٢١٣هـ) الصدر الأعظم في اسطنبول وبعد ذلك سليمان الكبير في بغداد[٣] وأما ولده الآخر عبد الله فقد ذهب الى بغداد في عام ١٧٧٤ وخدم عمر باشا حتى وفاة الآخر. ثم عاد بعد ذلك الى الموصل ومارس الطب ولا يرد ذكر في تواريخ الأحداث لأبناء محمد أمين الستة الآخرين وللأسرة مدرسة واحدة في الموصل وهي المدرسة التي بناها ياسين في سوق باب السراي[٤] وقد ملكت الأسرة أرضاً في شمال شرقي الموصل كما يشير الى ذلك الوقف الذري الذي أنشأه محمد أمين في عام ١٧٩٩م/١٢١٤هـ[٥].

أما علاقة الفلاحين الجيدة مع الجليليين فقد استمرت طيلة الفترة فقد خلف علي بن مصطفى المفتي ولده الذي لحق بسليمان باشا الى قارص وعاد معه بعد موت عبد الباقي باشا وأما ابن عمه حسين بن محمد (توفي في ١٧٩١م/١٢٠٦هـ) فقد كان رجلاً عالماً صرفته مسؤولياته الحكومية المختلفة عن التدريس[٦].

يبدو أن ثروة الأسرة العبدالية بقيت كبيرة اذ أن جرجيس بن اسماعيل رمم جامع خزام وأعاد بناء جامع العبدالية ووسع مدرسته حوالي عام ١٧٨٨م/١٢٠٣هـ؛ وفي عام ١٨٢٣ أنشأت فاطمة بنت عبد الله

---

(١) في عام ١٨٢١ مازال حياً يرزق لأنه كتب ديواناً بمناسبة زواج يحي باشا الجليلي في ذلك التأريخ، أنظر: ديوان محمد أمين آل ياسين، مخطوطة في المجموعة الخاصة لمحمود بك الجليلي.

(٢) يجدر التذكر أن خاله السيد عبد الله الفخري كان قد خدم باشوات بغداد.

(٣) ان سليمان هذا الذي مات في اسطنبول عام ١٧٩٨م/١٢١٣هـ يبدو أن الصدر الأعظم قد منحه اقطاعاً بالقرب من كركوك لقد ترك اسطنبول حيث كان يقيم وذهب ليتملك اقطاعه ولكن لم يتمكن من الحصول على شيئ (سليمان، ف ٥/٨٤) ان هذا الحادث يلقي ضوءاً ممتعاً على العلاقات وصلة القوة بين القوى الأقليمية والحكومة المركزية.

(٤) من بعض مدرسيها: عبد الفتاح بن أحمد بن محمود العمري (توفي في ١٧٦٧م/١١٨١هـ) أمين بن خير الله العمري (توفي في ١٧٨٨م/١٢٠٣هـ) ويونس الطويل الذي كان أيضاً واعظاً في جامع الزويني.

(٥) أنظر سجل الوقفيات، ص٢٢٩؛ المنهل(٢)، جزء١، ٢٤٧-٢٤٨؛ الدر(١)، ص٦٥٦؛ بغداد، صفحات: ٣٦٢-٣٦٥؛ الديوه جي، المدارس، جزء١، ٧٩-٨٠ والجوامع، صفحات ١٦٠-١٦١.

(٦) الدر (١)، ص٦٢٩؛ المنهل(٢)، جزء١، ٢٥٧-٢٥٨.

وابنتها مريم وقفاً صغيراً لمنفعة الأسرة وبعد انقطاع السلالة لجامع العبدالية[1]. أما الرجال العلماء الذين تزامنت أسماؤهم مع جامع العبدالية فهم جرجيس الجوادي (توفي في ١٨٠٤م/١٢١٩هـ) الذي درس هناك وحسين بن محمد (توفي بعد عام ١٨٢٠) الذي خلفه اسماعيل الموصلي (توفي في ١٧٩٧م/١٢١٢هـ) الذي كان خطيباً[2].

في عام ١٧٩٧م/١٢١٢هـ بنى محمود بن عمر آلآي بكي.. فرع من آل قرة مصطفى بيك.. سبيلخانة وفي عام ١٨١٩م/١٢٣٢هـ أنشأ ابنه عمر وقفاً ذرياً ضم بعض الدكاكين وبئراً وبعد أربع سنوات أقام وقفاً (ذرياً وخيرياً) آخر وشمل داره وفي عام ١٨٢٣م/١٢٣٩هـ وهب بعض الآبار وقطعة أرض زراعية "للجامع الذي شيده وللسبيل ولأسرته" وبعد سنتين من ذلك وهب جامعه بئراً تقع في قرية قره قوغلي وبستان زيتون في بحزاني وكذلك بعض البساتين في قرية الفاضلية. وبعد سنين قليلة يظهر اسم قره مصطفى بيك في الوقفيات حينما وهب محمود بك بن يونس بك بستاناً في عام ١٨٣٧ وقفاً للمسجد المعروف بيعقوب أغا وفي عام ١٨٣٩ أنشأت أسماء بنت أحمد بيك وقفاً آخر لمنفعة المسجد نفسه والذي يقع في الشمال الغربي[3].

ومن الأسر الوجيهة الأقل شأناً والقائمة في الموصل قبل ظهور الجليليين لدينا أخبار التوكنديين الذين بنوا جامعهم في عام ١٧٩٣م/١٢٠٨هـ وما زالت مدرستهم تعمل في عام ١٨٠٢م/١٢١٧هـ وأما آل سعرتي (يتزامنون مع الانكشاريين) فقد أصلحوا مدرسة ومسجداً في عام ١٨٠٦م/١٢٢٠هـ وفي عام ١٧٧٦م/١١٩٠هـ شيد أحمد بن محمود آل النعمة مسجداً في محلة خزرج وأوقف له بعض الدكاكين والمقاهي وكذلك قطعة أرض زراعية تقع قرب الشيخ عناز خارج الأسوار الجنوبية أما أحفاد الأخوة المنصوريين فقد أصلحوا جامع شهر سوق في عام ١٨٢٣م/١٢٣٩هـ.

أما الأسماء الباقية السابقة للعهد الجليلي فلا تظهر في وثائق تلك الفترة ولكن الأسماء المفقودة حلّت محلها أسماء أخرى فقاسم بن محمد حسن تاجر أقمشة وشاعر وناسخ جيد وأحمد بن حمودة تاجر آخر بنى مسجد الشيخ عثمان في شهر سوق عام ١٧٦١م/١١٧٥هـ وشيّد الجاركي مسجداً في شهرسوق سنة ١٧٧٣م/١١٨٧هـ وشيد مصطفى أغا بن عابد (توفي ١٧٧١م/١١٨٥هـ) مصرفي أمين باشا عدة مساجد وشيد عبد الحافظ التاجر جامع سوق العلوة في عام ١٧٦٧م/١١٨١هـ وبنى التكريتي مسجداً في محلة باب العراق في عام ١٧٦٣م/١١٧٧هـ وأعاد بناءه في عام ١٨١٨م/١٢٣٤هـ وبنى آل اللاهوري تكية في محلة حوش الخان[4]. وأما آل خروفة الذين رأست أسرتهم نقابة الصاغة فقد بنوا مسجداً في عام ١٧٣٨م/١١٥١هـ وأصلح آل البكري مسجداً في محلة جامع خزام في عام ١٧٤١م/١١٥٤هـ وأما محمد مصطفى الذهب فقد أعاد بناء الجامع الأموي القديم في عام ١٨١٠م/١٢٢٥هـ وفي عام ١٨١٩م/١٢٣٥هـ بنى عبد الرحمن

---

(١) سجل الوقفيات، ص٧٤؛ بغداد، ص٣٧٦؛ الديوه جي، المدارس، جزء١، ٨٧، والجوامع، ص١٤٢.

(٢) عنوان (١)، الورقة٨٤؛ الدر (١)، ص٦٥٢؛ الديوه جي، المدارس، جزء١، ٧٨.

(٣) سجل الوقفيات، صفحات: ١٩٤، ٢٣٤، ٢٧٦، ٢٨٣؛ الدر (١)، ص٦٣٦؛ سيوفي، ص٤٤.

(٤) كان هنالك تكايا قليلة قائمة بذاتها؛ وكان لمعظم الجوامع تكاياها وقبل أربعين سنة كان لجامع النبي يونس دائرة خاصة تدعى شاويشيات الحلقة (النقشبندية).

* النقشبندية: كانت ما زالت قائمة حتى الثمانينات وهي حالياً خربة تقع في البيوت القريبة من النبي يونس (المنقح).

الجادر مدرسة تعرف بمدرسة الحبار[1] قرب جامع النبي جرجيس وبعد سنة من ذلك بنى آل شاهد و مسجداً في سوق الصاغة وفي عام ١٧٩٥م/١٢١٠هـ بنى آل الرضواني مدرسة ومسجداً في محلة باب العراق وبنى آل البطال جامعاً ومدرسة في باب الطوب وبنى آل الجوادي مسجداً في محلة عبدو خوب عام ١٧٩٧م/١٢١٢هـ وبنى تاجر يدعى زكريا مدرسة مهمة في شهر سوق عام ١٧٨٦م/١٢٠١هـ وأما آل الصباغ فقد شيدوا مسجداً في محلة عمو البقال في عام ١٧٥١م/١١٦٥هـ وأعادوا بناءه في عام ١٨١٣م/١٢٢٨هـ والمدعو أبو بكر بن محمد وهب بعض البساتين والطواحين لمسجد قوز بكر في عام ١٧٦٢م/١١٧٦هـ وفي عام ١٨٢٥م/١٢٤١هـ وهب عبد الوهاب الخطيب بعض الأرض وداراً كوقف للنبي جرجيس وفي عام ١٨٠٥م/١٢٢٠هـ بنى عمر بن مصطفى المخيول جامعاً خارج باب البيض أول بناية دينية تقام وراء الأسوار الجنوبية الغربية وأوقف لها بعض الأراضي الزراعية الواقعة قرب النبي شيت وبعد ذلك بتسعة عشر عاماً أنشأ وقفاً لمنفعة مسجد غير محدد وفي عام ١٧٩٧م/١٢١٢هـ أقامت فاطمة بنت أحمد ترزي باشي سبيلخانة وأوقفت عليها مقهى وبعض الدكاكين، وبعد ذلك بثمان سنوات اوقفت عليها بستاناً وبعض المقاهي وفي عام ١٨١٤م/١٢٣٠هـ أنشأت وقفاً يشمل بعض المقاهي وبعد ذلك بسنتين أنشأت مسجداً ومدرسة وفي عام ١٨٢٢م/١٢٣٨هـ أوقفت جامعاً ولكن لا يعرف فيما اذا كانت هي التي شيدته[2].

لم تنشأ كل الثروة والوجاهة في الأرض أو في التجارة فقد أوجد الحكم المحلي وجاهة في المهن الشرعية فان آل محضر باشي بعد أن أيدوا فتاح باشا دخلوا في خدمة سليمان باشا الجليلي وبعد ذلك خدمة أخيه محمد باشا وكانوا "متنعمين" بما فيه الكفاية ليتمكنوا من اصلاح مدرستهم وانشاء مدرسة أخرى وفي عام ١٨٥٥ مازالت الأسرة غنية بما فيه الكفاية لتمكنهم من أن يهبوا خمس دكاكين كوقف خيري[3].

وأما آل المتولي فما زالوا ممسكين بأوقاف النبي جرجيس والنبي يونس وبموت فتح الله حلّ محله محمد أمين حسب رغبة سليمان باشا الجليلي[4].

وقد برز آل علوان أيضاً من خلال الوظيفة فقد كان أحمد بن بكر بن علوان (توفي ١٧٩٢م/١٢٠٧هـ) أديباً وشاعراً خدم سليمان باشا ومن بعده محمد باشا ككاتب مسؤول عن المراسلات العربية (كاتب العربية) وفي عام ١٧٨٦م/١٢٠١هـ بنى مدرسة مهمة ومسجداً قرب السراي وأنفق ١٠٠٠٠ قرشاً على البناء وكذلك وهب المدرسة والمسجد بستاناً قرب الجامع الأحمر ونصف مقهى في باب السراي ومباني مجاورة مختلفة أخرى أيضاً[5].

---

(١) سميت باسم الشهيد حسن الحبار، أنظر: فيما سبق، ص٩.

(٢) أنظر سجل الوقفيات؛ مجموعة الوقفيات؛ الدر(١)؛ المنهل(٢)؛ بغداد؛ المنية؛ عنوان؛ أخبار، غرائب، الصائغ، سيوفي، الجلبي، الديوه جي، الجوامع والمدارس.

(٣) سجل الوقفيات، ص١٩٢؛ عنوان (١)، ف ٥/٢٥٤؛ الجلبي، صفحات: ١٨٦-١٨٨؛ الصائغ، جزء٢، ٢١٢-٢١٦؛ رؤوف، صفحات ٥٠٤-٥٠٥.

(٤) الدر (١)، ص٦٤١.

(٥)سجل الوقفيات، ص١٣٣؛ أخبار، ورقة٥/١٨٠؛ بغداد، صفحات: ٣٦٦-٣٦٧؛ الدر (١)، ص٦٤٥؛ غرائب، ص١٨؛ المنهل(٢)، جزء١، ٢٩٠-٢٩١.

والأسرة الأخرى من الموظفين هي آل بكر فللجامع والمدرسة اللتين بناهما يونس أضاف ابنه بكر جامع ومدرسة جمشيد في المحلة المعروفة بذلك الاسم وبكر نفسه كان متولياً شريكاً في جامع النبي جرجيس (مع آل المتولي) وزاد في أوقاف الجامع وفي عام ١٧٨٦م/١٢٠١هـ أعاد بناء القناطر الحجرية لجسر الموصل وكانت ثروته كافية لتسمح له باقراض أمير العمادية ثلاثين كيساً[١]. وفي عام ١٧٨٩م/١٢٠٤هـ صار كتخدا لمحمد باشا الجليلي واحتفظ بذلك المنصب حتى وفاته في عام ١٨٠١م/١٢١٦هـ.

أما أخوه محمد فقد كان أمين السر الرئيسي لادارة الوالي وقد خدم أحد أبناء بكر المدعو حسن محمد باشا الذي عهد اليه اعادة بناء المتاريس وفي عام ١٨٠٤م/١٢١٩هـ ذهب الى بغداد وأقام هناك وأما أحمد أحد أبناء بكر فقد كان كاتباً للادارة حينما كان والده كتخدا وتقدم فيما بعد ليصبح كتخدا لنعمان باشا بن سليمان باشا. وفي عام ١٨٠٤م/١٢١٩هـ أعاد بناء المدرسة الكمالية مدارس على طراز القرون الوسطى وجامعها المطل على دجلة وحين زار ميرزا مدينة الموصل في عام ١٨٠٢ كتب أن من بين "السكان الرئيسيين في المدينة أحمد أفندي وأخوه وكلاهما أمينا سر الباشا"[٢].

١٠- نزاع عام ١٨٠٦

بموت محمد باشا الجليلي في عام ١٨٠٦م/١٢٢١هـ دبّ الاضطراب السياسي في الموصل واتفق الوجهاء على تعيين محمود ابن الوالي المتوفي متسلماً وصادق علي باشا والي بغداد على قرارهم ولكن ظهر منافس لمحمود في شخص عمه الكبير أسعد الذي شعر أنه أكثر استحقاقاً لأن يكون متسلماً.. وبعد ذلك والياً.. لكونه ابن حسين باشا الكبير وهكذا وبغياب أي تحد جاد من بيت جليلي آخر انشق بيت حسين باشا على نفسه لأول مرة عندئذ ثارت السرية ٥٢ وقاتلت الآخرين في الأسواق نهبت ٢٠٠ حانوت وفقدت بضائع تقدر قيمتها ب ٥٠٠٠٠ قرش وتدخل كبار الجليليين فتوقف القتال لأيام قليلة فقط لكي ينفجر بعنف أعظم اذ تقلّد أسعد بك بن حسين باشا علناً قيادة أحد الفريقين المتخاصمين ولما جوبه بحالة متزايدة من الفوضى استقال المتسلم محمود بك بن محمد باشا وبدا الطريق الى السلطة الآن مفتوحاً لأسعد بك ولكن الأوامر جاءت من بغداد بتعيين نعمان بك بن سليمان باشا الجليلي متسلماً وساد السلام بخمسة عشر يوماً في المدينة ثم حاول اثنان من أتباع أسعد بك اثارة الشغب فتحرك نعمان بسرعة فقتل أحد الرجلين وحاصر دار أسعد بك وتدخل كبار الجليليين تارةً أخرى لوقف النزاع وترك أسعد بك الموصل الى أربيل وبعد أشهر قليلة عيّن نعمان والياً وبالشرعية والموافقة اللتين منحهما الباب العالي وبغداد استطاعت الموصل أن تتنفس الصعداء[٣].

١١- نزاع عام ١٨٠٩

في عام ١٨٠٩م/١٢٢٤هـ استقال نعمان باشا الجليلي الذي كان طريح الفراش وأصبح ولده يحيى متسلماً وبعد ذلك مباشرةً وصلت الأوامر من بغداد بتعيين عثمان أخي نعمان متسلماً بعد شهر من ذلك وصلت الموصل أخبار بتعيين أحمد بن بكر بن يونس آل بكر والياً لأحمد نفسه الذي كان أمين سر وكتخدا للجليليين

---

(١) ١٥٠٠٠ قرشاً.

(٢)أخبار، ف ١٧٩؛ بغداد، ص١٠٤؛ عنوان (١) ف٥/٨٤؛ الدر (١)، ص٦٦١؛ غرائب، ص٨٤؛ ميرزا، جزء٢، ٢٩٢-٢٩٣؛ الجلبي، ص٢٢؛ الديوه جي، جوامع، صفحات ٢٢٩-٢٣٠ والمدارس، جزء٢، ٥٨؛ السيوفي، صفحات ١١٩-١٢٠.

(٣) عن هذا النزاع، أنظر: غرائب، صفحات، ٧٢-٧٣؛ الدر (٢) ف ٥/٣٩٤.

كما كان أبوه وجدّه كذلك من قبله. وبدعم من سليمان الصغير والي بغداد صعد أحمد الآن الى أعلى منصب أقليمي على حساب أسياده والمحسنين اليه الجليليين وتجدر الاشارة الى أن أحد أخوة أحمد حسن قد أقام فعلاً في بغداد لعدة سنين ولكن لا يعرف فيما اذا كان لقربه من سليمان الصغير أي علاقة بتعيين أخيه.

ذهلت الموصل بهذا الخبر اذ كانت المرة الأولى التي يعين فيها رجل محلي والياً على حساب الجليليين وعلى الفور غادر سعد الله وحسن ابنا حسين باشا وأحمد بن سعد الله ومحمود بن محمد باشا الى بغداد ليترافعوا مع الباشا وبينما كانوا في بغداد وصل الموصل أحمد باشا بن بكر وشرع بابتزاز المال من الجليليين وبعد وصوله مباشرةً قتل عبد الرحمن أغا بن صالح أغا الشويخ التفكنجي باشي الذي كان نصير الجليليين تماماً كما قتل أبوه من قبله ويبدو في هذه المرحلة أن الأسرة الجليلية بكاملها قد اتحدت ضد الخارجي اذ أن سليم بن عبد الباقي باشا وحسن بن فتاح باشا كانا بين الوجهاء الذين أمرهم أحمد باشا بن بكر أن يتركوا المدينة ولم يأت الوالي الجديد الى الموصل لوحده اذ أن جنود سليمان الصغير والي بغداد كانوا يراقبون الأحداث من مواضعهم خارج الموصل فرضخ القادة الجليليون للضغط ووافقوا على مغادرة المدينة كلهم ماعدا أسعد بك بن حسين باشا الذي اتصل بالسرايا فكسب السرية ٣١ الى جانبه وعلى الفور انظمت الى السرية ٣١ السرايا ٢٧ و ١٠ و ٥٨ وبقيت السرية ٥٢ فقط التي كانت ما زالت تؤيد أحمد باشا بن بكر اذ كان مقرها في محلة رأس الكور حيث يسكن آل بكر ونشب القتال وأخرج الانكشارية المتحالفون الوالي من السراي فلجأ الى داره في محلة رأس الكور مع أخيه عبد الله وجماعة صغيرة من أتباعه وفي الحال أصبح داره معرضاً للهجوم اذ أن السرية ٥٢ أذعنت للضغط الجليلي وأوقفت قتال السرايا الأخرى بذلك بات أحمد باشا معزولاً ومتخلى عنه من الجميع فهرب من المدينة مع خمسة رجال يتعقبه أحمد بك بن سليمان باشا الذي تمكن من أسر اثنين من الهاربين حينما كان أحمد باشا يصل معسكر والي بغداد وأما في الموصل فقد دخل الرعاع دار أحمد باشا ونهبوا كل شيئ. وسيطر الجليليون على المدينة سيطرة تامة ولكنهم أصبحوا الآن في ثورة علنية ضد باشا بغداد.

الا أن أحمد باشا بن بكر زحف تدعمه قوات سليمان الصغير في الحال ضد الموصل فقابله القادة الجليليون على الضفة الشرقية لنهر دجلة بثلاثمائة رجل من أتباعهم وفي المعركة التي تلت.. والتي كانت تسير لغير صالح أهل الموصل قتل أحمد باشا بن بكر وتقهقر جيشه جنوب نهر الزاب لقد دام حكمه مجرد خمسين يوماً وعاد الجليليون تارةً أخرى أسياداً للموصل. أما أسعد بك بن حسين باشا القائد الجريئ الذي حسم القضية بالقوة فقد عين متسلماً ودفعت المدينة لسليمان الصغير [والي بغداد المملوكي] ٢٠٠ كيس لاسترضائه وصادر أسعد بك ثروة أحمد باشا وأخوته "ولم يتركوا في الموصل سوى أسمائهم وقصصهم"[١]. وبعد أشهر قليلة جاء خبر تعيين محمود بن محمد باشا الجليلي والياً على الموصل في البداية رفض أسعد بك بن حسين باشا الذي عمل الكثير ليضمن بقاء الجليليين في الحكم أن يعترف بسلطة الوالي ولكنه ولعزلته أذعن في النهاية ومات بعد أسابيع قليلة[٢].

ان التحدي الذي عبر عنه أحمد باشا بن بكر لتفوق الأسرة الجليلية يوضح الحقيقة أن السيطرة على السياسة الحضرية ليست شرطاً كافياً للحكم وتشير الى الدور المهم المتزايد الذي يلعبه باشوات بغداد في تعيين

---

(١) غرائب، ص ٩٤.

(٢)عن هذه الأحداث، أنظر: غرائب، صفحات، ٨٣-٩٦.

الولاة والمتسلمين والكتخدات في الموصل وكما تبين الهزيمة السريعة لأحمد باشا على أيدي الجليليين فان تحديه كان ممكناً فقط بتأييد بغداد وليس بأية قاعدة للسلطة في الموصل نفسها ولكن يبقى أن على الجليليين أن يدفعوا لباشا بغداد ٢٠٠ كيس ليعوضوه عن خسارته لتابعه (محسوبه) ويبقى أن الخيار النهائي لأي من الجليليين يجب أن يحكم الموصل في يد باشا بغداد ومن هنا رأينا أسعد بك بن حسين باشا القوي والمستقل تزدريه بغداد مرتين.. في عام ١٨٠٦ وعام ١٨٠٩.. رغم الحقيقة أن الموصل نظرياً مستقلة عن بغداد.

ان سقوط سليمان الصغير في السنة التالية (١٨١٠م) سجلت بداية اثني عشرة سنة من السلام للموصل تحت حكم الجليليين اذ تحسنت العلاقات بينهم وبين باشوات بغداد وطيلة الفترة التي تفحصناها للتو كان الجليليون يشيدون بنايات دينية. ففي عام ١٨٠٧م/١٢٢٢هـ بنى قاسم بن عثمان بن عبيد أغا مسجداً في محلة شيخ محمد الى الجنوب الغربي وفي عام ١٨١٥م/١٢٣١هـ بنى أحمد باشا بن سليمان باشا مدرسة وجامع النبي شيت خارج الأسوار الجنوبية وفي السنة التالية شيد حسن (باشا فيما بعد) بن حسين باشا وزوجته فردوس بنت يحيى بن مصطفى الجليلي المدرسة الحسينية في محلة الرابعية. وفي عام ١٨١٩م/١٢٣٥هـ اصلحت زينب بنت عبد الله احمد زوجة احد الجليلين، الجامع القديم لزقاق الحصن. وفي عام ١٨٢١م/١٢٣٧ هـ اصلح احمد باشا الجليلي جامع القلعة وبنى مسجداً في محلة حوش الخان. وفي عام ١٨٢٥م/١٢٤١ هـ بدت عادلة بنت فتاح باشا سبيلاً للمدرسة التي بنتها سابقاً مع اختها فتحية. وفي السنة نفسها بنت زوجة واولاد محمد باشا جامع الخاتونية في محلة حوش الخان. وكذلك في عام ١٨٢٦ بنى يحيى باشا بن نعمان باشا مدرسة قرب جامع النعمانية جنوب شرقي الموصل.

ان بناء المؤسسات الدينية يعطينا مؤشراً على ثروة الجليليين. ففي سوق السراي كانت حمام القمرية، وقيصرية العطارين وسوق آخر بلا تسمية، وخان، ومقهى وسبع دكاكين تقع حول الحمام، كلها وقفاً لجامع الباشا. واما قرى كوكجلي والك، وقوي باغ فكانت وقفاً لجامع النبي يونس. ويدفع ٢٠٠ اقجة من ربع قرية قره قوش لجامعي النبي يونس والنبي جرجيس. وفي عام ١٧٩١م/١٢١٣هـ شيد محمد باشا بن امين باشا قصراً بالقرب من قرية آغقند وامتلكت الاسرة ايضاً قصراً عن قرية السلامية. وفي عام ١٨١٤م/١٢٣٠هـ بنى أحمد باشا سوقاً بقيصرية معاش العسكر، وآخر يدعى قيصرية الطمغة، وخان لخزن الخشب، وخمساً وعشرين دكاناً تقع خارج باب الطوب، ومنحها كلها لجامع النبي شيت. الذي اكمل بناءؤه في السنة التالية. وكذلك منح للجامع نفسه مصبغة وعشر المحاصيل للقرى طهراوة، بلوات، كبرلي، خربه السلطان والاخريات. وفي عام ١٨١٦ م/١٢٣٢ هـ وهب حسن باشا لمدرسته قرية بايبوخت، ومقهى يملكه في محلة شيخ ابي العلا، وسدس قيصرية علي افندي. واما عبد الرحمن باشا بن محمود باشا الجليلي الذي ملك حماماً قرب باب لكش ومقهى في محلة باب البيض، فقد وهبها ولده يونس فيما بعد وقفاً لجامع الزيواني[1].

١٢ -سقوط الجليليون

في عام ١٨٢٥م/١٢٤١هـ تسبب زحف الجراد بمجاعة عظيمة في الموصل ومع ان الوالي يحيى باشا الجليلي اتخذ اجراءات لتخفيف البؤس عن الفقراء.. كأستيراد الحبوب وفتح مخابز جديدة. فقد كان هنالك

---

(١) حول المعلومات المعطاة في هذا القسم انظر مجموعة الوقفيات، المنية،ف ف:٣٦ ر، ٤٤ر، ٤٥ر، لايارد (ملاحظة) ان لايارد جاء الى العراق عام ١٨٤١ أي بعد هذه الفترة بقرابة عقدين، جزء١، ٣٠٣: جلبي، صفحات: ٧٩، ٢٠٥، ٢٢٧، الديوه جي، جوامع ٢٣٥-٢٣٧ والمدارس، جزء١، ٩٥-٩٦.

ثورة عظيمة دبرها كما يبدو وجهاء محليون معينون. مما اضطر الوالي ان يترك الموصل ويذهب الى بغداد في عام ١٨٢٧. ان هذه الثورة ضد الجليليين الحاكمين كانت اول اشارة ملموسة عن ظهور الاسر الوجيهة القديمة التي عانت لأكثر من قرن من ظلم الجليلين.

وخلف يحيى باشا جليليٌ آخر هو عبد الرحمن باشا بن محمود باشا الذي صار والياً في ٢٠ تموز ١٨٢٧م/٢٤ ذو الحجة ١٢٤٢هـ. وبعد تسعة اشهر في ١٥ نيسان ١٨٢٨م/٩ شوال١٢٤٣هـ قتل عبد الرحمن باشا في كمين في طريقه الى السراي من قبل مجموعة من القناصة اتخذوا مواضع فوق السطوح. وبعد ذلك قتل مغتالوه اخاه وكتخداه محمد في السراي. ويبدو انه لم يكن هنالك قتال على نطاق واسع اذ ان الفريق الجليلي اجتمع مباشرة بعد الاغتيالات واختار محمد امين بن عثمان بك بن سليمان باشا خلفاً لعبد الرحمن باشا. وبعد ذلك وبينما كان المرحومان الوالي واخوه يُدفنان في جامع المحمودين ارسل الفريقان المتخاصمان. الانصار والثوار. وفوداً الى بغداد لكسب تأييد داؤود باشا [والي بغداد ١٨١٧-١٨٣١] الذي مال الى جانب الانصار واستخدم نفوذه لحمل الباب العالي على تعيين محمد امين الجليلي دالياً. فوصل الفرمان الموصل في بداية تموز ١٨٢٩م/محرم ١٢٤٥هـ.

لم يتعامل الوالي الجديد مع الثوار بشدة واكتفى بنفي قادتهم الى بلدة تلعفر، وبعد شهر من ذلك كان الثوار يقفون على ابواب الموصل بجيش يبلغ تعداده ١٤٠٠ مقاتل حشد في تلعفر. اما في الموصل نفسها فقد انقسم الانكشاريون وانضم بعضهم الى الثوار الذين دخلوا المدينة. ولا تحدد المصادر السرايا التي انحازت الى الثوار، ولكن طالما ان هؤلاء قد جاؤا من تلعفر فان الابواب الغربية وباب العراق وباب البيض وباب سنجار يشكلون نقاط الاختراق الاكثر احتمالاً، ولايمكن ان يكون ذلك ممكناً لو كانت السريتان "٣١"و"٥٨" الى جانب الانصار[1]. وفي المعركة التي نشبت قتل ابو الوالي عثمان وكذلك رئيس ديوان الانشاء صالح السعدي، واحمد بك الآي بكي، ومحمد وسليم ابنا عبد الباقي باشا وقائد انكشاري يدعى حسين بك بن احمد.

واندحر فريق الانصار وهرب الوالي من الموصل. وبعد انتصارهم ظهر قادة الثوار: قاسم بن حسن بن احمد بن علي ابي الفضائل العمري، محمد سعيد بن ابراهيم بن يونس آل ياسين، محمد آغا وسعيد آغا السعرتي. وخالد اغا الشويخ قائداً السرية "٥٢"[2]. وهكذا يظهر ان السرايا "٣١" و"٥٢" و"٥٨" قد انحازت الى الثوار بينما بقيت السريتان "٢٧" و"١٠" المتخندقتان في الجنوب الشرقي مواليتين للجليليين. ومن الناحية الاخرى يجب على المرء ان لا يستبعد امكانية انشقاق كل سرية الى عصابات. ولما اتم الثوار سيطرتهم على المدينة عين قاسم العمري متسلماً وقام محمد سعيد آل ياسين بدور معاونه.

ولغضبه على ازاحة محسوبه امين باشا الجليلي، رفض داؤد باشا والي بغداد ان يعترف بسلطة قاسم العمري وسعى لحمل الباب العالي على ادانته. ولكن الباب العالي كان يخطط حينئذ خططاً اخرى للموصل وللعراق بأسره. ويبدو ان العقل المدبر لهذه الخطط هو علي رضا باشا والي حلب، ولان الموصل الواقعة على الطريق الستراتيجي الذي يربط الساحل السوري ببغداد والخليج العربي، فقد وجد نفسه محصوراً في الوسط. وهنا يستطيع المرء ان يرى بوضوح كيف مع مرور السنين وببطء، ولكن بالتأكيد، ان سياسة الموصل

---

(١) ان اية محاولة لدخول المدينة من الشرق سوف تعزل قوات الثوار عن خطوطهم الخلفية. ومن جهة النظر العسكرية ان من الثقة ان نفترض انهم دخلوا المدينة من الغرب حيث ترابط السريتان "٣١" و"٥٨".

(٢) كانت اسرته في الماضي على اتصال وثيق بالجليليين وبالسرية "٢٧".

كانت تتخطى سياسات الوجهاء لتصبح جزءاً مكملاً لسياسات الامبراطورية. ولوقت طويل استطاعت الموصل ان تبقى مستقلة عن باشوات بغداد، وبذلك ضمنت وبقدر مايتعلق الامر بالباب العالي، بقاء اعالي مابين النهرين في منأى عن هيمنة بغداد اذ انها لم تكن صيداً سهلاً للماليك. ولكن منذ بداية القرن التاسع عشر كانت الموصل تتحرك وبعناد نحو بغداد مهددة بفتح ابواب سوريا امام المماليك غير ان الحركة العنيدة التي جذبت الموصل الى بغداد توقفت في النهاية بعامل خارجي.

ففي اوائل عام ١٨٣١م غادر جيش عثماني بقيادة [علي] رضا باشا مدينة حلب متوجهاً الى بغداد. وعندما حل في الموصل اعترف علي رضا باشا بحكم قاسم العمري وعينه قائمقاماً وبعد ذلك مباشرة ارسله على رأس جيش ضد داؤد باشا فرحل قاسم وعين محمد سعيد آل ياسين متسلما، وبعد سقوط السلالة المملوكية ادمجت الموصل رسمياً مع ولاية بغداد التي يحكمها علي رضا باشا.

كان علي رضا باشا قد احكم على بغداد، ولكن كل شيء لم يكن على مايرام للعثمانيين في العراق. ففي اعقاب الحملات الناجحة لجيوش محمد علي المصرية في سوريا، اصبح الفرات الاعلى بأسره في حالة غليان فقد اعلن حكام عانة وهيت ولاءهم للمصريين ووجد ابراهيم باشا بن محمد علي حليفاً قوياً في صفوك شمر، في الحقيقة كانت المشاعر ضد علي رضا باشا تتصاعد بعد المجازر التي اقترفها جنوده في بغداد وادت الى اندلاع الثورة في الطرف الشرقي من المدينة في آيار ١٨٣٢ /ذو الحجة ١٢٤٧. وماكاد علي رضا باشا يسحق الثورة.. بقصف الاحياء التي يسيطر عليها الثوار. حتى ثار العرب العقيليون.. حلفاء المصريين.. في غربي بغداد. وتارة اخرى سحق علي رضا الثوار بتعريض مواضعهم لقصف شديد. وقد تركت هذه الثورات في بغداد الباشا عاجزاً عن مواكبة التطورات الجديدة في المشهد العراقي. وفي المقام الاول من هذه التطورات، الصعود السريع لحمه كور، امير راوندوز الصوراني الذي استغل فرصة الحروب المصرية العثمانية فأحتل اربيل والتون كوبري ثم تحرك داخل امارة بهدينان واحتل العمادية وعقرة. ونزل من الجبال الى السهل وحاصر الموصل ناهباً الريف، واجبر المتسلم محمد سعيد آل ياسين ان يعترف بسلطته. وبدون ان يضيع وقتاً امام اسوار الموصل، تحرك مدكور شمالاً تارة اخرى فأحتل زاخو ودهوك وحتى نصيبين وماردين. وكان الوقت مناسباً ليحي باشا الجليلي ان يتحرك لاستلام السلطة في الموصل، فقد كان يقيم في حلب قبيل الاحتلال المصري للمدينة في تموز عام ١٨٣٢. وبتحالفه مع صفوك شيخ شمر زحف على الموصل التي كانت الحامية العثمانية تدافع عنها. فسقطت المدينة واستلم يحيى باشا الجليلي السلطة بينما ذهب حليفه صفوك ليحاصر علي رضا باشا في بغداد. ولعجزه عن معارضة يحيى باشا الجليلي اختار علي رضا باشا بدلاً من ذلك ان يعترف بسلطته ويعينه رسمياً والياً للموصل، آملاً بذلك ان يحتفظ بالسيادة العثمانية حتى لو كانت سيادة اسمية. وفي غضون ذلك تعرضت قوات صفوك التي كانت تحاصر بغداد الى هجوم قوي من قبيلة عنزة التي اجبرت صفوك على التخلي عن الحصار واية خطط لاحتلال المدينة. اما علي رضا باشا فقد طالب رسمياً بعزل يحيى باشا من الموصل، فتنازل الجليلي الذي حرم من معونة صفوك عن المنصب. مرة

اخرى اوكل محمد سعيد آل ياسين متسلماً لعلي رضا باشا، واستدعي يحيى باشا الى اسطنبول ليُعين عضواً في المجلس الاستشاري الذي استحدث مؤخراً. وهكذا اوصلت السلالة الجليلية الى النهاية[1].

١٣- الخاتمة

ان اكثر الملامح في سياسة الموصل الحضرية من تلك الفترة هي الاصل المحلي وقاعدة القوة لطبقة النخبة. فبصعود الاسرة الجليلية ووصول السريتين الانكشاريتين "٢٧" و"٣١" من بغداد اتخذ الهيكل السياسي الموصلي شكله واصبح متوجهاً الى الداخل وراحت العناصر المحلية تحتكر بأزدياد المناصب المختلفة من الادارة الاقليمية والسلطة الدينية ولم يتسن للخارجيين فرصة على الاطلاق ليفرضوا هيمنتهم.

ويبدو ان السبب وراء هذه "المحلية" للسلطة يجب ان يلتمس في مستويين مختلفين. فعلى المستوى الداخلي لابد ان ضآلة ولاية الموصل قد يسرت لاسرة منفردة..وفي الحقيقة لبيت منفرد..ان تسيطر على القوى المختلفة المتشابكة في المدينة وفي الريف. ومن هنا فأن ظهور الجليليين واحتكارهم اللاحق للسلطة شكل عملية سياسية بسيطة نسبياً لان الممثلين على المشهد السياسي كانوا قلة في العدد وبالتالي فأن التوافقات السياسية والمعادلات والامكانيات محددودة بالتساوي. واما على المستوى الخارجي فأن السبب الرئيسي لهذه "المحلية" يجب ان يلتمس في الاهمية الستراتيجية للموصل. وبقدر مايتعلق الامر بالباب العالي، فأن حكومة محلية قوية، ومن الموصل، تستطيع ان تشكل عائقاً كبيراً لأي تقدم فارسي باتجاه اعالي مابين النهرين (ومن ثم سوريا والاناضول) وكذلك ضماناً ضد توسع نفوذ الباشوات المماليك في بغداد وما ان ظهرت سلالة محلية من الولاة واسست نفسها برسوخ في الموصل، فأن الحكمة تقضي، في نظر الباب العالي ان يعين قضاة محليون..الخ طالما ان الوجهاء الموصليون يأملون ان يواجهوا سلطة الولاة الموصليين بينما لا يتاح للخارجيين سوى قوة ضئيلة. وبالتالي فأن قبضة الجليليين على زمام الحكم لابد انها اضعفت الى حد كبير الموظفين المدنيين العثمانيين والشخصيات الدينية الراغبين في تعينهم في الموصل حيث ليس لهم الا فرصة ضئيلة جداً لممارسة سلطتهم. وهكذا يبدو ان عملية "المحلية" قد غدت نفسها من اعلى الى اصغر منصب حكومي. لكن الحكم المملوكي المحلي في بغداد فضل ومن غير قصد..الحكم الجليلي المحلي في الموصل، وفتح الحكم الجليلي المحلي في الموصل ابواب الادارة للعناصر المحلية. ان عملية تأكيد "المحلية" هذه ليست مضادة لمصالح الحكومة المركزية. وبين المحلي والمركزي تؤخذ الثنائية غالباً وبسهولة على انها عتمة الحدوث. وعلى المرء ان لا يأخذ المحلي كوحدة تحليل فرضية تقبل الشك، وفي الفريق المحلي تكون الفرقة او الانقسامات لصالح الحكومة المركزية والقوى الخارجية المختلفة الاخرى، ان السرايا الانكشارية لم تكن كتلاً متجانسة، وكذلك الاسر وحتى البيوتات المنفردة. تعد التجزئة تأثيراً عميقاً جداً داخل المجتمع الموصلي.

ان العلاقة بين هذه التجزئة وطبيعة العنف السياسي تلقى ضوءً على ميزة مهمة للمجتمع الموصلي تحت حكم الجليليين. لقد بينت الدراسة السابقة ان العنف لعب دوراً مهماً في الحياة السياسية. ولكن الاهم بكثير من تفجير النزاع العنيف هو قدرة وجيه رئيس على دعم تهديده بالعنف الذي يضمن قوته السياسية. وهكذا اكتسب العنف مظهراً طقوسياً يستخدم غالباً ولكن بتعسر كبير. فنادراً ماقتل اكثر من اثني عشر رجلاً

---

(١)عن سقوط الجليليين، انظر اف اد (وزارة الخارجية)١١٣/١٩٥ الجزء ١ (أ) تيلور الى بونسنبي، بغداد ٢٤ كانون الثاني ١٨٣٤: الصائغ، جزء ١،٣٠٢-٣٠٩، رؤوف صفحات: ١٨٢-٢٠٩؛ ع. عزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، جزء٦ (بغداد، ١٩٥٤) صفحات: ٣٠٠ -٣٢٠.

والتصفية الجسدية النفي او القتل..تستهدف قلة من القادة بينما يمنح اتباعهم دائماً فرصة لتغيير ولائهم والدخول في فريق آخر. وبالتالي كانت الانشقاقات داخل المجتمع كثيرة ولكنها متحولة وسطحية وسريعة الشفاء. ان الاستخدام الانتقائي بدلاً من الاستخدام الشامل للعنف السياسي يلقي ضوءً جديداً على تجزئة المجتمع الموصلي. انه يبين بالتأكيد ان التجزئة لم تخدم اهداف القوى الخارجية فقط.. بغداد واسطنبول.. ولكن انفسهم ايضاً. انه يشير الى نمط مطواع من التجزئة التي تتغير فيها غالباً الولاءات والانتماءات والاتباع متقلبون. ان الحركة وقابلية التبادل في الاتباع السياسين ضمنت الاحتفاظ بالتركيب الحضري وبطريقة غريبة ومتناقضة الى حد ما وفرت التجزئة في المجتمع الموصلي نفسه الاسمنت الضروري للاحتفاظ بتماسك المجتمع.

الفصل السادس

الحياة الثقافية

منذ نهاية القرن الثالث عشر حتى نهاية القرن السابع عشر تشهد معاجم التراجم لعلماء العالم الاسلامي على الفقر الهائل للحياة الثقافية في الموصل آبان الفترتين المغولية والتركمانية وفي الحقيقة فأن المؤرخ ابن الاثير، وهو جزري[1]، كان احد المستنيرين "الموصليين" الذين عاشوا في القرون الوسطى. في النصف الثاني للقرن الثالث عشر وما تلاه تقدم الموصل لنا صورة واضحة لما يسميه بيرك، في سياق كلام مختلف، بـ "الامة المنعزلة[Interrupted*]"[2]. فبعد احتلال ودمار المدينة على ايدي المغول في اعقاب موت بدر الدين لؤلؤ: لم يبق أي شيء وقد زاد تمزيق العراق من عزلة الموصل وانهى دورها كمركز ثقافي يلتسمه طلاب العلم من المدن والقرى فيما بين النهرين والجبال الكردية: ويرتبط المستوى الواطئ للتبادل الاقتصادي من الاستثمار في الانشطة الثقافية: وامست الجوامع والمدارس الفخمة التي بناها الاتابكيون خراباً. ولأقل من ٢٠٠ ميل الى الغرب من سوريا المملوكية كان هنالك نشاط ثقافي رائع: تمثل بالنضال السياسي – الديني ضد المغول الكفار.. وكذلك ضد الاقل كفراً..من المذاهب التي كانت تجتذب اهتماماً حياً، تمثل بالجدال الدائر حول ابن تيمية والحنبلية وطائفة الائمة. ومع ذلك فقد كان في الموصل فراغ رهيب، فراغ استمر طويلاً لما بعد فترة الغزو والحرب الشاملة. الى الغرب والى الجنوب في سوريا كما في مصر، كانت الدولة المملوكية تغذي وتشجع الانشطة الفكرية. والى الشرق هذا الشرق الذي جاءت منه الحركة الهوجاء القائلة كان هنالك انبعاث ثقافي ملحوظ: سمرقند، بخارى والدور الموحد والمفيد للغة مهيمنة هي الفارسية. واما الموصل التي علقت على ارض وسطية صعبة بين الاسلام المملوكي واسلام الايلخانيين فقد اختنقت في صحراء يجوبها امراء صغار ومرتزقة وقطاع طرق. ومهما كان نوع الانتاج الثقافي الذي تمخض عن ذلك تخبط على الفور في بابل* اللغات واللهجات. وفي غياب لغة واحدة منفردة مهيمنة.. وبالتالي موجهة..فأن الانتاج الفكري اضمحل الى تفاهة وغاص في النسيان.

١- وضع المشهد الثقافي

في مطلع القرن السادس عشر بدأ تركيب جغرافي-سياسي مختلف تماماً بالتمخض عن ولادة جديدة فالصفويون الى الشرق والعثمانيون الى الغرب كانوا يحدثون استقطاباً ثنائياً حاداً في المنطقة من خلال اندفاعاتهم التوسيعية والتوحيدية. فصارت الموصل مع اعالي بلاد الرافدين جائزة السلطان العثماني. وادخالها في الامبراطورية السنية حدد نمط حياتها الثقافية. ان اندماج المدينة في كيان اقليمي وضعها في اتصال اقتصادي وثقافي مع اسيا الصغرى والولايات العربية، وبينما عانت المشارف الشرقية والجنوبية لمدينة الموصل من وضعها الطلائعي على الثغور، فقد عوض عن ذلك منظور شمالي-غربي انشأ الى الأبد الميزة السنية للثقافة الموصلية، وهكذا وضعت اسس الانبعاث الثقافي وتم رسم اتجاهه. مع ذلك كان على الموصل ان

---

(١) من جزيرة ابن عمر.

* معاقة، معترضة، منقطعة.

(٢) فيما يتعلق بتأثير الاحتلال العسكري على مصر.

* بابل هنا مجاز القصد منه بلبلة او خليط من اللغات او الالسن.

تنتظر مائة سنة اخرى للدليل المحسوس لهذا الانبعاث. فحتى اعادة فتح بغداد عام ١٦٣٨م* بقيت الموصل المدينة الرئيسية للواء حدودي مندمج مع ولاية ديار بكر. فالموصل مازالت مجرد قلعة، مهمة لمركزها الستراتيجي كقاعدة لانطلاق الحملات العثمانية في العراق وكذلك كحصن دفاعي والقرص الدوار الذي يحمي المقتربات الى الاناضول والساحل السوري. وبعدئذ وبأعادة الفتح العثماني لبغداد اصبح لواء الموصل ولاية مستقلة. فضلاً عن رفع حالة المدينة ضمن التقسيم الاداري العثماني للامبراطورية ومنحها والياً يعين مباشرة من قبل الباب العالي، فأن هذا الاجراء هيأ للموصل فسحة للتنفس بتخفيف وضعها كثغر وربطها بالسهول العراقية الممتدة خارج اسوارها الجنوبية ولكن اولاً وقبل كل شيء وعلى المستوى الثقافي، كان خلق ولاية الموصل حرر المدينة من القبضة التركية-الكردية لديار بكر الغالبة، وسمح لها باتصالات اكثر رفقاً وسلاسة بحلب الى الغرب، وبخاصة مع بغداد الى الجنوب. وهكذا وضعت الاسس العربية لانبعاث الموصل الثقافي.

في الفترة التي سبقت الفتح العثماني للموصل مباشرة، يبدو ان المذهب الشافعي كان هو المذهب السائد في المدينة. ولكن وصول العثمانيين رجح صعود المذهب الحنفي، فبرزت الاسر الحنفية الموصلية على المشهد السياسي – الثقافي بينما جاء آخرون واستقروا في الموصل. ومن هذه الفترة يبدأ تاريخ البروز الى الشهرة للاسرة العمرية التي ذكر جدها الاعلى قاسم في المصادر حوالي عام ١٥٦٠ م وفي الفترة نفسها وصل جد آل ياسين، عبد المحسن من سامراء واستقر في الموصل وهاتان الاسرتان اصبحتا اعمدة السلطة الدينية العثمانية وممثليهما المعتمدين في الموصل. وفي الوقت الذي كان العمريون وآل ياسين يرتقون الى الشهرة فأن الانشطة الثقافية وتوقعات التقدم العلمي كانت عملياً غير موجودة، ولذا فأن القادمين الجدد لم يحلوا او يثبطوا النخبة الشافعية المؤسسة سابقاً. بالاحرى ترافق ظهور الاسر الحنفية الجديدة بازدياد عام وعريض في الانشطة الثقافية والتي افادت الاحناف سواء بسواء. وفي النهاية فأن "السادة" الاحناف الجدد لم يصادروا الجوامع الشافعية لكي يحولوها الى جوامع حنفية[١]، ولكن ولان الجوامع كلها كانت عملياً خرائب، فأن جوامع جديدة بنيت وشارك الشوافع في هذه الحركة.

وبينما لا تذكر المصادر صدامات او حتى توتراً بين الاحناف والشافعية فأن العلاقات بين الاسر الجديدة واشراف الموصل لا تبدو انها كانت منسجمة تماماً على الاقل خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر. ان التواريخ تذكر حدثين مهمين تشمل الاشراف والعمريين[٢]. وفي كلتا المناسبتين ايد الباب العالي العمريين. ومن الممكن في هذه المرحلة المبكرة من التوسع العثماني في العراق والحدود مع فارس مازالت متذبذبة وبغداد مازالت في الميزان، ان الميول "الجعفرية" لأشراف الموصل ألقت ظلال شك على ولائهم المطلق للسلطان العثماني[٣].

---

* وردت في الاصل ١٦٣٩. والصحيح ان السلطان مراد الرابع استرد بغداد عام ١٦٣٨.

(١) كما حدث في تونس حيث صادر الاصناف بعض الجوامع الملكية: انظراً. عبد السلام المؤرخون التونسيون للقرون السابع عشر، والثاني عشر والتاسع عشر (تونس،١٩٧٣)، ص ٢٨.

(٢) انظر ماسبق الصفحات ١٠٤-١٠٥، ١١٠.

(٣) بحلول نهاية القرن السابع عشر برز آل الفخري نهائياً كفرع رئيسي للاشراف في الموصل. وكان هؤلاء "الفخريون" احنافاً بالتأكيد، وبتعزيز الهيمنة العثمانية على العراق وبروز الجليليين في الموصل، صعد هؤلاء الى الشهرة في بعض الاوقات على حساب النحويين.

وبعد مائة عام من الفتح العثماني اصبحت الموصل ولاية وفتح الطريق الى بغداد جنوباً والى البصرة والى الخليج..امام تجارها وعلمائها. واما على الطرق التجارية التي تصل البحر الابيض المتوسط بالخليج فقد اصبحت الموصل حلقة رئيسية. ومابين الاستقرار السياسي والنمو الاقتصادي والمجال الحضري كانت هناك علاقة "طبيعية" متبادلة، ومنذ منتصف القرن السابع عشر وما تلاه تطورت الموصل تطوراً مرموقاً اذ زاد السكان وشيد الوجهاء والتجار الجوامع والمدارس. وقبل ذلك في عام ١٥٧١ م حول قاسم العمري مسجداً قديماً خرباً الى جامع صار فيما بعد مركزاً كبيراً للحياة الاقتصادية في المدينة. وبعد ذلك بقرن من الزمن بنى ياسين المفتي (آل ياسين) مدرسة شهيرة في محلة باب السراي. وفي عام ١٦٦٩م بنى العبدليون الشافعية مدرسة وجامعاً. وفي عام ١٦٢٠م بنى آل محضر باشي مدرسة في باب النبي. وفي عام ١٦٧٠م بنى المنصوريون جامع الشيخ محمد. وفي عام ١٦٨٩م اعاد آل جمعة، وهم عائلة انحدرت من حديثة واستقرت في الموصل، بناء الجامع القديم للسلطان ويس. وحوالي عام ١٦٥٥م وسّع الجويجاتيون جامع الجويجاتي. وحوالي عام ١٧١٠م اعاد آل النعمة بناء جامع خزرج. والى هذه الجوامع والمدارس يجب اضافة مقدار لاحصر له من المساجد والمراقد التي شيدت او اعيد بناؤها في الفترة نفسها. ان الجوامع الجديدة والمدارس الجديدة تعنى ازدياداً في اعداد الرجال المتعلمين والادباء، والمعلمين والوعاظ والفقهاء: وذاك مؤشر واضح لنمو الانشطة الثقافية.

وبعد مئتي عام من الفتح العثماني للموصل واقل من قرن بعد تشكيل ولاية الموصل، كانت الاسرة "المملوكية" في بغداد تبرز بصفتها القوة السياسية الرئيسية في العراق، والاسرة الجليلية تركز نفسها سيداً بلا منازع في الموصل. ان هذه العملية لـــ "محلية" السلطة خلقت فرصاً اكثر لنمو طبقة المفكرين. ففي الموصل راحت الاسرة المحلية الحاكمة الامنة في موضعها والمتمركزة في المدينة جيداً، تستثمر اموالاً طائلة من المؤسسات الدينية، وفي مجتمع تمتزج فيه السياسة والدين والثقافة في اغلب الاحيان فأن نظام "الحماية" يستفيد الى حد كبير من تكوين الاتباع السياسيين. وبالعناصر المحلية مؤسسة لنفسها خكاماً "طبيعيين" للمدينة، وبالموصل منجذبة طبيعياً وسياسياً الى بغداد، تطورت الثقافة الموصلية بأقل مايكون نحو خطوط عثمانية وتركية منها نحو خطوط عراقية وعربية: واللغة التركية اللغة الرسمية للدولة، لم تكن بالتأكيد اللغة السائدة في الولاية. ان الحكم الجليلي في الموصل في الموصل والحكم المملوكي في بغداد كانا يساعدان على ربط الموصل بتراث ثقافي عربي سابق للعثمانيين، سابق للتركمان وسابق للمغول، مما جعل المدينة على طريقها لاستردادها بعض هيمنتها وشهرتها التي تمتعت بهما في العهد الذهبي لبدر الدين لؤلؤ. وحينما كانت المدارس والجوامع الجديدة تشاد امتد النفوذ العثماني للموصل الى ماوراء الحدود الضيقة للولاية. فقد توافد الطلبة والعلماء..اكراد وعرب، بدو ومقيمون. من تلعفر ومن عانة، من اربيل ومن ربتك، من دهوك ومن عقرة ومن العمادية، منجذبين بسخاء الحكام الوجهاء الموصليين.

٢- الشبكة الثقافية والمنظور الفكري

ان مجلس الامير او الوجيه يعتبر مركزاً مهماً للنشاط الثقافي. فهنالك يجتمع الاصدقاء الاتباع ليصغوا للشعر والموسيقى. والوجهاء بالطبع يوحون بشعر المديح الذي ازدهر في ذلك الزمن في الموصل ويشجعون ضروباً اخرى كالمواويل، والاخوانيات والغزل والخمريات وذلك بإقامة المنافسات الشعرية ومنح الجوائز

النقدية[1]. ان الشعر بمختلف ضروبه كان وسيلة مهمة للاتصال.. المحادثات، المبادرة الخطابية، المراسلات..الخ وخدم كمؤشر لتخمين المناخ السياسي المحلي وسلطة وهيبة مختلف الوجهاء. وهذا الشعر انجذب حول مجلس الملوك والاعيان الذين كانوا يغذونه بدورهم.

والمركز المهم الآخر للنشاط الثقافي هو المدرسة. فقد كان لجميع الجوامع الكبرى في الموصل مدارسها الخاصة بها، وفضلاً عن ذلك فقد اقام بعض الوجهاء مدارس مستقلة في الجوامع من او بالقرب من دورهم. فقد كان في الموصل الجليلية حوالي عشرين مدرسة،اهمها على الاطلاق المدرسة الامينية (جامع الباشا)، والاغوات، والعمرية، والزيوانية، وملازكر، والعبدالية، وآل ياسين، والجرجيسية، والخاتونية، ويحيى باشا، وحسن باشا، والرابعية وبكر افندي. وعلى رأس كل مدرسة كان هنالك المدرس الذي يتم تعيينه باختيار المتولي[2]. وكان للمدارس الاغنى حوالي اثني عشر غرفة او اكثر وتستخدم بين ١٠الى٢٠ شخصاً من المدرس حتى المنظف. وكانت المنافسة للتوظيف والمراكز شديدة، والمعلم الجيد يعين عادة مدى الحياة. ولكي يثبت نفسه كمرجع فعلى العالم ان يمتلك ثقافة واسعة، ويصرح ويعلن احترامه للائمة وللصالحين حسب الجو الصوفي السائد آنذاك ويضمن تأييد ودعم وجيه قوي من الوجهاء.وله شخصية جذابة مهيبة وان يكون بليغاً[3].

كانت مدارس الموصل تقدم طيفاً عريضاً من المقررات التعليمية تتراوح بين التفسير القرآني والحساب وبين القواعد وعلم الفلك. وكان الاولاد الصغار يعلمون منفصلين من قبل معلم خاص (مدرس الصبيان). وامتلكت بعض المدارس داراً للحديث وكذلك داراً للقرآن، وذاك مؤشر لأهمية دراسة التراث والقراءة في الموصل[4].

لا يعرف الا القليل عن الطريقة التي مارست فيها هذه المدارس وظيفتها والمعرفة التي نقلتها، ولكن نظرة سريعة على المؤلفات والاجازات المحفوظة في مكتبات الموصل تبين ان المقررات التعليمية تشتمل على قراءة عامة لمؤلفات مرجعية (على سبيل المثال البخاري في الحديث، او الآملي في الجبر) يتبعها نقاش مستند على شرح معترف به للمؤلف المقروء. وبعد قراءة مرضية (أي مفهومة) للمؤلف يستلم الطالب من مدرسه اجازة بهذا العمل. ويبدو ان الطلبة كان يطلب منهم في بعض الاحيان ان يستنسخوا المؤلف موضوع الدراسة لكي يضمنوا حسن اطلاع اكبر.

ان تعليماً تقليدياً متيناً فتح عادة أبواب الحكومة المحلية والهيئة الدينية وكذلك ابواب الإمبراطورية. وفي سبيل البحث عن هذا "الجواز الاجتماعي"[5]. الاساسي غادر بعض المواصلة..على الاقل اولئك الذين كانت لديهم الكفاية الضرورية..مواطنهم متجهين الى مراكز التعليم الأخرى. وكانت قرية ماوران في ولاية شهرزور، وبغداد، وحلب، ودمشق واسطنبول اكثر الأماكن المقصودة شعبية. ولم يكن هنالك اتصالات ثقافية

---

(١) حسن، ص ٢٣، عمد، ف ٥/٢٣٠.

(٢) هكذا كان اعتماد والرجل العالم مكرساً للوجيه.

(٣) ولذلك فأن علي السوسني، الكردي الذي استقر في الموصل ودرس في مدرسة الاغوات، كان له عدد قليل من الطلبة لانه ينتمم (الا انه كان في لسانه لثغة فلم يكن للطلبة فيه رغبة): منهل(٢)، ١، ٢٧٥.

(٤) بعض الوقفيات تشترط ان تمتلك المدرسة دار قرآن ودار حديث. وهناك الوظيفة الدينية في الموصل هي راوية الحديث، بينما اصبح مقام شيخ القراء وراثياً ويقتصر على عائلة بمفردها تعرف بآل شيخ القراء.

(٥) ماسماه اندريه ميكيل ادباً كثقافة ادبية.

بين فارس وشمال افريقيا، واما الاتصالات مع مصر والجزيرة العربية فكانت جديرة بالاهمال[1]. ان الموصليين النابهين في ذلك الزمن(العمريون، العبدليون، آل الفخري، آل ياسين، الغلاميون) امضى جميعهم بعض الوقت في بغداد، سوريا، او اسطنبول، من حيث عادوا بهيبة مضافة للاجازة الممنوحة او من مقابلة مع شيخ شهير. وقدم الى الموصل ومدارسها اكراد من المدن والقرى المجاورة وكذلك عرب من قبائل عابرة خلال الولاية. وجاء هؤلاء الاكراد والعرب الى الموصل ليتبعوا ويصبحوا جزءاً من النخبة الثقافية. ان شهرة وسمعة بعض المدرسين الموصليين (حدادي، ربتكي، الواعظ) اجتذبت هي ايضاً الطلاب والعلماء من دمشق وحلب وبغداد واماكن تعليم مهمة اخرى. فقد قدموا الى الموصل لفترة ثم عادورا الى مواطنهم بعد ان درسوا مع الشيخ الذي كانوا يبحثون عنه في الاساس.

ان الشبكة الجيوانسانية للتبادلات الثقافية التي تمحورت حول مدارس الموصل كانت سورية-عراقية-عثمانية-سنية وعربية اللغة. وهي شبكة معقدة من العلاقات الثقافية.. السياسية والاجتماعية.. من هذا النمط والتي تطورت حول المدارس تعطي صورة جزئية للمشهد الثقافي والفكري للموصل الجليلية. وتعد الخانقاه الصوفية عنصراً تكوينياً آخر لهذا المشهد. فلقد كانت الصوفية جزءاً أساسياً للشخصية الموصلية الدينية والثقافية والفكرية ، وان جميع العلماء الذين يذكرون في معاجم التراجم كانوا عملياً صوفيين. هذا فضلاً عن أن الجبال الكردية كان لها ميزة صوفية قوية هي الأخرى ومعظم الأكراد الذين قدموا الى الموصل واستقروا فيها جلبوا معهم تجربة صوفية مفعمة بالحيوية.

لا يعرف الا القليل عن التنظيم الداخلي والتركيب البنيوي لهذه الطرق. فالمصادر المتوفرة لدينا تذكر ثلاث طرق متميزة: القادرية، النقشبندية والرفاعية. والطريقتان الأوليتان هما الأكثر شيوعاً وتجتذبان الناس من جميع شرائح المجتمع بينما تبدوان تحت هيمنة و"ادارة"الوجهاء. وكلتا الطريقتين مفتوحتان، غير مقصورتين لفئة معينة..وفي الحقيقة ينتمي معظم العلماء لكلتا الطريقتين في آن واحد. ويبدو أن الطريقتين القادرية والنقشبندية هيئتا حلقة اتصال قوية بين الوجهاء و"الشارع". واقتصرت أنشطة الطرق على الذكر والتجويد والانشاد مع التأكيد على الاختلاط الاجتماعي: لقد كانت طريقتهم نوعاً "معتدلاً" من الصوفية. وعلى الجانب الآخر فان الطريقة الرفاعية كانت هامشية جداً، ويبدو أنها جندت أتباعها من الطبقات الدنيا من المجتمع.

وليس هنالك ذكر لعالم شهير أو وجيه رفاعي: فقد كانت طريقتهم أشد عنفاً، فهي نمطاً استعراضياً من الصوفية يتضمن تعذيب الجسد[2].

وحسبما يقول أمين العمري كان هنالك عشر خانقاهات صوفية في الموصل عام ١٧٦٠م. ويضاف الى ذلك أكثر من مئة مرقد وضريح للأولياء: عدا ذلك مراكز للنشاط الصوفي. وعلى أطراف المجتمع الصوفي كان هنالك المجاذيب الذين يتعرضهم للملاغوليا (مالينخوليا) يخالفون الشريعة أحياناً؛ وكذلك الدهماء (البسطاء) الذين يتعبدون في ضريح الشيخ شرف الدين الذي كان هو نفسه بسيطاً[3]، ولكن سواء كانت الصوفية من

---

(١) في حالة الجزيرة العربية (بلاد العرب) فأن الاتصالات الثقافية كانت ضئيلة على الرغم من الحج وتجارة القهوة.

(٢)ما تزال الصوفية مزدهرة حتى هذا اليوم في الموصل وما يزال التمييز سائداً بين التجربة "المعتدلة" الاجتماعية النقشبندية، القادرية، والتجربة العنيفة المقتصرة على الطريقة الرفاعية.

(٣) أنظر المنهل (٢)، جزء٢، ١٨٣.

نمطها المقتصر على فئة معينة أو من نمطها الأكثر اجتماعاً ودنيوية، فان الصوفية الموصلية كانت متحدة في دفاعها عن تجربة دينية عميقة الجذور مهددة بحركة جذرية متنامية. فلقد كان المفتي والقاضي والمعلم والشيخ الصوفي والطالب والمريد الشيئ نفسه تماماً، وكذلك فعل الخانقاه في تفاعله مع المدرسة ومجلس الوجيه، وساهم في تجانس اضافي للمجتمع الموصلي، وهكذا تعطينا دليلاً اضافياً على تكوينات أو (مكونات) المشهد الموصلي الثقافي والفكري.

لقد انبعث من الخانقاه الصوفي صوت الذكر والقصائد الدينية، ويسمع من المدرسة القراءة والتجويد، وتسرب من مجلس الوجيه النغم المفرح للمواويل، وفي واجهة السراي تعزف الفرقة الموسيقية العسكرية، وانساب كل ذلك الصوت وكل تلك الموسيقى في شوارع الموصل.

كانت "عاشوراء" حتى القرن السابع عشر شاهداً للتعبير الثقافي المنبثق عفوياً من شوارع الموصل. وقد أبطلت هذه "البدعة" بعد النزاع الشهير بين الأشراف والعمريين[١]، ويبدو أنها عادت الى الظهور لفترة وجيزة من القرن الثامن عشر قبل أن يضع سليمان باشا الجليلي حداً لها[٢]. كانت عاشوراء بالتأكيد ظاهرة هامشية جداً من الموصل السنية اذ تشمل في أحسن الأحوال بعض الأشراف والفلاحين الشيعة من قرى مجاورة..ولكن كان هنالك مناسبات دينية أخرى حينما يحتفل أبناء المدن والوجهاء والعوام في الشوارع. هكذا كان عيد الفطر الذي يعلن نهاية رمضان وتنطلق مدافع القلعة معطيةً الاشارة ببدء الاحتفالات. وفي هذه المناسبة تصدح الغرفة العسكرية الموسيقية بموسيقاها طيلة أيام العيد[٣]. وكانت شوارع الموصل ترحب بالمسيرات المتعددة للاستسقاء والدعاء حين يرجو الناس من الباري عزّ وجل أن يسقي كلأهم أو ينقذهم من الطاعون. وكان هنالك عدد من الاحتفالات الرسمية.. (ولادة طفل للسلطان، ختان ابن الوالي، انتصار اسلامي على الكفار، الخ..) وفيها تزين الأسواق، وتطلق مدافع القلعة اطلاقات الشرف، وتصدح الفرقة الموسيقية العسكرية بالموسيقى. أما الاحتفالات غير الرسمية فتشمل المهرجانات التي تنظمها كل حرفة وتدعى حريفانات[٤]، وكذلك المناسبات الدينية المختلفة التي يشارك فيها المسلمون مسيحيي المدينة، ويتبادلون الهدايا وينظمون السفرات سوية، وذلك على الرغم من اليأس العظيم لبعض العلماء الذين لا يخفون غضبهم من "البدع القديمة العهد"[٥].

وتملأ شوارع الموصل المسيرات والاحتفالات بين الفينة والفينة فقط، بينما كانت المقاهي ميزة دائمة لهذه الشوارع. كانت مقاهي الموصل.. حوالي ١٢٠ مقهى.. ميدان الانكشارية. وكانت عادة شرب القهوة قد تمركزت في المدينة وأصبحت تجارة القهوة مع جزيرة العرب مفصلاً مهماً من الاقتصاد الموصلي. أما عادة تدخين التبغ فقد كانت أقل انتشاراً وما فتئت تواجه معارضة من بعض الأوساط[٦]. أما بالنسبة للشراب

---

(١) أنظر ما سبق، ص١١٠.

(٢) المنهل(٢)، جزء٢، ٧١.

(٣) رؤوف، ص٣٥٤.

(٤) الديوه جي من منهل (٢)، جزء٢، ١١٦.

(٥) تعود بعض هذه البدع بعيداً الى القرن الثالث عشر:أنظر المنهل(٢)، جزء٢، ٧١-٧٣.

(٦) في نهاية القرن الثامن عشر كان هنالك على الأقل بحثان في مكتبات الموصل تبحث في استهلاك التبغ: أنظر الملحق٥. يخبرنا أمين العمري أنه في زيارات التعزية كان المسجد، حيث يلتقي الأصدقاء والعائلة، مملوءاً بالدخان اذ=

(الخمرة) فلم يكن له وجود عام على الاطلاق، ولو أن العديد من الموصليين كانوا يتمتعون بها بشكل خاص. ويحدثنا المقيم البريطاني في بغداد فيقول "أن أهل الموصل من جميع الأديان مدمنون بافراط على الخمرة"[1]، وتذكر المصادر الموصلية أحياناً وجيهاً وحتى عالماً وكونه سكيراً ثقيلاً[2]. ولما كان الشراب غير معلن فلقد وفرت القهوة نواة الاتصال الاجتماعي. وبجلوسهم في مقهى يثبت القادة الانكشاريون ادعاءهم لمقاطعتهم، ويأمرون رجالهم هنا وهناك، ويتصلون مع مبعوثي الأمير والوجهاء. ومن هذه المقاهي كانت الأحزاب السياسية والتحالفات تبرم وتفل، ويتفق على التعهدات التجارية، ويتلى الشعر وتغنى المواويل. وتسير الحياة التي قد تعوق بين الحين والحين بخصام واغلاق الأسواق أو اغتيال أغا انكشاري كثير الثقة بنفسه. لقد شكلت مقاهي الموصل مع ذلك شبكة أخرى من الاتصالات والمبادلات. قد مثلت وحددت أصقاع حضرية متميزة مسيطر عليها من قبل هذا أو ذاك الزعيم. ووفرت أنظم شكل من الاتصال بين الحاكمين والمحكومين.

وفي مجلس الوجيه، وفي المدرسة وفي الخانقاه، وفي الشارع وفي المقهى كان هنالك قطع من الثقافة.. مكتوبة وشفهية، رسمية وهامشية، مضطهدة ومخربة، دينية ودنيوية.. متصلة بانسجام أو باحتدام، راسمةً منظوراً فكرياً وصورةً ثقافيةً فريدة للموصل. ولكن كيف وجهت هذه الفوارق وأية أشكال صلبة اتخذت؟

٣- الانتاج الثقافي[3]

ان نظرة الى المؤلفات المكتوبة من قبل الموصليين خلال العهد الجليلي قد تعيننا على اجابة هذه الأسئلة. ومع ذلك فليس بكاف أن نضع قائمة بهذه المؤلفات. مثالياً يجب فحص كل مؤلف واستجوابه بدقة ليخبرنا وراء العنوان وعناوين الفصل والمقدمة ماهو مشروعه. أي خطة للبحث يتبع وكيف.. وبأية وسيلة بصيرة يفعل ذلك.

ان دراسة كهذه من ناحية ثانية هي خارج امكانياتي وطموحاتي ومع ذلك فان الفرد تواجهه مشكلة وضع الانتاج الثقافي الموصلي بدقة أكثر. واحدى الطرق هي النظر في خطوط التقليد والتأثير وفي السلف والسلطات المقدسة المعترف بها، وبذلك يستطيع الفرد أن يحيل القارئ الى مكتبات الموصل الجليلية لأن نظرة سريعة على المؤلفات المحفوظة في هذه المكتبات ستعلمنا بالتأكيد عن السلالة الثقافية لعلماء الموصل و أدبائها وهو خط الحل الأدنى من المقاومة الذي كدت أخضع له تقريباً! وبين هذا المسار ذي الفعل الأدنى، والاحتمال الأصعب المثبط للهجة القاضي بالوصول الى تفاهم مع كل مؤلف بكل تفاصيله، اختير مسار وسط يؤمل منه أن يرضي القارئ.

=يقدم التبغ (السكاير) وتشرب القهوة: أنظر منهل (٢)، جزء٢، ٧٢. وقد كتب ياسين العمري نقداً ساخراً وعنيفاً جداً ضد الأكراد متهماً اياهم بادخال العادة السيئة لتدخين التبغ: أنظر بغداد، ص٩٥.

(١) ريج، جزء٢، ص٥٩.

(٢) أنظر ما بعد، ص٢١٢.

(٣) ان هذا القسم وكذلك القوائم المتضمنة في الملحق ٥ كتب بجهد اسبوع في مكتبة الأوقاف في الموصل وكذلك بفهرست مخطوطات مكتبة الأوقاف العامة في الموصل، س. عبد الرزاق أحمد (الناشر) ٨مجلدات (بغداد ١٩٧٨)؛ كتالوك الجلبي لمخطوطات الموصل؛ س. بروكلمان، تأريخ الأدب العربي، جزءان، و٣ ملاحق (لايدن، ١٩٣٧-١٩٤٩)؛ اف. سيزكن، تأريخ التراث العربي، ٦ أجزاء (لايدن، ١٩٦٧-١٩٧٨)؛ محمد أغا بزرك الذريعة في تصانيف الشيعة، ٢٥ جزء (نجف، ١٩٣٦-١٩٦٦)؛ خير الدين الزركلي، الأعلام، ١٠ أجزاء (القاهرة، ١٩٥٤-١٩٥٩).

وفي البحث عن فهم أحسن لمؤلف وضع من قبل موصلي، وللحكم عليه وعلى مستواه الفكري وطرقه ولكشف تأثيراته ولتقييم حقل امكانياته على الفرد أن يتفحص جيداً "صناعة الاستنساخ" ويكشف ويعين موقع المؤلفات المرجعية المستنسخة في الموصل أو من قبل موصليين في القرن الثامن ومطلع القرن التاسع عشر[1]، وان يعي خطوط التقليد والاستعارة التي رسمها المواصلة لأنفسهم من خلال فن الاستنساخ؛ وليقيس نصف قطر دائرة الامكانيات التي صاغتها هذه الخطوط.. وهي دائرة لا يستطيع الموصليون أن يتجاوزوها بدون حدوث ثغرات معرفية كبيرة. ان المؤلفات المستنسخة في الموصل هي أما أن يكون الحكام والوجهاء قد أمروا النساخ المحترفين بنسخها، أو أنها طلبت من الطلاب كجزء من تعليمهم، أو عدا ذلك كانت نتاج رغبة ملحة للمعلم نفسه بنفسه لمعرفة أوسع[2].

ان النوع الأدبي الأوسع انتشاراً هو الشعر، وكل أديب يستحق اللقب انغمس في نظم الأشعار. ويمكن أن تجد الشعر في المقتطفات الأدبية المختارة أو منتشراً في بطون المؤلفات النثرية أو الموسوعات التعليمية (اذ كان الوزن الشعري يستخدم ليعين الطلبة على الحفظ) أو كتب التأريخ (تأريخ، مدح، رثاء) والمراسلات الخاصة بين الأدباء وكذلك على أنواع جدران الآثار الباقية (الجوامع، البوابات، الخ). وباختصار فقد عم الشعر كل شيئ وشجع الحكام الجليليون هذا النشاط الزاخر برعايتهم للمنافسات وبتمويلهم للشعراء البارزين. كذلك وبصورة غير مباشرة بمجرد كونهم هنالك: نخبة محلية تتكلم العربية حثت أعمالهم وأفعالهم في الحرب وفي السلام الأدباء على أن يسجلوها للأجيال القادمة بالمديح وبالتأريخ على الورق وعلى المرمر. فهنالك مخطوطة[3] في مكتبة الأوقاف في الموصل تحوي عدة مرثيات وتأريخ (ولادة، وحادثة، ووصول الفرمان بالتعيين من اسطنبول، وانتصار، أو بناء نصب تذكاري، الخ) للجليليين من قبل نحو خمسين موصلياً وتغطي الفترة ١٧٣٤-١٨٠٧م.

أما المصنفات الشعرية الكاملة التي ألهمها مباشرةً أمراء ووجهاء المدينة والعراق فتشمل الموشح لعثمان بكتاش في مدح محمد باشا بن أمين باشا الجليلي، ومرثية أحمد باشا بن سليمان باشا الجليلي للأديب الشافعي محمد بن حسن الغلامي وقصيدة في مدح علي أبي الفضائل العمري لمحمد بن مصطفى الغلامي مؤلف شمامة العنبر والزهر المعنبر. وقد احتوت مكتبات الموصل أيضاً عدة دواوين لست شعراء موصليين على الأقل من العهد الجليلي بضمنهم شاعر مشهور يدعى حسن عبد الباقي (توفي١٧٤٤م/١١٥٧هـ) وأمين العمري (توفي١٧٨٨م/ ١٢٠٣هـ) الذي يقال عنه أنه نظم سبعة دواوين مختلفة بضمنها واحد في مدح الرسول؛ وجرجيس الأربيلي (توفي١٧٩١م/١٢٠٦هـ) عالم كردي استقر في الموصل. أما بالنسبة للقصائد والغنائيات الأصغر التي وصلتنا فانها تضم سبعاً من نظم قاسم الرامي في مدح النبي. وواحدة ليوسف بن علي العمري، وواحدة لعمر بن أبي بكر العمري، وواحدة لقطب صوفي عثمان الخطيب الأسود، وكلها في مدح محمد (صلى الله عليه وسلم)؛ وهنالك مجموعتان صغيرتان لقصائد صوفية لمحمد بن أحمد بن علي العمري (توفي ١٨٠٠م/١٢١٥هـ) من ضمنها واحدة معنونة: الازهار الأقدسية في العلوم الالهية؛ وقصيدة (منظومة) لأمين العمري عن انجماد نهر دجلة؛ وقصيدة عن الأحداث المقلقة للسنة (١٧٥٦م-١٧٥٧م) لأخيه ياسين العمري؛

---

(١) تقريباً بين ١٦٧٥ و ١٨٤٠م.

(٢) أنظر الملحق رقم ٥ عن جميع المؤلفات المستنسخة.

(٣) المخطوطة رقم جلبي ٩/٥٠، ص ٢٥٧.

وقصيدة عن تفسير الأحلام (مقاصد التعبير) لياسين العمري نفسه، وعلى الجانب الأوهن هنالك نعمان بن عثمان الدفتري العمري، الوجيه البارز، الذي نظم عدة مواويل وقصائد شعبية وزهيريات وأبيات غنائية للموسيقى ومعظم أدباء الموصل الجادون منهم والأقل جدية في مرحلة معينة أو أخرى استسلموا لاغراء نظم المدح والغزل أو الخمريات ومكتبات الموصل تحوي قصائد لياسين المفتي (آل ياسين)[١]، ولحفيده محمد أمين ولابن الأخير عبد الله ولعلي الغلامي، ولعبد الله الربتكي ولحسن بن علي الغلامي ولعثمان بك بن سليمان باشا الجليلي؛ ولعساف الطائي (من قبيلة طي) ولأحمد الموصلي (توفي١٧٣٧م/١١٥٠هـ) ولجرجيس بن درويش الذي كان اماماً لعلي أبي الفضائل العمري؛ ولعلي بن يونس الجليلي، ولصالح السعدي الذي نظم الشعر في اللغة التركية والفارسية وكذلك العربية. ولم يقتصر من أدباء الموصل على نظم القصائد الجديدة: فبإحياء تراثهم الأدبي راحوا يستخدمون تقنيات مختلفة ليطوروا ويوسعوا ويضعوا لمسة شخصية على القصائد الخالدة ذات المقام التي كانوا يصنفونها.

وكان التخميس[٢] أكثر هذه التقنيات شيوعاً، ونظم تسعة أدباء موصليين على الأقل تخميس همزية البوصيري[٣]، وخمس محمد الجوادي مقصورة ابن دريد (توفي٩٣٤م/٣٢١هـ) وأهداها لعثمان بك بن سليمان باشا الجليلي؛ ولعبد الباقي بن أحمد العمري (توفي١٧٦٨م/١١٨٢هـ) تخميس قصيدة ابن أبي حديد (توفي١٢٥٧م/٦٥٥هـ)؛ ونظم الشيخ الصوفي عثمان الخطيب الأسود تخميساً لقصيدة للحلاج مجيباً بها أبا بكر الشبلي (توفي٩٤٦م/٣٣٤هـ) ولدينا أيضاً تخميس مجهول لقصيدة صوفية أمر بها حسن بك (باشا فيما بعد) الجليلي. واستخدمت تقنية شعرية أخرى تسمى التسميط[٤]، ولقاسم بن يحى الموصلي تسميط (مؤرخ في ١٨٠٨م/١٢٢٣هـ) لمقصورة الخفاجي (توفي١٦٥٩م/١٠٦٩هـ) في مدح محمد (صلى الله عليه وسلم). أما فتح الله المتولي (توفي١٧٨٩م/١٢٠٤هـ) متولي مرقدي يونس وجرجيس، فله تشطير لبردة البوصيري، وأما عبد الله بن محمد أمين آل ياسين فقد شطر القصيدة اللامية لعمر بن الوردي المؤرخ[٥]. أما أبوه محمد أمين فقد نظم قصيدة (النظيرة) عارض فيها اللامية نفسها لابن الوردي. أما سليمان بن أحمد بن علي العمري فله تصريح[٦] للامية العجم للطغرائي (توفي١١١٩م/٥١٣هـ) سماها المصارحة العمرية في مدح الدولة النعمانية وهي مدح لعثمان باشا الجليلي.

وأخيراً هنالك التقفية الأخرى المسماة بالتسبيع[٧] والتي يقال أنها استخدمت من قبل أدباء الموصل

---

(١) نظم في مدح علماء بغداد وفضائلهم.

(٢) يحدثنا دوزي أن التخميس يمكن الحصول عليه باضافة أربعة أشطر جديدة لكل شطر من القصيدة الأصيلة. ولكن كما يبدو من الأعمال الموصلية المبحوثة هنا، يظهر أن التخميس هو اضافة ثلاثة أشطر لكل سطر (بيت) من القصيدة الأصلية، جاعلةً المجموع خمسة أشطر. أنظر مثلاً غاية، ص١٥-١٦.

(٣) عبد الله بن محمد أمين آل ياسين، صالح المعماري، علي الجفعتري محمد سعيد بن عثمان الدفتري العمري، عثمان بك بن سليمان باشا الجليلي، يوسف بن عبد الله العمري، أمين بن خير الله العمري، محمد بن حسن الغلامي، عثمان بكتاش.

(٤) تفتيت كل شطر الى اثنين، ثلاثة وأربعة.. الخ وتقفية كل جزء حاصل مع البقية.

(٥) تقفية شطرين اثنين.

(٦) يبدو أن التصريح شبيه للتشطير.

(٧) سبعة أشطار.

ولكني لم أستطع أن أجد لها مثالاً.

وأما في الحقل الأوسع لأدب النثر فان النتاج الموصلي كان بالوفرة نفسها فقد كتب أمين بن خير الله العمري الفريدة السنية في أحكام العربية، ونوادر المنح في أقسام الملاحة والملح، والفصول الظريفة والنكات اللطيفة، والحكم المطربة والكلمات المعجبة وقصة عنترة. وأما أخوه ياسين فقد كتب روضة المشتاق ونزهة العشاق، وروض الأدب، وعيون الأدب. وأما عثمان الدفتري العمري فقد نظم المقامة الدجيلية والمقالة العمرية. وفي عام ١٧٠٧م/١١١٩هـ كتب عبد الله الربتكي هدى الحكم الى خير الحكم. وكتب محمد بن أحمد بن علي العمري تحفة الصفا بمراسلات أهل المحبة والصفا.

والى جانب هذا النتاج الأدبي النشط سارت دراسة اللغة، وفقه اللغة والنقد الأدبي. ففي ميدان النقد الأدبي كتب عبد الله فخري (توفي١٧٧٤م/١١٨٩هـ) عم محمد أمين آل ياسين من جانب أمه، شرحاً لبردة البوصيري؛ وشرح علي الجفعتري قصيدة نظمها الصوفي عبد الغني النابلسي (توفي١٧٣١م/١١٤٣هـ) الذي التقى بالشيخ الموصلي عثمان الخطيب الأسود؛ وكتب فتح الله المتولي تعليقاً على قصيدة لمعاصره عبد الله الربتكي، وصنف مختصراً لتعليق أبي فلاح العسكري (توفي١٦٧٩م/١٠٨٩هـ) على البديعية لابن حجا الحموي (توفي١٤٣٤م/٨٣٧هـ)[١].

وشرح أحمد بن ابراهيم بن علي الموصلي قصيدة للشاعر الموصلي ابن الكلاك؛ وكتب ياسين بن خير الله العمري المؤرخ العذب الصافي في تسهيل القوافي، عن فن القافية؛ وكتب علي محضر باشي ملحقاً لتعليق أبي القاسم علي السمرقندي (توفي١٤٨٣م/٨٨٨هـ) على أطروحة عن علم العروض وفي عام١٧٠٠م/١١١٢هـ كان علي بن يونس الجليلي قد سبق وكتب تعليقاً على الاطروحة نفسها؛ وكتب أمين العمري الطراز المرقوم في علم المنظوم؛ كما كتب عثمان بك بن سليمان باشا الجليلي مؤلفاً مهماً في النقد الشعري عنوانه الحجة على من زاد على ابن الحجة؛ وفي عام١٧٥١م/١١٦٥هـ كتب موسى الحدادي زبدة النظير في شرح لغز بهاء الدين[٢] وأهداه الى يحي بن عبدو الجليلي. وبالاضافة لذلك فان جميع معاجم التراجم للشعراء والأدباء احتوت نماذج لفن المترجمين مشفوعة بالتعليقات[٣].

وفي دراسة اللغة كتب علي بن يونس الجليلي الفتوح الموضوح، وكتب صالح محضر باشي رسالة في معرفة اسم الجنس وعلمه وكتب محمد بن أحمد بن الكولة (توفي حوالي عام١٨٣٠م) كتاب عقود الفرائد في شرح الأمثلة والشواهد، وهو كتاب يبحث في قواعد النحو وكتب أمين العمري المنهج الصالح في مقاصد ألفية ابن مالك.. وهي قصيدة في قواعد النحو وكذلك قلائد النحور وهو كتاب آخر في قواعد النحو، وصنف أمين العمري نفسه ثلاث مؤلفات موسوعية مختلفة (زهرة الفن ونزهة العيون، مطالع العلوم ومواقف النجوم، الدر المنثور في حل قلائد النحور) التي اقتصرت جزئياً لدراسة اللغة (الاستعارة، المجاز، التشبيه، البلاغة، القواعد، الخ)، وكتب صالح السعدي قصيدة في قواعد النحو (منظومة في النحو) ونظم محمد أمين آل ياسين أوراق الذهب في علم المحاضرات والأدب.

ان الأدب والنقد الأدبي مرتبطان بالدين الى حد بعيد، وفي بعض الأحيان في هدف المعرفة بالذات، ذلك

---

(١) أما عضد الدين الايجي أو أبو بكر التبريزي (توفي ١١٠٩م / ٥٠٢هـ).

(٢) بهاء الدين الاشبيهي (توفي ١٤٤٥م / ٨٥٠هـ).

(٣) أنظر مثلاً شمامة العنبر لمحمد الغلامي.

لأن الاسلام ومحمد (صلى الله عليه وسلم) ألهما تآليف أدبية كبرى. وقد ذهبت الرابطة بين الأدب والدين وراء هوية الأهداف من خلال العلاقة الحميمية الموجودة بين الأدب والعلوم الفقهية اللغوية من جانب، والعلوم الدينية.. وبخاصة الحديث والتفسير القرآني.. من جانب آخر.

ففي التفسير القرآني كتب ذو النون بن جرجيس، الشيخ الصوفي المتوفي عام١٨١٩م/١٢٣٥هـ وكذلك جزأين من المختصر الجليل من كتاب معالم التنزيل (للبغوي) وكتب امين العمري "تيجان البيان في مشكلات القرآن" (عام ١٧٦١م/١١٧٥هـ) و"حدائق الزهر في البيان عن بلاغة القرآن"؛ وكتب اسماعيل بن عبد الله الموصلي "الانوار اللائحة في تفسير الفاتحة"، ونظم سليم الواعظ رسالة باللغة التركية عنوانها الدرر البهية.

اما في علوم الحديث فقد صنف يوسف بن عبد الجليل (توفي عام١٨٢٥م/١٢٤١هـ) اربعين حديثاً في رسالة طويلة ضمت ٧٥ صفحة؛ وكتب صوفي آخر هو مسلم اخي بابا رسالة نشرات الفرح وطوبات الفرح؛ وفي عام١٧٢٣م/١١٣٦هـ كتب محمد بن عون الدين الزهر النضر في حياة الخضر؛ وصنف يوسف بن عبد الله العمري نسخة مختصرة لتعليق بن حجر على الاربعين حديثاً للنووي[1]. وألف محمد امين آل ياسين كتاب الحديث والواعظ، واما الوجيه والعالم الشافعي محمد بن قاسم العبدلي فقد كتب رسالة الحديث المروي عن خير البرية المسلسل بالائحة الحنفية، متبعاً سلسلة من الحديث الحنفي.

ان "شيخ القراء" في الموصل كانت "وظيفة" وعنواناً يحمل هيبة عظيمة واصبح وراثياً في عائلة منفردة. وتقف شهرة كهذه شاهداً على الاهمية في التجربة الدينية وتقليد المدينة لترتيل القرآن (القراءة) و"للضروب" المنجذبة حولها. فقد كتب محمد بن مصطفى الغلامي مؤلف شمامة العنبر، خلاصة اقوال القراء والفقهاء. وفي عام ١٧٦٥م/١١٧٩هـ أهداه الى علي بن ابي الفضائل العمري؛ وكتب ابو بكر بن فتح الله المتولي البهجة المرضية في بيان وجوه الجمع في الهمزة القرآنية وكذلك رسائل قصيرة أخرى؛ واما إبراهيم بن مصطفى الموصلي فقد كتب تبصرة المبتدى وتذكرة المنتهي، وكتب حسن بك (باشا فيما بعد) بن حسين باشا الجليلي فهرساً لآيات القرآن الكريم على الأرجح حين كان يدرس تحت إشراف يوسف بن عبد الجليل الذي منحه إجازة في ترتيل سورة الفاتحة.

وفي مستوى معين تختلط القراءة والتجويد في الطقوس والممارسة الروحية (التصوف، الادعية، الصلوات والذكر). فقد كتب يوسف بن عبد الجليل استاذ حسن بن حسين باشا الجليلي "الالهام من الله العلام في مدح سيد الانام"، مديحاً للنبي (صلى الله عليه وسلم)، وفي عام ١٧٩٦م/١٢١١هـ كتب "الانتصار للأولياء الاخيار"، وهو دفاع عن طائفة الاولياء وهجوم على حركة الجزريين[2]؛ اما اخوه محمد بن عبد الجليل فقد كتب تعليقات على "مقدمة علم الهدى واسرار الاهتداء" وهي تعليق على علم الهدى لمحي الدين البوري (توفي عام١٢٢٥م/٦٢٢هـ)، و"تذكرة الالباب ونصيحة الاحباب"، وكذلك عدة رسائل صغيرة مختلفة وتصانيف مأخوذة من مؤلفات ابن عربي. اما ذو النون بن جرجيس فقد كتب "معدن السلامة من احوال الدنيا والبرزخ والقيامة"، وكذلك "الوصية في الفتوحات الملكية". اما علي الجفعتري فقد كتب ثلاث رسائل روحية معنونة

---

(١) الاربعين النووية.

(٢) التي استخدمها احمد بن الخياط في كتابه ترجمة الاولياء في الموصل الحدباء.

"القول العمدة"، "كشف المخدرات"[1]. و"الزهر النضيد على الحوض المستدير". اما مسلم اخي بابا فقد نظم ديواناً في التصوف والادعية والصلوات ومدح النبي. وكتب المدعو محمد بن يونس احاديث وادعية واذكار. مصنفاً مأخوذاً من مؤلفات مختلفة واهداه الى حسن بك بن حسين بك الجليلي. نظم محمد بن احمد العمري "قوت العاشقين"، و"الازهار القدسية في العلوم الالهية". ان ثراء النتاج الموصلي يظهر ان الروحانية لعبت دوراً مهماً في تحديد النظرة الموصلية للعالم.

وعند الانتقال من الصوفية الى اللاهوت يلاحظ المرء ان عملاً واحداً في علم الكلام لم يؤلف فيه موصلي في هذه الفترة، بينما نرى فورة من الاعمال في العقائد انتخبها هؤلاء الموصليون انفسهم. فقد كتب خير الله العمري تعليقاً على رسالة العقائد لجلال الدين الدوّاني (توفي عام١٥٠١م/٩٠٧هـ). وكتب محمد بن عبد الوهاب (توفي عام١٧٩١م/١٢٠٦هـ) كشف الشبهات. وفي عام ١٧٦٤م/١١٧٨ هـ كتب فتح الله المتولي مقدمة لليواقيت والجواهر في بيان عقائد الاكابر للشعراني المتوفي عام(١٥٦٥م/٩٧٣هـ). وقد صنف صالح السعدي عدة شروح لحاشية يوسف القره باغي على شرح عقائد الدواني على العضدية، وهي ملحق ليوسف القره باغي المحمد شاهي (توفي عام١٦٢٠م/١٠٣٠هـ) لتعليق جلال الدين الدواني (توفي عام ١٥٠م/٩٠٧ هـ) على العقائد العضدية لعضد الدين الأيجي الشيرازي المتوفى عام ١٣٥٥م/٧٥٦ هـ. ونظم علي الرمضاني (توفي عام١٨٢٧م/١٢٤٣هـ) رسالة في العقائد. وكتب علي محضر باشي رسالة في القدر ورسالة في افضال الله تعالى. واما يوسف بن عبد الجليل فهو مؤلف "الاستشفاء بأحاديث المصطفى" وقد كتبها في اوج الطاعون الذي اصاب الموصل عام ١٨٠٠م/١٢١٥هـ. وفي عام١٧٦١م/١١٧٥هـ كتب ابو بكر الخلوتي تعليقاً على "عقيدة الشيباني". وكتب محمد امين (الباشا فيما بعد) بن عثمان بك الجليلي "الكوكب المتلألئ لشرح عقيدة الغزالي". وبالغياب التام للاهوت التأملي فأن المؤلفات الموصلية في العقائد كانت مقتصرة على رسائل صغيرة وتعليقات على مؤلفات معروفة.

ولم يمتد التحقيق الفكري الموصلي في اللاهوت والفلسفة وراء العقيدة. وليس هنالك مؤلف كبير في اللاهوت التأملي او المنطق قد كتبه موصلي في العهد الجليلي[2].

كان الفقه[3] القاعدة الاساسية للنظام الاجتماعي، ويبدو ان العناية الموصلية في هذا الحقل قد تركزت على ثلاث قضايا. ففي عام١٧٢٤م/١١٣٧هـ كتب المدرس عبد الله الربتكي رسالة رسالة تبحث في اصول التسميات المعطاة للطوائف الشيعية المختلفة. واما آمين العمري فقد كتب رسالة في الرد على النصارى اثارها "كتاب تخجيل من حرّف الانجيل" لابي البقاء الجعفري. وحوالي عام١٨٣٠م كتب محمد الخياط[4] الفريدة السنية في كشف عقائد اليزيدية. وفي محاولاتهم للوصول الى تفاهم مع المشاكل الشرعية شرع كتّاب الموصل بتحديد وجهة نظرهم تجاه التشيع (ومن ثم تجاه فارس والباب العالي) وتجاه اليزيدين في جبل سنجار(التهديد الدائم للتجارة والاستقرار) وكذلك تجاه النجم الصاعد والمجد للنصرانية المحلية المحددة الهوية بازدياد مع

---

(١) تعليق على اشعار عبد الغني النابلسي.

(٢) ان المؤلفات الموصلية الوحيدة التي عالجت الموضوع بصورة طفيفة هي ملاحق لتعليق عصام الاسفراييني على الرسالة العضدية في الوعظ لشمس الدين الدملوجي (توفي عام ١٨٣٥م/١٢٥١هـ) وصالح محضر باشي.

(٣) الفقه كفلسفة للتشريع ولكن ايضاً كعلم الدين الذي هو أساس النظام الاجتماعي.

(٤) استاذ وابو زوجة احمد، مؤلف ترجمة الأولياء.

اوربا الكافرة. وبحلول القرن الثامن عشر راح اهل الموصل يجابهون تحدياً آخر، ذلك هو الوهابية والحركة الاصولية او السلفية. وتحد كهذا وهو تحدي اخر لانه ينبع من اعماق الحركة السنية نفسها، تجيب عليه بصورة غير مباشرة من خلال الدفاع عن طائفة الاولياء والصوفية.

والمركز المهم الثاني للعناية فهو امتلاك الارض والضريبة وقد كتب عبد الله الربتكي رسالة عنوانها المنهاج في بيان احكام العشر والخراج: الاراضي الاميرية. وفي مجتمع تجاري متنامي حيث السيولة السريعة لرأس المال تعتبر عنصراً اساسياً في الازدهار المستمر، اجتذبت قضايا الزكاة والارث عناية خاصة. فكتب محمد بن مصطفى الغلامي رسالة في الفرائض، والفصل في قواعد المفاسخة (الفقه الشافعي). وكتب بدر الدين النائب رسالة في الفرائض (الفقه الحنفي). وفي عام١٨٣٨م/١٢٥٤هـ كتب عبد الله الدملوجي تعليقاً على كتاب مجهول عن التركة عنوانه شباك توريث ذوي الرحم. اما الاعمال الموصلية الاخرى في فلسفة التشريع فتشمل ظواهر الزواجر لعلي الربتكي في الفقه الشافعي؛ وكاشفات الضرر عمن نكح وكفر لذنون بن جرجيس في الفقه الحنفي؛ وكذلك ثلاث تصانيف مختلفة وتعليقات الفتوى الحنفية لامين العمري ونعمان بن عثمان الدفتري العمري ويحيى فخري[١].

اما في حقل العلوم الطبية فقد كتب ياسين العمري الخريدة العمرية؛ ونظم المدعو عبد الله افندي قصيدة عن مختلف انواع الحمى وعلاجها[٢]، وكتب نعمان العمري الرياض النعمانية في فوائد الطب من الحكمة الطبيعية؛ وفي عام ١٧٩٢م/١٢٠٧هـ كتب محمد امين آل ياسين الشفاء العاجل والداء الكافل وصنف فيه جميع الاسماء العامية للامراض وكذلك المعالجة المطلوبة للشفاء والوقاية من عدة امراض كالحصبة والجدري اللذين كانا مألوفين في موصل القرن الثامن عشر واختطفا ارواحاً عديدة من اطفال المدينة. والى حد كبير فأن اهم رجل طب عاش في نهاية العهد الجليلي هو محمد المهتدي، مؤسس اسرة الجلبي، وكان قسيساً كلدانياً اهتدى للاسلام. وله تعليق طويل يتألف من ٢١٢ صفحة على ارجوزة ابن سينا؛ وفي عام ١٨٢٥م/١٢٤١هـ كتب الطب المختار، وهي رسالة من ١٩٠ صفحة يذكر فيها لقاح جنير؛ وفي عام ١٨٣٠م/١٢٤٦هـ كتب مفردات الطب المختار وهو تصنيف متنوع، يعالج مجموعة مصطلحات ورموز، وجدول تكافؤ المصطلحات في لغات مختلفة وتحضيرات العقاقير الطبية، والكتاب يعتمد مصادر مختلفة عربية وعثمانية وسريانية وأوربية. وقد كتب محمد المهتدي نفسه رسالة في النبض، وكان الرجل نشطاً ايضاً كناسخ وكمترجم، وقد وضع في اللغة العربية رسائل نصرانية طبية مختلفة كتبت اصلاً بالسريانية والكرشونية[٣]؛ اما في العلوم الطبيعية فقد كتب في عام ١٧٤٢م/١١٥٥هـ محمد بن قاسم العبدلي رسالة عن الثلج والجليد والبرد حاول فيها ان يوضح مبادئ التبخير وتكاثف الماء.

يبدو ان المعرفة والممارسة الطبية الحديثة قد تطوزت متأخرة في الموصل ويظهر ان النصارى قد هيمنوا على هذه المهنة. كانت الممارسة الطبية نفسها محدودة جداً في مجالها ورغم الاسماء العديدة للاطباء المحليين المعطاة في معاجم التراجم فأن الطب الشعبي.. وركيزته الاساسية هي طائفة الاولياء[٤].. ما فتيء

---

(١) التصنيف الاخر باللغة التركية.

(٢) منظومة في اجناس الحمى وعلاجها.

(٣) لغة عربية مكتوبة بحروف سريانية.

(٤) يفترض ان مرقد كل ولي يشفي مرضاً محدداً (الحمى،الجفون،الخ).

يسيطر على معتقدات عموم الناس. اما الحكام فقد استفادوا من نوع آخر من السحر تمثل بالمبعوثين الاوربيين[1].

كان الفلك علماً شعبياً في موصل القرن الثامن عشر، وقد وفد علماء كثيرون من بغداد ليدرسوا بصورة خاصة تحت اشراف سليم الواعظ الذي كان حجة في ذلك الحقل. وقد كتب سليم الواعظ الكواكب الدرية في الاصول الجعفرية، وكتب عبد القادر الصفائي رسالة في علم الزيج؛ وكتب صالح المعماري رسالة في المواقيت؛ وترجم عبيد الله بن خليل البصيري، القاضي، رسالة في الفارسية عن التوجه الى القبلة، وعن المسافة بالفراسخ بين مكة والمدينة ومدن اخرى، وعن المناخات السبعة (الاقاليم) لنجم الدين الكاتبي (توفي عام ١٢٧٦ م/٦٧٥هـ)؛ وفي عام ١٧٠١م/١١١٣هـ استنسخ محمد بن قاسم العبدلي، حيث كان في دمشق، بهجة الطلاب، وهي رسالة في الفلك للمدعو محمد المعزي واضاف اليها ملحقاً. ويرتبط على مستوى واحد كما تشير عناوين هذه المؤلفات، علما الفلك والفيزياء مع علمي التنجيم وخرائط البروج، بينما يرتبط على مستوى آخر هذان العلمان مع علم الجغرافية من خلال الحاجة لتثبيت الاتجاه الصحيح نحو القبلة.

لقد صنعت في العهد الجليلي نسخ لمختلف المؤلفات الجغرافية (المسعودي، ابن الوردي، ابو الفدا، والادريسي) ولكن المؤلف الجغرافي الموصلي الوحيد الذي كتب في العهد العثماني كان لقسيس سافر الى اوربا وومنها الى امريكا اللاتينية. لقد غادر هذا القسيس الكلداني بغداد عام ١٦٦٨ م وقد اخذته رحلته الى فرنسا واسبانيا وايطاليا وصقلية والبرتغال وجزر الكناري والمكسيك وما يعرف اليوم بكولومبيا والاكوادور وبوليفيا والبيرو. ويتحدث في القسم الاول من كتابه عن رحلاته والشعوب التي اتصل بها، بينما يعالج في القسم الثاني غزو القارة والممالك الهندية. والقسم الآخر من الكتاب متأثر بالكتابات الاسبانية وكتابات كاثوليكية اخرى عن الموضوع[2].

أما في الحساب فقد كتب امين العمري رسالتين. ولا تعطي مصادر ذلك العهد ولامكتبات الموصل الحالية اية اشارة لأية أعمال عن التقنية الجديدة كتبت في تلك الفترة. والتنازل الوحيد للتغيرات التقنية كان ادبياً وهو رسالة في الصيد بالبارود، رسالة فن الصيد كتبها علي محضر باشي.

وفي مجتمع حيث صيغة الاتصال كانت على الاقل مهمة كأهمية الرسالة التي يراد تبليغها كان طبيعياً للادب.. في المعنى الضيق للادب.. ان يلعب دوراً رئيسياً في الثقافة. وسواء كان في الفقه او في الطب او في علم الفلك فأن النص يقدم نفسه لعدة قراءات مختلفة واللغة متعددة الابعاد: ذات لون شاسع من "لغة الشفافية" التي تحبذ هذه الايام في "العلم". ان نمط التكرار للاعمال المستنسخة في الموصل في ذلك الزمن[3] يلقي ضوءاً على المراجع الرئيسية في كل حقل ويعطي مؤشراً للموجزات الاكثر شعبية في المدارس: في البلاغة محمد القزويني (توفي عام ١٣٣٨م/٧٣٩هـ). وفي القواعد عبد القاهر الجرجاني (توفي عام ١٠٧٨م/٤٧١هـ)، وابن مالك (توفي عام ١٢٧٣م/٦٧٢هـ) وابن هشام النحوي (توفي عام ١٣٦٠م/٧٦١هـ)؛ وفي الاستعارة

---

(١) انظر فيما سبق صفحات:٣٢-٣٣.

(٢) لقد نشر الاب انطوان ربّاط القسم الاول من هذا الكتاب. واعتمدت طبعته على مخطوطة وجدها في مكتبة الكرسي المطراني السرياني-الكاثوليكي في حلب. انظر "رحلة اول سائح شرقي الى اميركا"، في المشرق، المجلد الثاني، ١٩٠٥.

(٣) انظر الملحق رقم ٤.

عصام الدين الاسفراييني (توفي عام١٥٣٧م/٩٤٤هـ) وابو القاسم علي السمرقندي (توفي عام ١٤٨٣م/٨٨٨هـ).

واما في العلوم الدينية فيظهر ان المواضيع الرئيسية ذات الاهتمام كانت الفقه والتفسير القرآني والصوفية والعلوم المرتبطة بها (التصوف، القراءة، التجويد، الصلوات والذكر). اما في حقل التفسير القرآني حيث ابدى المواصلة اقصى جرأة واصالة. واما في الحقول الدينية ذات الاتجاه الصوفي كما في علم الحديث واللاهوت، فكانوا غير ملهمين، واختفوا وراء مراجع معترف بها. وتارة أخرى يعلمنا نمط تكرار الأعمال المستنسخة عن هذه المراجع: ففي الحديث هنالك مسلم (توفي عام ٨٧٥م/٢٦١هـ). والبخاري (توفي عام ٨٧٠م/٢٥٦هـ)، والسيوطي (توفي عام ١٥٠٥م/٩١١هـ)، والنووي (توفي عام١٢٧٧م/٦٧٦هـ)؛ وفي التفسير القرآني هنالك البيضاوي)توفي عام ١٢٨٦ م/٦٨٥هـ) والبغوي (توفي عام١١١٧م/٥١٠هـ)؛ وفي العقائد واللاهوت هنالك النسفي (توفي عام ١١٤٢م/٥٣٧هـ) وعضد الدين الايجي (توفي عام ١٥٠١م/٩٠٧هـ) والتفتزاني (توفي عام ١٣٨٩ م/٧٩١هـ)؛ وبينما كان النتاج الموصلي في المنطق لاوجود له، فأن المرجع الرئيسي هو الابهري (توفي عام١٢٦٤م/٦٦٣هـ) وشارحاه الكاتي والتليشي؛ وفي الفقه خير الدين الرملي (توفي عام١٦٧٠م/١٠٨١هـ) وابن نجيم (توفي عام ١٥٦٣م/٩٧٠هـ) والملا خسرو (توفي عام ١٤٨٠ م/٨٨٥ هـ).

لقد اشتقت المعرفة الطبية من مصادر ثلاثة: التقليد السرياني المحلي القديم،الطب العربي، والتأثير الاوربي الذي وصل الموصل من خلال الاطباء العثمانيين. والمراجع كانوا: ابن سينا، وداؤد الانطاكي (توفي عام ١٥٩٩ م/١٠٠٨ هـ) وصالح حكيم افندي(توفي عام ١٦٧٠ م/١٠٨١ هـ). اما في علم الفلك والفيزياء والحساب فقد هيمن على المشهد بهاء الدين الآمدي (توفي عام ١٦٢١م/١٠٣٠ هـ).

واخيراً فأن الأعداد الكبيرة للأعمال المستنسخة تظهر ان "صناعة الاستنساخ" بدأت تتحرك وتتوسع بسرعة منذ نهاية القرن السابع عشر، وهو نمط مشابه للنمو الحضري: فكلما كانت الكتب تكتب وتستنسخ كانت الجوامع والمدارس التي ترحب بها تشاد وتبنى.

٤- القضايا

ان اخطر التحديات التي واجهت المفكرين الموصليين في العهد الجليلي كانت على ما يبدو الحروب الشيعية الفارسية ضد العثمانيين السنة؛ الادراك المزعج من قبل هؤلاء المسلمين الموصليين للشكل الجديد التام للنصرانية المحلية؛ والتهديد المقوض الذي طرحته الحركة الاصولية والوهابية. اما القضيتان الأوليتان فهما واضحتان بجلاء ولا تشتملان على مشاكل الضمير[1] وانقطاعات معرفية او فكرية متطرفة: فآليات قرن طويل من التبديع والتكفير اعيدت للحياة بعناية وجمعت في كتيبات ورسائل وقصائد ومواعظ بحيث يقدح فن الكفار على الفور بعنف وشدة. وكانت موسيقى مطربة لآذان الشعب مشهداً يبعث على اطمئنان الامير. اما القضية الثالثة فقد كانت اكثر دقة. ففي القرن الثامن عشر في الموصل فقيه وصوفي قادري يدعى احمد بن الكولة (توفي عام١٧٥٩م/١١٧٣هـ) وكان والده مملوكاً لأسرة آل ياسين. ولقد اكتسب هذا الاحمد احترام الوجهاء والعوام وبإظهاره لمعرفة عظيمة وتقوى ونسك. جمع اتباعاً كثيرين في المدينة. وفي يوم ما تجرأ على القاء الشك على نبوة المبجل جداً النبي جرجيس. ولقد سبب ذلك اهتياجاً عظيماً في الموصل اذ رفع

---

(١) ربما باستثناء ما يمت الى المقترحات الجعفرية لنادر شاه.

الصوفيون القضية الى الوالي حسين باشا الجليلي الذي امر احمد ان يتراجع ويتوب. ويبدو ان المذنب فعل ذلك رغماً عنه وبقي متعلقاً بمعتقداته وراح يعمل سراً. وقد فقد اتباعه ومات متشحاً بعاره[1]. واما ولده محمد فقد كان هو ايضاً عالماً ذي معرفة عظيمة ويشهد له جميع مترجمي زمانه من الموصليين ويتفقون على الثناء على امكانياته الفكرية الواسعة. وقد سار محمد على خطوات ابيه وذهب الى ابعد منه في شجبه لما رأى من "هاموية" المذهب السني[2]. وقد ذهب الى حد الهجوم على ابن عربي وعبد القادر الكيلاني الشخصيتان الاساسيتان للتجربة الدينية العراقية. وحين رأى ان احتمالات نجاحه في الموصل ضعيفة، ذهب محمد ال اسطنبول حيث يبدو انه دخل القنوات الصحيحة ونجح في تعيينه قاضياً لديار بكر. ومنح فيما بعد القضاء في بغداد ولكن واليها أرغمه على مغادرة المدينة مباشرة بعد وصوله[3]. ان معرفته الواسعة وذكاءه وكذلك التأييد الذي يبدو ينعم فيه من الباب العالي وضع متصوفة الموصل في خوف منه، وكانوا راضين برؤيته يسعى وراء حدوده خارج الولاية[4]. ان المصادر لا تذكر اصوليين بارزين آخرين في العهد الجليلي، ولكن الأكيد ان الحركة اجتذبت بعض التأييد، ففي عام ١٧٩٣ م نفى محمد باشا الجليلي ثلاث علماء هاجموا ابن عربي وعبد القادر الكيلاني وعمر بن الفارض وعبد الكريم الجيلي[5].

ان تصاعد الحركة السلفية الاصولية كان له تأثيرات متباينة حتى ذلك الحين على المسار الموصلي الفكري والنتاجي الممكن التنبؤ به. ففي المقام الاول انها قادت بعض العلماء البارزين (امين العمري، عثمان بك بن سليمان باشا الجليلي الى ان يقروا ثانية هويتهم الصوفية بلغة الدعوة الى تنقية التجربة الدينية المهاجمة من المفاسد والخرافات العديدة التي افقدت بريق صورتها. فكتب امين العمري الكشف والبيان عن مشايخ الزمان شجب فيها مفاسد وممارسات محددة لكي يصون الحب والاحترام للاولياء الصادقين والمشايخ الحقيقيين. وكتب عثمان بك بن سليمان باشا الجليلي عدة رسائل شجب فيها الممارسات التي تضفي على طائفة الاولياء والصوفية "اسما" سيئاً. ولكن وكما هو دائم، فأن الخط بين الخير والشر يصعب جداً رسمه. ففي المقام الثاني ارغم تصاعد الحركة الاصولية الشيوخ الصوفية الاكثر تقليداً ان يهبوا للدفاع عن التجربة الدينية كانوا حتى ذلك الحين قد سلموا بها جدلاً امنوا بأنها لا تهاجم ولا تقحم. ان الهجوم الضاري الفكري. وكذلك ايضاً العسكري (الوهابية)..للحركة الاصولية قربهم نوعاً ما الى شيعة العراق (وحتى الى النصارى العراقيين) على الاقل على المستوى الشعبي. وقد سبب التهديد ايضاً تحريك ماكنة استطرادية منطقية عظيمة؛ فقد ترجم السيد احمد بن حميد الفخري جامع الانوار لمرتضى نظمي زادة، وكتب امين العمري منهل الاولياء، وخصص

---

(١) كتب عالم حلبي هو علي بن مصطفى الدباغ رسالة عنوانها اتحاف الانام بأخبار سيدنا جرجيس اجاب فيها الاتهامات التي وجهها احمد بن الكولة ضد الولي، وارسلها على الفور الى الموصل مصحوبة بقصيدة: انظر محمد الغلامي، شمامة العنبر، صفحات ٢٣٠-٢٣١.

(٢) ان هذا التعبير هو لسارتر الذي استخدمه بصدد الكاثوليكية (منقح الترجمة).

(٣) يبدو ان لطرده علاقة بدوره في خصام سابق ببغداد.

(٤) شن المؤرخ ياسين العمري نقداً ساخراً عنيفاً ضده: انظر مثلاً غرائب الاثر، ص٣٥.

(٥) العمدة، ف ف/٤٦/٥-٤٧/٥. وقد قيل ان لا احد غير محمد بن عبد الوهاب (العمدة/ف/ر٤٨) قد درس في الموصل. ومن الجدير بالملاحظة ان حتى ابن تيمية نفسه قد اعتبر عبد القادر الكيلاني صوفياً ووليا حقا: انظر أي.مورابيا.

ياسين العمري جزءاً مهماً من كتابه منية الادباء لاضرحة الاولياء، وكتب احمد بن الخياط ترجمة الاولياء كما كتب يوسف بن الجليل الانتصار للاولياء الاخيار. يضاف الى ذلك عدد لا حصر له من الرسائل التي كتبها او استنسخها موصليو ذلك الزمان.

ويشارك النتاج التاريخي في هذا المناخ الفكري. وهكذا يصور الوضع غير المريح للموصل العربية السنية مع تقليدها الصوفي القول، المعلقة آنئذ ما بين سلطان عثماني مختلف عرقياً ولغوياً ولكنه متشابه دينياً، وبين فارس الغريبة في مذهبيتها غربتها في تنوع شيعيتها، وبين حركة اصولية عربية ومحيرة مع ذلك في جزيرة العرب.

الفصل السابع

المؤرخون المواصلة

ان فرز كتابة التاريخ عن بقية النتاج الفكري يعتبر نوعاً ما عملية مصطنعة وصارت ضرورية لاسباب ملائمة ولمتطلبات الاتصال.

فمن ناحية ترتبط كتابة التاريخ بالادب والنقد الادبي. فعلى سبيل المثال نرى ان شمامة العنبر لمحمد الغلامي معني بالسّير (قاموس تراجم تاريخي) ويحوي مقداراً كبيراً من الشعر والنقد. وينطبق الشيء نفسه على الروض النضر لعثمان الدفتري العمري وعلى نشأة الصبا بأحاديث الادب لولده عثمان بن عثمان العمري (توفي عام ١٨١٤م/١٢٣٠هـ) وعلى نزهة الدنيا في مدح الوزير يحيى لعبد الباقي العمري (توفي عام ١٨٦١م/١٢٧٨هـ) وهو كتاب تراجم لجميع الادباء الذين مدحوا يحيي باشا الجليلي. وصيغة الاتصال في جميع هذه الاعمال هي في الاقل مهمة كأهمية الرسالة المراد ايصالها. ويرتبط الادب والشعر والتاريخ في مختلف القصائد والاراضي: فقد نظم ياسين العمري قصيدة في الخصام العنيف الذي هز الموصل في عام ١٧٥٦م، وكتب حسين الغلامي ارجوزة في اسماء اهل بدر (مثل موضح للطريقة التي يرتبط فيها الشعر والتاريخ والتعليم والدين)؛ وجرت مراسلات بين خليل البصيري في الموصل وعبد الله الفخري في بغداد تضمنت منظومات شعرية وصف الواحد فيها للآخر حصار بغداد وحصار الموصل من قبل نادرشاه[١].

ومن ناحية اخرى تتصل كتابة التاريخ بالاعتبارات الدينية، اولاً من خلال مؤلفات الحديث و من خلال سيرة النبي (صلى الله عليه وسلم) كمنهل الاولياء لامين العمري. وثانياً من خلال كتب التراجم المختلفة: ولهذا السبب وبطلب من سعد الله (باشا فيما بعد) بن حسين باشا الجليلي ترجم السيد احمد بن السيد حميد الفخري مؤلف مرتضى نظمي زادة عن اولياء بغداد[٢]. من التركية الى العربية؛ وسعد الله الجليلي نفسه امر امين العمري بكتابة منهل الاولياء الذين كان هدفه المعلن تعريف القارئ بالاولياء المدفونين في الموصل؛ وتحوي منية الادباء لياسين العمري قسماً كبيراً من اولياء الموصل؛ واما تذكرة الاولياء لأحمد بن الخياط فهو دفاع بالنيابة عن طائفة الاولياء.

فعلى احدى نهايتي الطيف سوف نتفحص مؤلف عثمان الدفتري العمري مثالاً موضحاً للبعد الفني لفعل الكتابة التاريخية. وعلى النهاية الاخرى للطيف فأن مؤلف احمد بن الخياط يوفر لنا همزة وصل ممتعة بين التاريخ والدفاع الكتابي. وبين عثمان واحمد هنالك اربعة مؤرخين محترفين" هما، كما تهدف هذه الدراسة لتبين "منفتحان" كانفتاح الحالتين الهامشيتين المدروستين ايضاً ". وتبرز الكتابة التاريخية اكثر بكثير من كونها فرعاً من المعرفة، كأرض طموية غرينية غير واضحة حيث تلتقي مختلف فروع المعرفة والنوايا: "البقية الجديرة بالذكر " التي يستقون منها القوة والتبريز اللذين يعينانهم ليتنافسوا ويتخاصموا، ويعينانهم ايضاً على تحديد قوانين بقائهم.

---

(١) مخطوطة المكتبة الوطنية، برلين، رقم ٩٨٠٢.

(٢) ان الترجمة معنونة "ترجمة اولياء بغداد"، مخطوطة مكتبة الاوقاف، الموصل،لرقم حسنية ٢٢/٤ في ٦٩ ورقة.

١- عثمان الدفتري العمري

ولد عثمان العمري في عام ١٧٢١م/١١٣٤ هـ، ابناً لرأس الاسرة العمرية والوجيه الاقوى في المدينة[١]. كان احد اصغر ابناء علي ابي الفضائل وتفصل احدى وسبعون سنة بين مولده ومولد ابيه. وحين كان يافعاً ارسله ابوه الى قرية ماوران بالقرب من راوندوز، وهي مركز ثقافي مهم في العراق في ذلك الزمن. وهنالك درس تحت اشراف الحيدريين، وهي اسرة علماء مشهورة في كل اصقاع العراق في القرن الثامن عشر[٢]. ولا نعلم طول الفترة التي قضاها في ماوران، ولكنه كان هنالك عام١٧٣٨م/١١٥١هـ، ذلك لان كتاباً مستنسخاً هنالك في ذلك التاريخ يحمل اسمه[٣]. وعند عودته الى الموصل واصل عثمان تعليمه تحت اشراف اسماعيل بن جحش[٤]. (كردي كان صديقاً وتابعاً لابيه علي ابي الفضائل) ودرويش العقراوي ومصطفى الخوشناوي (عالمان كرديان آخران) ويحيى بن مراد بن علي ابي الفضائل العمري، ابن اخي عثمان.

ودخل عثمان فيما بعد في خدمة حسين باشا الجليلي وكان قريباً جداً منه وخصوصاً اثناء حصار نادرشاه. وكان عثمان احد المواصلة الذين تمكنوا من الخروج في بداية الحصار. وعندما انسحب الفرس ارسل حسين باشا عثمان مع ابنه امين باشا الجليلي الى اسطنبول ليجلب انباء الانتصار العظيم للسلطان. وفي عام ١٧٥٠م/١١٦٤هـ لحق عثمان بحسين باشا الجليلي الى اسيا الصغرى حيث عين الآخر والياً على قارص وكوتاهية. وقد استغرق غيابه عن الموصل اربع سنوات وفي نهاية تلك الفترة ترك خدمة حسين باشا ورجع الى الوطن بعد خصامه مع يونس افندي كاتب ديوان الانشاء. وفور عودته الى الموصل دخل في خدمة امين باشا الجليلي واصبح كتخدا. وبعد ذلك بقليل سافر الى بغداد حيث تزوج ابنة المملوك كوجك عبد الله آغا، الذي صار فيما بعد متسلم البصرة. وفي عام ١٧٥٦م/١١٧٠هـ اكمل عثمان الروض النضر في ترجمة ادباء العصر واهداه الى امين باشا الجليلي ولكن مباشرة ولسبب غير معلوم غادر الموصل الى اسطنبول حيث قابل الصدر الاعظم راغب باشا واهداه الكتاب الذي سبق ان اهداه الى امين باشا الجليلي[٥].

وقد ضمن عثمان من الصدر الاعظم دفترداراية بغداد، واحتفظ بهذا المنصب اربع سنوات حتى وفاة الوالي سليمان باشا ابو ليلة، الذي كان اثيراً لديه[٦]. وبعد ذلك اختير عثمان قائمقاماً وبدت الابواب كلها مفتحة لهذا الوجيه الموصلي[٧]. ويبدو ان عثمان القائمقام صرف بسخاء داخل المدينة بسحبه النقود من خزينة الوالي

---

(١) اسمه الكامل:عصام الدين عثمان ابو النورس علي ابي الفضائل العمري.

(٢) يقال ان الاسرة من اصل فارسي (كردي) هربت من الصفويين.

(٣) انظر الجلبي، ص٢٧.

(٤) النسخ غير اكيد.

(٥) ان راغب باشا كان صديقاً حميماً للسيد خليل البصير، العالم الموصلي الشديد الاحترام. وقد كان راغب باشا نفسه رجلاً مثقفاً وشاعراً (انظر: اس. جي. شو، تاريخ الامبراطورية العثمانية وتركيا الحديثة (كمبردج، ١٩٧٦)، جزء ١، ص:٢٤٦) ولا بد ان تراجم الشعراء لعثمان العمري قد ارضته.

(٦) وبسبب منصبه دفتردار بغداد فلقد لقبه الموصليون بالدفتري.

(٧) ان هذا الحدث يقدم لنا مثالاً جيداً عن عمل العلاقات الداخلية داخل الطبقة الحاكمة للامبراطورية فأن راغب باشا نفسه الصدر الاعظم الذي منح عثمان دفترداراية بغداد، قد اشغل هذا المنصب في عهد احمد باشا، الوالي الجديد الذي رشحه الباب العالي مفضلاً اياه على سليمان ابي ليلة. وكانت العلاقات بين سليمان ابو ليلة والصدر الاعظم في المستقبل جيدة، وحين عين الصدر الاعظم عثمان دفتردار لبغداد، نال الترشيح بركات سليمان ابو ليلة باشا بغداد.=

المتوفي. ويرجح ان عثمان كان معتمداً على تعيينه والياً لبغداد. ولكن ذلك لم يحدث فقد استدعاه الوالي الجديد علي باشا لكي يبرر له مصروفه. وفي الحال كان عثمان في طريقه الى سجن بغداد ومن هناك نقل الى الحسكة حيث بقي حتى وفاة علي باشا. اما الوالي الجديد عمر باشا فلم تكن ميوله نحو عثمان. وفي الحقيقة يظهر ان هنالك عداوة قديمة بين الرجلين وقد عزم عمر، وهو الآن في مركز القوة، على اعدام عثمان. ولكن انقذه تدخل عادلة خانم ابنة احمد باشا وزوجة سليمان ابو ليلة. ووافق عمر باشا على ان يصفح عنه ولكنه ارسله الى المنفى. وفي عام١٧٦٤م/١١٧٨هـ رأه امين بن خيرالله العمري في اربيل. وقد سمح له فيما بعد ان يقيم في الموصل، وانتهز فرصة وجوده في الشمال وحاول ان يصل اسطنبول حيث امّل ان يدافع عن قضيته. ولكن عند سماع عمر باشا بخطط عثمان القى عليه القبض في ماردين او من هنالك جيء به الى سجن بغداد وبعد ذلك في الحلة. وهنالك اصابته جلطة حادة فسمح له فيما بعد بالعودة الى الموصل. وبعد ذلك مباشرة ورغم حالته الصحية السيئة، سافر الى اسطنبول وحاول عبثاً الاتصال بالصدر الاعظم. ومات في اسطنبول ضحية للطاعون عام ١٧٧٠م/١١٨٤ هـ.

لم يكن عثمان العمري مؤرخاً (بمعنى البحاثة الذي يستفيد من المصادر التاريخية) ولم يكن مولعاً بتسجيل الحوادث والحروب والمجاعات والتغييرات السياسية، الخ. كان عثمان اديباً وصوفياً على مايظهر، لاننا علّى علم بكتابين صوفيين استنسخهما في عام ١٧٣٧-١٧٣٨م: الالفية لعمر بن الوردي، والملهمات الربانية في اسرار ذوقية وجدانية لابراهيم الحيدري. ولكن عثمان كان مولعاً اولاً واخيراً في الشعر. والقسم الاكبر من نتاجه الشعري شمل المبدع، واظهر رغبة في الغزل والخمريات والاخوانيات والتشوق. وبجانب تمكنه من اللغة وعلم العروض، فلقد امتلك عثمان ايضاً معرفة عميقة للتراث الشعبي العربي وقد استخدمه في تصانيف مختلفة من التشطير والتخميس. وانتشر معظم شعره في طيات الرسائل والملحوظات والمقالات الشعرية ولم يجمع ابداً في ادبية مختارة. ومع ذلك فأن السيرة التي كتبها هي تصنيف شعري اكثر منها عمل تاريخي. وقد نظم عثمان عملاً ادبياً في النثر سماه المقامة الدجيلية.

الروض النضر في تراجم فضلاء العصر[1]

يشتمل النضر على تراجم ١٢٣ عالماً وادبياً ووجيهاً للقرن الثاني عشر الهجري، منهم ١١٤ من العراق والتسعة الباقون من اسيا الصغرى. وفي المقدمة يوضح المؤلف ان هدفه الرئيس هو ان يصنف عملاً شعرياً، ولذلك فأن البعد التاريخي للتراجم يحتل المركز الثاني. وفي الحقيقة ان المؤرخ في البحث عن تفاصيل حياة المترجم لهم والبحث عن التواريخ والارقام والحقائق المجردة سوف يصاب بخيبة امل بالروض النضر حيث المعلومة عرضاً ومصادفاً نوعاً ما. وفي الواقع ان تقديم كل سيرة تبدو وأن الكاتب كان قد افترض مسبقاً ان القارئ حسّن الاطلاع على الشخص المعني. ويمتدح عثمان المترجم بكل بساطة. ويشيد بصفاته وملكاته

=فضلاً عن ذلك فأن عثمان يستطيع الاعتماد على تأييد اسرة زوجته البغدادية. وهكذا من الموصل الى بغداد الى اسطنبول تنسج الطبقة العليا شبكة من العلاقات الشخصية من صلة الرحم والصداقة وحتى الانجذابات الثقافية التي يدين لها تماسك الامبراطورية العثمانية على الارجح اكثر مما يتمكن المرء ان يتوقع.

(١) مثال بسيط على الطريقة التي مارس فيها ولاة بغداد الاقوياء الاحاطة بالموصل وذلك بالسيطرة على منافذها الى اسيا الصغرى.

الادبية بنثر مسجوع، وبعد ذلك يقدم نماذج قليلة من فن المترجم له، ثم يذكر مراسلات الرجل مع مختلف الوجهاء والعلماء، وفي الختام يتفحص بدقة ويقدم بالتمام مراسلاته مع المترجم له المعني.

والاهتداء على ورق غير مرقم من المخطوطة. فعلى الورقة[1] ان يكتب المؤلف عن حبه للادب وبخاصة للشعر، الحب الذي انشأه ورباه منذ الطفولة. وعلى الورقة[2]. يهدي كتابه لامين باشا الجليلي وبعد ذلك يمتدحه ويمتدح اباه حسين باشا.

ومن بين ١٢٣ ترجمة المذكورة فأن ٥٨ منها تخص الموصل و٢٦ تخص بغداد و٢١ تخص ماوران، و٣ تراجم لكل من الاكراد وكركوك والحلة. والاقليم غير العراقي الوحيد المذكور هو اسطنبول وخصها بتسع تراجم. وهكذا فأن العراق عالم عثمان واسيا الصغرى بحكم شمولها في النص، موضحاً بذلك البعد السياسي لابداع ادبي كهذا الكتاب، وبالتالي مؤكداً انعزال العراق عن الولايات المجاورة. اما الاقاليم العربية الاخرى من الامبراطورية (مصر، سوريا، جزيرة العرب وشمال افريقيا) فيبدو انها تعود الى عوالم اخرى منفصلة بحكم علاقتها السياسية-الثقافية المتميزة والخاصة بنفس اسيا الصغرى: القاسم المشترك فأسيا الصغرى التي تظهر كعامل للفرقة بقدر كونها عاملاً للوحدة.

ان الصورة الجانبية للروض النضر تقدم لنا عثمان الدفتري العمري وجيهاً وصاحب مقام رفيع في الامبراطورية العثمانية بقدر كونه اديباً. والصورة الجانبية لهذا العضو في الطبقة العراقية العثمانية العليا قد تساعدنا على فهم الاتجاهات والطموحات للطبقات العليا الاقليمية في آواخر القرن الثامن عشر.

٢-يحيى بن عبدو الجليلي:

لقد قيل الشيء القليل في المصادر المتوفرة لدينا عن يحيى الجليلي. فقد ولد في فرع متواضع من فروع الاسرة الجليلية، فهو ابن عبدو بن يونس بن عبدالجليل. وسبب صمت المصادر عنه لأن الرجل لم يكن نشطاً سياسياً. ولم يشغل منصباً دينياً. مفتي، قاضي او مدرس. لقد كان يحيى اديباً ووجيهاً انغمس في نظم الشعر وانشغل في مختلف المراسلات والمداعبات مع اسياده. ويصف امين العمري شعره بالمتوسط[3]. ولكنه يضيف ان يحيى كان استاذاً بارعاً في فن المواويل (اشعار الغناء)، موضحاً بذلك هواه وميزته كأديب. وفي عام ١٧٨٣م/١١٩٨هـ، اقل من سنة قبل وفاته، كلفه محمد باشا الجليلي ان يكتب كتاباً في التاريخ سوف نتفحصه في الصفحات التالية. وماعدا بعض نتف من الشعر منتشرة هنا وهناك، فهو الاثر الوحيد الذي تركه لنا يحيى

---

(١) الروض النضر: مخطوطة المكتبة البريطانية رقم أدد. ١٨٥٣١. والعنوان هو الروض النزر وليس الروض النضر كما يظهر على مخطوطين الموصل وبرلين. وتاريخ النسخة غير معروف، ولكن المكتبة البريطانية قد ابتاعتها يوم ٨آذار /١٨٥٧. وتشتمل المخطوطة على ٣٦١ ورقة مرقمة بالعربية. وهذه المخطوطة من النضر مهداة الى امين باشا الجليلي وليس الى الصدر الاعظم راغب باشا، كبقية النسخ المتأخرة من هذا الكتاب. وفي الحقيقة يهدي المؤلف ثلاث نسخ فقط الى راغب باشا (الورقتان: ٣٤١-٣٤٢/ بينما لايتوقف عن انشاده المبدع لامين باشا الجليلي (الاوراق: ١٤٩/٧-١٦١).

(٢) ان الدراسة بحد ذاتها لشعر المديح بعناوينه الفرعية المعقدة يمكن ان يكون مصدراً ممتعاً جداً لفهم سياسة الوجهاء ويمكن ان تلقي ضوءاً على الشبكات المعقدة للعلاقات والميول الشخصية والثقافية. وهذا يتطلب مع ذلك فحصاً دقيقاً للمقتطفات الشعرية المختارة على مستوى لغوي وليس فقط على مستوى لفظي: وتلك دراسة خارج قابلياتي تماماً.

(٣) المنهل (٢)، جزء١،ص٢٦١: وله نظم متوسط (شعر وسط).

الجليلي من مهاراته الادبية. وكوجيه وكرجل ادب فقد شجع الحياة الثقافية في الموصل اساساً بالتكليف بنظم او استنساخ مختلف المؤلفات. والاعمال التي استنسخها هو نفسه توضح الاديب بدلاً من البعد الاختصاصي لفكره. ففي عام١٧٥٦م/١١٨٤هـ استنسخ روض الادب لشهاب الدين الحجازي (توفي عام١٤٧٠م/٨٧٥هـ) وفي عام١٧٧٠م/١١٨٤هـ استنسخ ديوان لسان العرب وحجة اهل الادب لجمال الدين الانصاري الخزرجي (توفي عام١٣١١م/٧١١هـ). واما ولعه بالتاريخ فيبدو انه بدأ حوالي عام١٧٦٠م، وفي عام١٧٦٣م/١١٧٧هـ استنسخ اجزاء من مرآة الزمان لسبط بن الجوزي. وفي عام١٧٨٣م وبينما كان منشغلاً في تصنيف عمله التاريخي كان يحيى يسأل امين العمري المعونة والمشورة. وعندما توفي يحيى في خضم تصنيفه طلب من امين العمري ان يكمل المهمة.

سراج الملوك ومنهاج السلوك[١]

يعتبر السراج العمل التاريخي الاكثر طموحاً الذي انجز في الموصل في الفترة المعنية بالدراسة ويفوق جميع التصانيف الاخرى في مداه وحجم المادة التي قدمت فيه والمصادر التي استخدمها. ورغم انه غير كامل فأن السراج يشتمل على ٤٣٩ ورقة. والنسخة الوحيدة المعروفة للسراج محفوظة في المكتبة البريطانية وتنتهي بالخليفة العباسي القائم بأمر الله، مختتمة بهذه الكلمات: "هنا حيث توقف المؤلف عن عمله".[٢] ويعتقد بالعموم ان امين بن خير الله العمري اكمل الكتاب فيما بعد، موصلاً اياه الى العصور العثمانية وموصل القرن الثامن عشر. ومع ذلك فأن نسخة كهذه لم تصلنا. واضافة الى ذلك فأن مؤرخين مواصلة آخرين كتبوا عن فترات مابعد العباسيين لايشيرون الى السراج، وهذا يظهر ويشير الى ان امين العمري لم يكمل السراج كعمل تاريخي. ويخبرنا امين العمري في منهله انه في اعقاب وفاة يحيى الجليلي طلب الباشا منه ان يكمل السراج. "ولذلك اكملت تركيبه الداخلي. واضفت اليه مادة كبيرة تشمل مختلف الفنون. وذكرت فيه مختلف العلوم. وقد بلغت المادة المضافة اكثر من ٤٠ موضوعاً بحيث اصبحت الاضافات كتاباً مستقلاً"[٣] وهكذا يبدو ان امين العمري هذب وصقل عمل يحيى الجليلي بدون ان يوصله لعصره لغوياً ولكن انتهى بكتابة عمل موسوعي مستقل يعالج اكثر من ٤٠ موضوعاً. وعلى الصفحة ٣ من مقدمة السراج نعلم ان المؤلف قدم الى محمد باشا الجليلي كمشروع، وانه سُر به وطلب من يحيى الجليلي ان يوصله لحد الكمال. وفي المقدمة نفسها نعلم انه عند وفاة يحيى الجليلي اكمل امين العمري الكتاب، وهذبه واضاف اليه. ويبدو ان تحويرات امين العمري كانت مقتصرة على الفترة التي غطاها يحيى.

وتحوي مقدمة الكتاب ديباجة وتسع قصائد (تقاريض) مختلفة تشيد بمحاسن الكتاب وفضائل يحيى الجليلي. وتخبرنا ان هذه القصائد نظمت بطلب من سليمان باشا الجليلي اخي محمد باشا، عندما اصبح والياً للموصل. والديباجة بقلم احمد افندي الكاتب ومؤرخة جمادي الاول ١٢٠٢/شباط١٧٨٧م.

---

(١) السراج: مخطوطة المكتبة البريطانية، رقم أدد/٢٣٣٠٦ في ٤٣٩ ورقة.

(٢) في العربية: الى هنا وصل المؤلف.

(٣) المنهل (٢)،جزء ١،ص٢٦١.

وبعد الاهداء يمتدح المؤلف محمد باشا الجليلي الذي اهدي اليه الكتاب، وبعد ذلك يقدم للقارئ خطة السراج[1]. والكتاب برمته تصنيف لايعرف الكلل ونتاج معرفة واسعة لامحدودة: عشرات وعشرات من المؤلفين والمؤلفات تذكر وتلقي الضوء على اصل يحيى الفكري وكذلك على ادراكه لماهية عمل التاريخ.

ان المعلومات التاريخية الواردة في هذا التاريخ السلالي يمكن العثور عليها في مؤلفات تاريخية موصلية للفترة ذاتها، كمؤلفات ياسين العمري. والاهم بكثير من المعلومات التاريخية، ان الممتع في السراج هو مدى الكتاب والعدد الضخم للمصادر المقتبس منها، والمحاولة الجاهدة في تحرير العمل الضيق في كتابة التاريخ (تأريخ: تحديد التاريخ) الى حقل اوسع من الحوادث الاستطرادية. ان دراسة كتاب النضر لعثمان العمري تشير الى انه رغم كونه كاتب سيرة، الا ان عثمان كان اديباً اكثر منه مؤرخاً. وكتاب يحيى الجليلي بالتأكيد كتاب ما هو تاريخي–تراجمي وبين ما هو غير ذلك، بين المؤرخ والاديب، وهكذا اذن يبرر تضمين عثمان العمري وروضة النضر في هذه الفئة.

٣- أمين بن خيرالله العمري

ولد امين العمري في يوم الجمعة من منتصف شهر شعبان عام ١١٥١هـ/ الموافق نهاية شهر تشرين الاول عام ١٧٣٨م. اما ابوه خيرالله بن محمود العمري فكان خطيب الجامع العمري. منصباً اشغله قرابة ٦٠ سنة..وامين الفتوى لابن عمه المفتي علي ابي الفضائل العمري ولحفيده يحيى من بعده. وقد سكنت الاسرة في محلة باب العراق جنوب غربي الموصل.

ولقد تعلم امين في صباه القرآن على والده الذي درسه النحو وبعض مباديء الفقه واللاهوت. اما في شبابه فكان معلمه محمد سليم الاردلاني (توفي عام١٧٨٨م/١٢٠٣هـ) مدرس المدرسة العمرية الذي علمه النحو والفقه الشافعي، ومنحه الاجازة لقراءته الناجحة لصحيحي مسلم والبخاري ومصابيح السنة للبغوي. واما علي السوسني الكردي الآخر الذي سكن الموصل فقد اعانه بمختلف مؤلفات اللغة كتلخيص المفتاح وتعليقاته المختلفة للقزويني. اما حمد الجميلي (توفي عام١٧٥٦م/١١٧٠هـ) صديق مصطفى الجليلي ومدرس الباشا فقد درسه لفترة وجيزة مؤلفات المنطقي الفناري (توفي عام١٤٣١م/٨٣٥هـ). وقرأ علي جرجيس الاربيلي اثبات الوجود وهو رسالة في اثبات واجب الوجود، اما لمحمد امين الصديقي (توفي عام١٦٥٥م/١٠٦٦هـ) او نجم الدين الكاتبي، او لصدر الدين الشيرازي (توفي عام١٦٤٨م/١٥٥٩هـ) وتعليق الاسكداري عليها (توفي عام ١٧٣٦م/١١٤٩هـ). ودرس امين كذلك مع عبدو بن غيدا وجرجيس العقراوي. وفي عام ١٧٦٠م/١١٧٤هـ) ذهب امين وعمره ٢٣ عاماً الى ماوران حيث درس على عاصم الحيدري من الاسرة الشهيرة بالعلماء. وبعد اربع سنوات كان امين في بغداد يدرس اعمال جلال الدين الدواني تحت اشراف عيسى بن صبغة الله الحيدري. ولعدم قدرته على اطالة اقامته في بغداد عاد امين الى الموصل حيث اصبح حوارياً لموسى الحدادي، مدرس مدرسة الباشا الذي درسه العقيدة والالهيات، وآداب البحث، والفقه (رسائل الميراث) والحساب وتخرج في النهاية عام ١٧٧٢م/١١٨٦ هـ، بضعة اشهر قبل وفاة مدرسه. وفي السنة نفسها حصل امين على اجازة في تلاوة القرآن من شيخ القراء في الموصل سعد الدين بن احمد الذي منحه اجازة ايضاً لقراءته وفهمه الناجحين لرسالة في الادعية عنوانها (كتابات الدائرة المجرية لدفع الطاعون) التي تنسب الى علي.

---

(١) انظر الملحق رقم ٦.

كان امين العمري صوفياً وقد نظمه شيخه عثمان الخطيب الاسود في الطريقتين النقشبندية والقادرية. وفي عام١٧٦٦م/١١٨٠هـ وعمره ٢٩ سنة اصبح امين خطيب الجامع العمري من بعد ابيه. وفي السنة التالية عين مدرساً لمدرسة آل ياسين في اعقاب وفاة عبدالفتاح بن احمد العمري. وكان امين اول مدرس عين في مدرسة الزيواني التي تأسست عام١٧٧٩م/١١٩٣هـ. اخيراً عين مدرساً في المدرسة العمرية ومات امين في الموصل في شهر محرم عام١٢٠٣هـ/تشرين الاول ١٧٨٨م وعمره ٥٢ سنة ودفن بجانب جده قاسم في الجامع العمري.

كان امين العمري بالتأكيد اكبر اديب موصلي متعدد البراعات وضليع زمانه. وتشمل مؤلفاته التاريخية منهل الاولياء الذي سيدرس هنا، ومراتع الاحداق في من رق شعره وراق، وهو سيرة للشعراء ولم تصلنا نسخة منه ويشير اليه المؤلف في منهله[١]. ومجموع شجرة الانبياء والملوك. وهو مصنف وجيز يتضمن ولاة الموصل وبغداد وكان لدى مدرسة الصائغ نسخة منه في اوائل هذا القرن ولكنها اختفت منذ ذلك الحين ولم تترك اثراً. واخيراً فأن مكتبة الدراسات الشرقية والافريقية التابعة لجامعة لندن تمتلك مؤلفاً عنوانه عنوان الشرف، وهو معجم تراجم ينسب الى امين العمري ولكن بعد الفحص الدقيق اصبح واضحاً لدينا ان امينا لا يمكن ان يكون مؤلف هذا الكتاب[٢].

واما في مجال "العلوم الدينية" فقد كتب امين منهل الصفاء، وهو سيرة للنبي (صلى الله عليه وسلم)؛ ومؤلفين في التفسير القرآني عنوانهما حدائق الزهر والريحان في البيان عن بلاغة التبيان[٣] وتيجان البيان في مشكلات القرآن[٤]؛ والفوائد المنثورة في الفتاوي المأثورة في الفقه الحنفي؛ ورسالة في الرد على النصارى وقد كتبها في عام ١٧٥٩م/١١٧٣ هـ بعد قراءة كتاب تخجيل من حرف الانجيل لابي البقاء الجعفري؛ ورسالة في الرد تنتقد اليزيدية الداسنية؛ والكشف والبيان عن مشايخ هذا الزمان، وهو محاولة في تنزيه الممارسات الصوفية، تشجب الشيوخ السيئيين وتعظم الاولياء والشيوخ الاتقياء؛ ولكي يصل الفجوة بين الدين والادب ألف امين بديعية ممدوحة عن النبي (صلى الله عليه وسلم) وعن سور القرآن، اعقبها بشرحه لها في حوالي ٢٠٠ صفحة اكمله عام١٧٦٩م/١١٨٣هـ، وله كذلك ديوان شعر كله مديح للنبي (صلى الله عليه وسلم) في حوالي ٧٠ ورقة[٥].

وفي دراسة اللغة كتب امين: المنهج السالك الى مقصد الفية ابن المالك (١٧٧٨م/١١٩٢هـ) وهو رسالة في النحو؛ والمنظومة في فوائد الرسالة السمرقندية في الاستعارة (١٧٨٤م/١١٩٩هـ) وهي قصيدة وتعليقها على رسالة ابي القاسم علي السمرقندي في المجاز وقلائد النحور، وهو كتاب نحو كتبه لابنه الاعمى! والمناهل في علم العروض والقافية (١٧٨٧م/١٢٠٢هـ).

أما في الادب فقد كتب امين: الفريدة السنية في الاحكام العربية(١٧٥٧م/١١٧١هـ) الجديرة بالثناء والتي قدم لها بقصيدة في تقلب الامور والتي يظهر ان الاحداث العنيفة للسنوات ١٧٥٦-١٧٥٧قد الهمتها؛ ونوادر

---

(١) المنهل (٢)، جزء١، ٢٥٧، ٣٠٤.

(٢) انظر فيما بعد ص ٢٤٨.

(٣) للكتاب مقدمة عن الخطابة والبلاغة، وفصول في البيان والبديع والمجاز، الخ.

(٤) فيه حوالي ١٥٠ صفحة وقد كتب في عام ١٧٦١م/١١٧٥ هـ.

(٥) ليس اكيداً فيما اذا كان الديوان قد كتب في عام ١٧٦٢ماو في عام ١٧٨٦ م.

المنح في اقسام الملاحة والملح[1]. والتي اتخذ لها نماذج من الحلبة لمحمد النواجي (توفي عام ١٤٥٥م/٨٥٩هـ) وديوان الصبابة لابن ابي حجلة (توفي عام ١٣٧٥م/٧٧٦هـ)؛ ونظم بعض ابواب فاكهة الخلفاء[2]. والطراز المرقوم في معرفة محاسن المنظوم في ١٠ اوراق، والفصول الظريفة والنكات اللطيفة(١٧٥٧م/١١٧١هـ) في ٢٠ ورقة، والحكم المطربة والكلمات المعجبة (١٧٥٩م/١١٧٣هـ)؛ وقصة عنترة التي اعجب بها ايما اعجاب. واما في الشعر فقد نظم امين قصائد واشعار مختلفة وخمس همزية البوصيري، ونظم قصيدة في انجماد نهر دجلة.

وكتب امين العمري ايضاً رسالتين في الحساب: رسالة في علم الحساب منظومة شعراً ومشروحة نثراً، وذريعة الطلاب في معرفة الحساب. وفي عام١٧٧٥م/١١٨٩هـ اتم كتاباً موسوعياً في ٦٧٥ ورقة عنوانه مطالع العلوم ومواقع النجوم بتكليف من علي بن علي ابي الفضائل العمري. وهذا المؤلف الموسوعي يبحث في القواعد والخطابة وعلم العروض والبلاغة والسجع والبحث والمناظرة والمنطق والفلسفة (الحكمة)، وماوراء الطبيعة (الكمة الالهية) والحساب واللاهوت والتفسير القرآني والحديث والفقه واصول الفقه والفرائض والتصوف والمحاضرات.واما المؤلفان الموسوعيان الآخران اللذان كتبهما امين العمري (احدهما بتكليف من علي العمري) ويبحثان في المواضيع نفسها: زهرة الفن في حل قلائد النحور، وهو بالحجم نفسه.

وقد استنسخ امين العمري ايضاً كتباً مرجعية مختلفة يمكن العثور عليها في الموصل الآن. ففي الادب حقق ديوان البحتري في عام ١٧٦١م/١١٧٥هـ، واهمل جميع مقاطع الهجاء وبعض الابيات الاكثر غموضاً. وفي عام ١٧٧٣م/١١٨٧هـ استنسخ تعليقاً على تلخيص المفتاح في المعاني والبيان[3] لعبد الرحيم العباسي (توفي عام ١٥٥٦م/٩٦٣هـ). وفي عام١٧٥٤م/١١٦٨هـ كان قد استنسخ تعليق ابي شامة النحوي على البردة، منظومة ابن الجزري (توفي عام١٣٥٠م/٧٥٢هـ) وملحق التفتزاني (توفي عام١٣٨٩م/٧٩١هـ) لشرح نوابغ الكلم للزمخشري (توفي عام١١٤٣م/٥٣٨هـ) وفي السنة التالية استنسخ مجمع الامثال لاحمد النيسابوري الميداني(توفي عام ١١٢٤م/٥١٨هـ). وفي عام ١٧٥٤م/١١٦٨هـ استنسخ: شرح زوال التحرح، وهو كتاب في الفقه ينسب الى ابي عبدالله الكناني (توفي عام ١٤١٦م/٨١٩هـ)، وبعد سنتين من ذلك استنسخ فتاوي النووي وكذلك مصنفات مختلفة في تفسير الحديث للسيوطي، وفي عام ١٧٦١م/١١٧٥ هـ استنسخ معالم التنزيل للبغوي.

ونستطيع ان نرى ان مدى ثقافة امين العمري كان واسعاً جداً. لقد كان مفكراً بارزاً يحترم لعلمه والكثير من اعماله كانت بتكليف من الامراء والوجهاء.

---

(١) كتب عام ١٧٥٧ او في عام ١٧٦٥ م.

(٢) فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء لابي العباس عرب شاه (توفي عام ١٤٥٠م/٨٥٤هـ).

(٣) ملخص القزويني لمصنف السكاكي الذي درسّه امين على استاذه علي السوسني.

منهل الاولياء ومشرب الاصفياء من سادات الموصل الحدباء[1]

ان المنهل هو الكتاب الاكثر امتاعاً والاكثر اصالة كتبه مؤرخ موصلي في العهد الجليلي وكما يشير الى ذلك عنوانه فهو كتاب تاريخ اقليمي. وفي مقدمته (الاوراق٣ر-٤ر) يضع المؤلف بوضوح وبساطة هدفه واسبابه لكتابة الكتاب تاركاً جانباً جميع النظريات ومفاهيم التاريخ. والمقدمة تبدأ كالعادة بالدعاء والحمدلله والثناء على رسوله يعقبه مديح لسعدالله بك بن حسين باشا الجليلي الذي صار والياً للموصل فيما بعد. ويخبرنا المؤلف ان هذا الامير قد اطلع على رسالة بالتركية والفارسية تبحث في اولياء بغداد والعراق[2] وقد طلب من الاديب الموصلي السيد احمد بن حامد الفخري (توفي عام١٨٠٤م/١٢١٩هـ) ان يترجمها الى العربية. وبعد ذلك طلب سعد الله بك من المؤلف ان يصنف كتاباً مماثلاً عن الموصل مقدماً من خلاله الى القارئ جميع الاولياء المدفونين من او حول المدينة.

والمدخل الى الكتاب تعقبه مقدمة" عن الموصل، عن بعض حكامها وعلمائها وعن بعض الوقائع التي حدثت فيها". وهذه المقدمة تأخذ اكثر من نصف الكتاب وتقع في ستة اقسام غير متساوية الطول اطلاقاً[3]، وتعتمد بالاساس على ابن خلكان، وابن الوردي، وياقوت وسبط ابن الجوزي. وفي القسم الخامس يعطينا المؤلف اسماء الولاة المختلفين الذين ارسلهم الباب العالي الى الموصل. ويخبرنا بكل صراحة انه لايعلم اسماء اولئك الذين حكموا الولاية قبل السنة ١٠٠٠هـ (١٥٩١م)[4]، ولكنه يوفر لنا من القرن الحادي عشر الهجري وما بعد، جدولاً كاملاً تقريباً بالممثلين العثمانيين ومقدماً مستنده بحذر شديد، وعارضاً صيغاً بديلة لنفس الواقعة، محاولاً التمييز بين حاملي نفس الاسم لكي يوفر على القارئ أي تشويش شديد. وكخلفية لهذا التعداد للولاة تقدم لنا الرواية المتوارثة للمنافسات الايرانية-العثمانية في العراق.

وفي القرن الثامن عشر تركز الرواية، ولاول مرة منذ الغزو العثماني على الموصل ويبدو ان المدينة اكتسبت استمرارية ذاتية من خلال تعاقب الولاة الجليليين. وبطريقة ما تكشف هذه الاستمرارية، الاستمرارية العثمانية الاعظم، وتسمح للمؤلف بهوية اكثر سهولة وصلابة، ارتكزت كما هي على الحياة اليومية. وبأيراد مثل بسيط واحد لتوضيح هذه العملية: في الحروب العثمانية ضد العدو القديم فارس، اصبح الان الجليليون وليس السلاطين الذين في قلب الصراع اذ حوصرت الموصل مرتين في النصف الاول من القرن[5].

ومن السير ال ١٠٦ التي تضمنها القسم السادس، ٢٥ منها سابقة للعهد العثماني رجال كأبن الاثير وياقوت المالكي وابن شداد والخطيب الطوسي وفخر الدولة بن جهير الثعالبي. وقد اخذت سير السابقتين للعهد العثماني من وفيات الاعيان لابن خلكان باستثناء خمسة اخذت من بغية الطلب لابن العديم. ويبدو ان امين العمري باعتماده على ابن خلكان في تصنيف سير علماء وشعراء الموصل الشهيرين قد اصيب بخيبة امل بالحرفين

---

(١) منهل (١): مخطوطة المكتبة البريطانية،ور٢٤٢٩ في ١٧٣ ورقة. وتعطينا صفحة العنوان اسم الكتاب بأنه: كتاب تاريخ الموصل. وقد اكمله امين في ٩رجب ١٢٠١هـ/٢٨نيسان ١٧٨٦ م. ومخطوطة المكتبة البريطانية هذه مؤرخة في ١٢٩٧هـ/١٨٧٩م وهي من عمل محمد الموصلي، المقيم في بغداد والذي استنسخ الكتاب للقنصل العام البريطاني.

(٢) جامع الانوار في مناقب الابرار لمرتضى نظمي زادة (توفي عام ١٧٢٠م/١١٣٣هـ).

(٣) اقسام عن الموصل، الفتح الاسلامي، نهر دجلة، المدن والقرى المجاورة،حكام الموصل، وعلمائها.

(٤) في الحقيقة اصبحت الموصل ولاية فقط في عام ١٦٣٩ م.

(٥) انظر وصف امين العمري لحصار الموصل من قبل نادرشاه.

الزاي والسين في وفيات الاعيان فتحول الى ابن العديم معتمداً اياه ليوفر له الاسماء التي تبتدئ بالزاي والسين[1].

لم يكن جميع المعاصرين الذين يستحقون بالذكر في المنهل، جديرين بمديح واحترام امين العمري. فأن علي بن مصطفى الغلامي المفتي الشافعي والصديق الحميم للولاة الجليليين، قيل انه كان متكبراً. وعلي السوسني استاذ امين قيل عنه انه كان "لديه معرفة اكبر بكثير من الحكمة". أما محمود الخراثي "فكان كسولاً واستاذاً سيئاً". ولكن سواء كان امين يمدح او يقدح الا انه كان يعطينا بصورة ثابتة تصوراً للمجتمع الموصلي من خلال اوصافه للعلاقات الشخصية بين السيد والتابع، والأستاذ والحواري، والشيخ الصوفي والمريد ومن خلال الروايا الحية التي يقدمها لنا عن الاحداث والوقائع التافهة يسمح لنا المؤلف ان نشارك في المناخ الثقافي لذلك الزمن. وهكذا وبينما هو يعرض لنا سيرة جرجيس بن درويش الذي كان صديقاً مقرباً للمفتي علي ابي الفضائل العمري وامامه، يستطرد امين ليحدثنا عن الواقعة التالية:

"اثر انتهاء الصلاة همس بعضهم في اذن علي ابي الفضائل ان اعيدوا صلواتكم جميعاً لانني ارى ان امامنا سكران: وفي هذه اللحظة التفت جرجيس الى علي وقال له: "لقد اديت هذه الصلوات معكم لاربعين سنة. هل تذكرون وقتاً واحداً لم اكن فيه سكراناً"[2]؟ يشير الى عقلية معينة لاتصفها الاوصاف الاكثر شكلية للموصل او الاسلام السني. وبالاجمال فأن هذه المقدمة المفيدة جداً ولو انها طويلة هي مصدر لايثمن لدراسة الموصل الجليلية.

وننتقل الآن الى الموضوع الرئيسي للكتاب، او كما يقول امين "المقصد الاصلي"[3] وهو عرض للرافدين في الاضرحة النيرة واخلاقهم المشعة وحالتهم المباركة. ونبدأ بالانبياء صلوات الله وبركاته عليهم، وبعدهم صحابتهم الكرام والآخرين مصرحين بكل الذي استطعنا الوقوف عليه فيما يخصهم " (الاوراق ٩٣ر-١٦٣ر).

يعرفنا المؤلف على ١١٨ ولياً ورجلاً صالحاً تقع مراقدهم (مقام، مشهد، قبر) في او قيل انها في اصول الموصل. ويبدأ امين بالانبياء لـ(نوح، يونس، جرجيس) والصحابة يحدثنا عن السبب الذي جعل الناس يعتقدون انهم دفنوا في الموصل، مقتبساً الاحاديث المختلفة التي تعنيهم، وباذلاً جهداً عظيماً للتفريق بين الحملة المختلفين لنفس الاسم. ان امين يستوجب فقط هوية الراقدين في كذا وكذا ضريح او انسابهم، ولكنه يلقي الشك على الوجود الحقيقي لضريح في موقع يزوره الناس. وهكذا يحدثنا ان ضريح السيدة نفيسة " يقع في اماكن

---

(١) من الواضح ان المؤرخين عندما يصنفون كتبهم يستخدمون اية مصادر تقع بين ايديهم. وفي هذا المجال من الممتع ان نلاحظ في بداية هذا القرن ان المدرسة الحسنية في الموصل كان لديها جزء من البقية لابن العديم للحرفين زاي وسين (زهدم بن حرث الى سعيد بن سهل النيسابوري). ان هذه المخطوطة هي الان في مكتبة الاوقاف (رقم حسنية٥/٢٢ في ٣٨٣ صفحة). والرجال الخمسة الذين يذكرهم امين العمري تحت الحرفين زاي وسين (زيد بن ابي خداش، زيد الحسني، زيد التغلبي، سري الرفاء وسعيد التغلبي) يمكن كشفهم في البقية، الصفحات ١٧٦-١٧٧، ١٨٠-١٨٣، ٢٩٧-٣٠٢، ٣٦٨-٣٧٠. ويبدو واضحاً ان رواية المنهل هي ملخص لرواية ابن العديم.

(٢) الورقة ٥/٨٦.

(٣) في العربية: المقصد الاصلي (مشيراً الى ان المؤلف كان داعياً للاستطراد الطويل).

مختلفة من الموصل[1]. وضريح الامام عبد المحسن بن الحسن يقع في شمال الموصل. "ولكن الله هو احسن العالمين" اما الضريح الذي ينسب الى صالح بن الصالحين فهو "ليس الا بئر بسيط انجذب اليه الناس خرافياً".

وسواء بصرف النظر عن موقع مقدس او يؤكده (يصدقه) فامين يعلمنا بذلك باستمرار اولاً على مستوى الطبوغرافيا بوصف المناطق المحيطة بالمراقد الواقعة خارج اسوار المدينة. تلال، بساتين/ حقول،قرى... وتعيين مواقع المراقد داخل الاسوار بدقة نسبية وبذكر اسماء محلات معينة لهذا او ذاك الضريح، وباخبارنا عن الكتابات المختلفة التي وجدت على جدرانها. وثانياً على المستوى الاجتماعي والاقتصادي عن الطريقة التي صار فيها بمرور الزمن، ملك الوقف لمراقد معينة ملكاً، منتقلاً حسب العادة الى عائلة المغولي. وهكذا فأن وقف ابراهيم الزيتوني: وقد تغلبت عليها ايدي اناس فصارت املاكاً؛ والشيء نفسه ينطبق على وقف الشيخ عناز الاسود. وكذلك على المستوى الاجتماعي والاقتصادي يعلمنا المؤلف عن استثمارات الامراء والوجهاء وعن انشاء المراقد والاعمال الترميمية المنجزة من قرن الى آخر، وكذلك عن توسيع املاك الوقف وخصوصاً تحت حكم الجليليين. واخيراً على مستوى ثقافي وفكري يشير امين الى المراقد التي يقصدها العامة بصورة خاصة، والالقاب او الكنى التي يسمون بها مختلف الاولياء، وكذلك الميزات الخاصة لهذا او ذاك الضريح. وهكذا عند كتابته عن الشيخ ابراهيم العمري الذي يقع ضريحه خارج الاسوار على الطريق الى تلعفر، يخبرنا المؤلف ان قطاع الطرق لايؤذون المسافرين الذين يلجاؤن الى ضريحه.

ويصبح الوصف اكثر حيوية حين ننتقل الى الفترة العثمانية لكيما نقدم الى الاولياء "المعاصرين" ويبحث المؤلف في عدة مجاذيب: صوفيون انجذبوا الى الله كالسيد محمد بن زين العابدين. "الذي يبدو احياناً خاضعاً للميلانخوليا (ماليخوليا) بحيث يخالف الشريعة، بينما في احيان اخرى يبدو خاضعاً لله"! وهذا المدعو عمر، تابع يونس بن سيالة الرفاعي: "لقد اغرم بشاب كان يعمل صانعاً لدى الخياط قرب دارنا. وعمر هذا غالباً ماكان يقضي لياليه في مسجد قريب، يغني ويترنم حتى الفجر، بينما كنا جميعاً نسخر منه. وفي يوم ما وبينما كان يقوم بحفل تعويذ، سأل اتباعه ان يطعنوا انفسهم بالسكاكين والدبابيس في المعدة، فحدث ان مات احدهم نتيجة لذلك. فانهزم عمر من الموصل وذهب الى ديار بكر حيث اضطر فيما بعد لتبديد شكوك الناس ان يدخل في فرن ويخرج منه بدون اذى"[2].

وما عدا المجاذيب والدروايش يذكر امين قليلاً من البلهاء كشريف شرف الدين، "ابله يزور البلهاء ضريحه ويقدسونه". ان العرض الذي يقدمه لنا في هذا الكتاب عن تجربته الشخصية مع الصوفية وطائفة الاولياء تميط اللثام عن نفاذ البصيرة الحقة في المجتمع الموصلي.

وفي الخاتمة (الاوراق ١٦٣ر-١٧٣ر) يقدم لنا امين " كل الذي قيل عن منجزات الاولياء وتفنيد اولئك الذين ينكرونها والذين يرفضونها". ويقتبس المؤلف من الحديث والتصانيف والرسائل الصوفية، ويخبرنا عن كرامات معاصرة، اما شاهدها هو شخصياً او سمع بها من مصادر موثوقة معتمدة.

تبين نهاية المنهل كم هو صعب فصل التاريخ عن هذه الثقافة الجماعية التي نسميها ادباً، عن هذا الحقل الواسع من الحوادث الاسطرادية حيث تلتقي وتمتزج مختلف "المعارف" "والمذاهب". لقد بدأ المنهل كعمل وصفي ومديح للموصل هادفاً تبيان صفات المدينة، واثبات ان لها، ومازالت حصتها العادلة من الاولياء

---

(١)كقاريء لابن خلكان، يعلم المؤلف بالطبع انها في الحقيقة مدفونة في مصر: انظر ابن خلكان (أ)،٢،٢٢٣-٢٢٤.

(٢) الورقة ١٥٢/٥.

والاتقياء والعلماء. وانتهى بفن الجدل والمناظرة اذ يحس المؤلف بظهور حركة جذرية للفكر تهدد التجربة المحلية اساساً والتي يسعى الكتاب لتقديمها. وفي الحقيقة فأن احد العلماء الذين ذكروا في المنهل هو احمد بن الكولة الذي كان يوماً ما صوفياً قادرياً وتجراً ووضع في موضع الشك طائفة نبي الله جرجيس، فطرد وامره الوالي ان يتوب. التاريخ والكلام يلتقيان في فكر الاديب وفي عمله. وبلا غرور وبلا ادعاء ونوعاً ما طواعية، يوضع التاريخ في خدمة الكلام ويسعى الاثنان لايضاح التجربة الموصلية المحلية.

٤-ياسين بن خيرالله العمري

ولد ياسين بن خيرالله العمري يوم الخميس نهاية شهر رجب عام ١١٥٨هـ/نهاية تموز١٧٤٥م وهو شقيق امين العمري مؤلف المنهل[١]. ورغم انه نشأ في اسرة مشهورة بعلمها العظيم الا اننا لانعرف شيئاً عن تعليمه وحياته قبل بلوغه اربعين عاماً. ولاشك ان ياسين كأخيه امين من قبله، قد تعلم القراءة على ابيه خيرالله والذي لابد علمه ايضاً مباديء القواعد. ولاشك انه انتمى الى مدرسة الصبيان حين كان يافعاً ولكن اسماء معلميه لم تصلنا، وهذا يشير الى انه تلقى تعليماً اولياً فقط لايمكنه من الحصول على اجازة. ان ياسين الشاب لم يكن بالتأكيد عالماً ولكنه كان صوفياً وكأخيه امين ومعظم الموصليين في ذلك الزمن انتمى الى الطريقتين القادرية والنقشبندية. وكان شيخه عثمان الخطيب الاسود الذي كان شيخاً لمعظم ابناء جيل ياسين.

والمدرس الوحيد الذي درس تحت اشرافه ووصلنا اسمه هو عبد القادر الاربيلي الذي اشتهر في الموصل في عام ١٧٨٩م/١٢٠٤هـ ودّرس في مدرسة زكريا التاجر في محلة باب العراق غير بعيد من دار ياسين. لقد علّم عبد القادر ياسين الفقه وهكذا يبدو ان ياسين حصل على اول اجازة حين كان عمره حوالي ٤٦ عاماً. وهذا هو الاثر الوحيد الذي بحوزتنا عن تعليم ياسين "الرسمي" مع ذلك فأن ثقافته كانت واسعة جداً ولو انها سطحية، ولابد ان اخاه امين قد ساعده كثيراً. وقد تشاطر امين وياسين الدار نفسه حتى عام ١٧٧٧م/١١٩١هـ حين اضطرهما نزاع نشب بينهما على اقتسام ثروة والدهما. ويعترف ياسين بدينه الفكري لاخيه امين حين يقول: "انا لست الا قطرة في محيط ثقافته". ومن الممتع ان نلاحظ ان ياسين قرر ان "يعود الى المدرسة" ليدرس الفقه في عام ١٧٨٩م، مباشرة بعد موت اخيه امين في عام ١٧٨٨م. وفي السنة نفسها دخل ياسين في خدمة سعد الله بك (باشا فيما بعد) بن حسين باشا الجليلي، وبقي امامه الشخصي لأثني عشرة سنة. وهذا هو المنصب المعوض الوحيد الذي اشغله ياسين والذي نعرفه. ويبدو ان ياسين دبر معيشته بتأليف كتب التاريخ والمديح والتاريخ مهديها جميعاً الى امراء ووجهاء الموصل ضامناً بذلك هذه الكفاية التي لابد منها لأية مهنة للمعرفة. لقد كان ياسين بالتأكيد "مؤرخ بلاط" ولكنه على مايبدو ليس الجدير جداً بالجائزة لان أياً من اعماله لم يكن مكلفاً بها مسبقاً. بالاحرى يبدو ان ياسين قد قدمها استدلالياً بأمل الحصول على المكافأة.كان لوضع ياسين المالي صعود وهبوط. فهو ينتمي الى الفرع الادنى من الاسرة العمرية ولم يتنفع من تولية الجامع العمري. ويبدو ان حظوظه عانت اضافة الى ذلك من النزاع الذي نشب بينه وبين اخيه امين. وقد حرمه ابناء اخيه فيما بعد من الكتب التي تركها ابوه خيرالله. وفي فترة معينة حوالي ١٧٩٠م، وصلت حالته المالية حداً من اليأس كاف لأن يضطره لأن "يبيع مسودة" عمل تاريخي كبير كان يقوم بتصنيفه. ولكن اجمالاً يظهر ان ياسين كانت لديه الكفاية الضرورية التي مكنته من تكريس كل وقته لمواصلة المعرفة. ان نتاج ياسين التاريخي الواسع يعتبر مصدراً اساسياً لدراسة الموصل الجليلية، حيثما تتوقف يومياته وتراجمه،

---

(١) كانا شقيقين من الأب والأم نفسيهما: أخ وشقيق (أخوا رحم).

تصبح الصورة التي لدينا عن المجتمع الجليلي ضبابية غير واضحة. وفي الحقيقة ان ياسين هو المدون المحلي الاخير للعهد الجليلي، وبين نهاية اعماله وظهور مصادر جديدة (تقارير قنصلية،الخ) هنالك فجوة يؤسف لها من بين اشياء اخرى اكثر خطورة، تعني اننا لانعرف حتى التاريخ الصحيح لوفاته (لابد انه توفي حوالي عام ١٨٢٠م).

كان ياسين مؤرخاً في المقام الاول، ومؤلفاته السبعة عشر هنا تثبت ذلك. وسنتفحص خمسة عشر منها بنوع من الاطالة في الصفحات التالية، بينما بقي الاثنان الآخران خارج متناولي: الدر المنتثر في تراجم فضلاء القرن الثالث عشر، وهو معجم لتراجم العلماء والادباء المعاصرين، ويبدو ان جميع نسخه قد نفذت. ولأن المؤلف يشير اليه في تواريخ النساء وكذلك في القضاة وكلاهما قد صنفا قبل عام ١٧٩٧م/١٢١٢هـ، فيبدو ان هذا المعجم التراجمي بالرغم من عنوانه لابد انه كتب في نهاية القرن الثاني عشر الهجري وذلك يجعل فقدانه اقل اهمية لان المعلومات التي يتضمنها يمكن العثور عليها من مؤلفات ياسين العمري الاخرى. واما الكتاب الثاني. الروض الزاهر في تواريخ الملوك الاوائل والآواخر فهو معجم تراجم للملوك والامراء واصحاب المقامات الدينية الرفيعة، وقد نظم على الحروف الهجائية وصنف حوالي عام ١٧٩٠م. ولم تصلنا نسخة منه. واما المؤلفات الخمسة عشرة الباقية والتي سنتفحصها الآن فقد قسمت[1] الى خمسة اصناف: تاريخ السلالي، تاريخ الحوليات، معاجم التراجم،التاريخ المحلي وتاريخ الاحداث.

بصفته اديباً فقد اظهر ياسين ولعاً في مجالات اخرى للمعرفة. ففي الادب واللغة كتب: روضة المشتاق ونزهة العشاق، روض الادب، وعيون الادب، وجميعها كما يبدو قبل عام ١٧٩٦ م وفي عام ١٨١١م صنف كتاباً في علم العروض عنوانه العذب الصافي في تسهيل القوافي: واما في الشعر فقد نظم قصائد تشمل مختلف المديح والتاريخ وكذلك قصيدة عن الاحداث العنيفة للسنوات ١٧٥٦-١٧٥٧م. وله قصيدة في تفسير الاحلام تدعى مقاصد التعبير؛ وكتاب عن الصلاة والادعية يدعى السيوف الساطعة؛ ورسالة طبية عنوانها الخريدة العمرية.

اما الكتب التي نعلم انه استنسخها فأنها تعكس اهتماماته الصوفية. وهذه الكتب تشمل: اللمعة النورانية في حل مشكلات الشجرة النعمانية لصدر الدين القنوي (توفي عام ١٢٧٣م/٦٧٢هـ) استنسخها في عام ١٨٠٢م/١٢١٧هـ؛ وروض الرياحين في حكايات الصالحين لليافعي. استنسخها ياسين في عام ١٨٠٦م/١٢٢١هـ؛ وتحفة الراغبين في امر الطواعين وهي مقتطف من بذل الماعون في اخبار الطاعون لابن حجر العسقلاني، استنسخها في عام ١٧٧٢م/١١٨٦هـ؛ وفي السنة نفسها استنسخ ياسين: الكشف عن مجاوزات هذه الامة الالف للسيوطي وهو مصنف في علم الحديث؛ وكتاب مسائل الخلاف بين الامامين لمؤلف مجهول؛ والقلائد والفرائد، مؤلف فقهي لعبد الغني النابلسي؛ وقصيدة عنوانها تحفة المبتدي والتي لم استطيع ان احقق هويتها. وقطعة ادبية عنوانها اختلاج الاعضاء تنسب الى الامام جعفر الصادق[2]. واخيراً استنسخ ياسين ايضاً ديوان صفي الدين الحلي (توفي عام ١٣٤٩م/٧٥٠هـ) وكذلك الدر النقي في فن الموسيقى وهو ترجمة عربية انجزها مسلم اخي بابا الموصلي لرسالة عبد المؤمن البلخي.

---

(١) نوعاً ما اعتباطياً ولاسباب الملاءمة.

(٢) انظر بروكلمان، اس آي، ١٠٤.

أ- التاريخ السلالي

عنوان الاعيان في ذكر تواريخ ملوك الزمان[1]

الاعيان كتاب في التاريخ السلالي كتب على ما يبدو في عام ١٧٨٩م/١٢٠٣هـ وهو مقسم الى مقدمة و٤٣ فصلاً مختلفاً وخاتمة. ولسوء الحظ فأن مخطوطة برلين التي وصلتنا غير كاملة: تضم ٣٠٣ اوراق وتتوقف في منتصف الفصل الثاني والاربعين حين كانت تتحدث عن عهد السلطان محمود الاول ولذا فأن عهود السلاطين العثمانيين التاليين مفقودة وكذلك الفصل الاخير والخاتمة الغامضة. وفي مرحلة معينة يلمح المؤلف مع ذلك الى طبيعة الفصل الاخير. فعلى الورقة ٣٠٣ ر في ترجمة السلطان محمود الاول يظهر الخبر التالي:

"في عام ١١٥٣هـ سار حسين باشا الجليلي والي الموصل على رأس جنده وحاصر العمادية. وسوف نتعرض لهذا الحدث في ترجمة الوزير المذكور". ويشير هذا الى ان الفصل الاخير يبحث في السلالة الجليلية كلياً او جزئياً فيستطيع المرء حينئذ ان يفترض ان الفصل بحث ايضاً في بغداد المماليك، اذ ان فصلاً كهذا يلي على اغلب الظن فصلاً عن سلاطين آل عثمان ويشكل جزءً ختامياً مرضياً لهذا التاريخ الشامل المرتب حسب السلالات.

ان الافتتاح يليه ذيل وجيز عن فائدة كتابة التاريخ.. كشف النقاب عن تفاصيل حياة الرجال الصالحين، مخبراً عن اعمالهم الصالحة. الخ ومن ثم يأتي تقديم المؤلف لكتابه: "ذكرت في هذا الكتاب الانبياء والرسل ومن بعد الخلفاء الراشدين. واتبعت ذلك بذكر الملوك والسلاطين، محدداً تاريخ ولادتهم وقيام سلطانهم والحروب والحوادث الاخرى التي وقعت في عهدهم واخيراً موتهمجميعاً حسبما استطعت ان اجد في كتب التاريخ. وقسمت الكتاب الى مقدمة و٤٣ فصلاً وخاتمة.. واعطيته اسم "عنوان الاعيان.. وعندما اكملته اهديته الى سعدالله بك بن حسين باشا الجليلي"[2].

والكتاب يعتمد على القرماني وابن الوردي واليافعي، وهامشياً على ابن الاثير، وتاريخ اليمن لعمارة وخلاصة الاثر للمحبي. ومع تنوع المصادر يبقى الاعيان مع ذلك ميالاً الى الافراط من التبسيط، والحوادث التي يرويها سطحية وتفتقر الى مبدأ السببية. والاعيان مهمل ايضاً في رسم الاسماء والتاريخ الذي يسوده مضلل.

وفي مؤلف يغرف نفسه بكونه شرق اوسطي اساساً نجد ولأول وهلة فصلاً وضخماً عن الامويين في اسبانيا الامر الذي يدعو الى الدهشة. وهي اشد من ذلك لان اسبانيا المسلمة تعتبر في كتاب الآثار والمؤلف هو مؤلف الاعيان نفسه، جديرة بـ١١ خبراً لاغير بالمقابلة بـ٥٠ خبراً عن البيزنطيين واكثر من ١٠٠ خبر عن الصليبيين في المنظور الشرق اوسطي للمؤلف. ومن مجرد مقاطعة في الآثار تصبح الاندلس مملكة وعنصراً تأسيسياً في الاسلام في من الاعيان. والسبب وراء هذا التعارض الكبير في ترتيب اهمية الاندلس من كتاب الى آخر للكاتب الموصلي نفسه يكمن على الارجح في الطبيعتين المختلفتين للكتابين. فالآثار تاريخ حولي للاسلام الذي يحدث بالتأكيد اختياراً غير واع لحوادث "شاملة". ويفصل المناسب عن غير المناسب، والاساسي عن الملحق وهي عملية تزيح الستار تدريجياً وعبر القرون عن خط للاستمرارية التاريخية يدور حول مركز

---

(١) الاعيان: مخطوطة المكتبة الوطنية، برلين، رقم ٩٤٨٤.

(٢) ويتبع هذا قسم كبير من المديح.

منفرد يحدد نقطة الافضلية "وموضع حديث" المؤلف. وفي هذا السياق من الكلام يستطيع المرء ان يفهم بوضوح ان الاندلس التجربة السالفة في ارض بعيدة اعتبرت منذ زمن طويل كأرض الكفار، هي ذات اهمية صغرى وليست بذات شأن دائم. اما الاعيان من الناحية الاخرى فهو كتاب سلالي يسعى بأخلاص "ليؤثر" في القارئ بأعطائه الانجازات السياسية والعسكرية للاسلام وكذلك الصروح الثقافية والحضارية التي خلفها حكامه وسلالاته. وفي هذا السياق فأن المقاطعات الاموية في اسبانيا وتخوم المملكة وطليعة الاسلام تكتسب بعداً جديداً. وعلى الخطوط نفسها فأن الجوامع والمدارس والقصور التي بناها الحكام الاندلسيون في هذه الارض البعيدة تكتسب قوة التحدي الرمزي. فالأندلس بالنسبة للمؤرخ عراقي من القرن الثامن عشر يصنف تاريخاً سلالياً تمثل جزءاً من "التاريخ التفاخري" وليس جزءاً من "التاريخ التكويني" للاسلام. ومن هنا تأتي اهمية الاندلس في الاعيان،تأتي اللمحة المكملة التي يذكر فيها العديد من امرائها في المراجع: فامتياز السلالة الاموية ببعدها الزمني ووضعها الجيوسياسي على الثغور يضعها خارج دائرة الجدل والمناظرة الاستطرادية والشجارات التافهة. ان امويي اسبانيا جزء من تاريخ يعرض للقارئ ليسأل كيما يطري ويُعجب.

والطريقة الاستطرادية نفسها ظاهرة في الفصل عن البرامكة. في الحقيقة ان اهمية البرامكة في الاقتصاد في الحديث تزيد كثيراً عن الاهمية المعطاة للموادنيين والدليم على سبيل المثال، ان اهمية اهمية الاخرين اكبر من الاعتبارات السياسية عن اهمية البرامكة المحدودة نسبياً ذوي التأثير التكويني البسيط في صياغة التاريخ الاسلامي. وهذا التعارض بين الاهمية السياسية والثقافية للبرامكة في الاعيان توضح وظيفة الاعيان وتعطيه صفة " التاريخ التفاخري".

ويمكن العثور على الاسهام الصادق الاصيل والوحيد الذي قام به الاعيان في الفصول التي تتحدث على الخوارج والزنادقة. فبعد شروعه في الفصل ٣٧ "بالخوارج الذين حاربهم علي" يدلف احد وهنا يبدو اقل عناية بالخروج المؤلف في ممرات لم يجسها احد. وهنا يبدو اقل عناية بالخروج وبالعبادية وبالصغرية منه بالخوارج.

وباعتماده على المصادر العادية ومقدماً اخباراً عادية غير مؤلفة، ينتج المؤلف بالرغم من ذلك فصلاً غير عادي مرتكزاً على معنى ممتع للتعبير "خارجي". وبدلاً من الاشارة الى الخروجية بشكلها المحدود. تعود بالقارئ الى الفعل خرج (عن الطاعة) الى عمل من العصيان ضد السلطة، الى صدع في النظام السائد للامور، ومن هنا في هذا المعنى للقرامطة والزنج والخرمية والزنج والخرمية، والعبد الثائر على سيده وصاحب المقام الرفيع الثائر على سلطانه[1]. وهذا المفهوم نفسه للخارجي يعود بالقارئ ايضاً الى الفعل خرج من بلده الى رحيل الى حركة جسمانية بدنية تعكر الصفو والسلام وتهز الموازنة المعترف بها، وتتجاهل التقسيم المعترف به للعالم: ومن هنا الحضور هنا للملوك الفرنجة الذين غادروا وطنهم البعيد وعبروا البحار وقدموا لينشروا الرعب في المملكة. وبالطبع ان هذا التعبير خارجي يمكن ان يشير الى اتحاد المعنيين للحركة المادية الفعلية والحركة المعنوية بعيداً عن الانسجام: فهنالك هؤلاء المغول الذين ليس لهم حدود معينة في العالم المعروف والذين جاؤا من المجهول من القفر، وانهالوا على عالمنا المتحضر في ثورة مفتوحة ضد جميع قيمها؛ وهنالك

---

(١) في عنوان(١)، الورقة٨٩/٥، الامراء المماليك الذين ثاروا في بغداد في عام ١٧٧٨م/١١٩٢هـ يدعون خوارج. ومن هنا شمول اباطرة وخدماً الذين عبروا نهر جيحان فوطئوا ارضنا..

هؤلاء النادرشاهات الذين ثاروا ضد السلطات المعترف بها في قطرهم (الصفويون من هذه الحالة) وبعد ان شمخوا بأنوفهم على النظام السائد غزوا ارضنا.

"الزنادقة هم اولئك الذين ادعوا الالوهية والنبوة"[1]. وكما في الفصل السابق عن الخوارج يصل هذا سوية مجموعة متنوعة عظيمة من الافراد، مختلفون في الزمن وفي المجال، في الخلق والتأثير ولكنهم متحدون في عين الناظر بذلك الذي يصفه ميشيل فوكو **ce geste quiexeult** بمنح التسمية والبيان التفسيري العام للشر.

ان الفرق بين الخوارج والزنادقة سياسي في الاساس. انه فرق بين حركات (خوارج) وكفر من خلال الكلمة. من خلال المناقشة (زنادقة). وهذا يفسر لماذا يجد قرمطيان: كرمنيح وابو فاضل نفسيهما مشمولين في الفصل عن الزنادقة. باعتبارهما "منظرين" بينما نرى القرامطة الثلاثة الآخرين ابو سعيد، ابو طاهروزكرويه، قادة لحركات عصيان ومشمولين في الفصل عن الخوارج.

أما الفصل الثاني واربعون فهو عن الدولة العثمانية، "حفظ الله دولتهم الى آخر الزمن" والقرماني هو المصدر الرئيسي بالتأكيد للسلاطين العشرة الاوائل. ومن عهد السلطان مراد الثالث وما بعده هنالك شبه محدد لعبارات روايات المُحبي. وحين يتوقف المُحبي عند السلطان محمد الرابع يستطيع القاريء أن يتحسس انفصالاً معرفياً محدداً هناك. ومن هنا قد يكون من الممتع ان نلاحظ ان الخبر الاول عن عهد السلطان محمد الرابع ينفي بيزيدي من منطقة الموصل ذهب الى اسطنبول في البحث عن منصب وعندما تحاشاه السلطان ثار ضده. وفي ترجمة السلطان محمد الرابع هنالك اخبار عن علاقات الباب العالي بالموصل واخبار اكثر من الولايات الشرقية مما سبق بكثير. وفي تراجم خلفاء محمد الرابع مازال هنالك اخبار عن الجبهة الغربية واسطنبول ولكن ميزة الاخبار الشرقية والعراقية والموصلية المتزايدة تصبح اكثر وضوحاً. ويظهر على المشهد الاستطرادي باشوات بغداد والبابانيون الاكراد وقبائل العراق الشيعية وجليليو الموصل. ان هذا الميل الشديد "للمحلية" يتوقف حين تقف مخطوطة برلين اثناء البحث في ترجمة السلطان محمود الاول، ولكن كان لزاماً عليها ان تستمر اذ تصبح المصادر التاريخية المعاصرة اكثر شفوية واكثر محلية والفصل الاخير من الكتاب يبحث في العراق والموصل المعاصرين.

يعد الاعيان لدارس الشرق الاوسط خيبة امل، لانه لايحدثنا بشيء عن الموصل الجليلية ومعظم معلوماته عن التاريخ الاسلامي شائعة جداً، ومع ذلك فقليل من الفقرات والخوارج على سبيل المثال تشكل مؤشراً ممتعاً لعقلية ذلك الزمن. الاعيان مثال جيد لعمل اقليمي من التاريخ "التفاخري" الذي يروق بعموميته وايجازه للرجل المثقف العادي.

ب- تاريخ الحوليات

الآثار الجلية في الحوادث الارضية[2]

ان مخطوطة المكتبة البريطانية لكتاب الآثار هي لغز من نوع ما. فهي نسخة ابتاعتها المكتبة في عام ١٩٠١ ولكنها لاتحمل تاريخ" الاستنساخ ولااسم الناسخ. اما الخط فأنه ضعيف وغير متمعن والكتاب مغطى بالممحيات وبعض اسماء الشعوب والاماكن المصحفة. اذ تصبح بلغراد بغداد (ص٢٣٨)؛ والروس "عبدة

---

(١) عن المضامين السياسية لتعبير زندقة، انظر بي. لويس: الاسلام في التاريخ (لندن،١٩٧٣ صفحات ٢٢٨-٢٢٩).

(٢) الآثار: مخطوطة المكتبة البريطانية، ا و ا ر ٦٣٠٠ في ٢٤٨ صفحة.

الصليب" يصبحون "عبدة السلطان" (ص٢٤٢)[١]. وفي بعض صفحات المخطوطة هنالك ٢٠ سطراً (مثلاً ص٢٨)، بينما في صفحات اخرى هنالك ٣٠ سطراً (مثلاًص٢٢٤) او حتى اكثر من ذلك. ويقع الكتاب في اثني عشر قسماً منفصلاً، كل يبحث في قرن واحد مبتدأ بسنة الهجرة ومنتهياً في سنة ١١٩٩ هجرية: كتاب شامل حولي يغطي اثني عشر قرناً من الاسلام. والكتاب ينتهي بشكل حاسم في السنة ١٧٨٤م/١١٩٩هـ لأن الفقرة الاخيرة من الصفحة الاخيرة تأتينا ببيان في هذا الشأن.

واول ماينتبه اليه القاريء الطبيعة العجيبة الغريبة للآثار عندما يصل الصفحة ٢٢٣ من المخطوطة ليجد تصريحاً ينتظره بعد اخبار سنة ١٧٢٦م/١١٣٩هـ:

"هنا ينتهي تاريخ ياسين الخطيب. ومن هذه السنة وحتى النهاية فأن كل ماسجل لايمكن اخذه في نظر الاعتبار لان معظمه غير واضح وغير منسق، وخبط عشوائي اعمى[٢]. لايمكن تحقيقه او تصحيحه.ولهذا السبب بالضبط اخذت على نفسي انا محمد امين آل ياسين اعادة كتابة هذا المؤلف في السنة ١٢١٢ هجرية لكي ارضي النبلاء والعلماء الذين قد يقرأونه".

وهكذا يظهر ان هذه المخطوطة للآثار او الاصلية التي اعتمد عليها، حققها معاصر للمؤلف ياسين العمري. ويستطيع المرء ان يحدس فقط السبب في هذه القضية. في بداية هذا القرن كان في مدرسة الخياط في الموصل مخطوطة نادرة للآثار بخط المؤلف نفسه. ان هذه المخطوطة مفقودة الآن، الا ان زبدة الآثار الجلية للدكتور داؤد الجلبي معتمدة عليها. واوراق الدكتور الجلبي الخاصة (هي الآن في مكتبة الاوقاف في الموصل) تخبرنا ان في المخطوطة الاصلية للآثار..بخط يد المؤلف.. اضيف المقطع الصغير لمحمد آل ياسين في الهامش. وهكذا يبدو ان ناسخ مخطوطة المكتبة البريطانية للآثار قد ضمنها في بطن النص.

وتختلف نسخة المكتبة البريطانية عن النسخة الاصلية من ناحيتين. تحتوي النسخة الاصلية على ٢٧٣ صفحة، والورقة الاخيرة التي تغطي احداث السنة ١٧٩٤م/١٢٠٩هـ كانت مفقودة حين تفحصها الدكتور الجلبي، بينما تقف نسخة المكتبة البريطانية "المحققة" قبل ذلك بعشر سنين في ١١٩٩ هـ. وهنالك شيء آخر مفقود من نسخة المكتبة البرطانية: في النسخة الاصلية يهدي المؤلف في مقدمته كتابه الى محمد امين بك بن ابراهيم بك بن يونس بك بن ياسين افندي المفتي (آل ياسين) بينما لايمكن العثور على هذا الاهداء في نسخة المكتبة البريطانية[٣].

---

(١) لأنه الكلمة سلطان تحل محل الكلمة صلبان.

(٢) بالعربية: خبط عشوائي عيّان.

(٣) ان هذا النوع من "التحقيق" مايزال ساري المفعول الى يومنا هذا في الموصل.فعندما نشر صديق بك الجليلي غرائب الاثر لياسين العمري في عام ١٩٤٠ اتصل به عضو بارز من الاسرة العمرية وطلب منه ان يقصي عن النشر مقاطع من المخطوطة ينتقد فيها ياسين العمري الاكراد نقداً لاذعاً: وذلك لان وجيهاً عمرياً في ذلك الزمن تزوج من اسرة كردية. وكنتيجة لهذا الرجاء سحبت جميع النسخ المطبوعة لغرائب الاثر من المكتبات وانتزعت الصفحتان ٨١ و٨٢ قبل ان تعاد النسخ تارة اخرى الى التداول. ولدى مركز الشرق الاوسط (كلية القديس انطون،اكسفورد) نسخة من الغرائب للناشر صديق بك الجليلي، ويبدو ان هذه النسخة احدى القلائل التي نجت من التشويه الذي حل بأخواتها من النسخ.

يشتمل "الآثار" على مقدمة قصيرة واثني عشر قسماً. ويقدم الكتاب بالدعاء والحمد، وفي الفقرة التالية يقدم المؤلف كتابه للقاريء:

"اثناء قراءة كتب التاريخ.. كتب تتساوى في المتعة والمعرفة قررت ان اصنف كتاباً منفصلاً عن الاحداث البارزة والكبيرة ولذلك صنفت هذا الكتاب مستخدماً مصادر مختلفة كأبن الاثير وابن خلكان وابن الوردي والغُرر[١] والهميان[٢] وماسمعته من الحكماء وماشاهدته بعيني. اردت ان يكون هذا الكتاب مثلاً للذين يفهمون[٣] لكي يستطيع القاريء ان يكتسب بعض المعرفة عما حدث في المدن وفي مختلف الاماكن المهمة، ولكيما يكرم الحكيم والذكي من بين اللامعين".

ان المصادر المكتوبة المذكورة في هذه المقدمة لاتغطي جميع المادة المحتواة من الآثار خصوصاً وان جميع نقف فجأة عند الفترة العثمانية. والمصدر الآخر الواضح يجب ان يكون المؤلفات السابقة للمؤلف كالاعيان مثلاً.

ان معظم الاخبار مفرطة في التبسيط كما يتجنب الآثار المسائل المذهبية ويرفض ان يعالج سبب الصراع السياسي، مختاراً بدلاً من ذلك التركيز على تعاقب العسكرية العنيفة التي يخلو منها قانون السببية تماماً. ان هذا التبسيط المفرط والنظرة الشكلية للتاريخ قد تنصب الباحث الحديث ولكنها بالتأكيد تخدم هدفاً بحد ذاتها. ففي المقام الاول تلقي ضوءً على التاريخ بصفته تسلية اكثر منه معرفة وتفهم. في المقام الثاني توضح الفجوة بين القوة السياسية والمعرفة الحقة، بين الملك والعالم ومن خلالهم بين المملكة (تعاقب متنافس ومتعارض للسلالات) والامة..بطريقة حاضرة بكليتها في فكر كل فرد عالم لم يلمسه ولم يلطخه فساد السلطة، واشد من ذلك لانه غير مهتم بأقامة علاقات بين السبب والنتيجة بين الاحداث المشجوبة معنوياً على كل حال. واخيراً فأن هذا القصور في "الفهم" وهذا "الجهل" يسمح نوعاً ما بصورة مطمئنة لتصور "الامة" مادامت تلقي العديد من التجزءات وتعيش العديد من المنافسات الداخلية. ومن هنا فأن الغز التركمان الذين احتلوا بلخ في عام ١١٥٣ م/٥٤٨ هـ قيل انهم ليسوا مسلمين[٤]. وفي السياق نفسه فأنه لا يقال عن السلجوقيين ابداً انهم هم انفسهم غز[٥].

ان القرن الثامن على مستوى نظرية المعرفة ممتع نوعاً ما. فالسنوات الاولى تقدمنا الى سادة المستقبل لمصير الاسلام السني:"في عام ٧٠٢ سار السلطان عثمان خان، ابن ارطغرل، جد السلاطين الاماجد، على رأس الجيوش الاسلامية وحاصر قلعة ازنيق وفتحها وجعلها دار الاسلام"[٦]. في الحقيقة فتحت ازنيق (نيقية)

---

(١) على الارجح غرر اخبار ملوك الفرس، ينسب اما الى حسين المرغني الثعالبي او الى ابي منصور عبد الملك الثعالبي.

(٢) صلاح الدين الصفدي نكت الهميان في نكت العميان، ولو اني لم استطيع ان اعثر على خبر منفرد مذكور في الآثار عن هذا الكتاب.

(٣) بالعربية: عبرة لاولي الابصار.

(٤) بينما يخبر ابن الوردي (التتمة، ٢، ٥٣) القاريء بأنهم كانوا مسلمين.

(٥) بينما يخبرنا ابن الوردي انهم كانوا غُزاً (التتمة، ٢، ٥٣).

(٦) الآثار، ص١٤٣.

في عام ٧٣٢ من قبل اورخان ابن عثمان[١]. ولكن ما يعنينا هنا حقاً خارج الخطأ التاريخي، ان علي ابن الوردي واليافعي ليسا هما المصدران الرئيسان للآثار اللذان يتطرقان الى ذكر العثمانيين الاوائل. وهكذا يواجه القاريء ازاء ظاهرة ثنائية، بالتماثل السياسي "للآثار" مع السلالة العثمانية من جهة، وبالتماثل الثقافي مع مماليك مصر من خلال المصادر السابقة للعثمانيين من جهة اخرى وفي الحقيقة وعلى الرغم من بروز العثمانيين تبقى مصر في قلب المراجع:" في عام ٧٠٩ وصلت مصر اخبارهجمة فرنجية على غرناطة"[٢]. والسلطان المملوكي لمصر مايزال على عرشه كما تشير الى ذلك حقيقة ان المراجع تشير اليه بدون تدقيق اضافي "بالسلطان".

على كل حال ففي حوالي عام ١٣٢٩م/٧٣٠هـ اختفت هذه الازدواجية وتوقف الآثار عن اعتماده على المصادر السابقة للعثمانيين وراح يستقي اخبار مصر، استعادياً، من مصدر عثماني هو القرماني. وروايات الآثار عن العلاقات المملوكية-العثمانية- التيمورية مأخوذة عنه[٣]. وكذلك "الاخبار المصرية" عن الانقلاب والمحن العديدة في السلطنة: مصر التي تراقب الآخرين اصبحت مصر التي يراقبها الآخرون.

ويرى القسم العاشر الزوال النهائي للماليك في مصر الذين كانوا يوماً ما رأس الحربة وحاملي علم الاسلام، اصبحوا الآن مجرد سلاطين مصر، سادة مصر و"شراكسة سيئوا الطالع"[٤]. بينما يصبح السلطان العثماني هو: السلطان.

وهذا القرن هو ايضاً قرن الفرس، فقد بدأ بظهور اسماعيل الصفوي والآثار يعطينا رواية موجزة للقرماني ولكنه يستقي ايضاً من مصادر اخرى كالمحبي.

وبانقسام العالم الاسلامي بين العثمانيين والصفويين برز العراق ساحة للمعركة الرئيسية ولاية حدودية مدمرة من جميع الجوانب. وهذا يفسر لماذا تذهب روايات الحروب والمعارك وراء المواجهة العسكرية المجردة لانها تصبح مفهومة اكثر وسهلة التتبع ويجعل تسجيل الناس والافراد والاماكن نسبياً اكثر وضوحاً. وعلى العكس من ذلك فأن الاخبار من الامبراطورية الغربية، ومن الجبهة ومن العاصمة مشوشة الى اقصى حد وروايات الآثار للصراعات على السلطة في اسطنبول ساذجة بأفراط.

تبقى الامبراطورية الغربية ملفوفة بالضباب. ولايمكن القول بأن الآثار اعتمد على كتاب [تاريخ] نعيما.؟ من اجل القرن الحادي عشر. ان هذا ممكن ولو ان نعيما اكثر تفصيلاً ودقة من اديب الولاية الذي صنف الآثار. ان الآثار يبتهج بنقله للقاريء حوادث صغيرة "اشارات" و"رموز"[٥]. تشخص بحد ذاتها حدثاً او فقرة. وهكذا فأن في عام١٥٩٣م/١٠٠٢هـ عندما حاصر العثمانيون يانوق كسرت قذيفة اطلقها الكفار الراية النبيلة.

---

(١) انظر: اس. جي. شو تاريخ الامبراطورية العثمانية وتركيا الحديثة (كمبرج، ١٩٧٦) الجزء الاول، ص١٥: قرماني، ص٢٩٨.

(٢) الآثار، ص١٤٤.

(٣) ان رواية تيمور هي نفسها في الآثار كما هي في القرماني، وكلاهما يقتبس من كتاب المنتخب. في الآثار ص١٥٥: ذكر صاحب كتاب المنتخب: وفي القرماني صفحات ٢٨٨-٢٨٩: ذكر صاحبه المنتخب. وفي الاعيان، الذي كُتب قبل الآثار، وفي تقديم ياسين بن خير الله لتيمور في فصله عن الخوارج، يقتبس من صاحب المنتخب.

(٤) الآثار، ص١٩٤: الجراكسة الاغاس.

(٥) "القصة الصغيرة"، الاقصوصة.

وبينما لا يذكر نعيما هذه الحادثة ذاتها في روايته عن الحملة[1]، يمكن العثور عليها في المُحبي[2] الـذي نجـد اخباره غالباً في الآثار خلال هذه الحقبة[3].

تظهر الموصل في هذا القرن في هذه الرواية بأخبار الجفافات والغزوات والجراد..الخ وفي السنة الاخيرة من القرن يشهد المرء التدخل الشخصي الاول لمؤلف الآثار: النقطة التي يحل عندها العيان والسماع محل الاسناد:

"في هذه السنة ضربت الموصل مجاعة عرفت بالمجاعة العظمى لقد اخبرني ابي خيرالله الخطيب انه حين كان عمره عشر سنوات شهد المحن التي جاءت بها تلك المجاعة التي استغرقت ثلاث سنوات"[4].

وفي القرن الثاني عشر اكتسب الآثار طعماً محلياً قوياً. فعلى مستوى المصادر راح اصدقاء واقارب المؤلف والمؤرخون الموصليون والمسافرون والتجار الموصليون يوفرون الاخبار السياسية للولاية وينقلون شفهياً او تحريرياً تقارير عن مختلف الحوادث التي تقع في العراق وفارس واسطنبول[5]. وعلى مستوى المصادر ايضاً يصبح العيان ظاهراً حين يحدثنا المؤلف عن وقائع شهدها من الخصام الحضري الى العجيب الذي يتخلل الرواية:

"في ربيع عام ١١٨٠هـ[6] امطرت في الموصل وانهمرت من السماء مقادير من الضفادع الصغيرة. وكنت في ذلك الوقت في السوق وعندما توقفت المطر عدت الى الدار من خارج الاسوار[7] لأجد الارض مغطاة بعدد لايحصى من الضفادع الصغيرة"[8].

وموازياً لهذه "الاقلمة" في المصادر هنالك "اقلمة" من المحتويات وتصبح مادة الموضوع وانهماكات الآثار عراقية وموصلية بازدياد. وتبرز بغداد شامخة بحسن باشا وولده احمد باشا من بعده يعبد الطريق للسلالة المملوكية. ان سلطة وصعود باشوات بغداد يتضح بأن بجلاء من الرواية اذ ان كل نصر ضد الفرس او العشائر في البصرة يجلب مديحاً وتاريخاً من شعراء الموصل. وقريباً من الموصل يرى المرء ظهور الاكراد من امارة بهدينان واليزيدية السلاليين من جبل سنجار. ومن الممتع حقاً ان تبدو شدة روايات الاضطرابات

---

(١) انظر الحوليات، ١، ٣٢-٣٣.

(٢) ٤، ٣٥٣.

(٣) قارن على سبيل المثال الآثار ص٢٠٤ والمحبي، ٤، ٣٥٢: الآثار٢٠٥ والمحبي، ٤، ٣٥٣ الآثار، ص٢٠٨ والمحبي، ١، ٢٨٩؛ الآثار، ص٢٠٩ والمحبي، ٤، ٢٦٤ عن خلع مصطفى الاول؛ الآثار، ص٢١٢ والمحبي، ٤، ٣٣٨ عن غزو العثمانيين لبغداد عام ١٦٣٨م/١٠٤٨هـ.

(٤) الآثار، ص٢١٧.

(٥) وهكذا في رواية حملات نادرشاه في البلدان البعيدة: "سمعت من شخص اثق فيه.." الآثار،ص:٢٢٧.

(٦) كان عمر المؤلف آنذاك ٢٢ سنة.

(٧) ان هذا يشير الى ان السوق المعني على الارجح سوق باب البيض او سوق باب الطوب.

(٨) الآثار، ص٢٣٧. وبعد ست سنوات يسرد لنا الآثار القصة التالية: " ماتت زوجة لرجل فقير في الطاعون تاركة طفلاً رضيعاً. فاعطاه ابوه صدره فتدفق الحليب بغزارة، واطعم الطفل الذي نشأ وتربى بحليب ابيه، سبحان الخلاق العلي القدير. ان هذه القصة معروفة جداً لدى اهل الموصل" الآثار ص٢٤١.ان سكان الموصل ما يزالون يروون لهذا اليوم قصة صاحب الشايخانة الذي مات قبل ١٥ سنة. ويبدو ان ام هذا الرجل ماتت وهي تلده. فحمله ابوه الى مرقد النبي جرجيس وبالتالي استطاع ان يرضع الطفل الذي نشأ وترعرع وعاش.

والنزاعات والغارات تتركز بمحاذاة خط يمتد من البصرة على الخليج العربي، الى بغداد والى الموصل والى حلب والخ على البحر الابيض المتوسط محددة بذلك الصورة الجانبية التجارية للفرد او لمجموعة من الافراد التي تتجلى مصالحها واهتماماتها في رواية الآثار.

الدر المكنون في المآثر الماضية من القرون

أ- مخطوطة باريس[1]

يخبرنا المؤلف في المقدمة (الصفحات ١-٣) انه كتب في الاساس كتاباً اتبع فيه اسلوب اليافعي (مرآة الجنان) وابن الوردي (التتمة) مبتدئاً بالهجرة حتى السنة ١٢٠٠هـ.

"ولكنني فقدت هذا الكتاب وقد احزنني فقدانه كثيراً لانني لم اجعل منه نسخة محفوظة لنفسي. وهكذا دام الحال لعدة سنين حتى مكنني الله في النهاية من تصنيف هذا الكتاب الذي يعتمد على اليافعي وابن الوردي وابن الاثير وابن خلكان وتاريخ الدول[٢] والحرم[٣] والحرم[٤]والهميان في نكت العميان[٥] والاستيعاب[٦] والتبيين في انساب القرشيين[٧] وتاريخ المحبي[٨] والنفحة[٩] والطبقات[١٠] والروض النضر[١١] ومنهل الاولياء ومواقع الاحداق[١٢] وتاريخ نعيمة، وكذلك كتب تاريخ اخرى".

والكتاب مهدى لعلي باشا الذي اصبح والياً على بغداد بعد موت سليمان باشا الكبير في رجب١٢١٧هـ/تموز١٨٠٢م.

ان كتاب الدر اكثر كمالاً واكثر تفصيلاً ونسخة معدلة للآثار (كتاب حولي آخر لياسين العمري) كتبت بعناية ودقة اكبر. وقد اخذت القرون الثمانية الاولى من ابن الوردي واليافعي. وفي القرن التاسع الهجري تزدحم الرواية بالتراجم، ويتوافق هذا مع الازدياد الملحوظ في تواتر الاخبار من مصر: القاهرة ويبرز مؤرخو المماليك. وفي القرن العاشر هنالك تحول اكيد عن المماليك نحو العثمانيين وتحتل التراجم موقعاً مهيمناً لحد بعيد من القرن الحادي عشر بحيث تحتكر الرواية عملياً. وشهد القرن الحادي عشر ايضاً عدداً من الاخبار المنسوبة الى السلاطين المسلمين في بلاد الهند. وفي بداية القرن الثاني عشر(حوالي ١١١٠هـ) تتوقف

---

(١) الدر(١):مخطوطة المكتبة الوطنية، الرقم عرب٤٩٤٩ في ٦٧٠ صفحة. والنسخة بقلم محمد بن اسعد النينوي مؤرخة الاثنين١٨ ربيع الثاني١٢٩٧(كذا) ومعتمدة على مخطوطة (على الارجح بقلم ياسين العمري نفسه) اكملت في ٢٥محرم١٢١٨هـ/١٨ آيار١٨٠٣م.

(٢) للقرماني.

(٣) الامراء، على الارجح.

(٤)على الارجح: الاعلام باعلام بيت الله الحرام، للنهرولي.

(٥) نكت الهميان لصلاح الدين الصفدي.

(٦) الاستيعاب في معرفة الصحاب للقرطبي.

(٧) لموفق الدين بن قدامة المقدسي.

(٨) خلاصة الاثر.

(٩) نفحة الرياضة ورشحة طلاح الحانة للمحبي.

(١٠) على الارجح: طبقات الحنفية للنهرولي.

(١١) الروض النضر لعثمان الدفتري العمري.

(١٢) كلاهما لامين العمري.

التراجم فجأة وتركز الرواية حصراً وقصراً على الموصل والعراق، حيث حل باشوات بغداد محل السلاطين العثمانيين. ان الدر للباحث في المجتمع الجليلي مصدر لايثمن لانه يزودنا بمعلومات وافرة تخص المدينة وحكامها وعلمائها. ان التاريخ التفصيلي للاحداث العراقية يتوقف في السنة ١٨٠٣م/١٢١٨هـ.

ب- مخطوطة لندن[١]

ان هذه المخطوطة من كتاب الدر مبهمة حقاً. ففي المقدمة (الورقة٢/٥) يخبرنا المؤلف انه قد صنف يوماً ما كتاباً نادراً في نوعه، كتاب موجز يبدأ في الهجرة وينتهي في السنة١٢٠٦هـ. ولكن الظروف اضطرتني لبيع هذا الكتاب لانني كنت بحاجة الى المال[٢]. وفي الوقت نفسه قررت ان اتخلى عن التراجم التاريخية. ولكن في اواخر العام ١٢١٣هـ شجعني صديق لي ان اصنف كتاباً آخر، ولذا صنفت هذا الكتاب معطياً اياه الاسم الذي كنت قد اعطيته للآخر وهو الدر المكنون في المآثر الماضية من القرون".

وهكذا تختلف مقدمة الدر(٢) عن مقدمة الدر(١) والمسودة الوحيدة المفردة قبل انها بيعت ولم تفقد، بينما تمتد الفترة التي تغطي السنة ١٢٠٦هـ بدلاً من ١٢٠٠هـ. اما مرارة وخيبة امل ياسين، وقراره بالتخلي عن كتابة التاريخ فقد تكون كلها ذات علاقة بالاستقبال الذي قوبل به كتاب الآثار حوالي ١٢١٢هـ من قبل الوجيه الذي اهدي اليه[٣]. وتختلف مخطوطة لندن عن مخطوطة باريس في انها لاتتوقف عند العام ١٨٠٣م/١٢١٨هـ بل انها تستمر لتغطي الفترة حتى عام ١٨١١م/١٢٢٦هـ. ان السنين الخمسة عشرة الاخيرة المغطاة بالدر(٢) قصيرة جداً وليست باتساق مع الرواية الاكثر سلاسة وتفصيلاً للسنوات الاوائل. ان الفترة ١٢١٠هـ الى١٢١٨هـ تختلف اختلافاً بيناً في الكتابين عند مقارنتها بنهاية الدر(١). ويبدو ان ناسخ الدر(٢) قد استخدم نصاً ناقصاً، وبعد ذلك استقى من مصنفات اخرى لياسين العمري ليصل بالرواية الى العام ١٨١١م/١٢٢٦هـ. ومع ان احداث السنوات ١٧٩٣م/١٢١٠هـ-١٨١١م/١٢٢٦هـ تختلف عن تلك المعطاة في الدر(١) الا انها مع ذلك قد اخذت من مصنفات اخرى لياسين العمري. وعلى الرغم من الاختلاف الجذري بين مقدمتي المصنفين وعلى الرغم من نهايتيهما المتباعدتين، يبدو ان الدر(١) والدر(٢) هما رغم ذلك كله نسختان لمصنف واحد لياسين العمري. والفحص الشامل للمخطوطتين كلتيهما يكشف اختلافات صغيرة في متن الكتاب (صيغة قصيرة ومعدلة للرواية هنا، وسطر محتمل محذوف هناك) ولكن الهيكل الحقيقي للكتاب هو نفسه بالضبط، وكذلك التعبير عن الاخبار وتنظيم الاحداث تحت كل سنة[٤].

بين الدر(١) والدر(٢) هنالك مع كل ذلك فرق رئيسي ممتع. ولكن هذا الفرق لايلقي بالشك على هوية الكتاب او على نسبته لياسين العمري.بالاحرى انه يلقي الضوء على "صناعة او حرفة الاستنساخ" وعلى حرية الناسخ. ومن المؤكد ان الدر(٢) مخطوطة لندن لم تعتمد على الدر(١) مخطوطة باريس وهي نسخة متأخرة جداً، ولكن النسختين كلتيهما اعتمدتا على نصين اصليين مختلفين ومفقودين على اكثر الترجيح. والذي يثير

---

(١) الدر(٢): مخطوطة المكتبة البريطانية، رقم أ دد.٢٣٣١٢، في٣٩٩ ورقة. لقد اشترت المكتبة المخطوطة من السيدة نيلر في نيسان ١٨٦٠ م.

(٢) بالعربية: احرجني الحال الى بيعه وصرف ثمنه.

(٣) انظر ما سبق ص: ٢٢٥.

(٤) الفرق الوحيد الذي يحظى ببعض الاهمية هو رواية الغزو الفرنسي لمصر الذي نستطيع ان نجده في الدر(٢) ولكن ليس في الدر(١) ولا في أي مصنف آخر لياسين العمري. انظر فيما بعد ص٢٩٤.

الاهتمام الخاص في مخطوطة لندن انها تبدو قد "حققت" بالكامل من قبل الناسخ، والتعبير عن الاحداث المنسوبة للشيعة غيرت في النص كله كما توضح الاخبار عن ذلك بجلاء. وعندما يبحث الدر(١) بالنزاعات السنية الشيعية في بغداد العباسيين..متبعاً مصادره الرئيسية (اليافعي وابن الوردي) وحسب مصنفات اخرى لياسين العمري (الاعيان، الآثار) يشير الى الرفض، بينما يشير الدر(٢) اليهم ببساطة كشيعة[١]. والوزير العلقمي "الذي اغرى التتار الاشرار باحتلال بغداد" في الدر(١) ولكن ليس في الدر(٢). والارتباط بالسلالة العثمانية، شديد الوضوح ومخلص في الدر(١) حيث يدعوهم "سلاطيننا"، وصامت في الدر(٢). ووفاءً لمصادره الرئيسية، يشير الدر(١) الى الفاطميين كعبيديين، ناكراً لهم دوحتهم النبيلة، بينما يشير اليهم الدر(٢) بالخلفاء العلويين[٢]. يحدثنا الدر(١) ان الشاه اسماعيل الصفوي بعد دحره وقتله لملك الازبك شرب الخمر من جمجمة الملك بينما يذكر الدر(٢) الماء وليس الخمر[٣]. وحين يكتب عن الحملات العراقية لنادرشاه يشير الدر(١) الى الفرس ويضعهم بالضد "لنا"، نحن المسلمين الموحدين ويشار الى نادرشاه (الخارجي اللعين)، بينما لاتظهر اية صفات مهينة او احكام تثمينية في الدر(٢)[٤]. وبالاخير فأن الدر(٢) يتجاهل نزاع عاشوراء الذي وقع في الموصل حوالي عام ١٦٥٠م بين العمريين والاشراف، تماماً[٥].

ان مخطوطة لندن هي بالتأكيد نسخة الدر لياسين العمري. ولكن يظهر ان هذه النسخة او النص الحالي الذي اعتمدت عليه، هي عمل رجل شيعي..لعله احد اشراف الموصل رأى من الحكمة ان يغير تعابير الاخبار المنسوبة للشيعة. ولسوء الحظ لاتحمل مخطوطة لندن تاريخ الاستنساخ ولكن لعل هذا "التحقيق" مرتبط الى حد ما بنمو الحركة الاصولية.

ج- مخطوطة برلين[٦]

ان هذه المخطوطة في حالة رديئة وقد بهتت عدة صفحات منها. وفي كل مكان منها تجد الهوامش مزدحمة باضافات الدقيقة الاخيرة، والرواية التي تغطي السنوات العشر الاخيرة (١٨٠٠-١٨١١م) مستغلقة لايمكن قراءتها. وبداية ونهاية المخطوطة مفقودتان تبدأ في(٧٢٩م/١١١هـ)وتنتهي في (١٨١١م/١٢٢٦هـ). والفحص الدقيق لهذه المخطوطة غير الكاملة يبين انها بالتأكيد نسخة من الدر لياسين العمري. وبالتأكيد ان هذه المخطوطة برلين هي مسودة تحضيرية. اسلوب التعبير عن الاخبار المتعلقة بالشيعة هي بأتساق مخطوطة باريس وتصانيف ياسين العمري الاخرى، وتختلف عن اسلوب التعبير المحايد المستخدم في مخطوطة لندن. وهكذا تخبرنا مخطوطة برلين ان عبد المؤمن ملك الاوزبك غزا في عام(١٥٨٨م/٩٩٧هـ) مدينة مشهد في

---

(١) قارن على سبيل المثال الدر(١)، ص١٣٩ ة والدر(٢)، الورقة ٨٣/ر.

(٢) قارن الدر(٢)، الورقة٢١٢/ر والدر(١)، ص٣٩٢: اول من اظهر الرفض.

(٣) قارن الدر(١)، ص٤٠٧ والدر(٢)، الورقة ٢١٩/ر/٥.

(٤) انظر الملحق٤ وما يقوله امين العمري عن الفرس.

(٥) قارن الدر(١)، ص٥١٨ والدر(٢)، الورقة٢٨١ر.

(٦) الدر(٣): مخطوطة المكتبة الوطنية، رقم ٩٤٨٥،بلا عنوان،يشار اليها كتاريخ وتنسب الى ياسين العمري. غير كاملة في ٤٣٤ ورقة.

فارس[1] والواقعة نفسها كما تظهر في مخطوطة لندن تكشف عن وجهة نظر مختلفة تماماً:"..قتل جميع...الذين كانوا في المشهد المقدسي"[2].

ليس هناك شك في ان هذه المخطوطات الثلاثة هي نسخ من الدر لياسين العمري. ويظهر ان مخطوطة باريس قد اعتمدت على نص اصيل يختلف في مقدمته وخاتمته عن النصوص التي اعتمدت عليها مخطوطتا لندن وبرلين.

عمدة البيان في تصاريف الزمان[3]

في المقدمة يخبر المؤلف القارئ انه استخلص العمدة من الدر. وقد انتظم الكتاب حولياً والاحداث المنسوبة الى كل سنة تنفصل عن الاخرى بخط. وفي كل "مربع" ترسمه هذه الخطوط يعرض المؤلف واقعة او واقعتين رئيسيتين في رأيه ميزت تلك السنة[4]. ان اسلوب العمدة مشابه لاسلوب الآثار.

والميزة الممتعة للعمدة ان الارتباط العفوي بالسلالة العثمانية يأتي مبكراً في الزمن، وقد اسقط المماليك تماماً. وهذا يختلف عن تصانيف ياسين الاخرى كالاعيان مثلاً، حيث يبقى تكافؤ الضدين ونوعاً من الارتباط المزدوج في القرن الثامن واوائل القرن التاسع. والسبب في ذلك يظهر في ان العمدة المعتمد عل الدر، مصنف قد ترشح مرتين حيث ان الاتصال بالمصادر السابقة للعثمانيين (كأبن الوردي، واليافعي والمقريزي مثلاً) لم يحدث.

ان القرن الحادي عشر الهجري وظهور الموصل على المشهد الاستطرادي تتبين من خلال ادخال مختلف التصحيحات بالحبر الاحمر على المخطوطة. وهكذا حيث يخبرنا متن النص الى ان مفتي الموصل محمد افندي بن عبد الوهاب توفي سنة ١٠٨٢هـ، مضيفاً في الحاشية، "انه جد جدي يونس بك بن ياسين المفتي الذي صار قاضي عسكر، وانا المتواضع محمد امين". وهكذا يبدو ان العمدة قد حققه الوجيه نفسه الذي حرر كتاب الآثار لياسين. وتارة اخرى في السنة ١١٤٠هـ، صححت اليد نفسها "اشرف خان، شاه العجم" الى "اشرف خان، شاه الافغان". واكثر من ذلك فأن الرواية الكاملة للحروب الفارسية-العثمانية مملؤة بالتصحيحات. وينتهي الكتاب فجأة في السنة ١٢٠٥ هـ. وليس هناك خاتمة ويظهر ان المخطوطة غير كاملة.

ام الدنيا[5]

ان بداية ونهاية المخطوطة مفقودتان. وتبدأ بالسنة ١٧٦٨ م/١١٨٢ هـ وتنتهي في منتصف السنة ١٧٩٨ م/١٢١٣ هـ. وهذا المصنف الحولي يشبه كتب ياسين الاخرى. وهنالك خبر هو الاول في هذه المخطوطة المبتورة ذو متعة يخبرنا المؤلف ان الفريق الملعون للمسقوف الكفرة (الروس) الذي اعلن الحرب على السلطان في عام ١٧٦٨ م/١١٨٢ هـ "هم احفاد جبلة بن الايهم الغساني"[6].

---

(١) المصدر نفسه، الورقة ٢٥٧ ر.

(٢) الدر(٢)،الورقة٢٣٢ر٥.

(٣) العمدة: مخطوطة مكتبة المتحف العراقي، رقم ٩٠٨٤، في١٢٤ ورقة. صفحة العنوان تقرأ خطأ بأنه الدر.

(٤) مثلاً: " في السنة اربعين للهجرة قتل علي واكتشف فلاسفة الاسكندرية البارود والقنبلة".

(٥) ام: جزء من مخطوطة بلا عنوان تعود للمكتبة الوطنية (برلين) رقم ٩٤٨٦ في ٦٣ ورقة، تنسب الى ياسين العمري. والورقة الاخيرة تخبرنا ان "هذه نسخة معدلة موجزة لكتاب تاريخ اسمه ام الدنيا، وقيل ايضاً انه ام البراهين.

(٦) جبلة بن الايهم، الامير الغساني الاخير الذي اسلم لمدة وجيزة.

ج- كتب التراجم

الروضة الفيحاء في تواريخ النساء[1]

يخبرنا المؤلف في المقدمة انه كتب النساء لانه "لم يستطيع ان يجد كتاب تاريخ يُعنى بالنساء[2] بصورة خاصة.. ولذلك صنفت هذا الكتاب وقسمته الى مقدمة وفصلين وخاتمة".

تبحث المقدمة (في فوائد جليلة ومحاسن جميلة) في الصفات المادية والمعنوية التي ينبغي التماسها في المرأة، وتحتوي على احاديث وامثال عن النساء، وتعرف دور المرأة في مسيرة البشرية. ان وجهة النظر النسائية هذه قد اوحاها كتاب مصابيح السنة ومعالم التنزيل للبغوي، والاشباه والنظائر في الفروع (في الفقه) لابن نجيم، والايضاح في (الفقه ايضاً) للسيوطي، ونصاب الاحتساب، كتاب في الحسبة لعمر السنامي. ويقتبس ياسين العمري ايضاً من قاضي خان الاوزاجندي، وهو فقيه حنفي مات في عام ١١٩٦م/٥٩٢ هـ[3].

يبدأ الفصل الاول "عن النساء الصالحات" بحواء وترجمة حياة آمنة (ام النبي صلى الله عليه وسلم) التي تسمح لياسين العمري ان ينحرف بالتحدث عن محمد (صلى الله عليه وسلم) نفسه. وتعتمد الرواية الى حد كبير على منهل الاولياء لامين العمري، اخي ياسين وكذلك على السيرة الحلبية لبرهان الدين الحلبي.

ان الرواية الممتعة جداً هي رواية مريم بنت عمران حيث يستطرد ياسين ليحدثنا عن المسيح (عيسى) والمسيحيين (النصارى). ان عيسى بطبيعة الحال نبي ويجب ان تبحث مسألة بعثه بصورة مرضية. وهكذا يحدثنا انه حين خان عيسى احد حواريه وقاد اليهود اليه، رفع الله عيسى الى السماء والقى على الخائن صورة جعلته يبدو كعيسى بالضبط. وهكذا ورغم توسلاته واحتجاجاته اقتاد اليهود الرجل وصلبوه، وكان هو الذي مات على الصليب وليس عيسى النبي. وبهذه الطريقة يتملص ياسين من قضية البعث. ورجع عيسى بعد ذلك الى الارض وبعد ان جمع حواريه ارسلهم لينشروا الكلمة الصالحة. ان المشكلة الحقيقية، بقدر تعلق الامر بياسين، تبدأ مع اقتباس من متى: "وانا الآن ابعثكم الى شعوب الارض كما بعثني ابي اليكم، لكيما تذهبوا وتعظوا شعوب الارض بأسم الاب والابن وروح القدس". ويقول لنا ياسين ان هذا ما يقوله النصارى ولكن الله احد لم يلد ولم يولد. ثم يمضي ياسين فيقول: حين قال عيسى اثناء العشاء الرباني الاخير لحواريه ان واحداً منهم سوف يشي به كان في تفكيره على اكثر احتمال هذا الـ (متي) (ماثيو) الذي اشاع هذه الكلمات الآثمة عن ابن الله. هكذا بحُثت الطبيعة القدسية للمسيح بطريقة مرضية وهكذا فُصل عيسى من المسيحيين الذين اساؤا فهم رسالته وزوروها: الاسلام يضم المسيح برفضه المسيحيين. ويعقب ذلك نقد عنيف ضد النصارى الذين يدعون ان المسيح هو الله ويعبدون الاصنام وينغمسون في كل انواع الخرافات. وهنا يذكر ياسين العقيدة المسيحية وصلاة الرب والمجالس والمراتب الدينية. ويقتبس المؤلف من ابن الاثير وابن الوردي ومن كتاب

---

(١)النساء(١): مخطوطة مكتبة المتحف العراقي. رقم ١٨٠٢ ر من ٤٨٠ صفحة. ان هذه النسخة لابراهيم الدوربي، مؤرخة في١٩١٠م/١٣٣٠هـ، اعتمدت على مخطوطة لياسين العمري مؤرخة في ١٧٨٩م/١٢٠٤ هـ.

(٢) في بداية هذا القرن لم يكن هنالك كتب تراجم للنساء في مكتبات الموصل.

(٣) لعله كتاب مسائل الغرور.

تخجيل من حرّف الانجيل لابي البقاء الجعفري[1]. وهنالك نقطة ممتعة في هذه الرواية وهي نظرة ياسين للدين الجديد الذي ظهر في زمانه:

"ومن بين المخازي العديدة للمسيحيين يستطيع المرء ان يذكر الدين الجديد الذي ظهر بين نصارى الموصل. لقد جاء به الآباء في عام ١١٩٣ هـ من بلاد الافرنج[2]. وهذا الدين الجديد الذي يسمونه المسيحية ان هو الا نسخة ممسوخة ومبتذلة من الدين الآخر. وعلى الفور راح معظم نصارى الموصل يتحولون الى العقيدة الجديدة يلعنون موتاهم، واجدادهم وامهاتهم وآباءهم منتقدينهم بقسوة ككفار، عسى الله ان يلعنهم ويخزيهم جميعاً. وقد نظمت شعراً فضحت فيه عقائدهم الشائنة واعدت نشرها في كتابي المعنون الدر المنتثر في تراجم ادباء القرن الثالث عشر"[3].

ومن القرن الثاني للهجرة ومابعده تؤخذ تراجم النساء الصالحات من مرآة الجنان لليافعي ومن كتابه در النظم[4]، والكامل لابن الاثير، وابن الوردي وابن الواصل ويتيمة الدهر للثعالبي، والاختيار[5]، ويقتبس ياسين من تاريخ اليمن الغامض فيما يتعلق بظاهرة العجيب الغريب للقرن التاسع الهجري. والترجمة الاخيرة في هذا الفصل الاول هي لخانم سلطان، ابنة السلطان سليمان التي اعادت بناء آبار مكة في القرن العاشر الهجري.

ويبحث الفصل الثاني في مجموعة متنوعة من النساء الثائرات والطاغيات والغادرات والشهوانيات مبتدئاً بالعباسة بنت المهدي " التي كانت السبب وراء خزي ونكبة البرامكة " الى جُبرا ملكة فارس. والمصادر هنا هي ابن الوردي ومنهل الصفاء لامين العمري والاذكياء لابن الجوزي. وحين يقدم ياسين للقاريء ام جنكيز خان يخلط بينها وبين جدته، ثم يستطرد الى الفترة الشرعية للحمل (لان ام جنكيز خان ولدته بعد فترة طويلة من وفاة زوجها) وعن مملكة الصين التي غزاها جنكيز خان وكما في ابن الوردي. وعن الياسا (أي القانون) او الدستور المغولي الكبير حيث يعطينا ياسين الرواية نفسها كما في الآثار والاعيان. والترجمة الاخيرة لسلطان بخت ابنة الشرير تيمور السحاقية الشهوانية.

ويختتم المؤلف كتابه (في ذكر اذكياء النساء) مع بعض القصص المسلية عن النساء الممتعات الظريفات، كالمرأة من بني كلاب التي التقى بها الخليفة العباسي المأمون حينما كان يتصيد واغوته بظرافتها وبلاغتها.

---

(١) كان لمدرسة الخياط من بداية هذا القرن نسخة معدلة وجيزة لابي الفضل السعودي والنسخة مؤرخة في عام ١٦٨٧م/١٠٩٩ هـ. ان امين اخا ياسين كان قد كتب رسالة في الرد على النصارى.

(٢) ان التاريخ الذي يورده ياسين (١٧٧٩م) متأخر نوعاً ما ولابد انه يشير الى نوع من الاعتراف الرسمي من قبل السلطات (فرمان؟) بالدين الجديد. ويستخدم ياسين [مصطلح] بواتر للاباء، وهو تعبير يستخدم هذه الايام في الموصل من قبل النصارى والمسلمين على السواء، لتحديد القسس الكاثوليك.

(٣) ان هذا الكتاب لسوء الحظ قد فقد منا، ولكن يمكن العثور على القصيدة في الدر(١)، الصفحات ٦٣٠-٦٣٢. ومن اجل الانتقاد ضد النصارى ورواية العذراء والمسيح، انظر النساء(١) الصفحات ٦٦-٧٦.

(٤) العنوان المضبوط هو الدر المنظم في خواص القرآن الكريم.

(٥) الاختيار في فروع الحنفية لعبدالله الموصلي(توفي عام ١٢٨٤م/٦٨٣هـ).

منهج الثقاة في تراجم القضاة[1]

يخبرنا ياسين العمري في المقدمة عن كتبه السابقة التي صنفها ويذكر المصادر التي استخدمها لتصنيف الكتاب الحاضر، "وهي اليافعي، وابن الوردي، وابن خلكان، وابن الاثير والدر وتاريخ اليمني[2]، والهميان[3] وكتب اخرى ايضاً". ثم يعود ليخبرنا ان كتاب القضاة ولو انه معجم تراجمي لقضاة الاسلام الا انه حدده الى اولئك القضاة الذين نظموا الشعر. والكتاب منتظم حسب الحروف الهجائية ويشتمل على مقدمة، ومتن النص وخاتمة ومهدي الى السيد عبيد الله بن السيد خليل البصيري، قاضي الموصل.

ويذكر المقدمة (الاوراق ٧ر-٨ف)[4] الاحاديث والامثال في فضائل وضرورته، ويقتبس ايضاً من النصوص لابن العربي. ومن البستان[5]، وعيون المذاهب لقوام الدين الخجندي الكاكي (توفي عام١٣٤٨م/٧٤٩هـ)، ومصابيح السنة للبغوي، ونصاب الاحتساب لعمر السنامي (توفي عام ١٥٨٥م/٩٩٣هـ) وكذلك كتاب السجلات[6].

ويذكر بالاجمال ٩٧٨ قاضياً في كتاب القضاة لم تكن اغلبيتهم الساحقة من الموصل كما لم يكونوا معاصرين للمؤلف. والتراجم عادة وجيزة فهي مستخلصة عن المصادر الرئيسية. وكل ترجمة هي في الحقيقة ذريعة للاستطرادات الشعرية والكتاب بجملته ليس الا مقتطفات ادبية مختارة حيث الابيات الاصلية لشعراء لامعين من الماضي والحاضر يعقبها عادة صيغ مختلفة من التخميس والتشطير لأدباء موصليين.

وفي الخاتمة (الاوراق١٣٨ر -١٤٢ر)[7] يسعى ياسين وهو الاديب الاريب لتسلية القاريء بأخباره قصص مختلفة عن الاحكام الصادرة وعن الحكام غريبي الاطوار، مثل قصة القاضي الذي جيء بحضرته برجل مقيد وثور ورجل ميت: ثور الرجل المقيد قد قتل الرجل الآخر. وماذا فعل القاضي؟صلب الثور. واكمل ياسين كتاب القضاة يوم الجمعة ٢٤ جمادي الآخرة١٢١١هـ/٢٦ كانون الاول ١٧٩٦م.

---

(١) القضاة: مخطوطة مكتبة الاوقاف،رقم خياط٥/١٤، في١٤٣ ورقة. والنسخة مؤرخة ن١٨٠٦م/١٢٢١هـ، وبقلم المؤلف.

(٢) لعله اشارة الى كتاب عمارة.

(٣) نكت الهميان في نكات العميان لصلاح الدين الصفدي.

(٤) تحت العنوان: من فضائل العلم والقضاء.

(٥) بستان العرافين، اما للنووي او لابي الليث السمرقندي.

(٦) ربما يشير الى وثائق المحاكم.

(٧) تحت عنوان: في نوادر القضاة.

السيف المهند في مناقب من سمي احمد[١]

وكما يشير عنوان الكتاب فأن هذا كتاب تراجم، يبحث في اناس يستحقون الذكر ويدعون بالاسم احمد. ويخبرنا المؤلف في المقدمة ان هذه التراجم كلها قد استخلصت من كتابه الدر وقد اهدى الكتاب الى احمد بك بن سليمان باشا الجليلي[٢].

وبعد ان يخبرنا ياسين العمري في المقدمة (صفحات ٣-٤) عن الفضائل الملحقة بالاسم احمد، يبدأ سرده التراجمي بالنبي (صلى الله عليه وسلم). ولا يحتوي متن النص على مادة اصيلة وجميع التراجم يمكن الرجوع اليها من الكتب الاخرى للمؤلف كالاعيان والدر مثلاً. والموصلي الاول الذي يرد ذكره هو احمد بن محمد بن علي بن قاسم العمري الوجيه الذي قتله والي تركي. وينهي المؤلف كتابه بخاتمة بالاسماء المشتقة من حَمَدَ (حامد، حميد، الخ) ويشتمل السيف بمجمله على ٣٩٧ ترجمة[٣].

قرّة العينين في تراجم الحسن والحسين[٤]

بعد الدعاء والصلوات تورد المقدمة (صفحات٢-٣) تركيب الكتاب: فصلان، فصل عن الاسم حسن والفصل الاخر عن الاسم حسين "الذي لم اذكر فيه أي امريء جاهل"[٥] وخاتمة عن الاسم علي. والكتاب مهدى الى حسن بك (باشا فيما بعد) بن حسين باشا الجليلي.

يبدأ الفصل الاول (الصفحات ٤-٤٨) بالامام الحسن ويشتمل على ٧١ ترجمة مختلفة: ويبدأ الفصل الثاني(الصفحات٤٩-٨٠) بأخيه الامام الحسين ويشتمل على ٤٩ ترجمة. وقد ذكر شخصيات وعلماء عثمانيون، واخذت تراجم عديدة من المُحبي[٦].

تبدأ الخاتمة بعلي وفي هذا القسم خلافا للفصلين الاولين، يقدم المؤلف عدة جُهال كعلي بن الواحد الزنديق الذي ادعى انه ذو القرنين[٧] وعلي الزيتوني الخارجي من اليمن. وكما في ذينك الفصلين فهناك تراجم عديدة لمعاصرين مأخوذة من المحبي[٨]. واجمالاً فأن ١٢٥ رجلاً قد ذكروا في هذه الخاتمة التي تنتهي بعلي الشقاق

---

(١) السيف: صورة طبق الاصل لمخطوطة تعود الى الاسرة العمرية، مدرسة يحيى باشا في الموصل رقم ٩٧٠/ع م س، في ١٤٧ صفحة.

(٢) اصبح احمد بك باشا في عام ١٨١٢ م، فلا بد ان السيف قد كتب قبل ذلك التاريخ وفي النص في ترجمة موصلي معاصر يورد المؤلف سنة ١٨٠٤ م كسنة الوفاة.فأذن يكون السيف قد كتب بين السنوات ١٨٠٤م و١٨١٢ م. ولان المؤلف في تقديمه احمد آل بكر،لايشير اليه كباشا ولايذكر حكمه سيء الطالع، فيظهر ان السيف قد كتب بعد عام ١٨٠٤ م وقبل عام ١٨٠٩ م.

(٣) الغريب ان ترجمة الامير الجليلي الذي اهدي اليه الكتاب مفقودة بجلاء. ولم استطع العثور عليها في نسخة مخطوطة مكتبة المتحف العراقي للسيف التي تفحصتها ايضاً، ويمكن البحث عن التفسير على الارجح بعلاقة سياسة الوجهاء.

(٤) حسن: مخطوطة تعود الى مكتبة جليلية خاصة في ١٧٢ صفحة.

(٥) بالعربية: من تجاهل.

(٦) قارن على سبيل المثال حسن باشا بن الاعوج في الحسن، صفحات ٢٨-٢٩.

(٧) في الاعيان يحدثنا ياسين ان علياً هذا ادعى انه المهدي.

(٨) قارن ترجمة علي جنبلاط في الحسن، صفحات ١٣٢-١٣٤ والمحبي٣، ١٣٥-١٤٠.

الولي الصوفي الذي مات في عام ١٧٧٢م/١١٨٦هـ. وقد اكملت هذه النسخة في ٦ رجب عام ١٢٢٤هـ/٢٠ آب عام ١٨٠٩م.

خلاصة التواريخ[١]

الخلاصة معجم تراجمي يتضمن ٣٩٥ اسماً ومقسمة الى ٨ فصول. ان اسم الشخص المهداة لـه مفقـود ولكنه على الارجح عبدالله لان الفصل الاول يبحث فيمن اسمه عبدالله وعبيدالله (الاوراق٢ر-٣٦ف). ويبحـث الفصل الثاني (الاوراق٣٧ر-٥٠ ر) فيمن اسمه عبدالرحمن: والفصل الثالـث (الاوراق٥٠ف-٥٢ ف) فـيمن اسمه عبد الرحيم: والفصل الرابع (الاوراق٥٢ف-٥٦ف) يقدم اولئك الذين اضيفت اسماؤهم الى ملك وقـدوس وسلام ومؤمن: " والفصل الخامس (الاوراق٥٦ ف-٦٤ ف) "اولئك الذين اضيفت اسماؤهم الى عزيز، وهاب، رزاق، فتاح، لطيف وحليم": والفصل السادس (الاوراق٦٤ف-٧٢ ف) يحدثنا عن " اولئـك الـذين اضـيفت اسماؤهم الى كريم، مجيد، وحيد، حق، حميد، حي، قادر او قدير، غني، حـافظ وبـاقي": والفصـل السـابع (الاوراق٧٢ف-٧٩ر) عن اولئك الذين يشمل اسمهم صفات وهبها الله، كفضل الله وهداية الله". ان جميع المادة التي تضمنتها هذه الفصول يمكن العثور عليها في كتب اخرى للمؤلف نفسه. واما الفصل الثـامن والاخيـر(الاوراق٧٩ر-١٢٢ف) فيحمل عنواناً ممتعاً: "عن اسماء اولئك الذين ادعوا الكمال ولكنهم كانوا على طريـق الضلال، والذين لم تكن اسماؤهم عربية"[٢]. والغريب ان حكاماً مسلمين طيبين مثل سبكتكين، زنكي وطوغان خان "الملك المسلم التركي الطيب"، قد شملهم في هذا الفصل. ويبدو ان هذا الشـمول يشـير الـى ان بعـض الكلمات مفقودة من عنوان الفصل الذي يجب ان يقرأ: " وعن اولئك الذين اسماؤهم ليسـت عربيـة"[٣]. وقـد تضمن هذ الفصل من بين الهالكين،جنكيز خان والشاعر المجوسي مهيار (توفي عام ١٠٣٦م/٤٢٨هـ) والذي اسلم. وينتهي الفصل بنادرشاه "احد الخوارج". وقد اكملت النسخة يوم الجمعة الاول من رجـب عـام ١٢٢٤ هـ/١٢ آب ١٨٠٩ م.

غاية البيان في مناقب سليمان[٤]

ان كتاب سليمان قاموس تراجم اعتمد على كتب المؤلف الاخرى الاكثر شمولية. ومخطوطة برلين هـي النسخة الوحيدة المعروفة لسليمان. والورقتان الاولى والثانية لسوء الحظ تصعب قراءتهما ولذلك فـأن مقدمـة المؤلف لكتابه مفقودة.

اما الورقة الثالثة فتحوي ترجمة النبي سليمان ويعقبها مما لايقل عن ١٢٦ سليماناً آخر، آخرهم سـليمان باشا الصغير والي بغداد. والشعراء والعلماء والامراء والوزراء والصالحون والطاعون والهراطقة كلهم يلتقون في هذا المصنف التراجمي والعهد العثماني بالسلطان سليمان بـن اورخـان بـن عثمـان (الورقـة ٣٣ر)، والموصلي الاول الذي يرد ذكره هو السيد سليمان بن السيد مرتضى، نقيب الاشراف الذي مـات فـي عـام ١٦٩٥م/١١٠٧ هـ(الورقة ٥٩ر). اما المعاصرون الآخرون والمعاصـرون الآمويـون للمؤلـف فيشـملون باشوات ووجهاء موصليين وعلماء وامراء اكراد وشيوخاً عرباً، ويقدم ياسين العمري علـى الورقـة (٩٨ر)

---

(١) الخلاصة: مخطوطة المكتبة الوطنية (برلين) رقم ٩٩٠٠ في ١٢٢ ورقة.

(٢) بالعربية: في ذكر اسماء رجال ممن ادعى الكمال وهو بالضلال واسماؤهم ليست عربية.

(٣) بالعربية: وفي ذكر من اسماؤهم ليست عربية.

(٤) سليمان: مخطوطة المكتبة الوطنية (برلين) رقم ٩٩٠١، غير كاملة وتقع في ١٠١ ورقة.

الفصل الثاني" عن اولئك الذين اسماؤهم سليم"، ويعطينا ترجمة السلطان سليم الفاتح. وهو في الحقيقة الترجمة الوحيدة في هذا الفصل الثاني(المقالة الثانية) وتنتهي المخطوطة في الورقة ١٠١ ف بغزو العثمانيين لمصر.

ان كتاب سليمان بالعموم كتاب غير مثير ولا يقدم شيئاً جديداً للقارئ المحب للبحث والتدقيق ولباحث في المجتمع الموصلي. مع ذلك فأن هنالك نقطة ممتعة تتعلق بترجمة سليمان باشا الصغير والي بغداد هي ان هذا الباشا كان على علاقة سيئة مع الجليليين وكان قد ايد احمد باشا آل بكر حين حاول الاخير اغتصاب السلطة فعين والياً على الموصل في عام ١٨٠٩م مفضلاً اياه على الجليليين[١]. من الغرائب للمؤلف نفسه والذي كتب في عام ١٨١١م/١٢٢٦هـ، بعد محاولة احمد باشا آل بكر السيئة الطالع وبعد سقوط وموت سليمان باشا الصغير نفسه، يتردى حال سليمان باشا والي بغداد: اذ يخبرنا ياسين العمري عن تأييده لأحمد باشا ومن ثم سيعود ليخبرنا بالتفصيل عن الحوادث التي ادت الى سقوطه وموته على يد آل بابان والجليليين. مع ذلك فأن ياسين العمري يبدي في معرض حديثه عن سليمان حذراً كبيراً فيبحث واقعة احمد باشا آل بكر كلها والتي هزت الموصل عام ١٨٠٩م بسطرين اثنين وجيزين. ويبدو ان السبب هو ان سليمان كتب قبل ان يتحرك الباب العالي ضد سليمان باشا الصغير والي بغداد. ومن المرجح ايضاً ان هذا الكتاب وهو قاموس تراجم لجميع من اسمهم سليمان، قد اهداه ياسين في الواقع الى سليمان باشا الصغير نفسه. والصفحة التي يجب ان يظهر عليها اسم الشخص المهدى له لايمكن قراءتها تماماً وباهتة جداً ولكن شعر المديح الذي يحيط بها يشير الى ان المستلم كان باشا بغداد[٢]. وانه من الممكن ان ترجمة سليمان قد حذفت من الواقع بعد موت سليمان الصغير. وهكذا يبدو ان [كتاب غاية البيان في مناقب سليمان] الذي كتب قبل عام ١٨١٠م كان اكثر ميلاً لسليمان الصغير من غرائب [الاثر] للمؤلف نفسه ياسين العمري، ولكن كتب بعد عام ١٨١٠م مباشرة وفيه يحدد موت سليمان الصغير تركيب الرواية ولهجة الراوي.

ان تاريخ المعاصرين والامراء والوجهاء ومرحهم لايعدوان عن كونهما مغامرات وحيرات في مجرى التاريخ. لان التاريخ المعاش ليس هو "تاريخا" بعد: انه الصراع والذي يحدث فيه يمكن ان يتبدل وحيث يكون النص التاريخي تسجيلاً لهذه الحوادث فيتأخر عنها ثم يتردد بذكرها فيستدير ويرتد باحثاً عن سبل التكيف- والكفاح من اجل البقاء.

عنوان الشرف[٣]

ان العنوان معجم تراجمي مصنف هجائياً وحسب الفئات[٤]. والنسخ الثلاث المعروفة غير كاملة وهي جميعاً تنتهي في الفئة الرابعة والاخيرة (الملوك) بالحرف الاخير وبين المخطوطات المعروفة الثلاث والاصلية نسخة المكتبة الوطنية (باريس) رقم عرب ٥٧٩٢. تحتوي وريقة ملحقة بداخل الغلاف تخبرنا ان هذه النسخة عملت في الموصل في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي لنائب القنصل الفرنسي هناك المسيو نيقولا سيوفي:

---

(١) انظر ما سبق، ص١٥٨.

(٢) على سبيل المثال: ظهر في الزوراء ظهور البدر. والزوراء اسم من اسماء بغداد.

(٣) عنوان(١): مخطوطة مكتبة مدرسة الدراسات الشرقية والافريقية رقم ٤٩٧٨٠ في ٢٥٧ وردت مرقمة. عنوان(٢): مخطوطة المكتبة الوطنية، رقم عرب٥٧٩٢، في ٢٨٤ ورقة مرقمة. عنوان (٣): مخطوطة المكتبة الوطنية، رقم عرب٥١٣٨ في ٢٧٤ ورقة مرقمة.

(٤) انظر الملحق رقم ٧.

ان المخطوطتين الاخريين هما نسختان من المخطوطة الاصلية، والنسخ الثلاث جميعاً تنسب "عنوان الشرف" الى امين العمري كما تشير صفحات العنوان. ان هذا الانتساب مع ذلك يشك في امره للسبب الواضح الجلي ان تراجم الموصليين المعاصرين تمتد الى القرن التاسع عشر[1]، واننا نعلم ان امين مات في عام ١٧٨٨م. وهنالك ادلة مختلفة منتشرة في صفحات "عنوان" تسمح لنا بالتأكد من ان الكتاب في الحقيقة من تأليف اخي أمين ياسين. اذ يخبرنا على الورقة ٢٥٣ر من مخطوطة مكتبة مدرسة الدراسات الشرقية والافريقية اشارة الى خير الله العمري في النص كـ (والدي). وعلى الورقة ١٩٨ رمن المخطوطة نفسها وعند تقديمه لترجمة الشاعر شرف الدين الدمشقي (توفي عام ١٢٣٥م/٦٣٣هـ) وهجوه لابن عساكر، يخبرنا المؤلف "عندما قرأ اخي امين العمري هذه الابيات.. ان هذا يثبت بشكل قاطع ان امين ليس مؤلف "عنوان الشرف" الذي كتبه احد اخوته. فلقد كان لخيرالله العمري خمسة ابناء منهم عبد الرزاق الذي توفي في عام ١٧٧٣م. واما الولدان الآخران صبغة الله ومحمود فلم يكونا اديبين بالتأكيد ولم يذكر من المصادر التي بين ايدينا. وهكذا يظهر ان ابن الاخير لخيرالله واخا امين ياسين هو مؤلف عنوان الشرف الذي يبدو نسخة مستحضرة لكتاب مفقود.

د – التاريخ المحلي

غاية المرام في محاسن بغداد دار السلام[2]

كتاب بغداد تاريخ لمدينة بغداد كتبه موصلي ومن استهلاله المجرد تتوضح المكانة العليا لبغداد في الحياة السياسية الموصلية خلال العهد الجليلي. "لان بغداد محط كل مسافر ومهد الطيبة والصلاح" (ص٩). وقد اكمل ياسين العمري كتابه في ٢١ شعبان١٢٢٠هـ/١٥ تشرين ثاني ١٨٠٥م، مهدياً اياه الى يحيى بك (باشا فيما بعد) بن نعمان باشا الجليلي.

تقدم الفصول الاثني عشر من الكتاب (صفحات ١٢–١١٢) مدينة بغداد منذ تأسيسها: الموقع الكوني اصل الاسم، الطبوغرافيا، مجال النفوذ. ومن هذه الفصول احد عشر فصلاً يعتمد كلياً على ياقوت[3]. وتجيء الرواية كلها كخيبة امل: الابواب، الاسواق، المحلات والاماكن التي تنحل الغازها امامنا تعود الى بغداد، الى الماضي الاستطرادي الذي تختفي وراءه المدينة العثمانية المحيرة[4]. اما وصف ياسين "لمراقد بغداد الساطعة" (الفصل السابع) فيأتي مباشرة من الترجمة العربية لجامع الانوار لمرتضى نظمي زادة الموجودة نسخة منه في

---

(١) انظر على سبيل المثال ترجمة يونس الطويل الذي مات في عام ١٨٠٢ م.

(٢) بغداد: نشره علي البصري في عام ١٩٦٨ م. تعتمد هذه الطبقة على مخطوطة تعود لمكتبة المتحف العراقي رقم ٦٢٩٥ في ٤٣٤ ورقة. ان المخطوطة لعبد الغني الدروبي ومؤرخة ١٣٣٥/١٩١٦ وقد اعتمدت على مخطوطة لياسين العمري نفسه.

(٣) ان الفرق الوحيد بين [كتاب غاية المرام في محاسن] بغداد وياقوت (والمصادر الاخرى) هو ان "الكتاب الاول" يضع بغداد في الاقليم المناخي الثالث الذي يعود الى المريخ يضع المؤلف p.kemp كلمة مريخ كترجمة للكلمة اللاتينية mercury التي ترجمتها عطارد في العددين الارجح ان تصحيفاً وراء هذه الضلالة–ومن معاني زئبق ومتحول الخ.

(٤) قارن على سبيل المثال بغداد، صفحات ١٢–١٦ وياقوت١، ٦٧٧–٦٨٣ لتقديم عام للمدينة: بغداد، الصفحات٢٣–٢٤ وياقوت ١، ٢٣٢، ٥٣٢ عن محلة براثة ومحلة الازج.

الموصل[1]. والفصل الثاني عشر "عن المدن الواقعة تحت تصرف بغداد" وهي اكثر امتاعاً لانه في محاولة منه لتعريف بغداد كولاية عثمانية في القرن الثامن عشر، يقدم عن بغداد مادة جديدة. والمدن الموصوفة هي الحلة، البصرة، الكوفة، سامراء، هيت، عانة، راوة، كبيسة، آلوس، الحسكة، بدران، شهرزود، اربيل، تكريت، ماردين، تل عفر، عمادية وجزيرة ابن عمر يستهل المؤلف وصفه بمقدمة وجيزة للمدينة مأخوذة، عند الامكان، عن ياقوت. ويعقب ذلك بتاريخ مختصر (حوليات) للمدينة، منتهياً بقائمة للادباء والعلماء المشهورين في المدينة والحوليات التي يمكن العثور عليها في كتب اخرى لياسين العمري، هي تصنيف للمادة الواردة في ابن الوردي واليافعي. واليافعي هو ايضاً المصدر الرئيسي لتراجم العلماء من صدر الاسلام والقرون الوسطى، مع استخدام هامشي ليتيمة الدهر للثالعبي، وديوان الصبابة[2]. لابن ابي مجلة (توفي عام ١٣٧٥م/٧٧٦هـ) بينما يوفر المحبي بعض تراجم الفترة العثمانية. وبالاجمال فأن الوصف الذي يورده ياسين للمدن الواقعة تحت تصرف بغداد غير مثير من تعمتد كثيراً على الاسناد. والروايات الوحيدة الممتعة هي عن اربيل (حيث يخبرنا ياسين عن مختلف العلماء الاكراد الذين قدموا الى الموصل واستقروا فيها) وجزيرة ابن عمر (مع بعض المعلومات التي تخص التجارة) والعمادية (حيث يورد ياسين وصفاً لأمارة بهدينان. الحرف، الزراعة، التجارة مع الموصل.. وحيث يخبرنا عن الاراء الموصلية بأكراد الجبل).

والفصول السبعة التالية تبحث في حكام بغداد منذ تأسيسها، بعلمائها وادبائها، والرجال الصالحين الذين زاروها، وامرائها ووزرائها (الصفحات١١٣-٢٩٥). والرواية بكاملها مأخوذة من اليافعي وابن الوردي، وعندما يعاد تركيبها فانه يمكن العثور على هذه المادة في كتب اخرى لياسين: المنية، الآثار، الاعيان.

والفصل العشرون يقدم تصوراً عن بالزلازل، والاقحاط، والفيضانات، والمسوخ البشرية، وكائنات خيالية، والجن والنجوم والكواكب السحرية: وجميع هذه الروايات مأخوذة من كتب اخرى للمؤلف نفسه. واخيراً يختتم ياسين بالموصليين المعاصرين الذين سافروا الى بغداد، "وقد ذكرت الوزراء، والعلماء والامراء والشعراء فقط، واستثني الآخرين كالتجار والحرفيين". وهذا القسم ذو متعة خاصة للمؤرخ لانه يورد تراجم مختلف الوجهاء والامراء وكذلك العلماء ذوي الاصول المتواضعة.

منية الادباء في تاريخ الموصل الحدباء[3]

ان المنية عمل في التاريخ الاقليمي شبيه جداً بالتركيب "للمنهل" و"بغداد". وبعد الدعاء والحدلله والصلاة على محمد (صلى الله عليه وسلم) واصحابه والاولياء، يقدم المؤلف في مقدمته الكتاب الى القاريء:

---

(١) ان الترجمة عنوانها: ترجمة اولياء بغداد للسيد احمد فخري الموصلي. ولأهداف المقارنة انظر بغداد، ص٣١ وترجمة، الاوراق ١ف-٢ر؛ بغداد، ص١٣٣ وترجمة الاوراق ٧ر، ٨ر، ١٠ف، ١٦ف: بغداد، ص٣٤ وترجمة، الاوراق ٢٥ ف٣٢١ ف؛ بغداد، ص٣٥ وترجمة الاوراق ٣٦ر، ٤٤ر، ٤٧ر؛ بغداد، ص٣٦ وترجمة، ورقة ٤٧ ف: بغداد، ص٣٧ وترجمة، الاوراق ٦٦ف، ٦٨ ر.

(٢) قارن على سبيل المثال بغداد، ص٢٩٨ والثعالبي، اليتيمة، ٢، ١٩٧ لبعض الابيات للبويهي عضد الدولة.

(٣) المنية: مخطوطة المكتبة البريطانية، أدد٢٣٣٢٣، في ٥٥ ورقة. ابتيعت هذه النسخة في ١ آيار ١٨٤١ من قبل العقيد تيلور المقيم البريطاني في بغداد. وابتاعتها المكتبة البريطانية من السيدة تيلور في نيسان١٨٦٠ م. والناسخ هو عبد الفتاح بن الحاج سعيد شواف زادة، كما يشير على الورقة الاخيرة.

" لقد صنفت في الماضي كتاباً في تاريخ بغداد اثبت انه مُرْضٍ وصادق والحمد لله. وبعد ذلك شعيت لان اكتب تاريخ الموصل لانها مدينتي والمكان الذي اعيش فيه ويعيش فيه اصدقائي: يقول العلماء والصالحون والحكماء ان موطن الرجل ظئره[1] ومهده وان مزاج الرجل يحدده حبه لوطنه... وعندما اصبح كتابي عن بغداد وعلمائها وملوكها ورجالها الصالحين معروفاً في الموصل، ارتأيت ان من المناسب ايضاً ان اكتب عن مدينتي واهلها واخبر عن احداثها المختلفة التي وقعت فيها وان اذكر ملوكها وان اسجل الاعمال الحسنة لرجالها العلماء والمثقفين، وهكذا صنفت هذا الكتاب عن مصادر تاريخية مختلفة! وقد قسمته الى فصول واعطيته الاسم: "منية الادباء في تاريخ الموصل الحدباء".

وينقسم الكتاب الى ستة اقسام[2] وفي القسم (٣) يبحث المنية في مراقد ٥٠ نبياً ووليا، نجدها كلها في منهل امين الذي يعطينا ١١٨ ولياً ونبياً. والعدد الصغير ٥٠ مقارنة بالعدد الذي يورده المنية يعزى على الارجح لحقيقة ان المؤلف تحاشى ذكر "الاولياء الصوفية والمجاذيب المعاصرين". وعلى عكس من المنهل لايكاد "المنية" يرتاب في وجود هذا او ذاك المرقد في الموصل ويقدم التوثيق الموصلي كبنية قاطعة نهائية، تاركاً جانباً مسألة ماهو مرجح وماهو محتمل.

وبقدر ما يتعلق المرء باهتمام المؤرخ فأن "المنية" مصدر مهم لتقويم املاك الوقف التابعة لمراقد مهمة محددة كتلك التابعة لنبي الله يونس ونبي الله شيت وهي ايضاً مؤشر "للسياسات الاستثمارية" للاسر الوجيهة المختلفة والمعلومات الواردة في "المنية" شاملة وتعطى في احسن الاحوال فكرة تقريبية تشير الى الاتجاه اكثر: ولاتثمن. ويبدو ان المؤلف لم يتمكن من الوصول الى الوثائق بصورة مباشرة وانه استقى معلوماته و محادثاته مع مقولين مختلفين، وناسخين وكتاب المحاكم. وهكذا حين يستعرض قرية باقوفا، وقف للنبي يونس، يخبرنا المؤلف انه "قيل ان اسم الواقف لم يذكر في الوثيقة"[3].

وعلى المستوى الاقتصادي الاجتماعي يخبرنا المنية بأهمية المراقد المختلفة ويسمح لنا بتتبع حظوظ أسر موصلية معينة في غياب توثيق اكثر دقة. وهكذا فأن ضريح نبي الله شيت الذي اكتشفت عام ١٦٤٧م/١٠٥٧هـ، شيد كمرقد من قبل التاجر علي بن النومة. وبعد ذلك بأكثر من قرن من الزمن في عام ١٧٨٧م/١٢٠٢هـ شيد احد احفاد علي مسجداً هناك. ومعلومات كهذه تسمح لنا بفهم استمرارية عوائل معينة ليست نشطة سياسياً وليست مشهورة سيغيب وجودها لولا ملاحظة المؤرخ في غياب توثيق اكثر دقة.

واذا اعطى "المنية" سيعطي المؤرخ على المستوى الاجتماعي والاقتصادي مؤشرات وعلامات على درب ضبابي، فانه على المستوى الفكري والثقافي يرسم صورة اكثر اكتمالاً. فهو يحدثنا عن المراقد الفنية والمراقد المهملة، والاضرحة المعززة والاضرحة المنسية، والاولياء المقدسين من قبل العوام بصورة خاصة، والصفات الاعجازية المتعلقة بهذا المرقد او ذاك كعلاج الصرخ والهوس والحمى..الخ.

واذا اراد القاريء ان يقارن "المنية" مع كتاب آخر عن الموصل "كالمنهل" مثلاً فأن على المرء ان يُسلّم بأن المنية اقل انتقاداً و"حداثة" و"علمية" بكثير جداً. فالمؤرخ ينتقد تعداداً ووصفاً من موصلي لمدينة

---

(١) تقرأ الكلمة ضوء ولكنها حتماً تصحيف لـ ظئر.

(٢) عن الموصل وحكامها ومراقد الانبياء المكرمين والاولياء المشرفين والمدن والقرى المجاورة وجله وعن الاحداث السماوية والارضية.

(٣) الورقة ٣٧ر.

الموصل..الاسواق، الاحياء، البنايات الرسمية، البوابات، الخ. ومع ذلك فأن "المنية" يغطي مساحة اكبر من تلك التي يغطيها "المنهل" ويوفر لنا تفاصيل مختلفة عن ولاية الموصل تحت حكم الجليليين.

هـ -التاريخ الاخباري

غرائب الاثر في حوادث ربع القرن الثالث عشر[1]

"ان الغرائب تاريخ اخباري زمني واضح المعالم للاحداث في الربع الاول من القرن الثالث عشر الهجري(١٧٨٥م-١٨١٠م) فهو نوع من "صحيفة لبرجوازي من الموصل" ويقدم التمهيد بالدعاء والثناء المعهودين ثم يعقبه تقديم وجيز للكتاب:

"ان هذا كتاب سجلت فيه احداثاً غريبة وظواهر غير طبيعية حدثت في الربع الاول من القرن الثالث عشر. وغايتي من هذا الصنيع هي ان اعلم وارضي واسلي..لقد قدمت الكتاب بذكر بعض الاحداث الرهيبة المستقاة من الماضي واعطيتها الاسم غرائب.."

وبعد ان يقدم المؤلف كتابه للقاريء يروح بعدها فينشد المديح للامير العظيم الذي اهدي اليه الكتاب. ان هذا الامير لا يذكر بالاسم ولكن النعوت والالقاب المشرفة التي استخدمها في وصفه تشير الى انه سعد الله باشا الجليلي. وهذه الفرضية تؤكدها حقيقة ان الغرائب اكمل في عام ١٨١١م/١٢٢٦ هـ، مباشرة بعد تعيين سعد الله باشا والياً على الموصل.

والمقدمة "عن احداث من الماضي القديم" تتكون من تعداد حولي لظواهر عجيبة وظروف غير عادية وبالغة التطرف حدثت بين السنة ٢٤٠هـ والسنة ١١٨٥هـ. وبالمجموع ذُكرت ٧١ سنة في هذه المقدمة، ويبدو ان مبدأ الاختيار هو غرابة الحدث وتأثيره على خيال القاريء: الزلازل، البراكين، النيازك، سنوات القحط المميتة، المجاعات والاوبئة، المخلوقات الغريبة، والحركات الغريبة للنجوم، النيران من السماء وفيضانات المياه المهلكة، وتحدث كلها في مملكة متداخلة ذات حدود مائعة هي العراق، جزيرة بلاد العرب، فارس، مصر، سوريا وحن سردينيي[2] والكتاب نفسه يبدأ في السنة ١٢٠٠هـ، ولكل سنة من الـ ٢٦ سنة المذكورة يعطي القاريء معدل عشرة حوداث. وعندما يقترب المرء من السنين الاخيرة تصبح اكثر تفصيلاً والاوصاف اكثر حيوية وارتباط المؤلف وانفعاله اكثر وضوحاً. ومع ذلك يجب ان يقال ان الغرائب بصفته سجلٌ للحوادث لايقارن البتة مع السجلات المفصلة والمعقدة واليومية في بعض الاحيان للمقريزي او الجبرتي: ان "الغرائب" شديد التواضع في مجاله واوصافه وتحليله التاريخي ويمكن مقارنته بتاريخ اخباري دمشقي للقرن التاسع عشر كتبه نصراني هو ميخائيل الدمشقي.

ان معظم الاخبار المسجلة في الغرائب سياسية..حروب، غارات عشائرية، تغيير الولاة، خلع السلاطين، الخ ويبقى العراق الطليعة لان انتباه المؤلف مركز على دائرة مرسومة بالموصل وبغداد والجبال الكردية. ولكن وبالرغم من هذه الاقليمية القوية، هنالك اصداء في الغرائب لاحداث تقع في القاهرة وفي دمشق وفي اسطنبول وحتى في اوربا الغربية، وان تكن في ضوء الاهتمامات الموصلية الضيقة كما تشير الرواية التالية

---

(١) غرائب: نشره صديق الجليلي (الموصل١٩٤٠). ان هذه الطبعة معتمدة على نسخة بالطابعة اعتمدت هي نفسها على مخطوطة تعود للاب انستاس ماري والتي اعتمدت هي بدورها على مخطوطة دار الكتب البلدية،الاسكندرية،رقم د/٢٠٣٦.

(٢) في بداية القرن الثاني الهجري ذكرت اسطنبول للمرة الاولى (فيما يتعلق بانجماد شديد).

عن الثورة الفرنسية: "ظهر الفرنسيون من بين الافرنج[1] وقتلوا سلطانهم واودعوا السلطة الى ستة رجال من بين انفسهم. لقد رفضوا النصرانية وتخلوا عن معتقدات آبائهم. ولقد هرب اخو سلطانهم الى الانكروسي الذين اعلنوا الحرب على الفرنسيين. ونتيجة لهذه الحروب انقطعت امدادات القماش الى بلاد الاسلام واصبح ذراع القماش الفرنسي يكلف ١٥ قرشاً"[2].

وهنا يظهر ان اهم جانب للانقلاب الثوري هو انقطاع تجارة القماش وتأثيرها على الاقتصاد التجاري الموصلي.

والغريب حقاً ان الموصل نفسها لاتترك الظلال الضبابية التي يتوقع المرء ان يراها مبددة "بصحيفة" كتاب تاريخي محلي معاصر كالغرائب. انها كما لو ان الموصل المركز المادي للحديث قد سلمت جدلاً: انشيء وجودها مرة والى الابد بكل تفاصيله الدقيقة في زمن سابق الاستطراد؛ كما لو ان ليس هنالك حاجة للتحدث عن الموصل. وهذا القرن العشرين الراغب في المادة انشاء الماضي ولكن الى بطل التاريخ الموصلي في القرن الثامن عشر. وهكذا فأن الغرائب اولاً وقبل كل شيء مرآة الطريقة التي تفهم فيها المجتمع الموصلي نفسه. وفي هذه الناحية تكتسب قلة المعلومات عن الموصل بعداً غير متوقع. بطبيعة الحال نحن نخبر عن تغير كل والي وعن الغارات القبلية وعن النزاعات الحضرية، الخ..ولكن هذا النزاعات التي تسجلت تبحث بطريقة سطحية: الجماعات والفرقاء المعنيون يظلون وهميين بلا جوهر والقادة نادراً ما يظهرون، وتبقى الاسباب وراء هذه المشاحنات غامضة[3]. انها كما لو ان الافتقار الى المعالجة الجادة للصراع الداخلي يستطيع في النهاية "ان يخدم الهدف" فيزيل بتأثير سحري التفتت والانقسام الداخلي مؤكداً بذلك وفي كل لحظة وحدة الموصل الجليلية[4].

يقدم الغرائب للمؤرخ صورة ممتعة عن الوضع السياسي في العراق في منتصف القرن الثامن عشر: الموقع البارز للباشوات المماليك في بغداد وعلاقتهم مع الموصل والاكراد البابانيين ومع الباب العالي: اندفاع الوهابيين وتهديدهم للتجربة الدينية العراقية،غياب الحظر الفارسي..لاكثر من ٢٥ عاماً، (مشيراً بذلك الى الحالة الداخلية في فارس): وختاماً علاقات المدينة-الجبل والبوي المقيم. واكثر من أي كتاب آخر لتلك الفترة ينجح "الغرائب" مهما كان غير عامد، في وضع الموصل بدقة فائقة على لوحة الشطرنج العراقية، مبيناً اعتمادها الكبيرعلى بغداد وحاجتها للاحتفاظ بعلاقات جيدة مع اكراد الجبل الذين يسيطرون على الارض المنتجة للعفص، وقلة صبرها وعجزها بوجه سلب ونهب السنجاريين. واكثر من أي كتاب تاريخي للفترة يتلمس الغرائب البعد الحقيقي للموصل: دولة المدينة التي تعيش على التجارة وتمشي على الدوام على الحبل المشدود للمشهد السياسي العراقي المتقلب.

٥-علي بن ياسين العمري

لا يعرف شيء عن علي بن ياسين العمري ولم يعثر على اسمه في أي من المصادر الموصلية في اوائل القرن التاسع عشر او في المصنفات المتأخرة الاخرى. وفي الحقيقة ان الاسم علي بن ياسين العمري يظهر

---

(١) ان التعبير افرنج يشير الى جميع شعوب اوربا.

(٢) غرائب، ص٣٢.

(٣) ومن هنا تأتي صعوبات المؤرخ في رسم صورة واضحة للخصومات الحضرية.

(٤) بنفس الطريقة التي خدم التحليل التاريخي الهزيل من الماضي ازالة فرقة الامة: قارن بما سبق ص٢٢٧.

فقط فيما يتعلق بروضة الاخبار في ذكر افراد الاخبار، مخطوطة تابعة للمكتبة البريطانية. والاكثر من ذلك ان الاسم علي بن ياسين العمري العمري لا يظهر في نص الكتاب او في افتتاحيته او في مقدمته او في الخاتمة.يظهر الاسم فقط على حاشية في اسفل الورقة الاولى مكتوبة بخط يختلف عن خط بقية المخطوطة[1].

روضة الاخبار في ذكر افراد الاخبار[2]

ان الاخبار كتاب تاريخ سلالي شبيه التركيب جداً "بالسراج" ليحيى الجليلي "والاعيان" لياسين العمري ولو انه اكثر تواضعاً في المجال من سلفيه الموصليين. وبجانب تقديم خطة العمل الى القاريء يتحدث التمهيد (الاوراق٢ف-٤ر) عن فائدة معرفة التاريخ والاهمية التي علقها عليها الخلفاء الاوائل، وعن التاريخ الذي استخدمته الشعوب المختلفة والضرورة للاسلام ان يستنبط تأريخاً خاصاً به. ان الفصل الثاني الذي وعد به التمهيد، خال تماماً وقد محيت السطور الاربعة الاخيرة من الورقة ٢١ف.

ان معظم المادة التي يتكون منها الاخبار يمكن العثور عليها تارة بعد اخرى في مصنفات تاريخية موصلية اخرى. مع ذلك هناك بدعة او بدعتان يقدمهما الاخبار في الحديث التاريخي الموصلي مثل عرض المؤلف للخلفاء الفاطميين. ويخبرنا الاخبار بسماجة (الورقة١٨ر) انهم" ماكانوا علويين، بل كانوا مجوساً وهو قاس جداً في هجومه ضد الفاطميين، ومبتهج أي ابتهاج بسقوطهم وزوال دولتهم، ومادح للايوبيين رأس رمح الاسلام. وهذا الاختلاف وهذه الغرابة تشير الى ان لهجة الراوي لاتفضح وجهة نظره. وفي هذه الحالة يظهر الفرس على اسوأ ما يكون في رواياته.. بل بالاحرى المصادر المتوفرة لديه. وانها لحقيقة ان الاخبار يعتمد الى حد كبير على كتب حلبية: الحافظ الحنبلي، مرعي الحنبلي (وهو زين الدين المقدسي الكرمي). وابو شامة "الذي ألف كتاباً يفضح فيه كفرهم ويعرض اكاذيبهم الشريرة "والرعيني" الذي قال ان العلماء اتفقوا على ان العبيديين مرتدون وزنادقة ". ويقتبس الاخبار من ابي تيمية والغزالي عن الرفض، ويظهر ابن تيمية في الرواية كالدليل المنفرد الذي يقود الى الصراط المستقيم.

وفي الخاتمة (الاوراق١٨٤ر-٢٠٠ر) يورد الاخبار عرضاً نظرياً لحقوق وواجبات الامير: رسالة مفتوحة الى الحكام، والمؤلف يقتبس من مسلم، ومرعي الحنبلي، ومسند ابن حنبل، والجامع الكبير (في الحديث) لمحمد الترمذي (توفي عام ٨٩٢م/٢٧٩هـ)، والطبراني، والصحيحين[3] وموطأ مالك، والغزالي،

---

(١) ان الاسم يوحي علياً هذا هو ابن ياسين بن خير الله العمري. ولكن يشك في ذلك لان مؤلف روضة الاخبار غالباً مايقتبس من ياسين العمري ومؤلفاته التي يعتمد عليها الى حد كبير، ويذكر ياسين بالاسم ولكن لايشير اليه ولو مرة واحدة بـ (ابي) ولايعطي ولو لمحة الى انه عرف ياسين.والفرد الوحيدمن اسرةالعمري ويدعى ياسين هوياسين بن محمد امين بن يونس بن مراد بن علي ابي الفضائل العمري والذي كان حياً في اوائل القرن التاسع عشر. ولكن المصادر لاتخبرنا فيما اذا كان له ولد يدعى علي. وعلى كل حال ان علياً كهذا حتى ان وجد كان بأمكانه ان يكتب ويغطي فترة تصل الى عام ١٨٤٠م واكثر بينما تقف روضة الاخبار حوالي عام ١٨١٠م. وفرضاً ان اسم الاب (ياسين) قد ورد خطأ، فأن المرء يستطيع ان يقترح ان علي بن عثمان بن نعمان بن عثمان الدفتري العمري قد كتب روضة الاخبار. او بدلاً من ذلك قد يغوي المرء بالبحث عن هذا العلي بن ياسين العمري خارج الاسرة العمرية المشهورة التي اسسها قاسم، لاننا نعلم ان هناك عمريين اخرين في الموصل. انها مهمة مثبطة للعزيمة ولاطائل من ورائها.

(٢) الاخبار: مخطوطة المكتبة البريطانية، رقم أدد ٢٣١١ في ٢٠٢ ورقة.

(٣) المستدرك على الصحيحين للحكيم النيسابوري، وقد اقتبس منه لمؤلف سابقاً.

ورواية عن الامويين في الاندلس، وفنون ابن عُقيل[1]، وقتادة[2]، وسقراط، وافلاطون، وارسطو طاليس، والاسكندر الكبير، وجالينوس (جالين) وكتابه الادوية، والتراتيل[3]، والمتنبي، وارد شيرين بابك وانوشروان ويزرجمهر. والخاتمة التي بدأت كرسالة مفتوحة الى الحكام تتطور الى رسالة في الاخلاق وعلم الجمال[4].

٦- أحمد بن الخياط

ولد احمد بن محمد وهو ابن حائك، في عانة عام ١٧٨٦م/١٢٠١هـ وتردد على المدارس الدينية في مسقط رأسه قبل القدوم الى الموصل في عام ١٨١٠م/١٢٢٥هـ. وهناك تابع تعليمه مع محمد الخياط. وبعد ذلك تزوج ابنة استاذه واصبح يعرف بأبن الخياط. وكان آخر استاذ له الشهيد عبد الله باشعالم العمري، رئيس العلماء الذي درس عليه احمد وكان له من العمر خمسون سنة. وفي عام ١٨٣٦م/١٢٥٢هـ، وبالنقود التي جاءت بها زوجته، بني احمد مسجداً اصبح يعرف بمسجد ابن الخياط بالقرب من مرقد الامام ابراهيم، وبعد ذلك بخمس سنوات بنى مدرسة وكبقية معظم علماء زمانه كان احمد صوفياً منتمياً الى الطريقتين القادرية والنقشبندية كما كان واعظاً في جامع النبي جرجيس وجامع الباشا. وقد درس ايضاً في المدرسة المؤسسة حديثاً، مدرسة الصائغ قبل ان يأخذ مكانه كمدرس في المدرسة التي بناها في عام ١٨٤١ م/١٢٥٧ هـ. توفي احمد في الموصل في عام ١٨٦٨م/١٢٨٥ هـ.

وما عدا ترجمة الاولياء (الاولياء) ليس هناك سجل بأي كتاب لاحمد بن الخياط، ولكن هناك قليل من الكتب التي يمكن العثور عليها في مكتبات الموصل مكتوبة بخط يده. وفي حقل دراسات اللغة استنسخ احمد البهجة المرضية للسيوطي وفي السنة نفسها (١٨٨٨م/١٢٣٤هـ) وحين كان في بغداد استنسخ وصنف عبد الله الفخري شرح قطر الندى لابن هشام النحوي في قواعد الاعراب: وفي السنة التالية ١٨١٩م/١٢٣٥هـ، استنسخ ألفية ابن مالك وفي عام ١٨٢١م/١٢٣٧ هـ استنسخ مغني اللبيب في كتب الاريب لابن هشام النحوي؛ واستنسخ ايضاً رسالة الاستعارة لعصام الدين الاسفراييني (توفي عام١٥٣٧م/٩٤٤هـ). اما في العلوم الدينية فيبدو انه كان مولعاً بصورة خاصة في الفقه وقد نسخ كتباً مرجعية مختلفة بما فيها كتابين مجهولين هما شروط الصلاة واركانها والمختصر في الفقه لابي حنيفة والشافعي[5]، وفي عام ١٨٢١م/١٢٣٧هـ نسخ شرح الفقه الاكبر للامام ابي حنيفة النعمان لمحمد المغنيساوي (توفي عام ١٥٣٢م/٩٣٩هـ)؛ وفي السنة نفسها نسخ بقية الباحث (ارجوزة في قوانين الارث الشافعي تدعى الرحبية لمحمد الرحبي) وكذلك تعليقاً عليها لمحمد سبط الماردبني (توفي عام ١٥٠١م/٩٠٧ هـ)عنوانها مختصر على مقدمة الرحبية.

---

(١) ابو الوفاء البغدادي (توفي عام ١٣٢١ م/٥١٥ هـ). كان حنبلياً. ان كتاب الفنون المقتبس هنا، يقال انه يشتمل على ٤٠٠ جزء. ولم استطع العثور على أي اثر له في مكتبات الموصل.

(٢) المفسر الذي مات في عام ٧٣٨م/١١٨ هـ.

(٣) زبور داؤد، ترجمها وهب بن مُنبه (توفي عام ٧٣٢م/١١٤هـ).

(٤) تحتوي الورقتين الاخيرتين من مخطوطة المكتبة البريطانية على احاديث تتعلق بالجن.

(٥) كلاهما، كما يبدو، نسخا عام ١٨١٣م/١٢٢٩هـ كجزء من تعليمه.

ترجمة الاولياء في الموصل الحدباء[1]

ان "الاولياء" تعبير عن تجربة احمد الصوفية وجزءاً لايتجزأ منها. وقد ألف الكتاب في عام ١٨٤٢م/١٢٥٨هـ، بعد سقوط آخر باشا جليلي، وبمناسبة زيارة والي بغداد محمد نجيب باشا (١٨٤٢م/١٨٤٨) للموصل. "انني حين رأيت هذا الامير تواقاً لزيارة اضرحة الاولياء، وحين ادركت مدى الحب والاحترام الذي يكنه لهؤلاء الرجال الصالحين، عجلت الى كتابة هذا الكتاب عن الصالحين والطيبين واولئك القريبين من الله (ص١). ان الاولياء تعبير عن صوفية المؤلف وقبل كل شيء ومؤشر الى التغلغل الذي قامت به الحركة الاصولية. والحقيقة ان الشهادة تعلن عن فحوى جوهر الكتاب برمته: " اشهد ان لااله الا الله وحده لاشريك له.." ويكتب احمد لااله الا الله وحده لاشريك له، وهذه الصيغة المحددة للشهادة وحقيقة ان المؤلف يشعر مضطراً "لتوضيح موقفه" كل ذلك يوضح لنا الضغط الذي كان يمارسه الاصوليون على المتصوفة. يقع الكتاب في فصلين، الفصل الاول "عن الزيارات للصالحين الاحياء منهم والاموات" (صفحات٤-١١) دفاع يستند على مراجع طائفة الاولياء الواسعة الانتشار[2].

وفي الفصل الثاني (صفحات ١١-٧٨) يذكر المؤلف "سكان المراقد الساطعة الذين تشرفت مدينة الموصل الطيبة بالترحيب بأجسادهم النبيلة ". وبالمجموع هنالك ٧٦ ضريحاً موصوفاً في هذا الفصل. وجميعها تعود الى اشخاص من الماضي البعيد ولايرد ذكر للمعاصرين: كأنه يعتمد على الزمن والتقليد والحجة في تأييد التجربة الدينية التي يسعى المؤلف الى حمايتها. والمصادر الرئيسية الثلاثة للاولياء هي: "منهل" امين العمري، و"منية" ياسين العمري، و"الانتصار للاولياء الاخيار" الذي الفه يوسف بن عبد الجليل. ووصف المؤلف للاضرحة يعتمد ايضاً الى حد ما على العيان حيث يحدثنا عن مختلف الكتابات التي وجدها على جدران المقابر. ويبدو احياناً اعتماد احمد على مصادره بجلاء كما في تقديمه للشيخ قضيب البان حيث يحدثنا "انه ولد في الموصل حوالي عام٤٧١هـ وتوفي في الموصل عام٥٧٣هـ، وفي كتاب "التاريخ" للمؤيد[3] يقول انه توفي عام ٥٧٠هـ"[4]. والرواية نفسها كلمة بكلمة يمكن العثور عليها في "منهل" امين العمري[5]. واحياناً اخرى تكشف العملية الذاتية للكتابة بعض الاهمال. وهكذا في تقديمه لضريح الشيخ محمد الزيواني يذكر المؤلف ان " المرحوم سليمان باشا الجليلي بنى في عام ١١٩٣ هـ جامعاً عظيماً على الضريح. وان المتبرعين للوقف كانوا امه واخته واخاه الامير النبيل، واليانا محمد باشا، حفظه الله"[6] وهذه الرواية مأخوذة قلباً وقالباً من ياسين العمري، وفي الوقت الذي كان احمد يكتب " واليانا محمد باشا حفظه الله " كان بحاجة اكبر لرحمة الله ومغفرته: فقد كان الوالي ميتاً منذ ست وثلاثين سنة؛ ومع ذلك فأن "الاولياء" مهم في انه يأتي بعد موت المؤرخين الموصليين الرئيسيين بكثير لكي يورد معلومات حديثة تتعلق ببعض المقامات.

---

(١) الاولياء: مخطوطة مكتبة لمتحف العراقي، رقم ٦٨٤، في ٧٨ صفحة. والكتاب مؤرخ عام ١٨٤٢ م.

(٢) مايدعوه امين العمري "البدعة المستحسنة".

(٣) مختصر ابي الفداء.

(٤) الاولياء، ص٣٨.

(٥) المنهل (٢)، ٢، ١١٧.

(٦) الاولياء، ص٦٤.

ومع ان "الاولياء" يعتمد الى حد كبير على "منهل" امين العمري ولكنه في الحقيقة اقرب بالروح الى "منية" ياسين العمري. وعلى عكس امين العمري فأن احمد بن الخياط لايرتاب في الايمان الشائع بوجود جسد مقدس في ضريح مزار، وعلى خلاف "المنهل" فأن [مؤلف] "الاولياء" تواق دائماً ليحدثنا عن البعد الاعجازي لكل ضريح مبجل: الرجل الذي استعاد بصره بعد التعبد في امام عون الدين؛ الجموع التي تحتشد عند امام عبد الرحمن، والامام زيد، والست شاهزنان (زوجة الحسين) باحثة عن علاج لمختلف الامراض؛ الامام الباهر الذي يشفي المؤمنين من الحزن والقلق؛ وصالح بن الصالحية، المعروف بالشيخ الوسواسي الذي تشفى زيارة ضريحه.."بمشيئة الله" كما يحذر احمد من الميلانخوليا الشيطانية والكآبة[1]. وبجانب اعطاء القاريء هذا التبصر في حقيقة طائفة الاولياء والعقلية الموصلية، يغامر [المؤلف] "الاولياء" ببعض التفسيرات لأصول "الالقاب" المعطاة لهذا او ذاك الولي. وهكذا فأن الامام ابراهيم المجاب لقب كذلك " لان بعض المنتقصين واجهوه وشككوا في نسبه الطيب الطاهر فنادى جده الحسين فأجابه وهكذا صار يدعى بالمجاب"[2].

ليس هناك خاتمة للكتاب وينتهي المؤلف بأسطر قليلة يستميح فيها معذرة القريء لأية اخطاء لان الكتاب كتب بدون مسودة تحضيرية. واجمالاً فأن "الاولياء" وثيقة ممتعة لدراسة الثقافة والعقليات. كما انه شاهد على قوة طائفة الاولياء الى حد بعيد منذ القرن التاسع عشر وما بعد سقوط الجليليين.

---

(١) المصدر نفسه، ص٦٧.

(٢) المصدر نفسه، ص٢٨.

الفصل الثامن

صور موصلية للتاريخ العثماني

في الصفحات السابقة كانت هناك محاولات لالقاء الضوء على مدينة الموصل، تركيبها الاجتماعي، قاعدتها المادية، حياتها السياسية، ثقافتها واخيراً نتاجها التاريخي خلال العهد الجليلي. هذه الموصل التي فحصت وقدمت بصورة مطورة كانت جزءاً من الامبراطورية العثمانية ومع ذلك وطيلة هذه الدراسة فأن العامل العثماني وصلات الموصل باسطنبول بقيت في الخلفية، متوقفة عند حدها بسبب جهل اللغة التركية والارشيف العثماني الذي لا يسبر غوره. ان هذا الفصل يسعى ليعوض هذا النقص بالنظر في الاساليب التي شاهدت فيها الموصل بعدها العثماني. ان الصفحات التالية قراءة شخصية لصور وعروض موصلية للتاريخ العثماني. ولسوف يكمل هذا الفصل الختامي اذن انتقال هذا المصنف من استقصاء في "الموصل تحت النظر او تحت المجهر" الى تحقيق في "الموصل المراقبة".

العهد الجديد

ان العثمانيين، كما يقال كانوا بدواً تركماناً يمتون بصلة الى التاتار القاطنين في اقليم ماهان بالقرب من بلخ[1]، وكان جدهم سليمان شاه "سلطان المشرق" احد احفاد يافث بن نوح. وعندما ظهر جنكيز خان وانتشر شره، ترك سليمان شاه موطنه مع ٥٠,٠٠٠ بيت من اتباعه، متجهاً غرباً. وقد غرق سليمان شاه في اثناء عبوره نهر الفرات، فانقسم شعبه بعد موته الى اربع مجموعات اتبعت كل مجموعة واحداً من ابنائه. وفيما اتجه معظمهم شرقاً سار ارطغرل ابن سليمان شاه بمجموعته وواصل المسيرة غرباً نحو الروم. ثم وصل الى ممتلكات السلاجقة في ١٢٢٠م/٦١٧هـ حيث رحب به واكرمه السلطان علاء الدين الذي منحه وشعبه ارضاً ليستقر فيها. ومات ارطغرل في عام ١٢٨٨م/٦٨٧هـ فخلفه اشجع واقوى اولاده، عثمان في قيادة شعبه وكان عثمان شاباً تواقاً لممارسة واجب الجهاد. اذ وجد حماسه وانجازاته خطوة لدى السلطان علاء الدين الذي قدم الراية السلطانية متمثلة بالطبل والناي. وحين مات السلطان علاء الدين في عام ١٢٩٩م/٦٩٩هـ بغير وريث اختار الشعب والعسكر عثماناً ليخلفه كسلطان[2]. وهكذا وضعت قواعد الامبراطورية العثمانية.

والعثمانيون كالشعوب العديدة الاخرى التي حققت مرة بعد اخرى حياة جديدة (او تسببت بمجرد هزات..او حتى اضطرابات عنيفة..في تاريخ الاسلام) تمحور العثمانيون حول حقيقتين جذريتين هما البداوة والتركية. فالعثمانيون اتراك بمقتضى التسمية (تركمان) وكذلك بمقتضى سلالة سليمان شاه المنحدر من يافث: جد كل الشعوب التركية. وهكذا كأتراك فأن موقع العثمانيين بالنسبة للاسلام ودورهم في تاريخ الاسلام عرضة للتأمل: حماة الامة؟ ام اعداء الدين الحق؟ ولأن شيئاً لم يتقرر بعد فأن العثمانيين كشعوب وقبائل عديدة قبلهم وبعدهم يستطيعون الذهاب في احد الطريقين. في الحقيقة ان مصير الامة العثمانية بعد موت سليمان شاه غرقاً مؤشر على هذا الانشطار الثنائي: فبينما يتجه قسم من الامة غرباً ليستقر هناك على التخوم ويمسك راية

---

(١) او بدلاً عن ذلك، منطقة قريبة من بلخ في اقليم ماهان (بلاد ماهان): قايد الاخبار، الورقة١٤١، الاعيان، الورقة٢٧٢ ف والدر(١)، ص٣٠٤.

(٢) الاخبار، الورقة١٤١، ف؛ عنوان (١)، ف، ١٧٤ ف.

الاسلام، يعود اخوانهم القهقري شرقاً، ربما وراء حائط الاسكندر ليتلاشوا في كتلة غير واضحة المعالم من الشعوب.

ان العثمانيين، اتراك وبدو..اولئك من ضمن شعب سليمان شاه الذي واصل مسيرته الاصلية المتجهة غرباً..مع ذلك يختلفون عن الاتراك والبدو الكفار: يختلفون عن الغُزْ. وعن الخطاي وعن الخزر[1]، وعن اولئك التاتار الذين سبب اندفاعهم الهجرة الغربية لشعب سليمان شاه. وكاتراك وبدو يختلف العثمانيون عن الاتراك والبدو المسلمين. والبرهان هو الخوارزميون المسلمون سيئوا الحظ الذين اخرجوا كالعثمانيين من ديار مراحهم بسبب الطوفان المميت للتتار الكفار، انقلب هؤلاء المسلمون الاتراك الى مرتزقة وقتلة وقطاع طرق مسببين الخراب في طول البلاد وعرضها[2]. وفيما جاءت الهجرة الغربية للخوارزميين بالشقاء والخراب، برهنت الهجرة الغربية للعثمانيين على انها مفيدة للامة[3].

ويرى الشعوبيون المتأخرون، وكذلك القوميون المبشرون الذين يفضلون التفكير بالعروبة والقريشية، صيغة اخرى..ولو انها هامشية ويبدو انها لم تؤخذ جدياً.. يذكرها علي العمري(٤) مفادها عثمان، العثماني الاول، حسب هذه الرواية بدوي حجازي خرج مع شعبه من الجزيرة العربية الى اسيا الصغرى في عام ١٢٦٦م/٦٦٥هـ، بسبب المجاعة العظيمة، "وحسب بعض المؤرخين ان عثمان كان من المدينة المكرمة نفسها" ومع ذلك فأن علي العمري لا يعير هذه الرواية وزناً يذكر والتي تجعل من العثمانيين قريشيين بكل ما في الكلمة من معنى، لانه يضيف مباشرة "والله اعلم العالمين"(٥).

وفوق البرهان التاريخي وفوق الاعتبارات العنصرية(٦) يتشاطر الاتراك والعرب في نوع مشترك من البداوة. يخبرنا الجاحظ في رسالته ان الاتراك هم "البدو العرب للشعوب غير العربية" (هم عرب العجم)(٧). وكما سخر الاسلام قبل ستة قرون ووجه طاقة " البدو العرب " (الاعراب) في الشعوب العربية؛ هاهو الان مسخر وموجه للقوة الحيوية "للبدو العرب" (الاعراب) في الشعوب غير العربية. وهو في النهاية هذا الاسلام، هذا المعنى الجديد للوجود الذي يلقي بظلاله أي شيء سواه. وسواء كانوا في عبائتهم العربية او عبائتهم التركية فأن العثمانيين بقيادة عثمان طرحوا كل رواسب الوثنية وعدم الاستقرار الكامن في البداوة.

---

(١) كلهم كفار واعداء الله : انظر الآثار، صفحات ٤٦، ٩٩، ١٠١.

(٢) الاثار، ص١٢٧.

(٣) انه لمن الممتع ان نلاحظ ان نسخة مؤرخة في ١٦٧٥م/١٠٨٦ هـ للجاحظ رسالة الى فتح بن خاقان في مناقب الترك وعمات جند الخليفة، كانت في الموصل في بداية القرن انظر، الجلبي ص٢٦٤ والتي يعنونها بـ (رسالة في فضائل الاتراك).

(٤) مقتبس من الدر الاثمان في اصل منبع آل عثمان. لمحمد البكري (توفي عام١٦١٩م).

(٥) الاخبار الورقة ١٤١ ف.

(٦) يعتقد العديد من وجهاء الموصل وعلماءها اليوم ان السبب الوحيد الذي جعل العثمانيين احنافاً اتى من أن ابا حنيفة كان الامام الوحيد بين الائمة الاربعة الذي لم يشترط ان يكون الخليفة قريشياً.

(٧) يلاحظ اندريه ميكيل (الجغرافيا، ٢، ٢٥١، ن١) وفي حدود الاسلام يدعي الاتراك التوغوزغوز "عرب الاتراك" انظر ميكيل، جغرافيا، ٢، ٢٠٨.

ولما حلوا في اسيا الصغرى ظهروا كعامل ايجابي: عاملين لتقوية الاسلام ومالكين لكل صفات الدولة الاسلامية وكان اقليمهم على الثغور جنياً للامبراطورية الاسلامية الجديدة[١].

مع ذلك فلا يمكن ان تقوم دولة بغير عاصمة: لقد كان عثمان العثماني الاول الذي استقل عن السلاجقة[٢]: وكان هو ايضاً الاول الذي امتلك عاصمة (دار الملك)، بني شهر[٣]. لم يعد العثمانيون تابعين لقد اصبحوا سادة سلاطين وبعد ذلك نقلوا عاصمتهم الى بورصة[٤]، وهي نفسها سبقتها لفترة مدينة ادرنة[٥]، قبل ان يعود بايزيد الاول الى بورصة، بعد ان جهز المدينة بمصدر دائم للماء[٦]، وبنى منطقة جديدة للسوق ومستشفى ايضاً[٧].

ولكن هل كانت هذه الدولة العثمانية الجديدة واحدة اخرى من الامارات العديدة المفتتة لدار الاسلام، وهذا السلطان العثماني المزيف الجديد هو الآخر احد الامراء الصغار الذين يشكلون عامل تمزيق للمملكة[٨] الجواب هو: بالنفي. وانه كذلك لان العثمانيين يدينون بدولتهم وصعودهم للسلطنة الى حماسهم وانجازاتهم في الحرب المقدسة: الجهاد، واجب مفروض على كل مسلم هو في الحقيقة السبب الجوهري لوجود العثمانيين. وما عدا الجهاد.. بل الاحرى كنتيجة له.. فأن السلطة العثمانية معتمدة على الاجماع: عند موت علاء الدين السلجوقي اختار الشعب والجيش عثمان ليخلفه كسلطان[٩]، وعثمان هذا كان اثير علاء الدين وهكذا من خلال الاجماع ومن خلال الجهاد اسقط الخصام الداخلي من الحساب وانتقلت السلطة من السلاجقة الى العثمانيين بسهولة. وفي الطريقة نفسها عولج التوسع العثماني على حساب الامارات الاسلامية الصغيرة المتعددة لفائدة العثمانيين. ولما شعروا بالتهديد العثماني ذهب هؤلاء الامراء الصغار الى تيمور "الذي سار ضد العثمانيين عازماً على اظهار شره متحدياً السنة(١٠)" وعند مجيء مراد الاول حاول القرمانيون ان يسببوا تمزيقاً ولكن السلطان العثماني تخلى عن الجهاد وعاد ليحمي مملكته. واستشار العلماء الذين اصدروا فتوى توجب عليه

---

(١) النسبة الابوية "عصبية" للبدو حاقنة لدم جديد في الشرايين المتعبة للدولة.

(٢) الاخبار، الورقة ١٤ ف.

(٣) الدر(١)، ص٣٠٤.

(٤) الاثار، ص١٥٦.

(٥) الاثار، ص١٥٧ : مقر السلطنة. او تخت الدولة (بمعنى العاصمة) وهي عبارة تعود الى اصول فارسية كما في تختي سليمان عاصمة قورش الكبير (المنقع).

(٦) بتحويل لنهر.

(٧) الاعيان، الورقة ٢٧٦ر.

(٨) الم يسمه المقريزي صاحب الروم؟ مجرد امير وسيد بالمنطقة الجغرافية التي يسيطر عليها.

(٩) ان امين العمري الذي يذكر العثمانيين لماماً حين يتحدث عن الموصل، هو المؤرخ الوحيد الذي بحث موضوع اصل العثمانيين ولم يذكر (انتخاب)عثمان. وفي تقديمه الموجز جداً (ثلاثة اسطر) يخبرنا ببساطة ان السلطان علاء الدين، ملك الروم، اعجب بفروسية ابي عثمان واظهر له المحبة. وبعد ذلك ورث عثمان اباه وفي عام ٦٩٩هـ وضع يديه على السلطنة (استولى على السلطنة): انظر المنهل(٢)، ١، ١٣٢.

(١٠) ان العبارة المستخدمة في (للسنة معاندا، والسنة يمكن التعبير عنها بالتسنن، والسنة واهل السنة: والقراءات الثلاث جميعاً تضع تيمور خارج التسنن وتحدد هوية مع العثمانيين).

حرب القرمانيين فزحف مراد الاول ضدهم ودحرهم[1]. ان من الواضح هنا ان القرمانيين هم الاشرار موقفي الجهاد وزارعي الفرقة بين اهل الاسلام. وبعد ذلك عندما تخلى مراد الثاني لمصلحة ولده محمد الثاني، استغل القرمانيون فرصة عدم الاستقرار في رئاسة الدولة العثمانية ودعوا الهنغار لغزو دار الاسلام[2]. وهكذا يخلق التاريخ الرسمي قضية للعثمانيين المجاهدون الصادقون والغزاة غير الملوثين بالتعاون مع الكفار. فليس عجباً اذن اذا تجاهلت المراجع القطعات النصرانية (بيزنطيين، بوسنة وصرب) التي شاركت في الحملة العثمانية عام ١٣٨٧م ضد القرمانيين.

وقبيل ظهور العثمانيين، انهمك السلاجقة والقرمانيون والايلخانيون والبيزنطيون والهنغاريون جميعاً في شجارات تافهة ونزاعات حمقاء بأمراء مسلمين منحازين لامراء نصارى ضد امراء نصارى آخرين متحدين مع مسلمين آخرين. ولا يمكن في الفوضى السائدة التأكد ممن هو المسلم ومن هو غير المسلم او ما هي حرب مقدسة (جهاد) وما هي حرب اخلاق. آنذاك وبظهور العثمانيين يصبح الحد بين دار الاسلام ودار الحرب ممكن الادراك ويمكن في النهاية رسم الخط الفاصل بين الحكام المسلمين الصالحين والحكام الاشرار. ودفعهم بقوة للامراء الروم والكفار والمسلمين سواء بسواء، جاء العثمانيون ليملأوا فراغاً سياسياً ويوفروا معنى واتجاهاً تاريخياً ويعيدوا تركيب المجال الجغرافي السياسي المحيط بهم.

ان اخضاع العثمانيين للامارات المسلمة المجاورة يمكن تبريره فقط بلغة التوسع الشمالي والغربي لدار الاسلام. وفي الحقيقة وحتى قبل اخضاع الجندارليين في قسطموني عام ١٤٦٢م والقرمانيين عام ١٤٦٨ م والحاق اقاليمهم بهم. فأن الغزاة العثمانيين اندفعوا بعيداً في الشمال حتى مولدافيا والدنيستر، وعميقاً في الغرب حتى صربيا والمورافا مكتسحين البلغار والولاش (مولدافيا ووالاشيا و رومانيا) في زحفهم ومدمجين منطقة اوربية واسعة في دار الاسلام لاول مرة في التاريخ[3]. وملوك كفار وشعوب كافرة تدعى باسماء غريبة لم يسمع بها من قبل (ميخال[4]، إردل بانو[5]، صرف، لاس، ارناؤط) راحت تدفع جزية للاسلام ولاول مرة والعبارة: وجعلها السلطان دار اسلام[6] التي دفن صوتها وحسها عميقاً في اعماق ذاكرة الاسلام، يظهر الان ويتكرر برتابة قوية ومرحة. وكل هذا بالرغم من الصعود النيزكي والشيطاني لتيمور اللعين الذي امتشق الحسام ضد السلطان ووضع يديه على عاصمته[7].

ومن خلال حماسهم الغازي ومن خلال انجازاتهم الملموسة في الجهاد يأخذ العثمانيون بكل جلاء الاسبقية على جميع الحكام المسلمين في اسيا الصغرى وهم على الاقل الاكفاء لسلاطين مصر المماليك، المحور الديناميكي الآخر للاسلام.ثم في عام١٤٥٣م سقطت بيزنطة بيد السلطان العثماني:اذعنت للاسلام.

---

(١) الاثار، ص١٥٦.

(٢) المصدر نفسه، ص١٨١.

(٣) المصدر نفسه، صفحات ١٤٣، ١٥٣، ١٥٥-١٥٩، ١٧٨-١٨٤.

(٤) الامير ميخائيل، امير ولاشيا.

(٥) جون زابوليا الهنغاري، ويشير الاسم ايضاً الى زوجته ايزابيلا.

(٦) وادمجها السلطان (قطار، مدينة، اقليم) في دار الاسلام.

(٧) لم يعترف بتيمور ولو مرة واحدة كمسلم، ناهيك بكونه سنياً.

بيزنطة: مدينة المدن، مدينة الامبراطورية، وريثة اليونان وروما، اقدم واقرب عدو للاسلام[1]..اختلط مصيرها مع الاسلام لثمانية قرون طويلة. وبسقوط بيزنطة من خلال السلاطين العثمانيين يبرز الاسلام رسالته الكونية التي كانت مهملة نوعاً ما وموضوعة على الرف. واكثر من ذلك ان الفتح العثماني لبيزنطة يلقي ضوءاً جديداً على الاية: "غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون" "لقد دحر الروم في ارض قريبة، ولكن بعد هزيمتهم سوف يهزمون عدوهم"[2]. وكيفما تقرأ الاية الثانية من سورة الروم (غَلَبت او غُلبت)[3] يبقى ان السلطان العثماني، اكثر من أي حاكم مسلم قبله، بسحقه للروم قد اعطى جوهراً تاريخياً للكلمة. ومن القرآن الكريم الى الحديث: لتفتحن القسطنطينية فلنعم الامير أميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش[4] واعداً بتأكيد مضاعف (لتفتحن) المسلمين بفتح بيزنطة وهذا الحديث يؤكد الطبيعة المميزة للمنتصر: "بورك بالامير الذي يفتح القسطنطينية وبورك بالجيش الذي سيدخلها." وبطرق عديدة ينجز الاتراك العثمانيون ماسماه ماسينيون

---

(١) في معركة مؤته في السنة الثامنة للهجرة، الاولى على رومية، دحر المسلمون فيها (الآثار ص١٤).

(٢) القرآن الكريم، سورة الروم، الآية ٢ و ٣. هذه هي القراءة العادية للآيات التي فهمت على انها تشير الى الهزيمة البيزنطية على ايد الفرس في فلسطين عام ٦١٣-٦١٤م، ولتعلق عن انتصارات بيزنطية على الساسانيين. مع ذلك وبدون العلامات المميزة، غلبت، التي تقرؤها غلبت في صيغة المبني للمجهول يمكن ايضاً قراءتها غلبت في صيغة المعلوم (انظر ار. بلاشير، القرآن (باريس ١٩٦٦) ص٤٢٩). وفي الحالة هذه سوف تقرأ الاية كما يلي: غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغُلبون (لقد انتصر الروم/في ارض اقرب، ولكن بعد انتصارهم سوف يهزمون). ان قراءة كهذه يمكن ان تشير الى نجاحات رومية مبكرة ضد الاسلام (مؤتة؟) وتتضمن الوعد بانتصار مسلم: وفي الحالة هذه الفتح العثماني لبيزنطة اثبات للاسلام وكأنجاز لوعد الله. وقراءة كهذه اغلبت مقارنة بـــ غُلبت) سوف تجد تصديقاً لها في الآيات التالية: "في بضع سنين لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم" (الايات ٤و ٥) تفهم عادة انها تشير الى الحروب البيزنطية-الساسانية، والايات التالية تفهم على انها تشير الى فرح المسلمين بانتصار الروم على الساسانيين: "ان عواطف محمد (صلى الله عليه وسلم) محبذة بالطبع الى جانب النصارى بدلاً منها لجانب الوثنيين عباد النار الذين ليس لهم مع الاسلام شيء مشترك" (جي. ام. رودويل، القرآن (لندن،١٩٦٣- ص٢١٠). ان هذا التفسير مع ذلك يترك الكثير الذي لم يذكر لانه اذا كان المسيحيون (النصارى) اقرب الى الاسلام من عبدة المجوس عبدة النار، فأن ذلك لا يعني بالضرورة ان الروم (يونانيون، رومانيون، وبيزنطيون) كأمة وكدولة هم اقرب للاسلام من الشعب الساساني والدولة: ان فكرة الروم هنا تشير الى وحدة عرقية وسياسية وليست وحدة عقائدية. واكثر من ذلك هناك حديث ينص على ان "الروم ابعد الناس عن الاسلام" (ابن الفقيه، كتاب البلدان، ام، جي.دمي كوجي (الناشر) (ليدن،١٨٨٥) ص١٩٦، ويجعل منها قضية ايجابية للفرس وضد الروم على اساس هذا الحديث). وعندما نطرح جانباً مسألة ما اذا كان الاسلام يفضل ام لايفضل البيزنطيين على الساسانيين يبقى التفسير الذي يورده رودويل غير مرض اساساً لانه يربط القرآن اكثر من الزوم بالحوادث التاريخية ويبدو ان الآيات تعنى اقل بكثير للساسانيين والبيزنطيين منها بالله بصورة اعم، ويميل المرء لان يقبل تفسير ميكيل لفرح المؤمنين بكونه اقل فرحاً بنصر البيزنطيين على الساسانيين منه بفرح في معرفة ان "وهكذا في القراءة الاولى (غُلبت) يبرر فرح المسلمين بالتعبير عن معرفتهم بقدرة الله وثقتهم فيه؛ وفي القراءة الثانية (غلبت) مشيرة بتحديد اكثر الى الحروب الاسلامية-البيزنطية، يبرر فرح المسلمين بالتعبير عن وعد الله دعونه عند الشدة.

(٣) قد يكون من الممتع النظر في القراءة المحدودة والتفسير الاكثر شيوعاً في الدولة العثمانية عقب احتلال القسطنطينية.

(٤) مسند ابن حنبل (القاهرة،١٨٩٥)، الجزء ٤، ٣٣٥.

"رغبة الاسلام في القسطنطينية". وبالنظر الى هذه جميعاً يتمكن المرء ان يتحسس تفاهة وسرعة زوال الآمال والمخاوف والمصير النهائي للامراء المسلمين الصغار في اسيا الصغرى ومابين النهرين.

وبالطريقة نفسها التي ساهم الجهاد في الغرب وفي الشمال بتأسيس الدولة العثمانية على انقاض الامبراطورية السلجوقية كذلك بررت الحاجة لدعم حقوق الدين الحق التوسع العثماني السني الى الشرق على حساب المماليك السنة. ان الخطر الموجه ضد الدين حقاً كان يكمن في فارس حيث ظهر اسماعيل الصفوي مخضعاً التركمان سادة بلاد العجم والعراق الواحد بعد الآخر[١]. الا ان سليم الاول العثماني كان متأهباً للرد.

زحف ضد اسماعيل في عام ١٥١٤م/٩٢٠هـ، فدحره واحتل تبريز مع ذلك ورغم هذا النصر العظيم فأن السلطان لم يتمكن من البقاء في فارس لكي ينظم الادارة للمنطقة (اقليم العجم) لان اسماعيل احرق كل المحاصيل اثناء هروبه، ولان المملوك قانصو الغوري منع التجهيزات من الوصول الى الجيوش العثمانية[٢]. والآن ولبعض الوقت اهمل السلاطين المماليك، المنتصرون على التتار في زمن ما وقاهروا الصليبيين، الحرب المقدسة (الجهاد). ولم يكتفوا بالقعود مراقبين للمجاهدين العثمانيين يشربون كأس الشهادة، هاهم الان هنا يعيقون الجهود العثمانية: وهم يمنعون توسع دار الاسلام[٣]. وبعد سنتين حين زحف السلطان سليم الاول تارة اخرى ضدهم، سأل قانصو الغوري السماح له ان يمر من حلب في طريقه الى فارس. رفض السلطان المملوكي فنشبت الحرب وغزا سليم سوريا وبعد ذلك مصر حيث طمأن الرعية ومد حمايته للجميع عدا الشركس سيئوا الطالع[٤].

وبضم البلاد السنية لسوريا ومصر و جزيرة العرب في مملكتهم يبرز السلاطين العثمانيون كممثلين رئيسيين للاسلام السني ويتولى القيام بخلافة المماليك والايوبيين السلاجقة والزنكيين، واخذاً على نفسه عهداً بحماية الامة والامبراطورية التي تأسست بهذا الشكل واسعة وممتدة الى ثلاث قارات ومع ان المراجع التاريخية المتوفرة لدينا لاتعير نفسها لتمرين في رسم الخرائط ولكن زاوية الحوادث السياسية والعسكرية ترسم بالكلمات وبالاسماء وان لم تكن بالخطوط تخوم المملكة العثمانية في ذاكرة القارىء. في هذه الفترة من التوسع سوف يمتد دار الاسلام الى ابعد مايصله الذراع العسكري العثماني والتحديدات العسكرية العثمانية والتطلعات العثمانية والدبلوماسية العثمانية والعجز العثماني سوف ترسم بالتالي الحدود (حد، حدود) وتشير الى تخوم (ثغر، ثغور) المملكة. سوف تكون المملكة التعبير الاقليمي لحيوية الدولة العثمانية وكذلك لتدوين هذه الحيوية في الحديث التاريخي قيد الدرس. الى اقصى الشمال الغربي تقع فيينا، حوصرت في عام ١٥٢٩م/٩٣٦هـ من قبل سليمان الاول الذي "امر بتدمير المدينة لانها كانت بعيدة جداً عن دار الاسلام"[٥]. والى الجنوب

---

(١) ان امين العمري هو الرجل الوحيد الذي يثبت وجوداً عثمانياً في العراق سابقاً للقرن السادس عشر. فهو يخبرنا انه عند موت نائب تيمور في عام ١٤١٨م/٨٢١ هـ اصبحت بغداد والعراق عثمانيتين حتى ظهور الشاه اسماعيل الاول الذي غزا العراق: انظر المنهل (٢)، ١، ١٣٣.

(٢) الآثار، ص١٩٣.

(٣) ليس هنالك شك ان الفتح السني لاقليم شيعي يشكل امتداداً لدار الاسلام: عندما غزا عبد الرحمن الازبكي مشهد في فارس في عام (١٥٨٨م/٩٩٧هـ)، قتل جميع الذين كانوا فيها " وادمجها في دار الاسلام " (الدر (١)، ص٤٣١).

(٤) الآثار، صفحات ١٩٣-١٩٤.

(٥) المصدر نفسه، ص١٩٧.

الغربي غير بعيد عن تونس العثمانية تقع قلعة لاغوليت التي اغتصبت ومحيت من الارض من قبل العثمانيين بسبب كونها معرضة لهجمات الكفار: حد التوسع تعبير عن العجز[١]. وماوراء المدن المقدسة في جزيرة العرب..امنة بيد العثمانيين..هنالك الحبشة، مدينة او ولاية الحد الاقصى الجنوبي للامبراطورية[٢]. والى الشرق تبريز واذربيجان غير محسومة وما زالت مذبذبة بين الولاء للسلطان العثماني واعتراف بقوة حقيقية لشاه صفوي قريب غير مريح. ويبقى مصير العراق غير متفق عليه لزمن طويل، حتى يتفق في النهاية السلطان والشاه على تسوية تعطى بها بغداد الى كونها مدينة علاقة للعثمانيين، وبلاد العجم للصفويين[٣].

اسطنبول:

في مركز هذه الامبراطورية تقع اسطنبول[٤]، القلب النابض للاسلام المولود من جديد. وبامتدادها في قارتين[٥] تهزأ اسطنبول من اوربا الكافرة لانها ليست مجرد مدينة مسلمة التملك على تربة اوربية وليست هي مثل الاندلس جزءاً مقتطعاً: انها العاصمة لامبراطورية مسلمة ديناميكية وشاسعة. وبتصديع قلاعها وبالاغتصاب اتخذ العثمانيون لانفسهم بعداً كونياً وحتى مسكونيا[٦]. ورسالة تخلى عنها الروم المحتضرون منذ زمن بعيد. لان مدينة القسطنطينية هذه والان جائزة محمد الفاتح قد توقفت منذ زمن بعيد ان تبقى بيزنطة المتغطرسة التي عذبت الاسلام. وفي الحقيقة ان الامبراطور اصبح مجرد سيد القسطنطينية[٧]، المنهمك في مشاحنات تافهة مع جيرانه كان على نحو متقطع تابعاً للعثمانيين. بل حتى ان السلطان فرض عليه بناء حي للمسلمين وجامع داخل الاسوار، ثم ارسل قاضياً وخطيباً للمسلمين في المدينة[٨].

كان الاجراء السياسي الاول للسلطان الفاتح ان يلغي نصرنة المدينة واعاد تسميتها باسطنبول. (اسطنبول) هي بالطبع نوع من التحريف المرغوب فيه لاسلامبول، قلب الاسلام. ولكن اسطنبول هي ايضاً استانبولين[٩]، المدينة، المدينة المفردة الوحيدة لانه اذا كانت اسطنبول بلا ريب عاصمة الاسلام[١٠]، فهي بمقتضى الرسالة العالمية للاسلام والبعد الجهادي للعثمانيين لا اقل منها عاصمة العالم. عن مدينة المدن هذه

---

(١) المصدر نفسه، ص٢٠٢.

(٢) المصدر نفسه، ص٢٠١.

(٣) الاخبار، الورقة١٦١ ف.

(٤) "ان املاك السلطان مقسمة الى شقين: شرق القسطنطينية تقع اناضولياً، وغربها تقع روميلية ". المنهل(٢)، ١، ١٧٩-١٨٠. اسطنبول تنشر الامبراطورية حولها.

(٥) ان القسطنطينية كمدينة لاتمتد على قارتين ولكنها واقعة على الضفة الاوربية لمضيق البوسفور ان الامتداد يقع في القسطنطينية-المحولة-الى اسطنبول، بالعثمانيين الاسيويين متخطين مضيق البوسفور. ان اسطنبول ليست مجرد ضيفة مسلمة معدلة للقسطنطينية انها بيزنطة بعثت من جديد: ان الفتح العثماني للقسطنطينية يوفق بين المدينة وامبرياليتها.

(٦) لقد تبنت روما التراث والكونية الاغريقية، ثم تولت بيزنطة الامر بعد ذلك من روما: يسراً وثقافياً وحضارياً وحضارياً اصبحت بيزنطة اباً لتراث اغريقي-روماني يتيم*. وكل ذلك كان يحدث ضمن روابط الزواج او الرضى. بينما اندفع العثمانيون في بيزنطة سياسياً وعسكرياً متبنين واقعياً بالاغتصاب رسالة يتيمة (بلا جنسية) للكونية.

(٧) صاحب القسطنطينية.

(٨) الآثار، ص١٦٧.

(٩) انظر ميكيل، الجغرافيا، ٢، ٤١٢، يقتبس من المسعودي. من الاغريقية ايس تين بولين (الى المدينة).

(١٠) الآثار، ص١٨٤ :مقر الاسلام.

ماذا يقال؟ انها مدينة محيرة: ١٣٣١٥ حياً مختلفاً[١]. ان لم يكن مؤشراً الى كونها مدينة عملاقة[٢]، فأن هذا الرقم الذي لايصدق اقل مايقال فيه يشير الى فسيفساء مضادة للاربعين او بعضها من الاحياء الموصلية غير ذات الابواب والمتجانسة. وتنغم هذا الجانب العملاقي والغريب نوعاً ما لاسطنبول من خلال التوزيع الديني الفريد للاحياء: ٣٩٠٢محلة مسلمة، ٤٢٣١محلة يهودية، ولا اقل من ٥١١٣محلة نصرانية[٣]. وكيفما تؤخذ هذه الارقام (تفوق اجمالي للنصارى واليهود، او تقطيع عال جداً داخل المجتمعات الذمية المختلفة، مضادة لجمهور مسلم متجانس)، فانها ما زالت تنقل للمسلم العربي الاقليمي رعية السلطان العثماني عالمية اسطنبول[٤] ومسكونيتها: مشبعة للكبرياء في اوقات العظمة، ومع ذلك نحيفة جداً في اوقات الضعف والشدة.

وفي حالة ان عدد الاحياء الحضرية لا يعطي فكرة محددة عن حجم المدينة فأن البنايات الدينية بالتأكيد تفعل: ٤٨٥ جامعاً، ٤٥٩٤ مسجداً، ٧٩٦ زاوية، ١٠٥ خانقاها "و١٦٥٦ مدرسة دينية (معلم خانة) واولها والرئيسية هي آيا صوفيا، المدرسة ذات الابواب التي شيدها محمد الفاتح[٥]. وتعداد البنايات الاسطنبولية يملأ هذا الجمال الحضري الواسع: ٨٧٤ حماماً، ١٩٧٢ نزلاً اوخاناً[٦]، ٨٨٩١ مخبزاً، و٢٨٨٥ طاحونة، و٢٣ مخازن بيع الجملة (قبان)، و٥٨ مصبغة ٤٥١ مجزرة (قصاب خانة)، و٨٦٢ بائع الجعة (بوزاخانه)[٧]، و ٧٩٠ مقهى، و٤٧٩٠ (ميخانة) و٤٩٨٥ (صنبور ماء) و٩٦٨ (عين ماء)[٨]، وحوانيت مجموعها ١١٧٠٦١[٩] حانوتاً.

واسطنبول ايضاً مقر السلطان وحكومته؛ ومركز رئيسي للانكشارية حيث هناك ١٢٠ ثكنة[١٠]، وفيها على الاقل مستشفى (دار الشفاء) بناها السلطان بايزيد الثاني[١١]؛ ومرصد بني في عام ١٥٧٩م/٩٨٧هـ من قبل تقي الدين العلوي[١٢].

ومدينة حباها الله بمناخ سليم ورياح طيبة فأن مروجها الخضراء ومماشيها العديدة وابنيتها الجميلة متعة للبصر[١٣]. والماء في اسطنبول بالمقام الاول، اذ تطل عليها قنوات المياه (نهر) وتطل على الخليج الذي

---

(١) ان الوصف التالي لاسطنبول في آواخر القرن السادس عشر مأخوذ من الدر(٢)، الورقة٢٣٢ف والدر(١)، ص٤٣٢.

(٢) لان الاحياء يمكن ان تختلف كثيراً في الحجم.

(٣) مجموع قدره ١٣٢٤٦ حياً، يقل بـ ٦٩ عن الرقم المعطى اصلاً. ومع ذلك فأن الخطأ لا يضر الصورة الفكرية.

(٤) الشعوب الكافرة بها قنصليات هناك. انظر الغرائب، ص٥١.

(٥) عنوان، الورقة ٢٣٦ ر؛ الاخبار، الورقة١٤٥ ف.

(٦) في الدر (١) ١٨١٧.

(٧) او معامل جعة.. ولو ان الرقم عال جداً (٧٩٢ في الدر١).

(٨) ان هذه التعابير الثلاثة (والاخير فارسي) تشير بكثير او قليل الى اشكال متعددة من النافورات.

(٩) ١١٧٩٦١ حانوتاً حسب قول الدر (١) يضاف اليها ١٠٠٠ عمارة بنايات شاهقة) و٤٦ شهر قبوس غامض.

(١٠) في الدر(١) ١١٠.

(١١) الاخبار، الورقة١٤٦ ف.

(١٢) المصدر نفسه، الورقة ١٥٠ ف؛ عنوان (١)، الورقة٢٣٦ ف.

(١٣) النضر (١)، الورقة٣٣٧ ر.

منحته اسمها. وهذا الخليج الذي يصل اسطنبول بالغرب واسكدار في الشرق[1] عرف بجماده بالكامل ويمشي عليه الناس كأنهم يمشون على ارض صلبة[2]. والمدينة بكاملها تبدو وكأنها قد بنيت على الماء: " الماء يجري في شوارعها والبحار من تحتها هكذا يخبرنا عثمان العمري الذي زار اسطنبول في عام ١٧٤٣ م/١١٥٦هـ[3]. والضد لهذا البعد المائي الجليدي لاسطنبول: النار. فلا اقل من ٢٤ حريقاً سجلها مؤرخونا منذ الفتح العثماني للمدينة. لسبب ما.. على الارجح لعلاقة بمواد الانشاء.. تتغذى النار بسهولة فائقة في اسطنبول واقل لهب يبتلع مئات الدور وحرائق اكثر اهلاكاً: حريق عام ١٦٥٨م/١٠٦٩هـ الذي استمر لثلاثة ايام وثلاثة ليال ودمر ٨٠٠٠٠ بناية وقتل ٢٠٠ انسان؛ وحريق عام ١٧٥٠م/١١٦٤هـ الذي ابتلع ٨٠٠٠٠ دار وخان وحمام وحانوت؛ وفي عام ١٧٨١م/١١٩٦هـ في رمضان اكتسح حريق هائل اسطنبول مدمراً ثلثي المدينة وقتلت فيه اكثر من ٤٠٠٠٠ ضحية[4].

ان الفيضان والزلزال والوباء والقحط او المجاعة ليست شيئاً نادراً في اسطنبول.. كما في الامبراطورية بصورة عامة.. وهي مع ذلك ظاهرة طبيعية (وخارقة للطبيعة): اشارة للغضب الالهي، انذار او عقاب يبين وضعها الانساني ويحمل في بلائه وعد رحمة الله وشفقته الاتية[5]. وبينما يخضع الحريق لأساس منطقي مختلف تماماً: اهمال، هوس الاحراق، جرم شنيع او انتحار، تبدو اسطنبول وكأنها تبتلع وتستهلك نفسها من الداخل، وتبقى ليرى فيما اذا كانت اسطنبول كهيئة الضعفاء، ستستمر تبعث من رمادها. يبدو ان الحريق..كارثة من صنع الانسان يشير الى تشاؤم ضمني، ويرمز الى مصير غير مضمون.

السلطان

لماذا السُلطان؟ لان حكم الناس هو احد الواجبات الاساسية التي فرضها الدين فبدون حكومة لا يمكن ان يكون هناك دين ولاحتى أي شيء آخر على ارض الواقع. والجنس البشري يستطيع ان يبقى ويزدهر فقط بالالتفاف حول انسان فرد معترف به قائداً عليه "ولهذا بالضبط يقال ان السلطان ظل الله على الارض، وليكن معلوماً ان ٦٠ سنة من الطغيان مفضلة على ليلة واحدة بلا سلطان"[6]. ان الله في حكمته العظيمة يفضل مجموعتين فوق كل شيء: الانبياء والملوك من بعدهم؛ "وقد خلق الملوك ليمنع مخلوقاته من قتل بعضهم بعضاً"[7]. ومع ذلك فأن هذه الضرورة التي لامفر منها للحاكم ترسم نفسها في منطق يجعل العدالة عنصراً

---

(١) ان خليج اسطنبول يدرك بالعرض فقط: من اسطنبول الى اسكدار. انه حلقة الوصل بين قارتين، بين الشرق والغرب "الفرشح العثمانية" وليس بين الشمال والجنوب: البحر الاسود وبحر مرمرة مهملان منسيان. وكأنها المياه من وجهة نظر موصلية لا تجري بامتداد محور الشمال والجنوب ولكن بالاحرى بامتداد محور الشرق-الغرب: نمط الحوار.

(٢)في الاعوام ١٦٢٠م/ ١٠٣٠هـ، ١٦٩٣م/ ١١٠٥هـ، ١٦٩٧م/ ١١٠٩هـ، ١٧٦٦م/ ١١٨٠هـ، ١٧٦٩م/ ١١٨٣هـ.

(٣) النضر(١)، الورقة ٣٣٧ ف.

(٤) الآثار، صفحات ٢١٥، ٢٣٢، ٢٤٦.

(٥) ومن هنا اهمية الشفاعة، طائفة الاولياء، استرجاء، ادعية، استسقاء، الخ.

(٦) الاخبار، الورقة ١٨٧ر.

(٧) الاخبار، الورقة١٨٩ ر.

لابد منه للسلطة: "لان الدين يحتاج القوة والقوة تحتاج جيوشاً، والجيوش تحتاج ثروات والثروات يجلبها الازدهار والازدهار مشروط على العدالة نحو الرعية"[١].

ويحدد الدين شروط العقد النافذ بين السلطان ورعيته: اذا حكم السلطان بموجب الشريعة واحترم حقوق الامة، فتجب اذن طاعته وتأييده وتصبح الثورة ضده غير شرعية وكذلك السعي لازالته، "على الرغم والقول لمرعي الحنبلي[٢]، رأي بعض العلماء الذين رجعوا الى ثورة الامام الحسين ضد يزيد بن معاوية لايجاد تبرير للمعارض على حكم طاغية"[٣] ان الثورة شر وغير شرعية لانها تتسبب في التدمير، والموت والنهب وجعل الطرق غير آمنة، فضلاً عن حرقها الحرث والضرع[٤]. ولذلك تظهر السلطة كظاهرة واقعية ديناميكية: يخلق السلطان شرعيته بنفسه: ليس هنالك حق مقدس للامامة، والسلطة تصبح شرعية بوجودها وبممارستها بموجب ارادة الله وقانون الاسلام.

فما هو الذي يمكن ان يكون اكثر اتباعاً للشريعة واكثر ارضاءاً لله من الحرب المقدسة (الجهاد) ومن توسيع دار الاسلام؟ الجهاد وحده يكفي بأمر الطاعة للعثمانيين ونجاحاتهم في الحرب تجعل حكمهم شرعياً ليس هنالك تخطي لقاعدة الغازي والمجاهد للسلطنة العثمانية: من كوتاهية الى صوفيا، الى القسطنطينية الى فيينا يهيمن السلطان على كل غزو وعلى كل حملة: اما مباشرة اذ يقود بنفسه الجيوش الظافرة الى المعركة او بصورة غير مباشرة اذ يرسل اولاده و وزراءه على رأس الجيوش[٥].

ان الصلة بين السلطان والجهاد قوية الى حد ان الجيوش في عام ١٥١١م/٩١٧هـ طالبت بسلطان جديد لأن بايزيد الثاني كان عليلاً ولايستطيع ان يقود المجاهدين[٦]. واستدعي مراد الثاني فعلاً بعد اعتزاله لكي يقود الجيوش ضد الكفار[٧]. وقد ارغم احمد الثالث على التنازل بسبب سياساته المتذبذبة تجاه الفرس في وقت كانت الجيوش الاسلامية قد توغلت عميقاً في ارض العدو[٨]. الجهاد بالتأكيد احد العناصر الرئيسية لسلطة السلطان العثماني وشريعته وبالتوسع السريع للامبراطورية الذي سيسيطر على الانغماس الصادق لمؤرخينا، يتغلغل الى القصة تشوش معين بين ممالك عثمانية وممالك سلطانية ودار الاسلام. وعلى الرغم مما يقوله مصري من القرن الخامس عشر كالمقريزي، فأن السلطان العثماني بوضوح هو السلطان. القوة العسكرية والفتح حسمتا مسألة الازداوجية، فاسقط الشراكسة الانجاس اصبحت اسطنبول عاصمة الاسلام، ولم تعد الامة هيئة عامة ذات سلطتين (او زعامتين) كانت الدولة المملوكية (الشراكسة) والدولة العثمانية تتزعمان

---

(١) المصدر نفسه، الورقة ١٩٢ ف. هذه "دائرة العدالة" المشهورة.

(٢) زين الدين المقدسي الكرمي (توفي عام ١٦٤٤م).

(٣) الاخبار، الورقة ١٨٤ ف.

(٤) المرجع نفسه.

(٥) يذكر ياسين العمري في الآثار ٩٢ حملة عسكرية بين السنوات ٧٠٢ هـ و١١٩٩هـ. وفي جميع هذه الاخبار ماعدا خمسة، السلطان هو موضوع الخبر: فهو اما يقود الجيوش (سار بـ) او انه يبعثهم (ارسل). في الاخبار الخمسة الباقية، الصدر الاعظم هو الذي يقود الجيش والسلطان لايذكر مطلقاً في الجملة. والاخبار الخمسة المعنية جميعاً تعود للقرن السابع عشر (١٦٠٥م، ١٦٤٦م، ١٦٦٢م، ١٦٨٢م): انظر الآثار، صفحات ٢٠٨، ٢١٣،٢١٥-٢١٦.

(٦) المصدر نفسه، ص١٩٢.

(٧) المصدر نفسه، ص١٨٢.

(٨) المصدر نفسه، صفحات ٢٢١-٢٢٢.

العالم الاسلامي (السني) ولذا فان القضاء على الاولى يعني انفراد الدولة العثمانية بالزعامة. ولم يتوقف الطابع الاسلامي للسلطنة العثمانية عند الجهاد اذ كان محمد الاول السلطان العثماني الاول الذي ارسل الصرة الى المدينتين المقدستين، بينما كان مراد الثاني يرسل ٣٥٠٠ ديناراً كل سنة؛ واعتاد بايزيد الثاني ارسال ٧٠٠٠ دينار الى مكة ومثلها الى المدينة وجاء خطيب مكة الى اسطنبول وامتدحه بقصيدة؛ وفي عام ١٦١٢م/١٠٢١هـ ارسل احمد الاول قلادة ماسية يقدر ثمنها بـ ٥٠,٠٠٠ دينار لتزيين قبر الرسول، وبعد ذلك بثلاث سنوات ارسل شباكين فضيين مطعمين بالذهب الى المدينة. وزاد اوقاف الحرمين الشريفين ايضاً، وفي عام ١٥١٦م/٩٢٢هـ اعلن السلطان سليم الاول "خادم الحرمين الشريفين" من قبل الخطباء في كل من حلب والقاهرة[١]. وبصفته الناصر للدين الصحيح وحامي طرق الحج وخادم الحرمين الشريفين، يبرز السلطان العثماني ايضاً بوصفه الحامي والضامن لتجربة دينية اكثر جوهرية تدور حول الصوفية وطائفة الاولياء[٢]. وعندما فتح سليم الاول دمشق امر ببناء جامع ابن عربي، محققاً بذلك نبوءة ابن عربي: عندما يدخل السين[٣] في الشين[٤]، عندها تظهر ملاحظتي قبر محي الدين"[٥] وعندما فتح سليمان الاول بغداد امر بانشاء مقبرتي ابي حنيفة وعبد القادر الكيلاني[٦].

وسواء كان بجانبه الرسمي او بتلونه المحلي الاشد فأن الدين يعتمد على القوة (الدين بالملوك، يقول علي العمري). والقوة..والجهاد جانب واحد منها فقط.. تنفذ في مؤسسة السلطنة العثمانية: لاحق مقدس للعرش، لا احكام مكتوبة للخلافة. ان حماس وشجاعة وانجازات عثمان الاول في الجهاد جعلت منه الخليفة "الطبيعي" للسلطان علاء الدين؛ وعندما توفي عثمان الاول خلفه اولاده. ومع ان السلطان قد يسمي خليفته. وهو ولده عادةً.. الا ان اختياره ليس ملزماً وفترة (من يخلف) تكون طوراً انتقالياً صعباً تتأثر بها الدولة كلها: وهنا مصدر الحيل التي تحيط موت السلطان، اذ يحفظ السر عادة حتى وصول ولي العهد[٧]. وهنالك ازعاج آخر لهذا النظام الذي تلعب فيه القوة العنصر الحاسم في عملية انتقال الملك، وهو العادة في تصفية جميع المدعين الاقوياء للعرش: عندما صار بايزيد الاول سلطاناً في عام ١٣٨٨م/٧٩١هـ امر بشنق اخيه يعقوب، فكان اول سلطان عثماني يفعل ذلك"[٨]. ان ذرية السلطان العثماني الذكور يصبح واحد منهم سلطان المستقبل، ويصبح آلاخرون ضحايا الفداء، ويقدمون قرابين لمذبح الوحدة والاستقرار. هذا لايعني ان المؤرخين

---

(١) الاخبار، الاوراق ١٤٤ر-١٤٥ر، ١٤٦اف، ١٤٩ ف، ١٥١اف، الآثار، ص١٩٤.

(٢) الحلاج، "الولي المطرود من الاسلام"، الرائد الصوفي الرمز للانتراك.

(٣) سين سليم.

(٤) شين الشام.

(٥) الآثار، صفحات ١٩٣-١٩٤ يوجد مخطوطة مغمورة في مكتبة الاوقاف تعود الى عهد محي الدين بن عربي اطلعت عليها شخصياً – وتتضمن دوائر ملكية عنوانها "الشجرة النعمانية في اخبار الدولة العثمانية " منسوبة لمحي الدين بن عربي "الشيخ الاحمر" وفي نصها قرأت "عندما يدخل السين في الشين يشاد قبر محي الدين "..منقح الترجمة..

(٦) الاخبار، الورقة، ١٤٩ ف.

(٧) عندما مات محمد الاول اخفى مسشاروه موته اربعين يوماً حتى انهم اخرجوا مقابلة رهيبة بجسد السلطان مترابط باتساق من قبل رجل مختف وراء الستار: كل ذلك لفائدة الجيش (الاعيان، الورقة،٢٧٨ ف).

(٨) الآثار، ص١٦٤.

الموصلين المتحدثين بالمسألة يؤيدونها قلباً وقالباً[1]؛ بل يبدو ان يتقبلونها في غياب شيء افضل كحقيقة للقوة ووسيلة تأسيسية للحكومة. ان القوة..القوة نفسها التي تضخ دم الحياة في الجهاد وفي جوهر قواعد العرش، وهي تبرر اشياء عديدة. وحالما يجلس على العرش..ولانه استطاع ان يضمنه. يطاع السلطان العثماني ويعامل المدعّون للعرش بقسوة شديدة[2]. ومع ذلك وطيلة الوقت يتضح ان المتنافسين والمدّعين لايدانون كثوار بقدر مايدانون كثوار فاشلين: فقد كان تحديهم فاشلاً ولم يحتوي في بداخله على بذور عهد جديد لذا فأن هذا يحدد فشلهم كتابة التاريخ ايضاً.

ليس من السهل ان نستخلص من المراجع ضيقة الافق رديئة المعلومات والتي لا تهتم اجمالاً قيد الدرس صورة مترابطة منطقياً عن حقيقة قوة السلطان. ومع ذلك فأن رواية الحوادث السياسية تسمح لنمط معين بالظهور. كان السلطان حتى اواخر القرن السادس عشر يحتل موقعاً مركزياً في الاسلام، وفي الرواية التاريخية وفي التركيب النحوي. في الاسلام يرمز السلطان الى وحدته واستمراريته وهو السلطة النهائية ويحكم بلا منازع. في الرواية التاريخية يضيع تاريخ الامبراطورية العثمانية في اخبار كل سلطان (فتوحاته، حكمه، انجازاته). في التركيب النحوي: السلطان هو الفاعل الرئيسي في الفقرة، العنصر الحيوي الحقيقي والفاعل. من القرن السابع عشر تتبدل الاشياء ويظهر زعماء جدد في مقدمة المشهد: الصدر الاعظم، الدفتردار، شيخ الاسلام، اغا الانكشارية، ويكتسب جميعهم شهرة ويشكلون جماعات ضغط ويجتذبون السلطان الى خططهم وحيلهم فتغدو قوة السلطان في اضمحلال. واذ استطاع محمد الثاني ان يستخلص من صدره الاعظم خليل باشا على فراش المرض[3]، واذ عالج مراد الثالث بنجاح ثورة الانكشارية[4] واذ كان التحدي للسلطان يأتي في الماضي من بيت آل عثمان (اخ او عم طموح). فلقد صار الوضع الآن ان السلطان ومعه بيت آل عثمان، خسر المبادرة: في عام ١٦١٨ م اسقط شيخ الاسلام [السلطان] الزاهد مصطفى الاول؛ خليفته وابن اخيه الشاب عثمان الثاني الذي قتل اثناء ثورة ضد الصدر الاعظم والدفتردار: اما ابراهيم الاول فقد خنقه الانكشارية الموالون لشيخ الاسلام؛ واما محمد الرابع فقد عزله وزراؤه[5]؛ بينما اضطر خليل[6] الى التنازل عن العرش. وبالرغم من انفجارات الطاقة العرضية (مراد الرابع، سليمان الثاني، احمد الثالث، محمود الاول، عبد الحميد الاول) فأن السلطنة يغمرها السبات. لم يعد السلطان يفعل، كان يرد الفعل فحسب، ويقع الفعل في مكان ما ويعود لشخص ما.

---

(١) عندما امر عثمان الثاني في عام ١٦٢٠م/١٠٣٠ هـ باعدام اخيه محمد، قال له اخوه محمد: بأسم الله، لاتجعلني عدوك يوم القيامة لاني خادمك الوفي المطيع؛ ولكن السلطان لم يأبه به وسلمه لجلاديه. وحينما كانوا يخنقونه طفر الدم من منخاره على عمامة السلطان وكانت كلمات محمد الاخيرة لاخيه: لقد جعلك الله العوبة شهوات لا ترحم سوف تجلب عليك سقوطك؛ وبعد سنة واحدة انتحر السلطان (الآثار ص٢٠٩).

(٢) صانجي الذي ثار في عام ١٣٨٥م ضد ابيه مراد الاول واعلن نفسه سلطاناً "اغري ليفعل ذلك من قبل الشيطان" (الآثار، ص١٦٢).

(٣) خليل باشا نفسه كان قد قبل رشوة من الروم (الآثار، صفحات ١٨٢-١٨٣؛ الاخبار الورقة ١٤٥ ر).

(٤) الآثار، ص٢٠٥.

(٥) ولم يستطيع مدع عثماني قوي.

(٦) الآثار، صفحات ٢٠٨-٢٠٩، ٢١٠، ٢١٢، ٢١٤-٢١٧، ٢٢٥-٢٢٦.

ان عملية اضمحلال السلطنة..عملية يلمح لها مؤرخونا بصورة مشوشة..قد وصفها وحللها بتفصيل كبير العلم الحديث. ما قد يكون اكثر اثارة للاهتمام هنا هو ان نستخلص من النصوص خشية السلطان تجاه مراكز القوة في العاصمة. في الوقت الذي يتخبط الجهاد، ويتهجم الكفار والهراطقة، تظهر المراجع وكأنها تصطنع ازاحة للسلطان بالنسبة لجهاز الدولة. وفي اوقات الازمة يصبح السلطان نوعاً ما سجين المؤسسة، ويبني رجال الدولة حوله جداراً من الصمت: جدار يستطيع السلطان ان ينفذ منه فقط في لحظة وضوح فكري سعيد وعودة وحشية للوعي عندما يضع نفسه بعلم او بدون علم خارج المؤسسة. لقد سمع مصطفى الثاني خارج اسطنبول وفي محيط ريفي وبالصدفة عن اللهجة المسقوفية على المسلمين التي خبأها عنه الصدر الاعظم. ولم يعلم مراد الرابع عن الغزو الفارسي لبغداد واخبره خطيب جامع ابي حنيفة الذي ذهب الى اسطنبول واستطاع ان يلقي الخطبة في حضور السلطان. واما بالنسبة لسليم الثالث فأن احداً لم يخبره عن احتلال الفرنسيين لمصر: وعندما سمع به بعد شهرين من الحدث. بكى على الاسلام ونفى الصدر الاعظم وامر باعدام الرئيس افندي لانه هو الملام على الكارثة وحضر نفسه للجهاد.

ان هذه الوسيلة التي تفصل السلطان عن امثلة السلطة لا تعني ان تبريء او تعفي هذا او ذاك السلطان ولكنها تعني كتعبير عن الشك الموصلي..والاقليمي..نحو رجل دولة بعيد وصانع سياسة مجهول نحو اولئك الذين يمسكون السلطة ومصائر الامبراطورية والاسلام في وقت ينهب فيه الفرس بغداد، ويصبح الفرنج الكفار اكثر تحدياً. وبفصل السلطان عن مؤسسات الحكومة تنجز النصوص تطابقاً قوياً بين السلطان والرعية: ان لحظة وعي السلطان (ذهول مراد الرابع بالخطيب، عثور مصطفى الثاني عرضاً على رسالة خطية مهمة) هي لحظة وعي المسلمين نفسها لاسيما وان المؤرخ الذي يصف لحظة الحقيقة لدى السلطان يخلق هذه اللحظة ذاتها في فكر وقلب المسلمين.. في الحاضر والمستقبل.. الذين ستقع كتاباته في ايديهم. في المجتمع المعاصر قد يقول المرء ان الناس ("جماهير"، "بروليتاريا" او "الامة") يستغفلهم ويغشهم ويسيء اعلامهم قادة مهملون لايبالون. في المجتمع الذي تصفه مراجعنا السلطان هو الذي يقع ضحية لخطط مؤذية كهذه، ومن خلال الوعي لديه ورد الفعل اللاحق يصبح الناس (المسلمون) واعين لما كان يحدث.

ان لحظة وعي السلطان.. وبعدها يختار ان يتخذ أو لا يتخذ..مرتبطة عادة بشخصيات دينية كالشيخ الذي حذر بايزيد الاول ضد شرب الخمر[1]، والخطيب الذي اعلم مراد الرابع بغزو الفرس لبغداد، او الواعظ الذي جلب انتباه سليم الثالث للبدع التي أدخلتها حكومته[2]. ومع ذلك فأن تحذيراً كهذا او نصيحة كتلك تعطى للسلطان في جمع من الناس مما يجعل الحديث المعني عاماً على الفور..مفتوح للفحص والتدقيق.. وتفسر معرفة المؤرخين به[3]. ليس هنالك موضوع مؤامرة: سواء بين المؤرخ والشخصيات الدينية المحذرين والناصحين للسلطان، او مؤامرة بين المؤرخ وبعض مصادر القصر الحسنة الاطلاع. واكثر من ذلك ليس

---

(١) الاعيان، الورقة٢٧٧ر.

(٢) العمدة، الورقة ٥٥ر.

(٣) عندما تكون "لحظة الوعي" خاصة (مراد الرابع تخبره محظياته، او مصطفى الثاني متخفياً) فأن رد فعل السلطان وفضح سر الجريمة (الاعدام، النفي، الطرد) هو الذي يعلم المؤرخ والمسلمين عموماً.

هنالك موضوع مؤامرة على الاطلاق تدبر في الخفاء من قبل الشخصيات الدينية المعنية[1]: ان المؤامرة لايمكن ان تكشف بمؤامرة اخرى، ان الشيخ والخطيب والواعظ يخاطبون السلطان علناً.

ان الرسالة واضحة وسواء كانت في قضية الجهاد او في موضوع البدعة التي ادخلت بخصوص ضرائب جديدة[2]، او في خلق جيش جديد مستقل عن الفيلق الانكشاري، فأن السلطات اسيئت نصيحته[3]، ذلك لان على السلطان ان "يحكم بموجب الشريعة والسنة، ويتجاهل أي احكام اخرى ولو انها مفيدة في ظاهرها، ولكنها في الحقيقة تؤذي عباد الله. واولئك الذين يشرعون احكاماً كهذه وتفضل ما شرعه النبي (صلى الله عليه وسلم) يبطلون السنة ويشجعون البدع[4]. وفي جميع القضايا يجب على السلطان ان يتشاور مع الرجال الحكماء والعلماء[5]. والرجال الحكماء العلماء غير الملوثين بفساد وممارسة الحكومة هم في العادة شخصيات اقليمية من طبقة علماء الدين السفلى او شيوخ الصوفية: ضمير الامة، شخصيات صغيرة من الملائكة والانبياء الذين وان لم "يرسلوا" "خلقوا ليتدخلوا" بالفعل على كوميدية مقدسة افسدت بأسى واسف.

ومع ذلك وعلى الرغم من ادخال البدع وبالرغم من تقلبات الزمن فأن الاندماج بالعثمانيين مازال على قدم وساق، والسلالة ليس لها منافس خطير ووحدة الامبراطورية مرغوب فيها بحماس. السلطان هو المؤيد للدين الصحيح ودرعه ضد اكباش الكفار؛ وهو الضمان لتجربة دينية محلية والمدافع عنها ضد الهجمات الماكرة من الداخل والخارج.

وبين العصر الذهبي للسلاطين الاوائل وهذا القرن الثامن عشر المحتضر الذي يتكرر تواتر شبح الكفار فيه، هنالك مع ذلك اختلاف. فحينئذ بصفته أمير المؤمنين كان السلطان العثماني مدعوماً بجهاز دولة موالي وآلة حربية ضخمة اوجدها هو بنفسه. اما الآن فأن السلطان العثماني يظهر لينجز واجباته كأمير للمؤمنين بدون.. وفي بعض الاحيان حتى على الرغم من الدولة والجيش. كل شيء ليس حسناً بالتأكيد ويتساءل المرء عن الحرائق الرهيبة التي تضيء اسطنبول فيما اذا كانت المدينة وحدها هي التي تتلف نفسها.

ان السلطان هو رمز الوحدة وحدة مرغوبة.. وعلى هذا الرمز ان يفقد قوته على التأثير في التبصر وفي السلطة بالضبط لكيما يستبقي نقاءً وكمالاً اساسياً: فالضعف والبراءة تسيران على الاغلب جنباً لجنب.

الاعداء: الافرنج

بتخطيهم الى القارة الاوربية واستعراضهم لراياتهم في اقصى الغرب حتى فينا على الدانوب. وفي اقصى الشرق حتى نهري الدون والازوف، ادمج العثمانيون في دار الاسلام خليطاً من الممالك والامارات[6] الصغيرة، واحدثوا تغييرات جذرية في التشكيل الجغرافي السياسي. ومن هذه الاضطرابات العنيفة الكبيرة

---

(١) ان هذه الشخصيات الدينية تختلف اساساً عن شيخ الاسلام وقاضي العسكر والوظائف الدينية الاخرى ذات الاتجاه السلطوي.

(٢) العمدة، الورقة،٤٧ ف؛ الدر(٢) الورقة ٣٧٧ر.

(٣) الغرائب، ص٣٣: قوانين غير مستقيمة، يسمي ياسين العمري المراسيم العسكرية والمالية الجديدة.

(٤) الاخبار، الاوراق١٨٧ف-١٨٨ ر.

(٥) المصدر نفسه، الورقة ١٨٧ ف.

(٦) روم، بلغار، ارناؤط (البانيا)، صرف (صربيا)، بوسنة (بوسينا)، بغدان(ملدافيا) افلاق(ولاجيا)، الخ دار الاسلام ودار العهد قد تشوشا بسبب معارضتهما لدار الحرب.

ظهرت ثلاثة شعوب كافرة كبيرة (افرنج، فرنج) وشكلت تهديداً للامبراطورية المسلمة: الى الشمال الغربي كان الانكروس والى الشمال الشرقي المسقوف، وفي مكان ما في ارض قصية مفصولة عن المملكة بأقطار وبحار مجهولة كان الفرنسة.

ان الانكروس (الهنغاريون)[١] هم الاعداء القدامى للسلطان. وحتى قبل الفتح الاسلامي للقسطنطينية، لم يتردد الانكروس في معونة الصرب والبوسنة والبيزنطيين والقرمانيين ضد العثمانيين[٢]. وعندما احتل العثمانيون في النهاية بودن[٣] عاصمة ملكهم تيمجي قيرال[٤]، وبعد ذلك عندما نعلم ان ملكتهم ايرديل بانو تدفع الجزية للسلطان، اذ ذاك فقط قد يفيدنا ان نفترض ان تهديد الانكروس قد خمد. ولكنه ابعد بكثير من ذلك فأن الانكروس الاشرار دائماً وابداً ما زالوا يشنون هجماتهم ضد الاسلام. وهذا بسبب ان التعبير انكروس لم يعد يشير الى الهنغاريين[٥] فقط بل الى الهابسبرك ايضاً. ففي عام (١٥٢٩م/٩٣٦هـ) حاصر السلطان سليمان الاول عاصمتهم بيج (فيينا)[٦] واحتلها، ووضع يديه على كنوز ملكهم الهارب[٧]. وبعد ذلك قام المسلمون بانسحاب ستراتيجي بعد ان دمروا اولاً مدينة بيج[٨]. ومع ذلك ورغم تدمير عاصمتهم يبقى الانكروس عدو الإسلام الرئيسي في اوربا، وفي عام ١٦٨٣م/١٠٩٤هـ يمحقون جيشاً عثمانياً جاء يتحداهم تحت اسوار بيج[٩].

وفي اعقاب هذا الحصار الثاني لفينا اصبحت الحدود بين القوتين اكثر استقراراً ومعترفاً بها، ولم يعد الانكروس يذكرون في الحرب ضد العثمانيين. ان الخطر الان يكمن على التخوم الشمالية الشرقية من المملكة.

"في عام ١١٨١هـ ظهر المذنب في الشرق، يجر وراءه ذيله المتطاول في اتجاهه الغربي. ورأت هذه السنة بداية خضوع الاسلام على يد بني الاصفر"[١٠].

في موصل القرن الثامن عشر كان التعبير (بنو الاصفر) الذي استعمل ذات مرة بصدد الصليبيين، يستعمل للمسقوف. ولكي نفهم الصلة بين النجم المذنب والمسقوف يجب على المرء ان يعود القهقري في الزمن الى هذه السنة ١١٠٨ للهجرة "عندما ولد السلطان محمود وفتح المسقوف الكفار ازاق (ازوف)[١١]. ويحدثنا مبشر ايطالي عاش في الموصل حوالي عام ١٧٥٠ م ان اهل المدينة اعتقدوا ان نهاية الامبراطورية العثمانية سوف تأتي على ايدي المسقوف بعد موت السلطان محمود الاول. وقد يستطيع هذا ان يفسر لماذا وضع ميلاد سلطان وفتح ازوف من قبل الروس في الخبر نفسه ووحده. لقد مرت سنون كثيرة منذ موت

---

(١) من التركية اينكروس.

(٢) الآثار، صفحات ١٥٦ –١٥٧، ١٦٧ ، ١٨١–١٨٢.

(٣) وتكتب ايضاً بوردون اشارة الى بودا.

(٤) من التركية غسا (نمساوي، بروسي) وقيرال (ملك).

(٥) تدعى مجر الآن.

(٦) من التركية بيش، وهو الاسم الهنغاري لفيينا واستعمله العثمانيون.

(٧) نيمجي قيرال، او نيمجي قرادوش.

(٨) انظر ما سبق، ص٢٧٧.

(٩) الآثار، صفحات ٢١٦–٢١٧.

(١٠) غرائب، ص١٣.

(١١) الآثار، ص٢١٩.

السلطان محمود الاول وما زالت الامبراطورية العثمانية قائمة ولو انها ضعيفة وخائفة بعض الشيء ان هذا حسبما اعتقد الموصليون، يعزى الى النبي (صلى الله عليه وسلم) الذي كان يشفع للمسلمين، مؤخراً بذلك للحظة النبوءة. ولكن حين طلع المذنب في هذه السنة (١٧٦٧م/١١٨١هـ)، في السماء طابعاً فأله على الذهن وعلى عتمة الليل الهادئة، اتخذ الاعتقاد القديم فجأة حقيقة مرعبة: "عندما نشبت الحرب بين العثمانيين والروس كانت انباء مخيفة تصل الموصل فيما يتعلق بمصير جيوش المسلمين. وعندما رأى الناس هذا النجم الغريب اقتنعوا انه ينذر بسقوط الامبراطورية العثمانية لان ذلك مكتوب في كتب الاقدمين"[١].

بنو الاصفر الافرنج وحتى احفاد الامير الغساني المرتد جبلة[٢]، المسقوف يختلفون عن الانكروس في نقطتين اساسيتين. فمن ناحية الزمن يعود تهديدهم الى الحاضر، الى هذا القرن الثاني عشر والثالث عشر الهجري الذي خبرته المراجع، بينما يعود الانكروس الى ماض بعيد نسبياً.. الى زمن مبدد. واما من ناحية المجال فأن رايات المسقوف الشريرة تقترب على نحو مخيف من الموصل (جورجيا، بحيرة اورمية، خوي)، بينما يكثر الانكروس التردد على غرب غامض ويدرك فقط بعتمة وابهام.

ويبدو ان المسقوف الكفار يأخذون المقدمة حيثما يختفي الانكروس الكفار، انهم ينشرون نفوذهم. وفوضاهم..من ازوف الى الشرق، والى الجنوب في جورجيا حيث يشجعون الكرج على الثورة[٣]، غرباً الى القرم التي الحقوها بهم، والى بلغراد حيث يتظاهرون كحماة للنصارى[٤]. ان قوتهم يحس بها حتى في عمق الارض المسلمة في الموصل نفسها من خلال مشاركة الرعية النصرانية للسلطان[٥]. وبقوتهم، معززة بالنبوءة والفأل، فأن المسقوف عدد هائل، دخل الموصليون باتصال مباشر معهم في عام (١٧٧٠م/١١٨٤هـ) عندما ارغم امين باشا الجليلي، كان في بندر مدافعاً عن المدينة ضد كل الخطوب (تخلى عنها الصدر الاعظم، مقطوعة عن خطوط المسلمين، ومحارباً حريقاً بعد حريق في مدينة مبتلاة بالوباء والمجاعة) على الاستسلام واقتيدا سيراً الى بتربوخ (بطرسبرغ) عاصمة المسقوف[٦].

لقد كان انتصارهم كاملاً بحيث انهم ارسلوا الى اسطنبول يطلبون الجزية من المسلمين. فاستجاب الاسلام ايجابياً للاستفزاز المتغطرس اذ احتشد المجاهدون بالوفهم في اسطنبول وزحفوا ضد الكفار ودحروهم بعون الله[٧].

بآزوف وبغير ازوف، وبالقرم وبغير القرم تستمر الامبراطورية العثمانية بالحياة ومازال على المذنب ان يحقق فأله السيء، وما زال محمد (صلى الله عليه وسلم) يشفع نيابة عن الناس.

---

(١) انظر لانزا، صفحات ٦٣-٦٤.حتى لقد عرض النصارى الموصليون للانزا مخطوطات قديمة مدفونة في اعماق منسية من الاديرة الاثرية احتوت على خرائط قديمة مبينة بدقة نقاط الاختراق للجيوش الروسية ومسارات غزوهم.

(٢) انظر ما سبق، ص٢٣٧.

(٣) الآثار، ص٢٣٨.

(٤) الدر(٢) الورقة٣٧٧ ر: غرائب، ص٣٠.

(٥) ان اتفاقية عام ١٧٩٢ م مع روسيا اشترطت ان يسمح للنصارى بترميم او بناء كنائسهم، وكنتيجة فعل النصارى ذلك: الدر(٢)، الورقة ٣٧٧ ر؛ غرائب ص٣٣.

(٦) الآثار، ص٢٣٩.

(٧) غرائب، ص١٠٢.

ان اعداء الاسلام، المسقوف والانكروس وكذلك الشعوب الكافرة كالنمسا[1] تتحد بقواها مع السلطان في أواخر القرن الثامن عشر. والسبب وراء هذا الحلف غير المقدس جداً هو صعود الفرنسة وغزوهم لمصر. ليس هنالك سوء فهم للتأثير التشنجي والمحير الذي احدثه ظهور الفرنسة على المشهد التاريخي..في الرواية التاريخية..على المنظور الجغرافي السياسي المقبول للعالم المألوف.

ان الفرنسيين يصنعون دخولهم الرائع في المراجع باحداث جيشان ثوري عنيف في قطرهم: بقتلهم لسلطانهم، بالغاء الملكية برفضهم النصرانية بالتخلي عن معتقدات ابائهم، وبتنصيبهم لنظام جديد لايرحم وليس فيه مكان للمريض والطاعن في السن والضعيف[2]. وبعد ثورتهم ضد السلطة "الشرعية" في قطرهم بادر الفرنسيون الى عبور البحار وغزو دار الاسلام. انها ظاهرة محيرة مرتين لان "مصدراً مطلع جداً ومعتمد اكد لي ان الفرنسيين كانت لهم صداقة طويلة الامد مع الملوك العثمانين، ولايتذكر احد انهم حملوا السلاح ضد سلاطيننا ابداً"[3] مع ذلك هاهم الفرنسيون وقد اوقعوا الفوضى في تآلفهم في عالمهم البعيد، راحوا الآن يعكرون السلام في عالمنا. لقد قادهم على درب الشر بورتابول(نابليون)[4] فجاؤا ٨٠,٠٠٠ منهم[5]، على ٨٠مركباً واحتلوا الاسكندرية بالخيانة والغدر[6]. لقد كانت خطة الفرنسيين شيطانية: معتمدين على صداقة مع السلطان تمتد الى قرون، " فقد اتصلوا برشيد افندي الذي كان محتسباً لجميع بلاد الافرنج وترجمانهم لدى الباب العالي، واستحصلوا منه فرماناً يسمح لهم بالذهاب الى مصر. فعادوا الى وطنهم مسلحين بالفرمان وجمعوا ٢٠٠٠٠٠ جندي وركبوا البحر. ولما صاروا قبالة الاسكندرية ارسلوا رجلاً يتكلم التركية ويلبس زي رجل دولة عثماني ليستغفل المسلمين. فنجح بمساعدة الفرمان واستطاع الكفار ان يضعوا ايديهم على المدينة"[7]. وبعد احتلالهم للاسكندرية بالخيانة، سار الفرنسيون فاحتلوا القاهرة ويافا والرملة وغزة بالطريقة نفسها، واحتلوا البقية بحد السيف[8].

وفي النهاية دحروا واخرجوا من مصر بقيادة الصدر الاعظم يوسف باشا، وهرب قائدهم المنبوذ الى وطنه وراء البحار[9].

وبدحرهم وطردهم من المملكة ومن العالم المألوف، استؤنف نمط الحرب "العادي" ورفع المسقوف رؤوسهم القذرة تارة اخرى.

---

(١) من التركية نمسا (نمسوي،بروسي) او من العربية نآمجين (المان). يبدو الان ان التعبير نمسا يشير الى الامبراطورية الهنغارية –النمسوية، بينما يشير التعبير انكروس الى الانكليز: خلط بين الانكروس والانكليز.

(٢) غرائب، ص٣٢.

(٣) الدر (٣)، الورقة ٤٢٠ ف.

(٤) وتكتب ايضاً بوترابول.

(٥) في الدر(٢)، الورقة ٣٨٣ ف: ٢٠٠,٠٠٠.

(٦) غرائب، ص٤٨.

(٧) الدر: (٢)، الورقة ٣٨٣ ف.

(٨) غرائب، ص٤٨.

(٩) غرائب، ص٥٧.

الاعداء والمنافسون: العجم

اذا كان واجب السلطان ان يدافع عن الامة ضد التهديد العسكري الذي تلوح به الشعوب النصرانية الكافرة، فأن من واجبه ايضاً ان يحمي الامة من الهجمة المادية والروحية للبدعة. في الفترة قيد الدرس، النظير البدعي للسلطان، "العدو" هو الشاه الصفوي. فحينما كانت تبرز من خرائب البيزنطيين وامجاد السلاجقة امبراطورية عثمانية سنية كذلك كانت امبراطورية صفوية شيعية تنهض من تحت رماد الامارات المنغولية والتركمانية في العراق و "ماوراء النهر": استقطاب ثنائي للمنطقة، انقسام للعالم الاسلامي وخصام طويل. وبين امبراطورية سنية في الغرب وامبراطورية شيعية في الشرق وقع العراق، عراق الموصل، البوابة الى المدن المقدسة في جزيرة العرب ومثوى رفاة المبجلين علي والحسين.

ان مؤسس الامبراطورية الشيعية هو اسماعيل بن حيدر: سليل الامام الحسين، وامه ابنة اوزن حسن[١]. وعندما كان في لاهجان تردد اسماعيل هذا "على جماعات فاتبعهم واتبعوه.."[٢]. وفي عام (١٥٠٠م/٩٠٦هـ) ثار ضد ملوك العراق وفارس واضعاً يديه على كنوز مراد بك بن سلطان يعقوب وفاتحاً فارس والعراق بما فيه بغداد واربيل والموصل. لقد كان اسماعيل اول من تتوج واتخذ لقب شاه[٣].

فلقد بدا العجم غير قادرين على ضمان حكومة مستقرة وتأمين عيشة الرعية في سلام وامان. والدليل هو انقلابات القصر المتكررة وتغيرات السلالات. فلقد جاء طهماسب الاول ابن اسماعيل الاول الى العرش بعد ان قاتل وهزم عمه محمد. وبعد ذلك قتل اخاه ميرزا ومات هو نفسه مسموماً من قبل زوجته[٤]. اما ابنه اسماعيل الثاني فقد دشن عهده بقتل شقيقته المحسنة اليه، وبعد سنتين مات مسموماً[٥]. اما ولده خدابنده فقد تحداه ولده عباس الاول وهزمه[٦]. تلت ذلك خمسون سنة من الرغبة الملحة للاستقرار منتهية بالاغتصاب الافغاني الدموي المجنون[٧].

نادرشاه الذي طرد الافغان، قتل في عام (١٧٤٧م/١١٦٠هـ)، وعند موته غرق البلد في فوضى[٨]. وفي النهاية جاء القاجار المبتلون بالخصومات الداخلية وقتل الملوك[٩]. وكانوا غير قادرين على الاعتراف بسلطة سلالة منفردة وشرعيتها بل كانت الدولة على الغالب متذبذبة (ملوك ورعية على السواء) بين التشيع والتسنن مما جعل فارس في وضع يرثى له حقاً.

---

(١) الاخبار، الورقة ١٥٩ رف.

(٢) الآثار، ص١٩٠.

(٣) المنهل (٢)، ١، ١٣٣؛ الآثار، صفحات ١٩٠-١٩١؛ الاخبار، الورقة ١٥٩ رف.

(٤) الاخبار، الاوراق ١٥٩ف-١٦٠ ر. تسمم اما بالترياق او الدبق.

(٥) الآثار، صفحات ٢٠٢-٢٠٣

(٦) ان الاخطاء التاريخية العديدة والتشويش العظيم لاتوهن الشعور بالفوضى.

(٧) يقال ان محمود خان (ابن ميرويس) كان اكثر طغياناً من الرجال. وفي النهاية اصيب بالجنون وقتله ابن عمه اشرف خان (الاخبار، الورقة١٦٢ رف).

(٨) سبعة زنديين في تعاقب سريع.

(٩) انظر على سبيل المثال غرائب، ص٤٢.

وسط هذه الفوضى كان مصير العراق والموصل، اذ تابع اسماعيل الاول معاركه منصوراً على الدوام "لسبب لايعلمه الا الله"[1]. ومع ذلك فقد ظهر المنقذ في شخص السلطان العثماني. وعلى الرغم من سبات ولا مبالاة الملوك السنة الآخرين، فلقد امتشق الحسام للدفاع عن الدين الصحيح. وكما يقول علي العمري: "عندما سمع السلطان سليم بافعال اسماعيل كان تواقاً جداً للزحف ضده"[2].

ان تأييد المراجع للعثمانين حماة التسنن لانزاع فيه: ففي عام (١٥١٦م/٩٢٢هـ) عندما احتل العثمانيون ديار بكر من الفرس دحروهم ولم يبق واحد منهم في المدينة[3]؛ وعندما فتح السلطان سليمان بغداد من الفرس في عام (١٥٣٥م/٩٤٢هـ) نشر العدل والخير حيث الطغيان والشر فكانت احلى الكلمات التي داعبت آذان أهل بغداد: "لقد غزيّ العراق"[4].

ان الصفويين والافغان ونادرشاه والزنديين والقاجاريين: كلهم عجم. ان تسنن الافغان الذين ازاحوا الصفويين، اسقط من الحساب وحتى اشرف خان يدعى شاه العجم[5]، وتوجهات نادرشاه الجعفرية والعالمية..اهملت والمعارضة العثمانية-الفارسية تعرض على انها عقائدية وليست سياسية. ومن الممتع حقاً ان الملكين الفارسيين المذكورين اكثر من غيرهما في المراجع هما اسماعيل الاول ونادرشاه. اسماعيل الاول بسبب معاركه الكبيرة، ونادرشاه بسبب حصاره للموصل ولكن ايضاً بسبب استعداده لاحتضان التسنن. في الحقيقة ان نادرشاه خصوصاً كان يمثل خطراً وتهديداً تماماً بسبب مشاريعه العالمية وبسبب كونه قادراً على الظهور بمظهر المهدي للاسلام المبدد للانقسام الكبير. ان نادرشاه كان منافساً للعثمانيين اكثر من كونه عدواً ومثل تيمور من قبله..ويمكن لهذا ان يفسر اللهفات التي على طريقه خلال الرواية[6].

منافسون: الوهابيون

ان الانقسام الكبير المعترف به ضمنياً من قبل العثمانيين والفرس ترك مسالك الحج والمدن المقدسة في جزيرة العرب والمراقد العراقية المقدسة بعهدة السلطان[7]. مع ذلك فأن هذا الانقسام "الطبيعي" هزته واقلقته قوة ثالثة، خط اعتراض غير متوقع، وبطريقة بنثيسيليا وامزونياتها لكلايست، راح يشق صفوف العثمانيين والفرس سواء بسواء، وبامتشاقه الحسام ضد السنة والشيعة كليهما، ساهم في جلب العدوين القديمين قريباً احدهما تجاه الاخر.

ان الدافع وراء هذا المد الغريب، مهدد الآن تجربة دينية عمرها قرون، وكذلك عداوة تقليدية. ومطمئنة. سياسية وعقائدية بين العثمانيين والفرس، رجل معين يدعى عبد الله، ويدعى ايضاً عبد الوهاب يعرف

---

(١) الآثار، ص١٩٠.

(٢) الاخبار، الورقة ١٤٧ ف.

(٣) الآثار، ص١٩٣.

(٤) المصدر نفسه، صفحات ١٩٧-١٩٨.

(٥) المصدر نفسه، ص٢٢٣.

(٦) "لقد كان بقالاً مواطناً من خراسان. وفي اعقاب نزاع مع رجل اساء التصرف معه ترك نادرشاه دكانه والتحق بعصابة من قطاع الطرق ". (الاعيان، الورقة ٢٤٨ ف).

(٧) وهكذا نرى في عام ١٨٠٠م/١٢١٥ هـ، ام الشاه تزور المراقد العراقية المقدسة مكرمة من قبل الموظفين العثمانيين (غرائب، ص٥٦).

بالوهابي: "انه ينحدر من قبيلة عراقية وقد قضى بعض الوقت يدرس في الموصل..وذهب الى اليمن حيث اصبح معروفاً بمعتقداته وتعاليمه...وبعد ذلك استقر في المهجر وهناك نودي به اميراً للقبائل. فاذاع بدعوته. وعندما توفي في عام (١٧٩٣م/١٢٠٨هـ) خلفه ابن اخيه عبد العزيز فسار على اثره..في جميع قضايا الدين.."[١].

(١) غرائب، ص٣٤ : العمدة، الورقة ٤٨ ر.

Abstract

Mosul and Mosuli Historians of the Jalili era (1726-1834)

Percy E. Kemp
Pembroke College
Degree of D. Phil.
Michaelmas

This work of regional history deals with the northern Iraqi town of Mosul at a time when it was ruled by a local dynasty of walis. The work is divided into two parts. In Part I, the urban geography of Mosul, its society, its economy, political life in Iraq, the urban politics of the notables and the cultural life of the town, will be examined in as many chapters. The last chapter on cultural life helps to bridge the gap with Part II which is concerned with a study of the Mosuli historical production of the period. The first chapter of the second part attempts to give a prelim-inary definition of what a historical work is, as also of what a historical corpus might be. The following six chapters examine the works of six Mosuli writers and historians whose production constitutes the corpus. The final chapter brings the works together by loohing at Mosuli perceptions of Ottoman history.

الملحق رقم (١)

ولاة الموصل ١٧٢٦-١٨٤٤م

ت	اسم الوالي	مدة الولاية
١	اسماعيل باشا الجليلي	١٧٢٦-٧
٢	حسين باشا الدرندلي	١٧٢٧-٨
٣	محمد باشا رشوان زادة	١٧٢٨-٣٠
٤	حسين باشا بن اسماعيل باشا الجليلي	١٧٣٠
٥	علي باشا	١٧٣٠-١
٦	حسين باشا الجليلي (للمرة الثانية)	١٧٣١-٣٣
٧	ميموش باشا	١٧٣٣
٨	حسين باشا الجليلي (للمرة الثالثة)	١٧٣٣-٥
٩	ميموش باشا (للمرة الثانية)	١٧٣٥-٦
١٠	ايلجي مصطفى باشا	١٧٣٦-٨
١١	حسين باشا الجليلي (للمرة الرابعة)	١٧٣٨-٤٠
١٢	احمد باشا الحلبي	١٧٤٠-١
١٣	عثمان باشا الوانلي	١٧٤١
١٤	حسين باشا الجليلي (للمرة الخامسة)	١٧٤١-٦
١٥	سليمان باشا	١٧٤٧
١٦	حسين باشا الجليلي (للمرة السادسة)	١٧٤٧-٨
١٧	محمد باشا الترياكي	١٧٤٨
١٨	ابراهيم باشا	١٧٤٨-٩
١٩	محمد باشا	١٧٤٩-٥٠
٢٠	حسين باشا الجليلي (للمرة السابعة)	١٧٥٠
٢١	مصطفى باشا شاهسوار	١٧٥٠-٥١
٢٢	رجب باشا	١٧٥١-٢
٢٣	محمد باشا	١٧٥٢
٢٤	امين باشا بن حسين باشا الجليلي	١٧٥٢-٥
٢٥	مصطفى باشا شاه سوار (للمرة الثانية)	١٧٥٥
٢٦	امين باشا الجليلي (للمرة الثانية)	١٧٥٥-٦
٢٧	مصطفى باشا العظم	١٧٥٦-٧
٢٨	رجب باشا (للمرة الثانية)	١٧٥٧
٢٩	حسين باشا الجليلي (للمرة الثامنة)	١٧٥٧-٨

٣٠	امين باشا الجليلي (للمرة الثالثة)	١٧٥٨
٣١	نعمان باشا الحلبي	١٧٥٩
٣٢	امين باشا الجليلي (للمرة الرابعة)	١٧٥٩-٦٠
٣٣	مصطفى باشا شاهسوار (للمرة الثالثة)	١٧٦٠-١
٣٤	امين باشا الجليلي (للمرة الخامسة)	١٧٦١-٨
٣٥	حسين باشا	١٧٦٨-٩
٣٦	فتاح باشا بن اسماعيل باشا الجليلي	١٧٦٩-٧١
٣٧	سليمان باشا بن امين باشا الجليلي	١٧٧١-٥
٣٨	امين باشا الجليلي (للمرة السادسة)١٧٧٥	
٣٩	سليمان باشا الجليلي(للمرة الثانية)	١٧٧٥-٦
٤٠	حسن باشا	١٧٧٦-٧
٤١	سليمان باشا الجليلي (للمرة الثالثة)	١٧٧٧-٨٣
٤٢	مصطفى باشا اليازجي	١٧٨٣
٤٣	عبد الباقي باشا بن عبيد اغا الجليلي	١٧٨٥-١
٤٤	سليمان باشا الجليلي (للمرة الرابعة)	١٧٨٦-٩
٤٥	محمد باشا بن امين باشا الجليلي	١٧٨٩-١٨٠٦
٤٦	نعمان باشا بن سليمان باشا الجليلي	١٨٠٦-٨
٤٧	احمد باشا آل بكر	١٨٠٨-٩
٤٨	محمود باشا بن محمد باشا الجليلي	١٨٠٩-١٠
٤٩	سعد الله باشا بن حسين باشا الجليلي	١٨١٠-١٢
٥٠	احمد باشا بن اسماعيل باشا الجليلي	١٨١٢-١٧
٥١	حسن باشا بن حسين باشا الجليلي	١٨١٨
٥٢	احمد باشا الجليلي (للمرة الثانية)	١٨١٨-٢١
٥٣	عبد الرحمن باشا بن عبدالله الجليلي	١٨٢١-٢٢
٥٤	يحيى باشا بن نعمان باشا الجليلي	١٨٢٢-٧
٥٥	عبد الرحمن باشا بن محمود باشا الجليلي	١٧٢٧-٨
٥٦	محمد امين باشا بن عثمان بك الجليلي	١٨٢٩
٥٧	قاسم باشا بن حسن العمري	١٨٣٠-١
٥٨	محمد باشا آل ياسين	١٨٣١-٣
٥٩	يحيى باشا الجليلي (للمرة الثانية)	١٨٣٣-٤
٦٠	محمد باشا آل ياسين (للمرة الثانية)	١٨٣٤-٥
٦١	محمد باشا اينجة بيرقدار	١٨٣٥-٤٤

الملحق رقم (٢)

الصناعات الموصلية في عام ١٨٤٥م [١]

الصناعة	العدد	الملاحظات
مصابغ النيلة	٣	تستخدم كل منها ٣٠ عاملاً
مصانع جذر النوّة	١٧	
مصانع اخرى	١٢	
حوانيت طبع القماش (الدقاقون)	٣٠	او ٣٨
انوال الخام (البطن)	٥٠٠	٥/٤ الحاكة مسلمون
انوال حياكة الصوف	٤٠	او ٤٠٠ كلهم مسلمون
انوال حياكة الحرير	؟	جميعهم نصارى
الحدادون	٤٠	قراءة غير مؤكدة للعدد. جميعهم نصارى
صاهر النحاس	٢٠	او ٨ :جميعهم مسلمون
الصفارون	١٥	٣ منهم نصارى
الصاغة	٢٤	٧ مسلمون، ٩نصارى، و٨ يهود
الساعاتيون	؟	
صانعوا المراجل	٤٠	٣٠ نصارى و١٠ مسلمون
الدباغون (بقر وجاموس)	١٥	
الدباغون (ماعز وغنم)	٨٠	
صانعوا الاحذية (اليمنجية)	١٢	او ١٤
السراجون	٢٥	
صانعوا امتعة السفر	١٠	
حذاؤا البغال (النعلبندية؟)	١٥	
المعماريون	٢٠	
النقارون	٧	
البناؤن	١٠	
الخزافون	٧	
الخياطون	٦٠	

(١) رسالة قنصلية تجارة (الموصل، الجزء ١)، من بوتا الى جيزو، الموصل، ٣١ كانون الثاني١٨٤٥. ان جهاز المايكروفلم الذي استخدم للحصول على هذه القائمة بالصناعات الموصلية قد عطب لسوء الحظ في بعض الاجزاء، وقليل من الارقام المعطاة لايعتمد عليها (اشير عليها في عمود الملاحظات).

الخياطات	١٥٠	
الفراؤن	٢	
صانعوا اللباد	١٤	

الملحق رقم (٣)

الحركة التجارية لمدينة الموصل والولايات المجاورة خلال عام ١٨٥٣ م[١]

الواردات

قماش حرير	٢٢٣٠٥٧٠ قرش
قماش صوف	٨٧٣٧٩٠ قرش
قنب وكتان	١٣٧١٠٠ قرش
قماش قطن	٢٦١٧٥٠٠ قرش
مواد مصنعة وغير مصنعة كالتبغ والرصاص وخام الحديد، والجلود، والفحم، والذرة والملح. الخ	١٧٢٤٣٠٠ قرش
مواد مختلفة كالورق والصابون، الخ	٤٥٤٨٠٠ قرش
المجموع	٨٠٥٨٠٦٠ قرش

الصادرات

١- القطن:

مادة اولية (خام)	٢٠٠٠,٠٠٠ قرش
قماش غزول ومواد اخرى	١٩٦٤٩٥٢ قرش
المجموع	٣٩٦٤٩٥٢ قرش

٢- الصوف

مادة اولية (خام)	١١٧٤٥٠٠ قرش
قماش، غزول، مواد اخرى	٣٣٩٣٧٨ قرش
المجموع	١٥١٣٨٧٨ قرش

٣-الحرير

القز	١٦٣٥٠ قرش
الحرير	٦٦٥٠ قرش
المجموع	٢٣٠٠٠ قرش

(١) رسالة قنصلية تجارية (الموصل، الجزء الاول)، الصفحات٢٧٦ -٢٧٩. تنطبق هذه الارقام على ولاية الموصل الموسعة التي اقامها العثمانيون بعد سقوط الجليليين وتشتمل على الجبال الكردية شمال المدينة.

٤- منتجات منوعة[1]

جوز العفص		١٧٢٣٢١٥ قرش
السمسم		٧٨٦٠٠ قرش
دهن السمسم (الراشي) لبغداد		١٠٣٦٢٥ قرش
صبغة جذر النوّة		٤٧٠٤٠٠ قرش
صانعوا السيوف	١٣	٧ منهم مسلمون و٦ نصارى
صانعوا ماسورات البنادق	١٠	٥منهم مسلمون و٥ نصارى
صانعوا اعقاب البنادق	٥	
صانعوا دهن السمسم (المعاصر)	٦	٣ مسلمون و٣ نصارى
صانعوا الملح الصخري	٧	
صبغة الحبة الصفراء		١٧٨٥٠ قرش
دهن الغنم (الحر)		٢٠٠٠٠ قرش
الملح		٢٠٠,٠٠٠ قرش
عدس		٢٣٦٨٥ قرش
حمص		٢٤٠٩٤ قرش
الذرة		٤٢٥١٣٨ قرش
الذرة المجروشة		٢٥٥١٨ قرش
الباقلاء		٣٤٧٢ قرش
الرز		٨٨٢٥ قرش
الجبن		٢٢١٢٥ قرش
العسل		٧٤٢٥ قرش
التين المجفف		٤١٠٨٠ قرش
الجوز		١٤٢٦٨ قرش
الاعناب المجففة (الزبيب)		٨٩٧٣٢ قرش
اللوز		٥٤٣٥٠ قرش
التبغ		٨٧٥٥٥ قرش
خشب الحور		٤٥٢٨٠٠ قرش
السماق		٧٣٠٠ قرش

(١)في الحقيقة مواد خام وموارد طبيعية.

الملحق رقم (٤)

حرفة النسخ في العهد الجليلي

من بين العدد الهائل من الكتب التي يحتفظ بها الوجهاء الموصليون والمؤسسات الدينية الموصلية بين نهاية القرن السادس عشر ونهاية القرن التاسع عشر الميلادي، كانت هنالك حاجة للتعريف بتلك الكتب التي نسخت خلال العهد الجليلي. ان معايير الاختيار التي استعملت هنا هي اسم الناسخ، تاريخ الانتهاء من النسخ، مكان النسخ واسم الرجل الذي أمر به. وأي جزء من هذه المعلومات الموجودة في الكتاب تسمح بالتعريف والاختيار او الرفض. وقوائم الكتب المرسومة هنا ليست شاملة. اولاً لأن مؤلفات عديدة نسخت في الموصل في العهد الجليلي مفقودة على الأرجح. وثانياً لأن مؤلفات عديدة أخرى لا تحمل اسم الناسخ او تاريخ النسخ. وعندما اشك في التاريخ او هوية الناسخ، اخترت ان استثني المؤلف بدلاً من شموله. وقد تكون القوائم إذن غير كاملة، ولكن كل كتاب تحتويه نسخ بالتأكيد لـ او من قبل موصلي من العهد الجليلي، ودراسته لهذه القوائم قد تعيننا على فهم اطار العقل المفكر السائد آنذاك.

الأدب (نثر وشعر)

البحتري (توفي عام٨٩٧م/٢٨٤هـ)، الديوان، حققه أمين العمري[١] (١٧٦١م/١١٧٥هـ).

صفي الدين الحلي (توفي عام١٣٤٩م/٧٥٠هـ)، الديوان، نسخة ياسين العمري (١٧٧٢م/١١٨٦هـ).

مجهول، تحفة المبتدي، نسخة ياسين العمري، (١٧٧٢م/١١٨٦هـ).

ابن حجة الحموي (توفي عام١٤٣٤م/٨٣٧هـ)، البديعية، نسخة يوسف بن عبد الجليل (١٧٧١م/١١٨٥هـ).

الخفاجي (توفي عام١٦٥٩م/١٠٦٩هـ)، ريحانة الالباء، نسخة نصر الموصلي (حوالي ١٨٣٠م).

شهاب الدين الحجازي (توفي عام١٤٧٠م/٨٧٥هـ)، روض الادب، نسخة يحيى الجليلي (١٧٥٦م/١١٧٠هـ).

جمال الدين الانصاري الخزرجي (توفي عام١٣١١م/٧١١هـ)، ديوان لسان العرب وحجة اهل الادب، نسخة يحيى الجليلي (١٧٧٠م/١١٨٤هـ).

مسكويه (توفي عام١٠٣٠م/٤٢١هـ)، جاويدان خِراد، نسخة احمد بن علي العمري (١٧٥٨م/١١٧٢هـ)[٢].

مجهول، شرح على لامية العجم للطغرائي[٣]، نسخة أحمد بن عثمان الخطيب الأسود (١٧٥٦م/١١٧٠هـ).

مجهول، شرح على البردة[٤]، نسخة أحمد بن عثمان الأسود.

مجهول، شرح على الكواكب الدرية[٥]، نسخة أحمد بن عثمان الأسود.

علي بن أحمد الواحدي (توفي عام١٠٧٦م/٦٤٨هـ)، شرح على ديوان المتنبي، نسخة محمد سعيد بن يوسف الواعظ (١٨٠٢م/١٢١٧هـ).

---

(١)استثنى المحقق الهجاء والمقاطع العويصة جداً.

(٢) نسخت في بغداد. في عام١٧٧٤م/ ١١٨٨هـ امتلك يحيى الجليلي المخطوطة.

(٣) ينسبها الناسخ خطأ على ما يبدو الى أبي البقاء العكبري (توفي عام ١٢١٩م/ ٦١٦هـ).

(٤) تنسب الى شخص يدعى محمد بن أحمد بن أبي بكر.

(٥) يقال أنه تأليف المدعو أحمد بن أبي بكر.

ابن حجر الهيتمي (توفي عام١٥٦٧م/٩٧٤هـ)، المنح المكية في شرح الهمزية، نسخة أحمد بن حسين الغلامي (١٧٨٩م/١٢٠٤هـ).

النحو

ابن هشام النحوي (توفي عام١٣٦٠م/٧٦١هـ)، شرح شذرات الذهب، نسخة أحمد بن محمد العبدلي (١٧٤٠م/١١٣٥هـ).

بدر الدين العيني (توفي عام١٤٥١م/٨٥٥هـ)، فرائد القلائد، نسخة صفاي جلبي (١٦٦٨م/١٠٧٩هـ).

عبد الله الفاكهي (توفي عام١٥٦٤م/٩٧٢هـ)، شرح على قطر الندى لابن هشام، نسخة أحمد بن الخياط (١٨١٨م/١٢٣٤هـ).

نور الدين الجامي (توفي عام١٤٩٢م/٨٩٨هـ)، شرح على كافية ابن الحاجب[١]، نسخ فتح الله بن موسى العمري (١٦٥٠م/١٠٦٠هـ) وعبد الله بن محمد أمين آل ياسين (١٧٧٠م/١١٨٤هـ).

ابن مالك (توفي عام١٢٧٣م/٦٧٢هـ)، ألفية، نسخة أحمد بن الخياط (١٨١٩م/١٢٣٥هـ).

السيوطي (توفي عام١٥٠٥م/٩١١هـ)، البهجة المرضية في شرح ألفية ابن مالك، نسخ عبد الغفور الموصلي (١٧٠٠م/١١١٢هـ) وأحمد بن الخياط (١٨١٨م/١٢٣٤هـ).

عبد القاهر الجرجاني (توفي عام١٠٧٨م/٤٧١هـ) العوامل المئة، نسخة سليمان بن أحمد شريف (١٧٤٥م/١١٥٨هـ).

سعد الله البردعي (توفي ؟)، شرح على عوامل الجرجاني، نسخة سليمان بن أحمد شريف (١٧٤٥م/١١٥٨هـ).

ابراهيم الكوراني (توفي عام١٦٨٩م/١١٠١هـ)، شرح على عوامل الجرجاني، نسخة سليمان بن أحمد شريف (١٧٤٥م/١١٥٨هـ).

بهاء الدين الابشيهي (توفي عام١٤٤٦م/٨٥٠هـ) المستطرف من كل من مستظرف[٢]، نسخة عبد اللطيف بن محمود أغا (١٦٩٤م/١١٠٦هـ)

ابن المقفع (توفي عام٧٦٠م) الدرة اليتيمة، نسخة مراد بن عثمان العمري (١٦٧٩م/١٠٨٩هـ)[٣]

السيوطي (توفي عام١٥٠٥م/٩١١هـ)، مقامات، نسخة علي الموصلي (١٧٢٧م/١١٤٠هـ).

أحمد النيسابوري الميداني (توفي عام٥١٨/١١٢٤)، مجمع الأمثال، نسخة أمين العمري (١٧٥٥م/١١٦٩هـ).

الجاحظ (توفي عام٨٦٩م/٢٥٦هـ)، الحنين الى الوطن، نسخة قاسم بن مراد (١٧٦٩م/١١٨٣هـ)[٤].

الامام جعفر الصادق (توفي عام٧٦٥م/١٤٨هـ)، اختلاج الأعضاء، نسخة ياسين العمري.

---

(١) توفي عام١١٧٤م/٥٧٠هـ.

(٢) هذه ((قطع من المحادثة)).

(٣) يبدو أن الناسخ كان في القسطنطينية، ولكن قد تكون هذه تحريفاً للقسطنطينية.

(٤) كان راوية للحديث.

النقد الأدبي

أبو منصور الثعالبي (توفي عام١٠٣٨م/٤٣٠هـ)، الفرائد والقلائد، المستشبه، مرآة المراءات، المبهج[١].

أبو الحسن جبريل (توفي عام١٣٣٩م/٧٣٩هـ) شرح الأجرومية[٢].

علي السخاوي (توفي عام١٢٤٥م/٦٤٣هـ)، شرح منظومة المقفع الداني[٣]، نسخة عبد الغفور الموصلي (١٧١٢م/١١٢٤هـ).

مجهول، شرح على قصيدة لمنصور الطبلاوي (توفي عام١٦٠٦م/١٠١٤هـ)، نسخة عبد الغفور الموصلي (١٧٠٥م/١١١٧هـ)[٤].

عز الدين الكناني (توفي عام١٤٠٣م/٨٠٦هـ)، شرح على منظومة ابن فرح الاشبيلي، نسخة محمد بن عون الدين (١٧٤٧م/١١٦٠هـ).

ضياء الدين بن الأثير (توفي عام١٢٣٩م/٦٣٤هـ)، الواشي المرقوم في حل المنظوم، نسخة أمين العمري.

أبو شما النحوي (توفي ؟)، شرح على بردة البوصيري، نسخة أمين العمري (١٧٥٤م/١١٦٨هـ)

سعد الدين التفتزاني (توفي عام١٣٨٩م/٧٩١هـ)، ملحق لشرح نوابغ الكلم[٥]، نسخة أمين العمري.

أبو الفتح المطرزي (توفي عام١٢١٣م/٦١٠هـ)، المغرّب في اللغة، نسخة أمين العمري.

الاعراب

ابن هشام النحوي (توفي عام١٣٦٠م/٧٦١هـ)، مغني اللبيب في كتب الأريب، نسخة أحمد بن الخياط (١٨٢١م/١٢٣٧هـ).

خالد الأزهري (توفي عام١٤٩٩م/٩٠٥هـ)، شرح قواعد الاعراب، نسخة سليمان بن محمد أمين آل ياسين؛ تمرين الطلاب في صناعة الاعراب، نسخة عبد الله بن شريف يحي (توفي عام١٧٣٦م/١١٤٩هـ)؛ موصل الطلاب الى قواعد الاعراب، نسخ بكر بن خليل الموصلي (١٧١١م/١١٢٣هـ) وبكر كيلان (١٧٦١م/١١٧٥هـ).

الموسوعات

علي الموسوي (توفي عام١٠٤٤م/٤٣٦هـ)، غررالفرائد ودرر القلائد، نسخة مراد بن عثمان العمري (١٦٧٤م/١٠٨٥هـ).

عبد الرحمن بن الجوزي (توفي عام١٢٠٠م/٥٩٧هـ)، المنعش مختصر المدهش، نسخة عبد اللطيف بن أحمد العمري (١٧٥٦م/١١٧٠هـ).

---

(١) نسخت الكتب الأربعة جميعاً في عام١٧٨٨-٩/١١٨٢-٣ من قبل قاسم الراوية.

(٢) الأجرومية هي لأبي علي الصنهاجي بن أجروم (توفي عام١٣٢٣م/٧٢٣هـ).

(٣) توفي عام١٠٥٣م/٤٤٤هـ.

(٤) نسخت في جزيرة سقز.

(٥) لأبي القاسم الزمخشري (توفي عام١١٤٣م/٥٣٨هـ).

المعاجم

كتاب نعمة الله (معجم فارسي-تركي)[1]، نسخة مختصرة لفخر الدين بن يحي الفخري (توفي عام١٧١٩م/١١٣١هـ).

التفسير القرآني

نور الدين الجامي (توفي عام١٤٩٢م/٨٩٨هـ)، تفسير القرآن الكريم، نسخة عبد الغفور الموصلي

مجهول، وسيلة في شرح العقيلة، نسخة عبد الغفور الموصلي (١٧١٢م/١١٢٤هـ).

شمس الدين البكري الصديقي[2]، الفيض القدسي في شرح آية الكرسي، نسخة محمود بن موسى العمري

محمد المسكين الأنطاكي(؟)، بحث في هاروت وماروت، نسخة عبد اللطيف بن أحمد العمري (١٧٥٦م/١١٧٠هـ).

أبو القاسم الزمخشري (توفي عام١١٤٣م/٥٣٨هـ) ، الكشاف عن حقائق التنزيل، نسخ حمو الكردي (حوالي ١٧٦٠م) ومسلم أخي بابا.

ابن عربي (توفي عام١٢٤٠م/٦٣٨هـ)، تفسير الفاتحة، نسخة مسلم أخي بابا(١٧١٦م/١١٢٩هـ).

شيخي زاده القوجوي (توفي عام١٥٤٣م/٩٥٠هـ)، ملحق لأنوار التنزيل للبيضاوي، نسخة حمو الكردي (١٧٥٣م/١١٦٧هـ).

البيان

الجاحظ (توفي عام٨٦٩م/٢٥٦هـ)، البيان والتبين، نسخة مراد بن عثمان العمري (١٦٧٨م/١٠٨٩هـ).

مجهول، شروحات في البلاغة، نسخة علي السوسني (١٧٦٨م/١١٨٢هـ).

نظام الدين الخطائي(توفي عام١٤٩٥م/٩٠١هـ)، شرح على تلخيص المفتاح[3]، نسخة خطيب النبي يونس (١٦٦٨م/١٠٧٩هـ).

سعد الدين التفتزاني (توفي عام١٣٨٩م/٧٩١هـ)، شرح على تلخيص المفتاح، نسخ فخر الدين بن يحي الفخري (١٦٩٨م/١١١٠هـ)، ويوسف بن ضياء الدين المفتي (١٦٨٢م/١٠٩٣هـ)، وعبد الغفور الموصلي (١٧١٥م/١١٢٨هـ).

السيوطي (توفي عام١٥٠٥م/٩١١هـ)، شرح على تلخيص المفتاح، نسخة قاسم بن محمد العبدلي (١٧٠٢م/١١١٤هـ)[4]

جمال الدين الأقسارائي (القرن الرابع عشر الميلادي/القرن الثامن الهجري)، شرح على تلخيص المفتاح، نسخة محمد بن حسن الغلامي (١٧٢٧م/١١٤٠هـ).

عبد الرحيم العباسي (١٥٥٦م/٩٦٣هـ)، شرح على تلخيص المفتاح، نسخة أمين العمري.

---

(١) نسبه الجلبي الى المدعو أحمد بن مبارك الرومي.

(٢) على الأرجح تاج العارفين البكري (توفي عام١٥٩٨م/١٠٠٧هـ) الذي كان مفتياً في مصر.

(٣) مفتاح (العلوم) للسكاكي (توفي عام١٢٢٩م/٦٢٦هـ)، وتلخيصه لمحمد القزويني (توفي ١٣٣٨م/٧٣٩هـ).

(٤) نسخت في دمشق.

فن الاستعارة

منصور الطبلاوي (توفي عام١٦٠٦م/١٠١٤هـ)، التحريرات في بيان الاستعارة، نسخة ابراهيم بن أيوب العمري (١٧١٥م/١١٢٨هـ).

عصام الدين بن عرب شاه الاسفراييني (توفي عام١٥٣٧م/٩٤٤هـ)، رسالة الاستعارة، نسخ أحمد بن الخياط (حوالي ١٨٣٠م) وزكريا بن أحمد (حوالي ١٨٣٠م).

حسن الزيباري(؟)، ملحق لرسالة عصام الدين، نسخة كاتب مجهول

كمال الدين مسعود (توفي عام١٤٩٩م/٩٠٥هـ)، شرح على رسالة أبي القاسم السمرقندي، نسخة ناسخ غير معروف أمر بها يحي بن مصطفى الجليلي.

الصرف

علي الحلي (١٢٠٤م/٦٠١هـ)، الأنيس الجليس في التجنيس، نسخة عثمان بن سليمان باشا الجليلي.

محمود بن محمد العمري (١٧٩٨م/١٢١٣هـ)، أمر بها نعمان (باشا فيما بعد) بن سليمان باشا الجليلي

الترتيل القرآني

مجهول، بيان حكم القراءة على أرواح الأموات، نسخة محمد بن عون الدين (١٧٤٨م/١١٦١هـ)

حسين بن اسكندر(؟) رسالة في التجويد[١]، نسخة عبد القادر بن عبد الموجود (١٧٢٧م/١١٤٠هـ)

البغوي (توفي عام١١١٧م/٥١٠هـ)، القراءات التسعة[٢]، نسخة ناسخ مجهول (١٧٧٣م/١١٨٣هـ)

مجهول، اشارات القرّاء على رمز الشاطبية[٣]، نسخة سيد درويش بن سيد محمود (١٦٧٨م/١٠٨٩هـ)

أبو عبد الله الشعلة الموصلي (توفي عام١٢٥٨م/٦٥٦هـ)، كنز المعاني (شرح الشاطبية) نسخة علي بن يونس الجليلي (١٧٢٥م/١١٣٨هـ).

زكريا الأنصاري (توفي عام١٥١٩م/٩٢٦هـ)، الدقائق المحكمة في شرح المقدمة[٤]، نسخة عبد القادر بن عبد الموجود (١٧٢٢م/١١٣٥هـ)؛ فتح الرحمن في شرح الولي رسلان نسخة مسلم أخي بابا (١٧١٤م/١١٢٦هـ)؛ شرح الجزرية[٥]، نسخة عبد الله بن أحمد العمري(١٧٥٥م/١١٦٩هـ)؛ شرح المنفرجة[٦]، نسخة سيد أحمد بن سيد حامد الفخري؛ الأضواء البهجة في ابراز دقائق المنفرجة لابن النحوي، نسخة محمد بن قاسم العبدلي.

---

(١) قد تكون هذه اشارة الى محمد الغازي الفاسي الذي أكمل عام (١٠٦١م/٦٠٧هـ).

(٢) مستخلصة من كتابه معالم التنزيل.

(٣) الشاطبية لأبي محمد بن فرو (توفي عام١١٩٣م/٥٨٩هـ).

(٤) المقدمة لابن الجزري (توفي عام١٣٥٠م/٧٥٦هـ).

(٥) شرح على ارجوزة في التجويد لابن الجزري.

(٦) منسوبة الى ابن النحوي (توفي عام١١١٩م/٥١٣هـ).

التصوف

مصطفى بكري الصديقي (توفي عام١٧٤٩م/١١٦٢هـ)، اللهجات الرافعة، نسخة عبد اللطيف العمري (١٧٥٦م/١١٧٠هـ).

ابن كمال باشي (توفي عام١٥٣٤م/٩٤٠هـ)، رسالة الصلاة، نسخة عبد اللطيف العمري (١٧٥٦م/١١٧٠هـ).

مجهول، تحفة الراغبين في أم الطواعين[١]، نسخة ياسين العمري (١٧٧٢م/١١٨٦هـ).

صدر القنوي (توفي عام١٢٧٣م/٦٧٢هـ)، اللمع النورانية في حل مشكلة الشجرة

شمس الدين الجزري (توفي عام١٤٢٩م/٨٣٣هـ) الحصن الحصين في كلام سيد المرسلين، نسخة محمد أمين بن يوسف بن عبد الجليل (١٨١٠م/١٢٢٥هـ).

البغوي (توفي عام١١١٧م/٥١٠هـ)، معالم التنزيل، نسخ بكر بن ابراهيم (١٧٥١م/١١٦٣هـ)، أمين العمري(١٧٨١م/١١٩٦هـ) وعساف الكاتي(١٨٠٢م/١٢١٧هـ) ومحمد بن فتح الله المتولي (١٨٣٨م/١٢٥٤هـ).

الحديث

السيوطي (توفي عام١٥٠٥م/٩١١هـ)، الجامع الصغير، نسخة عبد الله بن محمد أمين آل ياسين (١٨١٤م/١٢٣٠هـ)؛ الكشف عن مجاوزات هذه الأمة، نسخة ياسين العمري (١٧٧٢م/١١٨٦هـ)؛ أنباء الأذكياء في حياة الأنبياء، نسخة أمين العمري (١٧٥٦م/١١٧٠هـ)؛ الحبائك في أخبار الملائك، نسخ أمين العمري (١٧٥٦م/١١٧٠هـ) وعبد اللطيف العمري (١٧٥٦م/١١٧٠هـ)؛ بشرى الكئيب في لقاء الحبيب، نسخة أمين العمري (١٧٥٦م/١١٧٠هـ)؛ الأرائك في أحكام الملائك نسخة عبد اللطيف العمري (١٧٥٦م/١١٧٠هـ) تزيين الأرائك في ارسال نبينا الى الملائك نسخة أمين العمري(١٧٥٦م/١١٧٠هـ)؛ الدرر المنتشرة في الأحاديث المشتهرة، نسخة خير الله العمري (١٧٥٤م/١١٦٨هـ) لقط المرجان في أحكام الجان، نسخ عبد اللطيف العمري (١٧٥٦م/١١٧٠هـ) وعبد الحافظ بن محمود (١٨٢١م/١٢٣٧هـ)[٢]

بدر الدين الشبلي (توفي عام١٣٦٧م/٧٦٩هـ)، أكام المرجان في أحكام الجان، نسخة أحمد مؤذن جامع النبي شيت (١٨٢١م/١٢٣٧هـ)[٣].

ابن حجر العسقلاني (توفي عام١٤٤٨م/٨٥٢هـ)، توضيح نخبة الفكر في مصطلح الأثر، نسخة محمد بن محمد العبدلي (١٧٠٨م/١١٢٠هـ)

مسلم (توفي عام٨٧٥م/٢٦١هـ) الصحيح، نسخ سليمان الشبكي (١٧٤٣م/١١٥٧هـ) والسيد ابراهيم بن سيد أحمد (حوالي ١٧٧٠م).

النووي (توفي عام١٢٧٧م/٦٧٦هـ) شرح على صحيح مسلم، نسخ سليمان الشبكي (١٧٤٤م/١١٥٨هـ) وحسين بن محمد الغلامي (١٧٥٣م/١١٦٧هـ).

---

(١) رسالة معتمدة على بذل الماعون في أخبار الطاعون لابن حجر العسقلاني.

(٢) النسخة الأخيرة أمر بها محمد أمين (باشا فيما بعد) بن عثمان بك الجليلي.

(٣) ان الكتاب قد أمر به على الأرجح جليل لأنه صار بعد قرن من ذلك التأريخ جزءاً من وقف جليلي.

شهاب الدين القسطلاني (توفي عام١٥١٧م/٩٢٣هـ) شرح على صحيح البخاري، نسخة عبد الوهاب بن عبد الحي (١٧٣١م/١١٤٤هـ).

عبد الله الأزدي (توفي عام١٢٩٩م/٦٩٩هـ) جمع النهاية في بعض الخير والغاية[١]، نسخة ناسخ مجهول في الموصل (١٨٢٥م/١٢٤١هـ).

عياض اليحصبي (توفي عام١١٤٩م/٥٤٤هـ) الشفا بتعريف حقوق المصطفى[٢]، نسخة عبد الوهاب الشعراني (توفي عام١٥٦٥م/٩٧٣هـ)، رسالة في التصوف، نسخة عبد الغفور الموصلي (١٧٠٩م/١١٢١هـ)؛ الميزان الشعرانية، نسخة قاسم الرامي(١٧٦٤م/١١٧٨هـ)؛ مدارك السالكين الى رسوم طريق العارفين، نسخة محمد طاهر الموصلي (١٧٦٦م/١١٨٠هـ) أحمد بن عطا الاسكندراني (توفي عام١٣٠٩م/٧٠٩هـ)[٣]؛ الحكم العطائية، نسخة محمد بن عون الدين (١٧٤٥م/١١٥٨هـ)؛ تاج العروس وقمع النفوس، نسخة محمد أمين بن يوسف بن عبد الجليل (١٨٣٢م/١٢٤٨هـ).

العقيدة

محمد الهذادي (؟) شرح على العقائد السنوسية[٤]، نسخة أحمد بن ابراهيم(١٦٩٠م/١١٠٢هـ)

علي الجرجاني (توفي عام١٤١٣م/٨١٦هـ) شرح المواقف نسخة مرتضى بن يحي العمري (توفي عام١٦٩٠م/١١٠٢هـ)

القاري الهروي (توفي عام١٦٠٥م/١٠١٤هـ) ضوء المعالي في بدء الأمالي للآلوسي[٥] نسخة عبد الله بن أحمد العمري

مرعي الحنبلي زين الدين المقدسي الكرمي (توفي عام١٦٤٤م/١٠٥٤هـ) اتحاف ذوي الألباب نسخة محمد بن محمد العبدلي (١٧١٥م/١١٢٨هـ).

الشعراني (توفي عام١٥٦٥م/٩٧٣هـ) رسالة في العقائد نسخة محمد طاهر (١٧٦٠م/١١٧٤هـ).

التفتزاني (توفي عام١٣٨٩م/٧٩١هـ) شرح العقائد النسفية[٦] نسخة محمد بن موسى العبدلي (١٧١٠م/١١٢٢هـ).

أحمد الخيالي (توفي عام١٤٥٨م/٨٦٢هـ) ملحق لشرح التفتزاني للعقائد النسفية نسخة فتح الله بن موسى العمري (حوالي عام١٦٦٠م).

محمد بيركيلي (توفي عام١٥٧٣م/٩٨١هـ) الطريقة المحمدية والسيرة الأحمدية نسخ يوسف بن عبد الجليل (١٧٨٢م/١١٩٧هـ) ومحمد أمين بن يونس العمري (١٧٨٦م/١٢٠١هـ) ومصطفى التلعفري (١٨٠٢م/١٢١٧هـ).

---

(١) ملخص لصحيح البخاري.

(٢) ان النسخة غير مؤكدة.

(٣) الخصم اللدود لابن تيمية.

(٤) لمحمد السنوسي (توفي عام١٤٨٠م/٨٩٥هـ).

(٥) سراج الدين الآلوسي (القرن الثاني عشر الميلادي/القرن السادس الهجري).

(٦) نجم الدين النسفي.

أبو الوفاء الحموي (توفي عام١٥٣٠م/٩٣٦هـ) بديع المعاني في شرح عقيدة الشيباني[١] نسخ عبد الرحيم بن أيوب العمري (١٧٠٠م/١١١٢هـ) عبد الله الحبار (١٧١٩م/١١٣٢هـ) وسيد ابراهيم بن سيد أحمد (١٨١٤هـ/١٢٣٠م) ومحمود بن عبد الرحمن الغلامي (١٨٢١م/١٢٣٧هـ).

جلال الدين الدواني (توفي عام١٥٠١م/٩٠٧هـ) شرح العقائد العضدية[٢] نسخة علي السوسني (١٧٣٦م/١١٤٩هـ).

النعمانية نسخة ياسين العمري (١٨٠٢م/١٢١٧هـ)

اليافعي (توفي عام١٣٦٦م/٧٦٨هـ) روض الرياحين في حكايات الصالحين نسخة ياسين العمري (١٨٠٦م/١٢٢١هـ).

ابراهيم حيدري (القرن الثامن عشر الميلادي/القرن الثاني عشر الهجري)[٣] الملحمات الربانية في أسرار ذوقية وجدانية نسخة عثمان الدفتري العمري (١٧٣٨م/١١٥١هـ).

ابن الوردي (توفي عام١٣٤٨م/٧٤٩هـ) الألفية نسخة عثمان الدفتري العمري (١٧٣٧م/١١٥٠هـ).

ابن الكيزاني (توفي عام١١٦٠م/٥٦٢هـ) الاعتماد[٤] نسخة أبو بكر بن فتح الله المتولي (١٧٩١م/١٢٠٦هـ)

عبد السلام المقدسي (توفي عام١٢٧٩م/٦٧٨؟هـ) حل الرموز ومفتاح الكنوز نسخة عبد الرحمن العمري (١٧٠٠م/١١١٢هـ).

النووي (توفي عام١٢٧٧م/٦٧٦هـ) حلية الأبرار وشعار الأخيار في تلخيص الدعوات والأذكار نسخة عسّاف القصوي (توفي عام١٦٤٢م/١٠٥٢هـ) مطالع المسرات بجلاء دلائل الخيرات[٥] نسخة عسّاف الكاتي (١٧٩٤م/١٢٠٩هـ).

أحمد الرومي (توفي عام١٦١١م/١٠٢٠هـ) مجالس الأبرار ومسالك الأخيار نسخة عسّاف الكاتي (١٨١٤م/١٢٣٠هـ).

عبد الله البلياني أوحد الدين (توفي عام١٢٨٧م/٦٨٦هـ) الرسالة البابانية نسخة مسلم أخي بابا (١٧١٥م/١١٢٨هـ).

عبد الكريم الجيلي (توفي عام١٤١٧م/٨٢٠هـ) شرح مشكلة الفتوحات المكية نسخة مسلم أخي بابا (١٧١٥م/١١٢٨هـ).

محي الدين الشيرازي (؟) لباب الحكمة في علم الحروف نسخة مسلم أخي بابا حوالي عام١٧١٦م.

ابن عربي (توفي عام١٢٤٠م/٦٣٨هـ)،مفاتيح الغيب،كتاب الحي،درالدرر،منهج البيان لأهل الرضوان، حلية الابدال، كتاب الفهوانية ، الغناء بالكلية، رسالة الوقت واعلان، رسالة في التصوف[٦]، محاضرات الأبرار ومسارات الأخيار، نسخة محمود بن عبد الجليل (١٨٠٩م/١٢٢٤هـ).

---

(١) وتنسب أيضاً الى المدعو نجم الدين العجلوني.

(٢)عضد الدين الايجي الشيرازي (توفي عام١٣٥٥م/٧٥٦هـ).

(٣) عالم من ماوران.

(٤) النسبة غير أكيدة.

(٥) دلائل الخيرات للجزري (توفي عام١٤٨٥م/٨٧٠هـ).

(٦) نسخ مسلم أخي بابا الرسائل التسعة برمتها مابين ١٧١٥ و ١٧١٨.

أبو الوفاء بن عطية الحمري (توفي عام١٥٣٠م/٩٣٦هـ)، كفاية العامل وهداية العاقلين نسخة خير الله العمري (١٧٢١م/١١٣٤هـ)؛ كشف الدين ونزه الشين ونور العين[١]، نسخة عبد الرحمن بن عبد القادر (١٨١٤م/١٢٣٠هـ).

محي الدين التاليشي (توفي؟) ، ملحق لشرح الكاتي على الايساغوجي للأبهري، نسخ مرتضى بن يحي العمري (١٦٧٧م/١٠٨٨هـ)، سيد ابراهيم بن سيد أحمد (١٨٢٦م/١٢٤٢هـ).

أحمد بن خضر (توفي عام١٥٤٣م/٩٥٠هـ)، ملحق لشرح الفناري[٢] على الايساغوجي للأبهري نسخ محمود بن حسن(١٧٠١م/١١١٣هـ) وأحمد بن عبد الله العبدلي (١٨٢٠م/١٢٣٦هـ).

يوسف القره باغي لمحمد شاهي (توفي عام١٦٢٠م/١٠٣٠هـ) ملحق لايساغوجي الأبهري نسخة سيد ابراهيم بن سيد أحمد (١٧٧٠م/١١٨٤هـ).

الفقه (متنوع)

عبد الباري العشماوي (القرن السادس عشر/القرن العاشر) مقدمة في الفقه على مذهب مالك، نسخة محمد شاهر (١٧٧٧م/١١٩١هـ)[٣]

مجهول، رسالة في ذكر ما يعفى من النجاسات، نسخة عبد الرحيم العمري (١٧٠٠م/١١١٢هـ) جلال الدين الشيزري (توفي عام١١٩٣م/٥٨٩هـ) الاتضاح في أسرار النكاح[٤]، نسخة قيس يدعى عبد الأحمد بن حنا الطبيب (١٨٢٠م/١٢٣٦هـ).

الفقه الشافعي

ابن حجر الهيتمي (توفي عام١٥٦٧م/٩٧٤هـ) رسائل[٥]

محمد الرحبي (توفي عام١١٨١م/٥٧٧هـ) الرحبية[٦]

محمد سبط المارديني (توفي عام١٥٠١م/٩٠٧هـ) شرح على الرحبية، نسخ محمد بن قاسم العبدلي، محمود العبدلي، وأحمد بن الخياط ويوسف بن عبد الجليل.

عبد الله الشنشوري (توفي عام١٥٩٠م/٩٩٩هـ) الفرائد الشنشورية في شرح المنظومة الرحبية نسخة محمد العبدلي (١٨٢١م/١٢٣٧هـ).

ابن لبّان البصري (توفي عام١٠١١م/٤٠٢هـ) ايجاز، نسخة محمود العبدلي (١٨٢٢م/١٢٣٠هـ).

أبو اسحاق الشيرازي (توفي عام١٠٨٣م/٤٧٦هـ)، التنبيه، نسخة معطوبة (ناقصة) أكملها محمود العبدلي.

مجهول، الفقه الأكبر للشافعي، نسخة محمد بن عون الدين (١٧٤٨م/١١٦١هـ).

---

(١) شرح على سلك العين، قصيدة صوفية لعبد القادر الصفدي (توفي عام ١٥٠٩م/ ٩١٥هـ).

(٢) شمس الدين الفناري (توفي عام١٤٣١م/٨٣٥هـ).

(٣) نسخت في جامع النبي جرجيس، يبدو أن هذا هو العمل الوحيد في الفقه المالكي نسخ في الموصل في الفترة قيد الدرس ويبدو أيضاً أن أي عمل في الفقه الحنبلي لم ينسخ.

(٤) ان هذا الكتاب يلمح الى ميزات الشهوة الجنسية، أنظر: بروكلمان، اس آي، ٨٣٣.

(٥) نسخت رسائل صغيرة وعديدة لابن حجر الهيتمي في الموصل في هذه الفترة.

(٦) نسختان على الأقل عملت لهذه القصيدة في قوانين الارث.

مجهول، ملحق لشرح الدواني على العقائد العضدية، نسخة ياسين بن حسن (١٧٩٤م/١٢٠٩هـ)، أمر بها عبد الله بن محمد أغا السعرتي[١].

حيدر الحيدري (توفي عام١٧١٦م/١١٢٩هـ)[٢]، حاشية على شرح عصام الدين على العقائد العضدية نسخ ناسخ مجهول صنفها في ماوران (١٧٣٦م/١١٤٩هـ) وياسين بن حسن (١٧٩٤م/١٢٠٩هـ) لعبد الله السعرتي.

يوسف قره باغي المحمد شاهي (توفي عام١٦٢٠م/١٠٣٠هـ) شرح على العقائد العضدية، نسخة ابراهيم بن محمود (١٧٩١م/١٢٠٦هـ).

فن المناقشة

حسن النزيلي(؟)، شرح على رسالة عضد الدين الايجي،نسخة عبد الغفور (١٧٠٥م/١١١٧هـ)[٣]مجهول، ملحق لشرح القوشجي[٤]على رسالة عضد الدين الايجي،نسخة ياسين بن حسن (١٧٩٤م/١٢٠٩هـ) لعبد الله السعرتي.

أبو البقاء الحسيني (القرن السابع عشر الميلادي/ القرن الحادي عشر الهجري)، ملحق لملحق القوشجي على الايجي نسخة محمد بن موسى العبدلي (١٧١٠م/١١٢٢هـ).

محمد البردعي التبريزي (توفي عام١٤٩٤م/٩٠٠هـ)، شرح على رسالة الايجي، نسخة المدعو عبيدة (١٧٣٩م/١١٥٢هـ)[٥].

المنطق

داؤد القوجوي (توفي عام١٥٤١م/٩٤٨هـ)، حاشية على شرح القطب على الشمسية[٦]، نسخة محمود العبدلي (١٨٢١م/١٢٣٧هـ).

حسام الدين الكاتي (توفي عام١٣٥٩م/٧٦٠هـ) شرح ايساغوجي[٧]، نسخ مرتضى بن يحي العمري (١٦٧٧م /١٠٨٨هـ)، سيد ابراهيم بن سيد أحمد (١٧٦٩م/١١٨٣هـ) ودرويش بن أحمد (١٧٨٥م/١٢٠٠هـ).

أحمد الخزرجي[٨]، تعليقات على شرح العيني للهداية[٩]، نسخة محمد بن قاسم العبدلي (١٧١٧م/١١٣٠هـ).

---

(١) أسرة لها أواصر قوية مع انكشارية الموصل .

(٢) عالم من ماوران.

(٣) نسخت في جزيرة سقيز.

(٤) ربما كان الفيزياوي والفلكي الحنفي الذي مات في عام(١٤٧٤م/٨٧٩هـ).

(٥) نسخت في جامع النبي جرجيس.

(٦) الرسالة الشمسية في القواعد المنطقية، شرح على كتاب شمس الدين الجويجاني (توفي عام١٢٨٢م/٦٨١هـ) لنجم الدين الكاتبي (توفي عام١٢٧٦م/٦٧٥هـ). في هذه الحالة فان القطب المشار اليه في العنوان هو قطب الدين الرازي (توفي عام١٣٦٤م/٧٦٦هـ) والذي يعرف أيضاً بالقطب التحتاني.

(٧) الايساغوجي لأثير الدين الأبهري (توفي عام١٢٦٤م/٦٦٣هـ) المعتمد على الايساغورا لبورفديس، حواري أفلوطين وفيلسوف مدرسة الاسكندرية.

(٨) ربما أحمد بن عبد الله الذي مات بعد ١٥١٧م/٩٢٣هـ.

(٩) الهداية لبرهان الدين المرغيناني (توفي عام١١٩٧م/٥٩٣هـ) والشرح لبدر الدين العيني(توفي عام١٤٥١م/٨٥٥هـ).

الفاري الهروي (توفي عام١٦٠٥م/١١١٤هـ)، شرح الفقه الأكبر لأبي حنيفة، نسخة عبد الله بن أحمد العمري (١٧٥٠م/١١٦٤هـ).

أبو الحسن الصفدي (توفي عام١٠٦٨م/٤٦١هـ)، النتف في الفتاوى، نسخة فتح الله بن موسى العمري (١٦٦٦م/١٠٧٧هـ).

قوام الدين الكاكي (توفي عام١٣٤٨م/٧٤٩هـ) عيون المذاهب

صدر الشريعة المحبوبي (توفي عام١٣٤٦م/٧٤٧هـ) توضيح تنقيح الأصول[١]، نسخة مرتضى العمري (١٧١٣م/١١٢٥هـ).

محمد بن محمد الشعبي (؟)، الأنوار البهية في شرح فرائد الأشنوهية[٢]، نسخة ابراهيم الموصلي (١٧٢٣م/١١٣٦هـ).

علي الجرجاني (توفي عام١٤١٣م/٨١٦هـ) شرح فرائد السجاوندية[٣]، نسخة خالد الموصلي (١٧٥٢م/١١٦٦هـ).

ابن الشحنة (توفي عام١٥١٥م/٩٢١هـ) تفصيل عقد الفوائد بتكميل قيد الشرائد[٤]، نسخة حسين بن محمد الغلامي (١٧٥٧م/١١٧١هـ).

أحمد البرذعي (القرن العاشر الميلادي/القرن الرابع الهجري)، مسائل الخلاف بين الامامين[٥]، نسخة ياسين العمري (١٧٧٢م/١١٨٦هـ).

عبد الغني النابلسي (توفي عام١٧٣١م/١١٤٣هـ) قلائد الفرائد نسخة ياسين العمري (١٧٩١م/١٢٠٦هـ)

رسالة في تحليل الدخان، نسخة ناسخ مجهول (١٨٠١م/١٢١٦هـ).

مجهول، رسالة ضد تدخين التبغ[٦].

محمد المفتيساوي (توفي عام١٥٣٢م/٩٣٩هـ) شرح الفقه الأكبر للامام أبي حنيفة النعمان، نسخة أحمد بن الخياط (١٨٢١م/١٢٣٧هـ).

الطب

صالح حكيم أفندي (توفي عام١٦٧٠م/١٠٨١هـ) مركبات[٧]، نسخة علي العمري.

صدر الدين الصفدي (توفي عام١٣٧٨م/٧٨٠هـ) رحمة الأمة في اختلاف الأئمة، نسخة عسّاف الطائي (١٨٠٨م/١٢٣٣هـ).

---

(١) شرح على كتابه تنقيح الأصول.

(٢) الأشنوهية لأبي الفضل الأشنوهي (القرن الحادي عشر الميلادي /القرن الخامس الهجري).

(٣) الفرائد السراجية لسراج الدين السجاوندي (نهاية القرن الثاني عشر الميلادي/القرن السادس الهجري).

(٤) شرح على الوهبانية لوهبان الحارثي (توفي عام١٣٦٦م/٧٦٨هـ).

(٥) النسبة غير أكيدة.

(٦) رسالة تعود للقرن الثامن عشر الميلادي مكتوبة بالفارسية والعربية.

(٧) تحضيرات العقاقير الطبية.

الفقه الحنفي

قاسم الخاني (توفي عام١٦٩٧م/١١٠٩هـ) رسالة التحقيق في الرد على الزنديق، نسخة مسلم أخي بابا (١٧١٢م/١١٢٤هـ).

مجهول، شروط الصلاة وأركانها، نسخة أحمد الخياط.

مجهول، المختصر في الفقه لأبي حنيفة الشافعي، نسخة أحمد بن الخياط.

خير الدين الرملي (توفي عام١٦٧٠م/١٠٨١هـ) الفتاوى الخيرية، نسخ حسين بن محمد الغلامي (١٧٧٨م/ ١١٩٢هـ)، يوسف بن عبد الجليل (١٧٨٠م/١١٩٥هـ) وسعد الله المتولي (١٧٨١م/١١٩٦هـ) وعسّاف الطائي (١٧٨٤م/ ١١٩٩هـ).

زين الدين بن نجيم (توفي عام١٥٦٣م/٩٧٠هـ)، تحفة الملوك، نسخة يوسف بن عبد الجليل (١٧٧٨م/ ١١٩٢هـ) الفتاوى، نسخة يونس بن أمين (١٧٧٩م/ ١١٩٣هـ)؛ كنز الفقهاء، نسخة يونس بن أمين (١٧٨٠م/ ١١٩٤هـ)؛ الأشباه والنظائر، نسخة محمد أمين المتولي (١٨٣٧م/١٢٥٣هـ).

أحمد الحموي (توفي عام١٦٨٦م/١٠٩٨هـ) ملحق لأشباه ابن نجيم حمو الكردي (١٧٦٩م/١١٨٣هـ).

بدر الرشيد (توفي عام١٣٦٦م/٧٦٨هـ) الفتاوى، نسخة عبد اللطيف العمري (١٧٥٦م/١١٧٠هـ).

ملا خسرو (توفي عام١٤٨٠م/٨٨٥هـ) درر الحكام في شرح غرر الأحكام[١]، نسخ مرتضى العمري (١٧٠٨م/١١٢٠هـ) وعبد القادر بن عبد المجيد (١٧٢٢م/١١٣٥هـ).

محمد الحصكفي (توفي عام١٦٧٧م/١٠٨٨هـ) الدر المختار في شرح تنوير الأبصار[٢]، نسخة محمد شاهر (١٧٧٧م/١١٩١هـ) وعبد الله بن أحمد العمري (١٧٦٨م/١١٨٢هـ).

محمد بن عابدين (توفي عام١٧٨٤م/١١٩٨هـ) الرد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار[٣]، نسخ موسى الحدادي وسعد الله المتولي.

أبو الليث السمرقندي (توفي عام٩٨٥م/٣٧٥هـ) خزانة الفقه، نسخة علي الموصلي (١٧٣١م/١١٤٤هـ)؛ مقدمة في الفقه، نسخة محمد أمين بن يونس العمري (١٧٨٩/١٢٠٤)[٤].

ابراهيم الحلبي (توفي عام١٥٤٩م/٩٥٦هـ) غنية المتملي[٥]، نسخ سيد مرتضى بن سيد يحيى، وخليل بن رجب (١٧٨٠م/١١٩٤هـ) وعلي البغدادي (١٧٧١م/١١٨٥هـ)[٦].

(١٦٨٩م/١١٠١هـ)؛ مرشدة الطالب في اسناد المطالب، نسخة محمد بن قاسم العبدلي (١٧٠١م/١١١٣هـ).

بهاء الدين العاملي (توفي عام١٦٢١م/١٠٣٠هـ) رسالة في الجبر والمقابلة، نسخة محمد السليماني (١٧٢٤م/ ١١٣٧هـ).

---

(١) ان هذا المؤلف لملا خسرو كان شائعاً بين الفقهاء التونسيين في القرن الثامن عشر، أنظر: عبد سليم، ص٣٤.

(٢) ان مؤلف تنوير الأبصار هو شمس الدين التمرطاشي الغازي (توفي عام١٥٩٥م/ ١٠٠٤هـ).

(٣) انه شرح على شرح الحصكفي على التمرطاشي.

(٤) نسخت بطلب من عبد المجيد بك بن سليمان باشا الجليلي.

(٥) ان الكتاب موجز لمنية المصلي تأليف سديد الدين الكشفري (توفي عام ١٣٠٥م/ ٧٠٥هـ).

(٦) نسخت حينما كان في الموصل.

عمر الجيلي (توفي عام١٧١٠م/١١٢٢هـ) شرح البهائية في الحساب[١]، نسخة محمد بن قاسم العبدلي.
(١٧٦٨م/١١٨٢هـ)؛ صناعة الطب الكيمياوي[٢]، نسخة محمد المهتدي (حوالي ١٨٣٥م).
باراسيلسوس (توفي عام١٥٤١م/٩٤٨هـ) الطب الجديد الكيمياوي، نسخة محمد المهتدي (حوالي ١٨٣٥م).
مصطفى فيض حكيم زاده (توفي عام١٧٣٨م/١١٥١هـ) العلة المراقية[٣]، نسخة محمد المهتدي (حوالي ١٨٣٥م).
مجهول، تعريف في الطب، نسخة علي العمري.
داؤد الأنطاكي (توفي عام١٥٩٩م/١٠٠٨هـ) تذكرة أولي الألباب وجامع العجب والاعجاب، نسخة ناسخ مجهول(١٧٥٤م/١١٥٩هـ)[٤]؛ النزهة في الطب، نسخة محمد أمين بن يونس العمري (١٧٨٤م/١١٩٩هـ).
عبد الله بختيشوع(توفي عام١٠٥٩م/٤٥١هـ) الروضة في الطب، نسخة يوحنا بن قس دانيال الكلداني (١٧٤٣م/١١٤٦هـ).
ابن الأكفاني (توفي عام١٣٤٨م/٧٤٩هـ) نهاية القصد في صناعة الفصد[٥]، نسخة شماس عبد الكريم بن نعمو (١٨١٧م/١٢٣٣هـ)[٦].

الفلك

أبو القاسم زبير الثقفي[٧]، تذكرة ذوي الألباب في استبفاء العمل بالاسطرلاب، نسخة محمد بن قاسم العبدلي (١٧٠١م/١١١٣هـ).
محمد المغربي اليرداني (؟)، بهجة الطلاب في الاسطرلاب، نسخة محمد بن قاسم العبدلي.
محمد البخاري (توفي عام١٣٤٠م/٧٤٠هـ) شرح حكمة العين[٨]، نسخة محمد العبدلي.
بهاء الدين العاملي (توفي عام١٦٢١م/١٠٣٠هـ) سواغ القريحة في شرح الصحيفة، نسخة سيد عبد الله الفخري؛ تسريح الادراك في شرح الأفلاك، نسخة سيد عبد الله الفخري.
عبد الكريم بن فارس (؟) ارجوزة في علم الأوقات[٩]، نسخة عبد الغفور الموصلي (١٧٠٥م/١١١٧هـ).
أبو معشر الفلكي (توفي عام٨٨٥م/٢٧٢هـ) طوالع الرجال، نسخة محمود العبدلي (١٨٢٣م/١٢٣٩هـ)
محمد بن زريق الخيري (توفي عام١٤٠٠م/٨٠٣هـ) الروض العطر في تلخيص جيز ابن الشاطر نسخة محمد المهتدي (حوالي ١٨٣٥م).

الحساب والجبر

ابن الحائم (توفي عام١٤١٢م/٨١٥هـ) اللمع في الحساب، نسخة أحمد بن ابراهيم بن أحمد علوان.

---

(١) شرح على خلاصة العاملي.
(٢) ترجمة كيميا باسيليكا لفروليلس.
(٣) كتاب متعلق بمراق البطن أي مارق منه ولأن في أسافله ونحوها مصاب بوسواس المرض.
(٤) أمر به محمد أمين آل ياسين.
(٥) رسالة في الجراحة.
(٦) أمر به معلم الناسخ، عبد الأحد.
(٧) أنظر بروكلمان، اس آي، ١٠٢٥.
(٨) ان العمل شرح على رسالة نجم الدين الكاتبي (توفي عام١٢٧٦م/٦٧٥هـ).
(٩) قصيدة عن التوجه الى القبلة، وعن الشمس والنجوم وخرائط البروج ومناخات الأرض.

ملحق رقم (٥)

المصادر التأريخية في المكتبات الموصلية

منذ سقوط الجليليين لم تعان الموصل أية كارثة كبيرة (زلزال أو احتلال مسلح مدمر) ولذلك يمكن الافتراض أن محتويات مكتباتها بقيت ثابتة بين النصف الأول من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين الميلادي[١]. ومن الواضح أن الوجهاء المواصلة والموظفين والتجار الأوربيين كذلك لابد أنهم استنزفوا بعض الكتب خارج المدينة ولكن الكتب التي اجتذبت الاهتمام لابد أنها المخطوطات النادرة والمؤلفات المحلية وليست مؤلفات مرجعية عامة التي يمكن العثور عليها في طول وعرض الامبراطورية العثمانية (مثلاً، الكامل لابن الأثير أو يتيمة الدهر للثعالبي) ومن الناحية الأخرى، ربما اقتنى المواصلة المؤلفات المرجعية العامة بعد سقوط الجليليين ومع ذلك وعند أخذ كل شيئ في نظر الاعتبار يبدو أن خزين المؤلفات المرجعية قد بقي بالجملة ثابتاً طيلة القرنين الأخيرين ونظرة وجيزة على محتويات مكتبات الموصل كما كانت في بداية هذا القرن قد تعيننا على تحديد التقليد بصورة عامة الذي اعتمده المؤرخون المواصلة في العهد الجليلي.

١.أبو الفدا: كان هنالك على الأقل نسختان من الكتاب الجغرافي تقويم البلدان لهذا الأستاذ الأيوبي من حماة (نسخة مؤرخة في ١٣٢٣م/٧٢٣هـ والأخرى في ١٨٣٣م/١٢٤٩هـ) وأما بالنسبة لكتابه التأريخي المختصر في أخبار البشر فقد استخدم بصورة واسعة ويستشهد به المؤرخون المواصلة[٢].

٢.محمد بيركيلي (توفي عام١٥٧٣م/٩٨١هـ) كان هنالك أربع نسخ من كتابه الطريقة المحمدية (غير مؤرخة، ١٧٢٨م/١١٤١هـ، ١٧٥٣م/١١٦٧هـ، ١٨٤٢م/١٢٥٨هـ).

٣.أحمد البصراوي، المعروف بابن الامام (توفي عام١٦٠٦م/١٠١٥هـ): نسخة واحدة من كتابه تحفة الأنام في فضائل الشام، نسخت في عام١٧٧٢م/١١٨٦هـ.

٤.مجير الدين القليمي (توفي عام١٥٢٠م/٩٢٧هـ): نسخة (مؤرخة في ١٥٦٣م/٩٧١هـ) من كتابه الأنس الجليل في تأريخ القدس والخليل.

٥.أبو حسن الباخرزي (توفي عام١٠٧٥م/٤٦٧هـ): نسخة (مؤرخة في ١٤٦٨م/٩٧١هـ) من كتابه دمية القصر وعصرة أهل العصر، وهو ذيل يتيمة الدهر للثعالبي.

٦.حسين الديار بكري (توفي عام١٥٥٩م/٩٦٦هـ): نسختان من الخميس في أحوال أنفس نفيس، وهي سيرة النبي (صلى الله عليه وسلم).

٧. شمس الدين الذهبي: نسخة من دول الاسلام[٣].

٨.الدميري: هنالك سبع نسخ على الأقل من حياة الحيوان[٤].

٩.علي بن برهان الدين الحلبي (توفي عام١٦٣٤م/١٠٤٤هـ): كتابه انسان العيون في سيرة الأمين والمأمون، المعروف بالسيرة الحلبية، يستشهد به على نطاق واسع في التراجم الموصلية للنبي (صلى الله عليه وسلم).

---

(١) عندما صنف الجلبي فهرساً بمخطوطات الموصل.

(٢) الطبعة المستخدمة: المختصر في أخبار البشر، ٤ أجزاء (القاهرة، غير مؤرخة).

(٣) الطبعة المستخدمة: دول الاسلام: جزءان (حيدر آباد، ١٩١٨م/١٣٣٧هـ).

(٤) الطبعة المستخدمة: حياة الحيوان، جزءان (القاهرة، ١٨٩١م).

١٠.محمد الادريسي (توفي عام١١٦٦م/٥٦٠هـ) نسخة من كتابه نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، المؤلف الجغرافي الذي أهداه الى روجر الثاني ملك صقلية.

١١.ابن العديم: أجزاء من كتابه بغية الطلب في تأريخ حلب[١].

١٢. ابن الشحنة: نسخة (١٦٩١م/١١٠٣هـ) من الدر المنتخب في تأريخ حلب، نسختان (١٦٩١م/١١٠٣هـ و ١٧٤٤م/١١٥٧هـ) من روضة المناظر في علم الأوائل والأواخر[٢].

١٣.ابن الأثير: أجزاء من كتابه الكامل في التأريخ[٣].

١٤.عمر بن الوردي: نسخة من كتابه تتمة المختصر في أخبار البشر[٤]، أربع نسخ مختلفة من مؤلفه الجغرافي خريدة العجائب وفريدة الغرائب[٥].

١٥.ابن خطيب الناصرية (توفي عام١٤٣٩م/٨٤٣هـ) نسخة من كتابه الدر المنتخب في تكملة تأريخ مملكة حلب (النسخة مؤرخة ١٦٩١م/١١٠٣هـ) وهو ملخص لروضة المناظر لابن الشحنة وذيل لبغية ابن العديم.

١٦.ابن هشام: ثلاث نسخ من السيرة[٦].

١٧.ابن جهضم الهمذاني (توفي عام١٠٢٣م/٤١٤هـ) نسخة من مؤلفه في سيرة الأولياء الصوفية بهجة الأسرار ومعدن الأنوار في مناقب السادة الأخيار والمشايخ الأبرار.

١٨.ابن كثير: أجزاء من البداية والنهاية (مؤرخة في ١٥٦٦م/٩٧٤هـ).

١٩.ابن خلكان: نسخ متعددة معظمها ناقصة من وفيات الأعيان[٧].

٢٠.ابن خلدون: نسخة نسخت في دمشق في عام١٧٣٨م/١١٥١هـ للمقدمة، ونسخة أخرى نسخت في الموصل في عام١٨٤١م/١٢٥٧هـ للمقدمة وأخبار العرب.

٢١.ابن أبي عذيبة (توفي عام١٤٥٢م/٨٥٦هـ): نسخة مختصر التأريخ الكبير وهو ملخص كتابه تأريخ الدول.

٢٢.سبط ابن الجوزي: نسخة جزئية مؤرخة في ١٣٦٥م/٧٦٧هـ من كتابه مرآة الزمان، نسخة لقسم (١٨هـ- الى عهد أبي حنيفة) نسخ في عام١٧٦٣م/١١٧٧هـ لسليمان (باشا فيما بعد) بن أمين باشا الجليلي

---

(١) المؤلف المستخدم: بغية الطلب، مخطوطة مكتبة الأوقاف، رقم حسنية ٢٢/٥ في ٣٨٣ صفحة.

(٢) الطبعة المستخدمة: روضة المناظر، على حواشي المروج للمسعودي، جزءان (القاهرة ١٨٨٥).

(٣) الطبعة المستخدمة: الكامل، سي.جي. ثورن برغ (الناشر)، ١٢ جزء (بيروت، ١٩٦٦).

(٤) الطبعة المستخدمة: التتمة، جزءان (القاهرة، ١٨٦٨).

(٥) الطبعة المستخدمة: الخريدة (القاهرة، ١٨٩٩).

(٦) الطبعة المستخدمة: سيرة النبي م.س. طهطاوي (الناشر) (الأزهر، ١٩٢٨).

(٧) الطبعات المستخدمة: وفيات الأعيان، جزءان (بولاق، ١٨٩٢)، نشير اليها من الآن فصاعداً بابن خلكان (أ)؛ وفيات الأعيان، احسان عباس (الناشر)، ٨ أجزاء، نشير اليها من الآن فصاعداً ابن خلكان (ب)؛ وفيات الأعيات؛ دي سلان (المترجم)، ٤ أجزاء (باريس، ١٨٤٢-١٨٧١). نشير اليها من الآن فصاعداً ابن خلكان (ج).

من قبل يحي بن عبدو الجليلي المؤرخ. ونسخة القسم الذي يخص الموصل تحت حكم الأتابكي العظيم بدر الدين لؤلؤ وملخص مجهول للمرآة نسخ في عام١٧٠٠م/١١١٢هـ من قبل عبد الرحمن العمري[١].

٢٣.ابن عرب شاه: نسخة من عجائب المقدور في نوائب تيمور.

٢٤.سليمان الكلالي (توفي عام١٢٣٧م/٦٣٤هـ): مغازي رسول الله والخلفاء الثلاثة، نسخة جزئياً عسّاف الطائي عام١٨٢٣م/١٢٣٩هـ.

٢٥.عز الدين الكناني (توفي عام١٣٦٥م/٧٦٧هـ): مختصر السيرة النبوية منسوبة أيضاً الى الواسطي (توفي عام١٣١١م/٧١١هـ).

٢٦.شهاب الدين الخفاجي (توفي عام١٦٥٩م/١٠٦٩هـ): أربع نسخ من كتابه ريحانة الألبا وزهرة حياة الدنيا، وهو معجم تراجمي شبيه بيتيمة الدهر للثعالبي.

٢٧.فضل الله المحبي: هو والد المؤرخ المشهور، عملت نسخة من قسم صغير من كتابه فيض الأنام، وهذا القسم ترجمة لفاضل أحمد باشا كوبيرلو.

٢٨.المحبي: نسختان من نغمة الريحاني ورشحة طلى الحانة، ثلاث نسخ من كتابه خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر[٢].

٢٩.موفق الدين بن قدامة المقدسي (توفي عام١٢٢٣م/٦٢٠هـ): ثلاث نسخ من كتابه تبيين في أنساب القرشيين.

٣٠.معروف أفندي بن أحمد (القرن السابع عشرالميلادي/القرن التاسع الهجري): أحوال مصر، كان لها نسختان على الأقل (بما فيها نسخة عملت لسعد الله بك بن حسين باشا الجليلي في عام١٨٠٥م/١٢٢٠هـ)، وتدعى أيضاً أعاجيب الأخبار عن مصر الأمصار.

٣١.المسعودي: أقسام مختلفة من كتابه مروج الذهب[٣].

٣٢.أبو الحجاج المزي (توفي عام١٣٤١م/٧٤٢هـ): نسخة من كتابه تهذيب الكمال في أسماء الرجال.

٣٣.المقريزي: أجزاء من درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة[٤].

---

(١) الطبعات المستخدمة: مرآة الزمان، صورة طبق الأصل للمخطوطة رقم ١٣٦ من مجموعة لاند للمخطوطات العربية التابعة لجامعة ييل (الناشر) جي.آر. جويت (شيكاغو، ١٩٠٧)، يشار اليه من الآن فصاعداً ابن الجوزي (ييل)؛ مرآة الزمان، جزءان (حيدر آباد، ١٩٥١)، يشار اليه من الآن فصاعداً ابن الجوزي (حيدر آباد).

(٢) المؤلفات المستخدمة: خلاصة الأثر، مخطوطة مكتبة الأوقاف، الموصل، رقم حسين ٢٢/٦، يشار اليها من الآن فصاعداً محبي (مخطوطة)؛ خلاصة الأثر، أربع أجزاء (القاهرة، ١٨٦٨) يشار اليها من الآن فصاعداً محبي.

(٣) الطبعات المستخدمة: بارنير دي مينار وبافيه دي كورتاي (الناشران) وأعيد نشره من قبل ش.بيلا، خمسة أجزاء (بيروت، ١٩٦٦-١٩٧٤)، يشار اليها من الآن فصاعداً مروج (بيلا)؛ مروج الذهب، جزءان (القاهرة، ١٨٨٥)، يشار اليها من الآن فصاعداً مروج.

(٤) كتاب المقريزي الذي استخدم هنا لأغراض المقارنة هو كتاب السلوك في معرفة دول الملوك، م. زياد (المحقق)، ٤ أجزاء (القاهرة، ١٩٣٤-١٩٧٢).

٣٤.محمد النهروالي، يعرف أيضاً بالقطبي أو ابن قاضي خان (توفي عام١٥٨٢م/٩٩٠هـ) كان هنالك نسخة تعود للقرن السادس عشر الميلادي من كتابه الأعلام بأعلام بيت الله الحرام وهو ليس تأريخاً لمكة فحسب بل تأريخ عام للعثمانيين[١].

٣٥.أبو العباس الفرماني (توفي عام١٦١٠م/١٠١٩هـ): نسختان (١٧٥٨م/١١٧٢هـ و ١٨٢٤م/١٢٤٠هـ) من كتابه أخبار الدول[٢].

٣٦.ابن عبد البر القرطبي (توفي عام١٠٧١م/٤٦٣هـ): خمس نسخ من كتابه الاستيعاب في معرفة الأصحاب، بما فيها اثنتان لعسّاف الطائي (١٧٨٣م/١١٩٨هـ و١٨١١م/١٢٢٦هـ وقد نسخت الأخيرة لحسن باشا الجليلي)، وواحدة لأمين العمري (١٧٧٤م/١١٨٨هـ) ونسخة سليمان بن أحمد العمري (١٧٩٨م/١٢١٣هـ).

٣٧.شهاب الدين القسطلاني (توفي عام١٥١٧م/٩٢٣هـ): المواهب اللدنية بالمخ المحمدية.

٣٨.القزويني: نسختان من كتابه عجائب المخلوقات[٣].

٣٩.شهاب الدين القليوبي (توفي عام١٦٥٩م/١٠٦٩هـ): نسخة خلاصة الأخبار في أحوال النبي المختار المنسوبة اليه، ولكن ربما يكون المؤلف عزيز الأسكوداري (توفي عام١٦٢٨م/١٠٣٨هـ).

٤٠.عبد الرحمن السويدي (توفي عام١٧٨٥م/١٢٠٠هـ): نسخة من حديقة الزوراء في سيرة الوزراء تأريخ بغداد مبتدئاً بحسن باشا[٤].

٤١.تاج الدين السبكي (توفي عام١٣٧٠م/٧٧١هـ): قسم من كتابه طبقات (٢٤٠هـ الى ٢٦٠هـ).

٤٢.عبد الله الشيرازي، المعروف بوصّاف الحضرة (توفي عام١٣٢٨م/٧٢٨هـ): أجزاء من كتابه تجزيات الأنصار بالفارسية، تقرير عن المنفول من هولاكو الى أبي سعيد.

٤٣.علي السمهودي (توفي عام١٥٠٥م/٩١١هـ): خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى وهو تلخيص لكتابه وفاء الوفا، هنالك نسختان منه (١٥٥٠م/٩٥٧هـ و ١٧٣٩م/١١٥٢هـ).

٤٤.عبد الوهاب الشعراني (توفي عام١٥٦٥م/٩٧٣هـ): نسختان من كتابه لواقح الأنوار في طبقات السادة الأخيار.

٤٥.السيوطي: نسختان من الوسائل في معرفة الأوائل، احداهما نسخة مختصرة لجرجيس الجوادي الموصلي. نسختان من حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، نسختان من تأريخ الخلفاء[٥].

٤٦.علي السكتواري (توفي عام١٥٩٨م/١٠٠٧هـ): نسخة من كتابه الأوائل والأواخر وهو مختصر لوسائل السيوطي.

---

(١) كتب نهروالي التي استخدمت هنا لأغراض المقارنة بكتب المؤرخين المواصلة هي البرق اليماني في الفتح العثماني (الرياض ١٩٦٧)، والأعلام بأعلام بيت الله الحرام،أ ف. ويستنفيلد (المحقق) (لايبزغ، ١٨٥٧).

(٢) الطبعة المستخدمة: أخبار الدول (بغداد، ١٨٦٩).

(٣) الطبعة المستخدمة: عجائب المخلوقات، على حواشي حياة الحيوان للدميري، جزءان (القاهرة، ١٨٩١).

(٤) الطبعة المستخدمة: حديقة الزوراء، صفاء خلوصي (المحقق)، الجزء الأول (بغداد، ١٩٦٢).

(٥) الطبعة المستخدمة: تأريخ الخلفاء (لاهور، ١٨٨٧).

٤٧.الطبري: ترجمة تركية لأجزاء من تأريخه[١].

٤٨.أبو اسحاق الثعالبي (توفي عام١٠٣٦م/٤٢٧هـ): أربع نسخ من كتابه عرائس المجالس في قصص الأنبياء.

٤٩.أحمد طاشكوبرى زاده (توفي عام١٥٦١م/٩٦٨هـ): نسختان من كتابه الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية[٢].

٥٠.أبو عيسى الترمذي (توفي عام٨٩٢م/٢٧٩هـ): نسخة من كتابه الشمائل النبوية والخصائص المصطفوية.

٥١.الثعالبي: يتيمة الدهر في محاسن العصر[٣].

٥٢.حسين المرغني الثعالبي: غرر أخبار ملوك الفرس[٤].

٥٣.محمد العتبي (توفي عام١٠٣٥م/٤٢٧هـ): نسخة من كتابه اليميني في تأريخ عين الدولة محمود بن سبكتكين.

٥٤.عياض بن موسى القاضي اليحصبي (توفي عام١١٤٩م/٥٤٤هـ): أربع نسخ من كتابه الشفا بتعريف حقوق المصطفى.

٥٥.عبد الله اليافعي (توفي عام١٣٦٦م/٧٦٨هـ): كتابه مرآة الجنان وعبرة اليقظان استخدم بشكل واسع خصوصاً من قبل ياسين العمري[٥]، وكتابه روض الرياحين في حكايات الصالحين استخدم أيضاً[٦].

٥٦.صلاح الدين الصفدي (توفي عام١٣٦٣م/٧٦٤هـ): نسخة من كتابه نكت العميان[٧].

٥٧.ياقوت: أجزاء مختلفة من معجمه[٨].

٥٨.مرتضى نظمي زاده أفندي: نسخة من كتابه تذكرة الأولياء، ويدعى أيضاً جامع الأنوار[٩]، من كتابه كلشن خلفاء (متفرقة ١٧٣٠) كذلك بالتركية.

٥٩.عبد الله رضوان (القرن السابع عشرالميلادي/ القرن الحادي عشرالهجري): تأريخ مصر، بالتركية.

٦٠.سهيل أفندي (القرن السابع عشرالميلادي/ القرن الحادي عشرالهجري): تأريخ مصر الجديد، بالتركية.

---

(١) الطبعة المستخدمة: تأريخ الرسل والملوك، ا م. جي دي كوجي (المحقق)، ١٥ جزء (لندن، ١٨٧٩/١٩٠١).

(٢) الطبعة المستخدمة: الشقائق النعمانية، على حواشي وفيات الأعيان لابن خلكان، جزءان (بولاق، ١٨٩٢).

(٣) الطبعة المستخدمة: يتيمة الدهر في محاسن العصر، ٤ أجزاء (القاهرة، ١٩٣٤).

(٤) النسخة المستخدمة: كتاب غرر السير، مخطوطة مكتبة بودليان، رقم دورفيل ٥٤٢، ان هذا المصنف قد نسب أيضاً الى أبي منصور عبد الملك الثعالبي ، حول الخلاف قارن ايج. زوتنبرغ، تأريخ الملوك الفرس لأبي منصور عبد الملك الثعالبي (باريس، ١٩٠٠) و أل. كيتاني (مخطوطة مجهولة لمكتبة بودليان في أكسفورد).

(٥) الطبعة المستخدمة: مرآة الجنان وعبرة اليقظان، ٤ أجزاء (حيدر آباد، ١٩١٨-٢٠).

(٦) الطبعة المستخدمة: روض الرياحين (القاهرة، ١٨٩٧).

(٧) الطبعة المستخدمة: نكت الهميان في نكت العميان، أ. زكي (المحقق) (القاهرة، ١٩١١).

(٨) الطبعة المستخدمة: تأريخ الخلفاء (لاهور، ١٨٨٧).

(٩) نسخة في المكتبة البريطانية رقم أ د د /٧٨٧٧.

٦١.نعيما: وهو مصطفى بن نعيما الحلبي وتاريخه بالتركية نسختان مطبوعتان (متفرقة) لمصنفه في التركيـــة، يستشهد ياسين العمري بنعيما في مقدمته للدر(١)[1].

٦٢.تأريخ الهند الغربي المسمى بحديث نو: نسخة تركية مجهولة طبعت في اسطنبول (متفرقة ١٧٢٩م) مؤلف يعود للقرن السادس عشر الميلادي وينسب الى أحمد حلمي.

٦٣.تأريخ سيّاح دربلياني ظهور أغوانيان وسبب انهدام بناء دولة شاهان صـــفوايان: نشـــر فـــي اســـطنبول (١٧٢٩م)، يقال أنه ترجمة تركية لكتاب باللاتينية. ويبدو من العنوان الذي يشير الى أن الكتاب تقريـــر ســـائح عن سقوط الصفويين وظهور الأفغان في بداية القرن الثامن عشر.

---

(١) الطبعة المستخدمة: حوليات الامبراطورية التركية من عام١٥٩١ الى ١٦٥٩ من العصر المسيحي لنعيما سي. فريزر (المترجم)، الجزء الأول (لندن، ١٨٣٢)، عن هذا المؤرخ العثماني، أنظر آل.تي. توماس، دراسة نعيما، ان. اتزكوفيتز (المحقق) (نيويورك، ١٩٧٢).

الملحق رقم (٦)

سراج الملوك ليحيى الجليلي

المقدمة: الأوراق ٣ر-٧ف

تشتمل على ٤٠ حديثاً مأخوذاً من صحيح البخاري.

الجزء الاول: عن تاريخ الشعوب الغابرة، وعن الأرض والسموات، وعن الأقطار والبحار والجبال والأنهار (الاوراق٧ف- ١٤٦ر)

الفصل الأول: عن شجرة النسب التي تصل محمد (صلى الله عليه وسلم) بآدم (الاوراق٧ف-١٥ف).

الرواية ملخص للوصف الذي يورده ابن الأثير في الكامل.

الفصل الثاني: عن أنبياء وملوك بني إسرائيل (الاوراق١٥ف-٤٦ف)

المصادر الرئيسية هنا: تتمة ابن الوردي وكامل ابن الأثير. ومع ذلك فقد أعيت بعض التفاصيل محاولات اقتفاء إثرها. اما وصف عقائد وتقاليد اليهود فقد اخذت حرفياً من تتمة ابن الوردي (الجزء الاول، ٧٥-٧٨) الذي يقتبس منه المؤلف.

الفصل الثالث: عن طبائع ملوك اليمن (الاوراق٤٦ف-٥٣ر).

يقتبس المؤلف من مروج المسعودي[١] ومقدمة ابن خلدون، وابن الوردي، ومؤلف مجهول لـ تواريخ الامم.

الفصل الرابع: عن ملوك العرب باستثناء ملوك اليمن (الاوراق٥٣ر-٦٩ف)

النص مأخوذ باكمله تقريباً من تتمة ابن الوردي، مع استخدام هامشي للفصل ٤٤ من مروج المسعودي وكذلك كامل ابن الاثير.

الفصل الخامس: عن ملوك فارس قبل الاسلام (الاوراق٦٩ف-٨٩ر)

يقتبس المؤلف من ابن الوردي وابن الاثير والثعالبي. والمرجع الاخير يجب ان يكون عن اخبار ملوك الفرس المنسوب الى حسين المرغني الثعالبي[٢].

الفصل السادس: عن ملوك الروم قبل الاسلام (الاوراق٨٩ر-٩٨ر)

يوفر المسعودي اصل الاسم[٣]، وابن الوردي قصة روملوس وريماس، والفتح الروماني لاوربا[٤]. وبعد استطراد عن اهل الكهف الذي يقتبسه من الثعالبي، يعود المؤلف الى ابن الوردي من اجل وصفه لعقائد وعوائد النصارى.

الفصل السابع: عن الاقباط وفراعنة مصر (الاوراق ٩٩ر-٩٩ف)

ان الفصل بكامله نقل حرفي لوصف ابن الوردي في التتمة (الجزء الاول، ٤٨-٥٠)

---

(١) قارن مثلاً، السراج، الاوراق٤٦ف -٤٧ف، والفصول٤١-٤٣ من مروج الذهب.

(٢) في الغرر قسم مهم عن فارس قبل الاسلام: انظر زوتنبرغ.

(٣) انظر مروج الذهب (بيلاط)٣٢، ٢ ف.

(٤) انظر الجزء الاول، ٥٢.

الفصل الثامن: عن ملوك الاغريق (الاوراق٩٩ر-٩٩ف)

وهذا ايضاً نقل حرفي لوصف ابن الوردي. والحافظ ابن حجر[١]، وقاموس الفيروز آبادي، وحمد الخطابي (توفي عام٩٩٨م/٣٨٨هـ) وهو مؤلف كتب مختلفة في الحديث، ومزيل الخفاء عن الفاظ الشفاء لاحمد الشوفي (توفي عام١٤٦٧م/٨٧٢هـ) والبلاذري، وحيان بن حيان[٢]، والاستيعاب في معرفة الاصحاب لابن عبد الله القرطبي وكتابه بهجة المجالس في انس المجالس، وهمزية البوصيري. ويقتبس السراج من كتاب يدعى اللفظ وآخر يدعى الدلائل[٣].

الفصل التاسع: عن مختلف شعوب العالم (الأوراق٩٩ف-١٠٥ف)

إن الرواية مأخوذة من ابن الوردي (تتمة، الجزء الأول، ٨٠-٨٧).

الفصل العاشر: عن الخلق، الأرض والسماء، المناخات، الأقطار المشهورة وعن الطوفان (الأوراق ١٠٥ف-١١٤ف).

في هذا الفصل يقتبس المؤلف من مصادر مختلفة: علماء، مؤرخين وجغرافيين. والمراجع الرئيسية هي مروج المسعودي، معجم ياقوت، حياة الحيوان للدميري والمختصر لأبي الفداء، ومعالم التنزيل للبغوي، والتفسير الكبير لعبد الكريم القشيري (توفي عام١٠٧٢م/٤٦٥هـ). وأنوار التنزيل للبيضاوي، والمعجم الكبير للطبراني، والانس الجليل للشاذلي[٤]. واما إشارته الى كتاب الخميس، فيجب ان تكون الى الخميس في احوال انفس نفيس، لحسين الديار بكري (توفي عام١٥٥٩م/٩٦٦هـ). واما ذكره للعرائس فهو على أكثر ترجيح عرائس المجالس في قصص الأنبياء لأبي إسحاق الثعالبي (توفي عام١٠٣٦م/٤٢٧هـ). وإشارته الى القاموس هي بالتأكيد الى المعجم الفلسفي لأبي الطاهر الفيروزابادي (توفي عام١٤١٤م/٨١٧هـ) وكانت نسخ منه في الموصل. والذي يدعوه بالوفا هو على الأرجح كتاب الوفا في فضائل المصطفى للحافظ بن الجوزي. و روضة الأحباب قد تكون تحريفاً لروضة الأخبار (في سير النبي والآل والأصحاب) لجمال الدين الدشتكي (توفي عام١٤٠٠م/٨٠٣هـ). واما عن المدارك، الذي اقتبس منه في هذا الفصل فقد يكون احد عشرات الكتب في الفقه، ولم استطع ان أتعرف عليه. انه مستحيل عملياً القول فيما اذا استخدم المؤلف جميع المصادر التي يستشهد بها، او أن العديد منها استشهد به بصورة غير مباشرة. وذلك لأنه غالباً ما يذكر اسماً (مثلاً، نفائي) او كلمة منفردة من عنوان (مثلاً، عرائس) فيما يتعلق بتفاصيل صغيرة من المستحيل عملياً اكتشافها.

---

(١) احمد حجر الهيثمي (توفي عام١٥٦٧م/٩٧٤هـ)

(٢) ان لهذا المؤرخ الاندلسي (توفي عام١٠٧٦م/٤٦٩هـ) كتب ثلاث في التاريخ احدها كان عن الصحابة. ولكن نسخاً قليلة جداً من هذه الكتب وصلتنا (وفي شكل مفتت). ولم اتمكن من العثور على اثر له في مكتبات الموصل، وعلى المرء ان يفترض ان السراج اقتبس منه بصورة غير مباشرة.

(٣) ربما دلائل النبوة لابي نعيم الاصفهاني (توفي عام١٠٣٩م/٤٣١هـ).

(٤) الارجح: السراج الجليل لابي الحسن الشاذلي (توفي عام١٢٥٨م/٦٥٦هـ) .

الفصل الحادي عشر: عن البحار والجزر (الاوراق١١٤ف-١٢٤ف)

مع أن المؤلف يقتبس معجم ياقوت فيما يتعلق بالبحر المحيط، الا ان الرواية قد اخذت في الحقيقة من خريدة العجائب لابن الوردي. ويصبح ذلك جلياً عندما يقتبس السراج والخريدة كلاهما من ابي الريحان الخوارزمي[١].

الفصل الثاني عشر: عن الانهار والينابيع والآبار والجبال الشهيرة (الاوراق١٢٤ف-١٣٣ف) يقتبس المؤلف من كتاب عجائب البلدان، والغرائب وتحفة الغرائب، ولكن يظهر ان هذه العناوين الثلاثة، تحريف لخريدة العجائب لابن الوردي التي اخذ منها التقرير[٢].

الجزء الثاني: عن الخلفاء الأربعة (الأوراق ٣٨ر-٣٧٨ف)

ينقسم هذا الفصل الى اربعة أقسام: (١) عن ابي بكر الصديق (الاوراق ٣٢٨ر-٣٥٥ر)؛ (٢) عن عمر الفاروق (الاوراق٣٥٥ر-٣٦٢ف)؛ (٣) عن عثمان (الاوراق٣٦٢ف-٣٧٠ر)؛ (٤) عن خلافة علي والحسن، واعتراف الحسين بمعاوية كخليفة (الاوراق٣٧٠ر-٣٧٨ف).

ان المصادر الرئيسية المستخدمة هنا هي الرياض النضرة في مناقب العشرة لمحب الطبري، وكتابه ذخائر العقبي في مناقب ذوي القربي، وكتابه صفوة القرى في صفات حجة المصطفى؛ والخميس للديار بكري؛ وسيرة مغلطاي، وهي السيرة النبوية لمغلطاي بن قليج (توفي عام١٣٦١م/٧٥٣هـ)؛ وسيرة ابن هشام؛ وقاموس الفيروز آبادي، والواقدي؛ والسيوطي؛ والدميري؛ والذهبي؛ واستيعاب القرطبي. ويذكر المؤلف بتكرار اقل، ابن خلكان؛ مختصر ابي الفداء والمدعو يعقوب الزهري[٣]؛ والمنتقى[٤] والاكتفاء[٥]؛ والتذنيب[٦]؛ وشرح العقائد العضدية لمحمد الدواني (شرح على عقائد عضد الدين الايجي الذي كان شائعاً جداً في الموصل في القرن الثامن عشر)؛ وابن كثير؛ وعلي الدار قطني[٧]؛ واسد الغابة لابن الاثير؛ والمواهب اللدنية.

الفصل الثالث عشر: عن مكة والمدينة (الاوراق١٣٣ف-١٤٦ر)

ياقوت والمسعودي وتحفة الكرام في اخبار الحرام[٨] هي المصادر الرئيسية. يقدم لنا المؤلف كل المعلومات المتعلقة بالتاريخ وبناء وتزيين البيت حتى العصور العثمانية. ويورد ايضاً وصفاً وجيزاً لجميع الاحداث التي تخص جميع الحكام المسلمين ذي العلاقة بمكة والمدينة.

---

(١) قارن ياقوت، الجزء الاول،٥٠٤،الخريدة، صفحات ٧٣-٧٤ والسراج،الورقة١١٤ف. لاي تشابهات واخرى في المراجع المقتبسة قارن الخريدة، صفحات ٧٨،٩٤، والسراج الاوراق ١١٦ف،١٢٠ف.

(٢) قارن السراج الورقة ١٢٥ر والخريدة، ص١٠٥ .

(٣) بما ان يعقوب هذا يقتبس منه السراج قريباً جداً من الواقدي فعلى المرء ان يفترض ان ذلك اشارة الى محمد الزهري (توفي عام٨٤٥م) الذي كان صديقاً للواقدي.

(٤) قد يكون هذا اشارة الى واحد من كتب مختلفة (احدها لابن تيمية).

(٥) قد يكون هذا الاكتفاء في اخبار الخلفاء لابن الكردبوس التورزي (القرن الثاني عشر الميلادي/ القرن السادس الهجري) او الاكتفاء في فضل الاربعة الخلفاء لابراهيم الوصابي (توفي عام ١٥٥٥م/٩٦٢هـ).

(٦) اما ان يكون السيوطي او عبد الكريم الرافعي (توفي عام ١٢٢٦م/٦٢٣هـ).

(٧) الف كتباً مختلفة في الحديث (توفي عام ٩٩٥م/٣٨٥هـ).

(٨) منسوبة الى تقي الدين الفاسي (توفي عام ١٤٢٩م/ ٨٣٢هـ).

الجزء الثاني: عن بداية الدولة الاسلامية والصحابة الكرام، والراشدين وفتوحاتهم الى عهد معاوية (الاوراق١٤٦ر/٣٧٨ف)

الفصل الاول: عن مولد النبي (صلى الله عليه وسلم) وحياته ومماته (الاوراق ١٤٦ر-٣٢٨ر)

يقع هذا الفصل من خمسة اقسام: (١) عن مولده ورضاعته واخبار حياته حتى بلوغه (الاوراق ١٤٦ر-١٥٣ف)؛ (٢)عن رحلته الى سوريا بصحبة خادم خديجة، وزواجه بخديجة، وعن زوجاته واولاده (الاوراق١٥٣ف-١٦٣ف)؛(٣) عن بعثته، ومعجزاته، واسرائه ومعراجه وهجرته (الاوراق١٦٣ف-٢٠٥ف)؛ (٤) عن غزواته، وجيشه وحملاته ومراكبه وسلاحه والويته (الاوراق٢٠٥ف-٣١٦ف)؛ (٥) عن موته(الاوراق٣١٦ف-٣٢٨ر).

تعتمد الرواية على السيرة الحلبية لبرهان الدين الحلبي، والمختصر في سيرة سيد البشر لعبد المؤمن الدمياطي(توفي عام١٣٠٦ م/٧٠٥هـ)، والبخاري، والجامع بين الصحيحين للبغوي، والروض الانيق[١] لعبد الرحمن السهيلي (توفي عام١١٨٥م/٥٨١هـ)، والاوسط للطبراني (وهو الجزء الثاني من كتابه معاجم الحديث)، والسيرة الشامية وهي سبل الهدى والرشد في سيرة خير العباد ليوسف الشامي (توفي عام١٥٣٦م/٩٤٢هـ) والجامع الصغير للسيوطي، وكتاب يشار اليه بـ (الامتناع) الذي لم اتمكن من التعرف عليه.

أما بالنسبة للمؤلفين الآخرين والكتب المذكورة هامشياً والمستخدمة تكراراً بصورة غير مباشرة، فهي: ابن الاثير، الواقدي، الحافظ بن الجوزي، سبط بن الجوزي، محب الطبري، الذهبي، ابن كثير، وشفاء الصدور، وهو كتاب في التفسير القرآني لابي بكر النقاشي(توفي عام٩٦٢م/٣٥١هـ) والفاكهي[٢]، والحافظ النيسابوري[٣]، بدر الدين العيني[٤]، والقرطبي[٥]، والكشاف في تفسير القرآن للزمخشري(توفي عام١١٤٣م/٥٣٨هـ)، وطبقات[٦] الشعراني، وتفسير الرازي[٧]، والخوارزمي[٨].

وبالقسم الذي يبحث الامويين تصبح الرواية بكل وضوح حولية، ويصبح جلياً ان اليافعي، والذهبي وكتاباً حوليين آخرين كأبي الفدا وابن الوردي قد وفروا معظم المادة. اما القسم الذي يبحث الامويين في اسبانيا، وهو قصد نسبياً عند اخذ السراج في نظر الاعتبار فقد نقله حرفياً من تتمة ابن الوردي[٩].

---

(١) شرح على سيرة ابن هشام.

(٢)الارجح محمد بن اسحاق (توفي عام ١٥٣٨م/ ٩٤٥هـ) وكتابه تاريخ مكة.

(٣)كتابه شرف المصطفى عن النبي (صلى الله عليه وسلم).

(٤)عقد الجمان في تاريخ الزمان.

(٥)الارجح الجامع لاحكام القرآن لمحمد القرطبي (توفي عام ١٢٧٢م/ ٦٧١هـ).

(٦) لواقح الانوار في طبقات الاخيار لعبد الوهاب الشعراني.

(٧) لوامع البيانات في شرح اسماء الله، لمحمد فخر الرازي (توفي عام ١٢٠٩م/ ٦٠٦هـ).

(٨) اشارة الى الرعان، اقتبس سابقاً بصورة غير مباشرة في السراج عن ابن الوردي: انظر ما سبق ص٢٢٢.

(٩) ويبدأ القسم بـ: وقال ابن الوردي في تاريخه.

وأما القسم الذي يبحث العباسيين، والذي تنتهي به مخطوطتنا، فانه يعتمد بالمقام الاول على روضة المناظر[1] لابن الشحنة؛ ودول الذهبي، وتاريخ الخلفاء[2] للسيوطي؛ ومروج المسعودي؛ وسيرة مغلطاي وكتاب الاوراق لابي الصولي(توفي عام٩٤٦م/٣٣٥هـ)؛ وابن خلكان؛ وكتاب الاوائل للعسكري[3]؛ وابراهيم نفطويه (توفي عام٩٣٥م/٣٢٤هـ). واحياناً يقتبس المؤلف من اليافعي؛ والدميري؛ والكاتب البغدادي؛ وربيع الابرار للزمخشري؛ والتذنيب في الفروع لعبد الكريم الرافعي (توفي عام١٢٢٦م/٦٢٣هـ)؛ والثعالبي؛ وابن عساكر؛ وابن الوردي؛ والحافظ بن الجوزي؛ والمدعو محمود الاصفهاني؛ وابو بكر بن ابي دينا، المحدث المتوفي عام٨٩٤م؛ وابن ابي راشد، الفقيه المالكي المتوفي عام١٢٧٦م؛ وابن ابي داؤد[4]؛ ومعافي بن زكريا الجزري (توفي عام١٠٠٠م/٣٩١هـ) والقاضي مؤلف الجليس الانيس؛ وابي بكر الباقلوني[5]؛ وتهذيب الاسماء واللغة للنووي؛ وابو سعيد المخزوني، الشاعر المقوفي عام١٢٢٥م/٦٢٢هـ؛ والقزويني الشارح البليغ لمفتاح السكاكي. واما المؤلفون الآخرون والكتب الاخرى التي اقتبس منها والتي لم استطع ان اتعرف عليها فهي المبسوط، بدون ضبط اضافي، وقد يكون احد عشرات الكتب بالعنوان نفسه؛ والمدعو قريش الختلي؛ والطيوريات للسلفي المقتبس منه فيما يتعلق بالخليفة لشهاب الدين القسطلاني (توفي عام١٥١٧م/٩٢٣هـ)؛ والازري[6]؛ وكتاب الاموي[7]؛ ومعالم التنزيل للبغوي؛ وكمال الدين الشيرواني (توفي عام١٤٩٩م/٩٠٥هـ)؛ والخدندي[8]؛ ومورد اللطافة فيمن ولي السلطنة والخلافة لابن تغري بردي؛ وصحيح البخاري؛ ومؤلف يشار اليه بتاريخ ابن عاصم[9]؛ والحافظ الجوزي؛ وطبقات ابي بكر الشيرازي[10]؛ وشواهد النبوة[11]؛ والبحر العميمة[12]؛ وكذلك كتاب يشار اليه بـ ترتيب الرافعي وكتاب سيف الله بن الوليد بن عقرباء، وهو تقرير عن هزيمة خالد لمسيلمة في الردة.

---

(١) قارن مثلاً السراج، ورقة ٤٠٤ف وروضة المناظر، جـ١، ص٢٥٢.

(٢) عن جعفر المنصور، قارن السراج، ورقة ٤١٠ ر، والسيوطي، تاريخ الخلفاء، ص١٧٨.

(٣) لابي هلال العسكري (توفي عام١٠٠٥م/٣٩٦هـ).

(٤) اشارة الى عبد الله الازدني السجستاني (توفي عام٩٢٩م/٣٩٧هـ).

(٥) في الحقيقة الباقلاني وليس الباقلوني، مؤلف اعجاز القرآن، توفي عام١٠١٣م/٤٠٤هـ. السراج يقتبسه فيما يتعلق بجد الفاطمي عبد الله المعروف بالمهدي، "الذي كان مجوسياً وادعى انه علوي عندما ذهب الى المغرب" السراج، الورقة٤٣٥ ف.

(٦) الارجح كاظم الازري (توفي عام١٧٩٦)، شاعر بغدادي نظم مرثيات في النبي وآل البيت.

(٧) الارجح حسن الاموي (توفي عام٩٧٠م).

(٨) الارجح ابراهيم الخرندبي، شاعر واديب مدني توفي عام١٤٤٧م.

(٩) ادباء اندلسيون مختلفون وواحد من زبيدة لهم هذا الاسم.

(١٠) الارجح كتابه القاب الرجال (توفي عام١٠١٧ م/٤٠٧ هـ).

(١١) منسوبة الى نور الدين الجامي (توفي عام١٤٩٢م٨٩٨هـ).

(١٢) كتاب عن الفقه لابي الصفاني (توفي عام١٤٥٠م/٨٥٤ هـ).

التركيب الداخلي لعنوان الشرف (١) لياسين العمري

الحرف ألف (الأوراق ١ف-٥٦ ر)

ان القسم الأول (الأوراق ١ف-٥ف) يحتوي على أسماء خمسة وعشرين نبياً؛ وأما القسم الثاني فقد أدرج ٣٠ صحابياً (الأوراق ٥ ف-١٣ف) وأما القسم الثالث الناقص فقد أورد ٢٢٨ اسماً لعلماء وأدباء (الأوراق ١٣ ف-٤٤ ف) ويذكر القسم الأخير (الأوراق ٤٤ ف-٥٦ ر) حاكماً وخليفة وملكاً وسلطاناً ووالياً.

الحرف باء (الأوراق ٥٦ ر- ٦٣ ر)

ان قسم الانبياء (الورقة ٥٦ر) يحتوي على تراجم لخمسة أشخاص مغمورين دعواهم الوحيدة للشهرة هي صلة رحم بهذا أو ذاك النبي وقسم الصحابة (الأوراق ٥٦ر-٥٧ف) يبحث ١٣ اسماً أخذوا من التبيين وأما قسم العلماء (الأوراق ٥٧ف-٥٩ر) فانه يورد ثماني تراجم فقط ويقف عند بركة بن أبي يعلى أبو البركات. والقسم ناقص والجزء الأسفل من الورقة ٥٩ر فارغ أما الصنف الأخير عن الملوك (الأوراق ٦٠ر-٦٣ر) فانه ذو عيوب من البداية وناقص في النهاية انه يبتدئ بباديس بن منصور ويختتم بالأمراء والوزراء العثمانيين.

الحرف تاء (الأوراق ٦٤ر-٦٦ر)

لقد عانى هذا الفصل كثيراً جداً فوصلتنا أجزاء من القسم الأخير فقط يحتوي على تسع تراجم اجمالاً وخاتمته مفقودة والشخص الأخير المذكور هو تيمور طاش باشا الوزير العثماني ويحتوي القسم على ترجمة تيمور الذي يدعى خارجياً كما في الأعيان والآثار.

الحرف ثاء (الأوراق ٦٧ر-٦٨ر)

يبتدئ هذا الفصل بطبقة الصحابة لأن المؤلف يبدو عاجزاً عن ايجاد نبي يبتدئ اسمه بالحرف ثاء. يورد القسم ثلاثة أسماء فقط (ثويبة الأسلمية، ثابت بن الأرقم، وثابت بن ثعلبة) والأقسام المتبقية مفقودة.

الحرف جيم (الأوراق ٦٩ر-٧٣ف)

ان بداية القسم عن الصحابة (الأوراق ٦٩ر-٧٠ر) مفقودة وليس هناك طريقة للاخبار عما اذا كان هذا الفصل يحتوي قسماً عن الأنبياء أم لا ولكنه احتوى على أكثر ترجيح والاسم

فارغتان تليان الورقة ١١٦ف: ويرد فيه ٣١ ترجمة بما فيها تراجم ثلاث سلاطين عثمانيين.

الحرف شين (الأوراق ١١٧ر-١٢١ف)

يرد سبعة أنبياء في القسم الأول (الورقة ١١٧ر)؛ و ٨ صحابيين في القسم الثاني (الأوراق ١١٧ر-١١٨ر)؛ و أحد عشر عالماً في القسم الثالث (الأوراق ١١٨ر-١١٩ف)[1]، واثنا عشر ملكاً في القسم الأخير (الأوراق ١١٩ف-١٢١ف).

الحرف صاد (الأوراق ١٢١ف-١٢٥ف)

هنالك أربعة أنبياء في القسم الأول (الأوراق ١٢١ف-١٢٢ف) وثمانية صحابيين في القسم الثاني (الأوراق ١٢٢ر-١٢٣ف) وستة علماء في القسم الثالث الناقص (الأوراق ١٢٣ف-١٢٤ر) بداية القسم الأخير

---

(١) ترجمة شريح الكندي، قاضي البصرة الذي عاش أكثر من ١٠٠ سنة ومات عام٦٩٥م/٧٦هـ، وهي نفسها في مرآة اليافعي، ١، ١٥٨-١٦٠؛ وعلى النهاية الأخرى من الفترة المغطاة ترجمة قاضي عسكر شعبان البوسني، (توفي عام١٦٧٧م/١٠٧٧هـ) مأخوذة من المحبي، ٢/٢٢٦-٢٣٠.

عن الملوك (الورقة ١٢٥رف) مفقودة والورقة ١٢٥ر فيها مجرد سطرين اثنين في أسفلها تروي دخول الشاه الصفوي الى بغداد.

الحرف ضاد (الأوراق ١٢٥ف-١٢٦ف)

ليس هنالك قسم عن الأنبياء وفي القسم الثاني (الأوراق ١٢٥ف-١٢٦ف) ذكر أربعة صحابيين فقط.

الحرف طاء (الأوراق ١٢٦ف-١٢٩ف)

يشتمل الفصل على ثلاثة علماء واثني عشر حاكماً بما فيهم طهماسب ابن اسماعيل ونادرشاه.

الحرف ظاء (الورقة ١٢٩ف)

قسم واحد يحوي اسماً واحداً: الصحابي ذبيان بن كداد.

الحرف عين (الأوراق ١٢٩ف-١٧٧ر)

عزيز وعيسى هما النبيان (الأوراق١٢٩ف-١٣٠ر) وقصة صلب المسيح هي نفسها التي وردت في الأعيان ومختلفة عما في النساء. وقد ورد ذكر واحد وستين صحابياً وتابعياً في القسم الثاني (الأوراق١٣٠ر-١٤٠ف) الذي يبدأ ب عمر العنوان يخبرنا أن أبا لؤلؤة كان نصرانياً بينما يقول لنا ياسين العمري نفسه في الآثار أنه كان مجوسياً. القسم الثالث عن العلماء والشعراء (الأوراق١٤٠ف-١٦٢ر) ويشمل ١٦٠ ترجمة ولكن ناقص ويتوقف عند بداية ترجمة عثمان بن علي بن قاسم العمري والقسم الأخير (الأوراق١٦٣ر-١٧٧ر) يحتوي

وأما القسم الثالث (الورقة٩٧رف) وهو كامل أيضاً فانه يورد لنا سبعة علماء، ويستخدم المحبي في الفترة العثمانية[1]. والقسم الأخير (الأوراق٩٨ر-٩٩ف) يورد لنا أسماء عشرة ملوك.

الحرف ذال (الأوراق ٩٩ف-١٠٠ف)

الأنبياء (الورقة ٩٩ف) هم ذو الكهف بن أيوب ذانين وذرفان ليس هنالك ذكر للصحابة بل أربعة علماء (الورقة ١٠٠رف) وليس هنالك قسم الملوك والفصل ناقص.

الحرف رين(الأوراق ١٠٠ف-١٠٣ر)

يحتوي قسم الأنبياء (١٠٠ف) على سبعة أسماء لأشخاص مغمورين مثل رمة بنت العيص بن اسحاق ورحمة بنت ميشة يحوي القسم الثاني (الأوراق ١٠٠ف-١٠١ف) على سبعة صحابين والثالث (الأوراق ١٠١ف-١٠٢ر) على أربعة علماء وشعراء وفي القسم الرابع (الأوراق ١٠٢ر-١٠٣ر) فجوات عديدة وأربعة تراجم فقط ممكن قراءتها ويمكن العثور عليها في الأعيان.

الحرف زين (الأوراق ١٠٣ر-١٠٧ر)

في القسم الأول (الورقة ١٠٣ر) يذكر نبيان؛ و ١٤ صحابياً في القسم الثاني (الأوراق ١٠٣ر-١٠٥ف) ويذكر زيد بن الحسن بن زيد الكندي فقط (توفي عام١٢١٦م/٦١٣هـ)[2] في القسم الثالث وفيه ورقة

---

(١) قارن مثلاً ترجمة داؤد الأنطاكي، الطبيب الذي شاعت مؤلفاته في الموصل، في عنوان (١) الورقة ٩٧ والمحبي، جزء٢، ١٤٠-١٤٩.

(٢) كما في اليافعي، مرآة ، ٤، ٢٦-٢٧.

فارغة والقسم الأخير (الأوراق ١٠٦ر-١٠٧ر) مفقود في البداية يبتدئ بعماد الدين زنكي ويبدو أن الرواية مأخوذة من مختصر أبي الفدا[١].

الحرف سين (الأوراق ١٠٧ر-١١٦ف)

في قسم الأنبياء (الورقة ١٠٧ر) يذكر سام بن نوح وسوج بن ابراهيم وسليمان ويقدم القسم الثاني (الأوراق ١٠٧ر-١٠٩ف) عشرين صحابياً وأما القسم الثالث (الأوراق ١٠٩ف-١١١ف) الناقص في النهاية فانه يورد ١٣ ترجمة للعلماء[٢]، وبداية ونهاية القسم الأخير (الأوراق ١١٢ف-١١٦ف) وورقتان مفقودتان.

على ٦٤ ترجمة وهو ذو عيوب كبيرة، ومن بين الحكام المذكورين عبد الباقي باشا الجليلي وعبد الله كتخدا عمر باشا والي بغداد.

الحرف غين (الأوراق ١٧٧ر-١٧٨ر): نبي واحد (غابر)، وصحابيان، وثمانية حكام. ليس هنالك قسم عن العلماء.

الحرف فاء (الأوراق ١٧٨ر-١٨١ر): نبي واحد، أربعة صحابيين وخمسة علماء وتسعة حكام.

الحرف قاف (الأوراق ١٨١ر-١٨٨ر): نبي واحد (قِنان)، سبعة صحابة، وعالمان في قسم ناقص ينتهي بقاسم العمري و ١٩ ملكاً وحاكماً.

الحرف كاف (الأوراق ١٨٨ف-١٩٠ف): نبي واحد (كالب) وأربعة صحابيين وعالمان وستة ملوك.

الحرف لام (الاوراق١٩٠ف-١٩١ف): أربعة أنبياء وصحابي واحد. ليس هنالك أقسام اخرى في هذا الفصل.

الحرف ميم (الاوراق١٩١ف-٢٤٠ف):

يحتوي القسم الاول (الاوراق١٩١ف-١٩٢ف) على تراجم عشرة أنبياء؛ والقسم الثاني (الأوراق ١٩٢ر-١٩٥ف) على ١٦ صحابياً والقسم الثالث (الأوراق ١٩٥ف-٢١٩ف) على ١٦١ عالماً وشاعراً، وهو ناقص بثلاث أوراق فارغات؛ والقسم الرابع (الاوراق٢٢٠ف-٢٤٠ف) على ١٣٧ ترجمة وهو ناقص بورقة فارغة.

الحرف نون (الأوراق ٢٤١ر-٢٤٥ر):

نبيان وستة صحابيين وسبعة علماء وثلاثة عشر حاماً.

الحرف واو (الأوراق ٢٤٥ر-٢٤٧ر):

ثلاثة صحابيين وثلاثة علماء فقط ذكروا في هذا الفصل.

الحرف هاء (الأوراق ٢٤٧ر-٢٥٠ر):

نبيان وأربعة صحابيين وخمسة علماء وأربعة ملوك.

الحرف ياء (الأوراق ٢٥٠ر-٢٥٧ر):

يبحث الفصل الأول (الورقة ٢٥٠ر ف) في ١١ نبياً؛ والقسم الثاني (الأوراق ٢٥٠ف-٢٥١ر) في صحابيين؛ والثالث (الأوراق ٢٥١ر-٢٥٤ر) في ٢٥ ترجمة للعلماء؛ والرابع (الأوراق ٢٥٤ر-٧) يحتوي على ١٨ اسماً، وهو ناقص ويتوقف عند يعقوب بن يوسف وزير العزيز الفاطمي.

---

(١) قارن مثلاً القصيدة في أعقاب النصر العظيم على الصليبيين في عنوان(١)،الورقة١٠٦ر وأبو الفدا، ٣، ١٣- ١٤.

(٢) ترجمة سفيان الثوري ملخصة من مرآة اليافعي، ١، ٣٤٥-٣٤٧.

يسوع الناصرة كما يراه ياسين العمري في عنوان الأعيان

(الاوراق ٢١ف –٢٢ر)

"كان عيسى نبياً ورسولاً ارسله الله. لقد قام بمعجزات ومشى على الماء بدون ان يبلل قدميه. وقصة ميلاده مشهورة في الكتب والحكايات. وعندما اصبحت اخبار وجوده في هذه الدنيا معروفة. خاف اليهود من دعوته الى الله وقرروا ان يقتلوه. حينذاك ارسل الله سبحانه وتعالى الملك جبريل الذي رفع عيسى الى السماء. وهكذا نجا من اعدائه. وقد قيل ان عيسى كان في كهف على جبل سيناء عندما جاء زعيم اليهود الى الكهف. حينذاك بدّل الله مظهر هذا الرجل بحيث صار شبيهاً مماثلاً لعيسى. واماتَ الله عيسى لثلاث ساعات ثم رفعه الى السماء.. ومن هنا الكلمات: اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك ورافعك الي ومطهرك من الذين كفروا.."[١] وحين عيل صبر اليهود الذين كانوا ينتظرون زعيمهم خارج الكهف، دخلوا فوجدوا زعيمهم وحده يشبه بالضبط عيسى عليه السلام. فحسبوه عيسى فأخذوه وصلبوه رغم توسلاته الشديدة ومن هنا الكلمات: وما قتلوه وما صلبوه ولكن شُبّه لهم"[٢]. وبقي عيسى في السماء سبعة ايام ثم عاد الى الارض واجتمع بحواريه الذين أرسلهم الى أربع جهات الأرض ليدعوا الناس الى عبادة الله الواحد الاحد. وبعد ذلك اجتمع بأمه مريم التي أودعها عناية شمعون الصفا. ثم رفعه الله الى السماء وألبسه الروعة وغطاه بالنور".

المأمون العباسي[٣]. وكما مع الأمويين فأن الرواية حولية بجلاء وشبيهة بأخبار الدول للقرماني. وتصبح التراجم اقصر حين تقترب من نهاية الكتاب الذي يقف غير كامل عند القائم بأمر الله في الورقة ٤٣٩ ف. ان بقية الجزء الثاني وجميع الجزء الثالث مفقودة كلها. ولسوف يكون ممتعاً اذن ان يُعرض للقاريء مخطط بقية الكتاب كما تخيله المؤلف.

خاتمة الجزء الثاني عن الخلفاء (الأوراق ٣٧٨ف–٤٣٩ف)

(أ) عن الأمويين ومعاوية (الاوراق٣٧٨ف – ٤٠٢ر)

(ب) عن الأمويين من المغرب (الاوراق٤٠٤ر–٤٠٤ر)

(ج) عن العباسيين في بغداد (الاوراق٤٠٤ر–٤٣٩ف ناقص)

(د) عن ملوك من مختلف الأقطار والأجناس ومختلف درجات الحكمة (مفقود)

(١) عن ملوك فارس المسلمين، باستثناء الساسانيين[٤]

(٢) عن ملوك الروم المسلمين، باستثناء العثمانيين

(٣) عن ملوك مصر الأيوبيين

(٤) عن الملوك الاتراك: مماليك الايوبيين

(٥) عن الملوك الشراكسة

---

(١) الآية ٥٤ من سورة آل عمران

(٢) الآية ١٥٦ من سورة النساء.

(٣) بالعربية: وقال السلفي في الطيوريات. قد تكون هذه اشارة الى احمد السلفي، ولكنها تتردد فيما يتعلق بمدح المأمون العباسي فأن ذلك مشكوك به لان احمد عاش في مصر الفاطمية.

(٤) بالعربية: في ملوك العجم الاسلاميين غير بني ساسان. لابد ان هذا خطأ ويجب ان تقرأ "باستثناء الصفويين " والا فيجب ان تذهب الاسلاميين.

(٦) عن الملوك العثمانيين.

الجزء الثالث: عن النثر والشعر

الفصل الاول: عن اشعار الحب والغزل

الفصل الثاني: عن القصائد الرعوية والاغاني

الفصل الثالث: عن الخمريات والآت الموسيقى والاخوانيات

الفصل الرابع: عن ليالي الانس والطرب

الفصل الخامس: عن القصائد والصحبة والاحاجي

الفصل السادس: عن الرثاء والهجاء والمديح

الفصل السابع: عن مختلف فنون الشعر، والامثال والاخلاق،

وبذلك نختتم كتابنا: الواضح الذي يخطر على البال هو اسم النبي جرجيس المذكور في الاعيان والقرماني كليهما، وله جامع في الموصل. وقسم العلماء (الورقة٧٠ رف) يحتوي على ترجمتين لجرير وجعيفران المجنون. هنالك ورقة فارغة في النهاية والقسم ناقصز والقسم الاخير، عن الحكام (الاوراق٧١ف-٧٣ ف) ذو عيوب من البداية، والترجمة الاولى..الناقصة هي للمتوكل العباسي مع اخبار المحنة تماماً كما في الاعيان.

الحرف حاء (الاوراق ٧٣ف-٩٠ر)

يبتدئ الفصل بالصحابة (الاوراق٧٣-٧٧ف) ويحتوي على ١٣ ترجمة بما فيها الحسن والحسين. ومن الغرابة ان ليس هنالك قسم عن الانبياء، وذلك رغم وجود "حزقيال" المذكور في الاعيان. والطبقة الثالثة (الاوراق٧٧ف-٨٤ف) تحتوي تراجم ٥٤ عالماً وتستخدم الشعر بكثرة وافرة. ونحو النهاية تصبح المخطوطة ذات عيوب (نصف الورقة٨٣ف، و٨٤ ر، ونصف الورقة ٨٤ ف فارغة).

ويعطينا المؤلف تراجم شخصيات عثمانية كما اخذت من المحبي ولكن بصيغة مختصرة[1]، ويختتم باربعة مواصلة معاصرين. ويبتدئ القسم عن الحكام (الاوراق ٨٥ر-٩٠ر) بالحجاج، مقدم كما في الآثار، وينتهي بالموظفين العثمانيين. الورقة٨٩ر،فارغة وكذلك معظم الورقة ٨٩ف. يحتوي القسم على ٣٠ اسماً.

الحرف خاء (الاوراق ٩٠ر-٩٥ ف)

يورد قسم الانبياء (الورقة ٩٠ر) الخضر كما في الاعيان، وخالد بن سنان العبسي حين يقتبس المؤلف من الطبري: ولكن الترجمة الاخيرة تحتل سطرين فقط. ويذكر ستة اسماء من بين الصحابة (الاوراق٩٠ر-٩٢ر). قسم العلماء (الاوراق٩٢ر-٩٣ر) ناقص ويورد ١٠ تراجم. الورقة ٩٣ ف فارغة وكذلك معظم ٩٤ر. والقسم الاخير عن الملوك (الاوراق٩٤ر-٩٥ف) ناقص في البداية والنهاية. ويذكر هنا اثني عشر اسماً بما فيها الشقيقة السحاقية لتيمور. ويوفر المحبي التراجم العثمانية[2].

الحرف دال (الاوراق ٩٦ف-٩٩ف)

ان بداية القسم الاول عن الانبياء (الاوراق ٩٦ف) مفقودة، ووصلتنا فقط نهاية ترجمة دانيال. وقسم الصحابة (الاوراق٩٦ف-٩٧ر) يبحث في اربعة اشخاص وهو كامل.

---

(١) قارن مثلاً ترجمة ابن الشعال وقصيدته المشهورة المعروفة بالقرمح شادية، في عنوان (١) الاوراق ٨١ف-٨٢ر، والمحبي، جزء٢، ٩٨-٩٩.

(٢) قارن مثلاً عنوان (١)، الورقة ٩٥رف، والمحبي، جزء ١٢٩،٢-١٣٠.

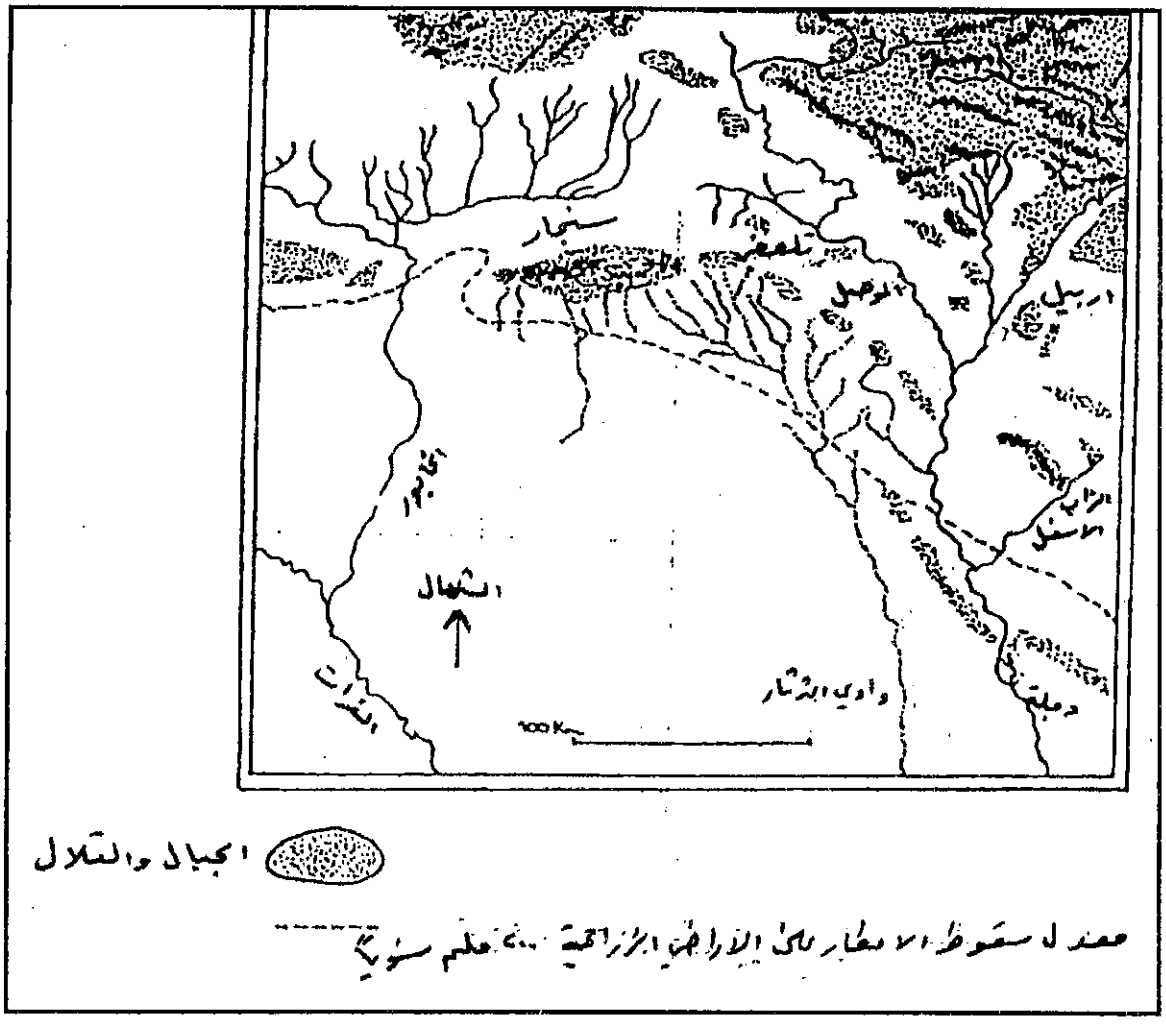

خارطة رقم (١) طبوغرافيا الموصل

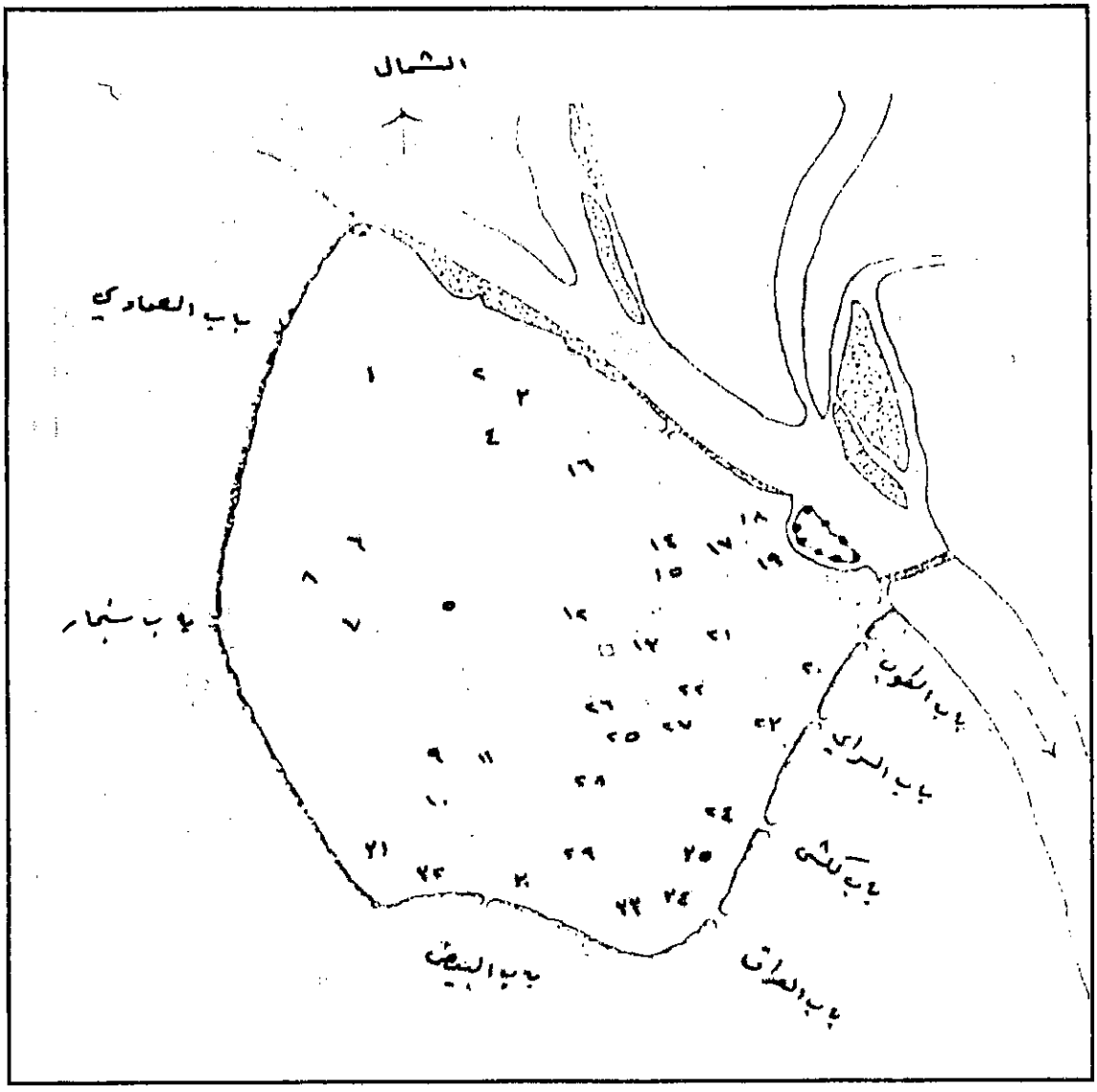

خارطة رقم (٢) المناطق السكنية في الموصل

١-ميدان الخضر	١١-حمام المنقوشة	٢٠-باب السراي	٢٩-المنصورية
٢-النصارى	١٢-جامع جمشيد	٢١-عمو البقال	٣٠-باب البيض
٤-المكاوي	١٣-الجامع الكبير	٢٢-السرجخانة	٣١-المياسة
٥-الخاتونية	١٤-امام ابراهيم	٢٣-جامع خزام	٣٢-المحمودين
٦-اليهود	١٥-باب النبي	٢٤-باب لكش	٣٣-القنطرة
٧-باب المسجد	١٦-رأس الكور	٢٥-امام عون الدين	٣٤-باب العراق
٨-الشيخ فتحي	١٧-النعلبند	٢٦-الرابعية	٣٥-شيخ محمد
٩-المشاهدة	١٨-الميدان	٢٧-الجولاق	
١٠-خزرج	١٩-حوش الخان	٢٨-شهر سوق	

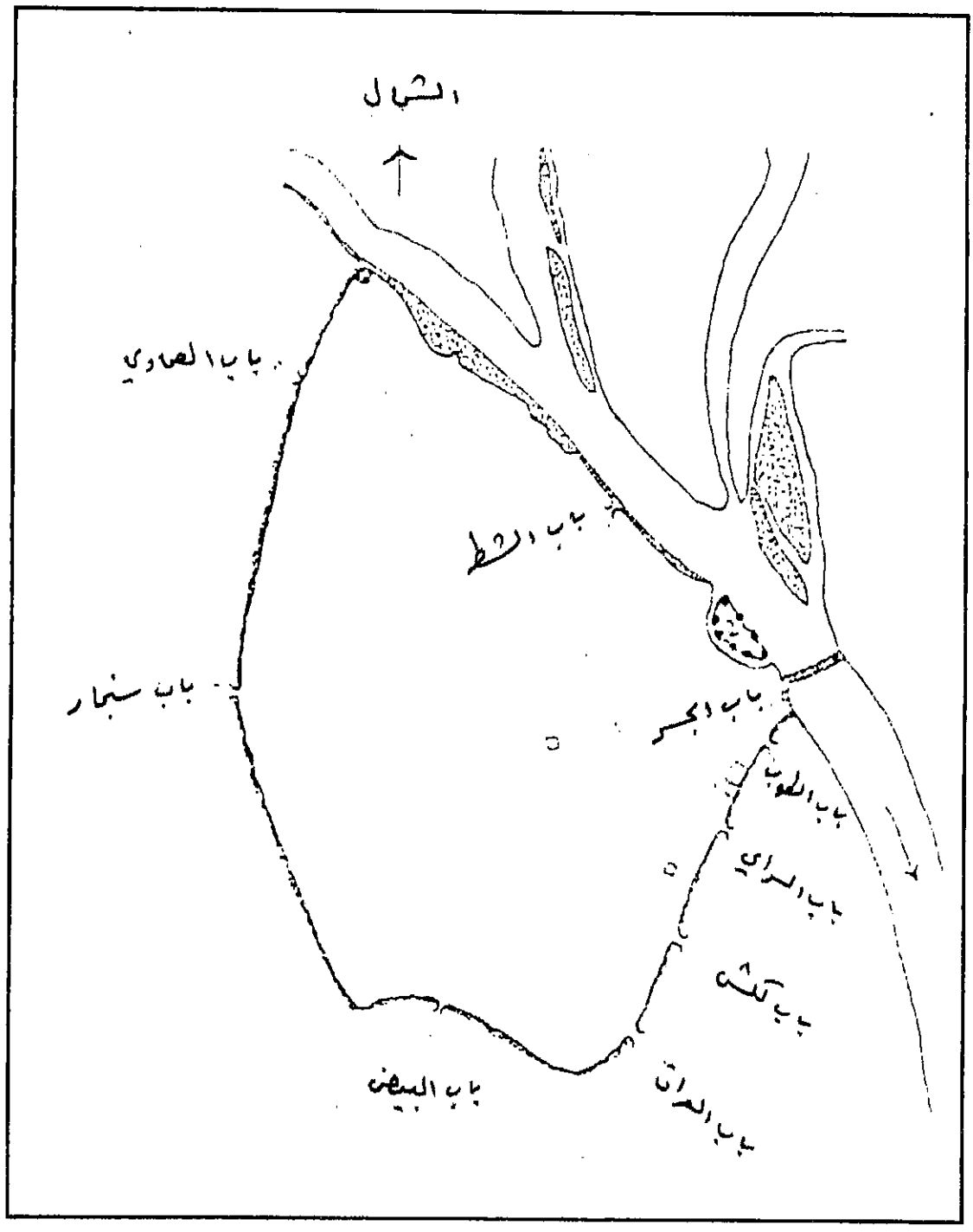

خارطة رقم (٣) ابواب الموصل في القرن الثامن عشر

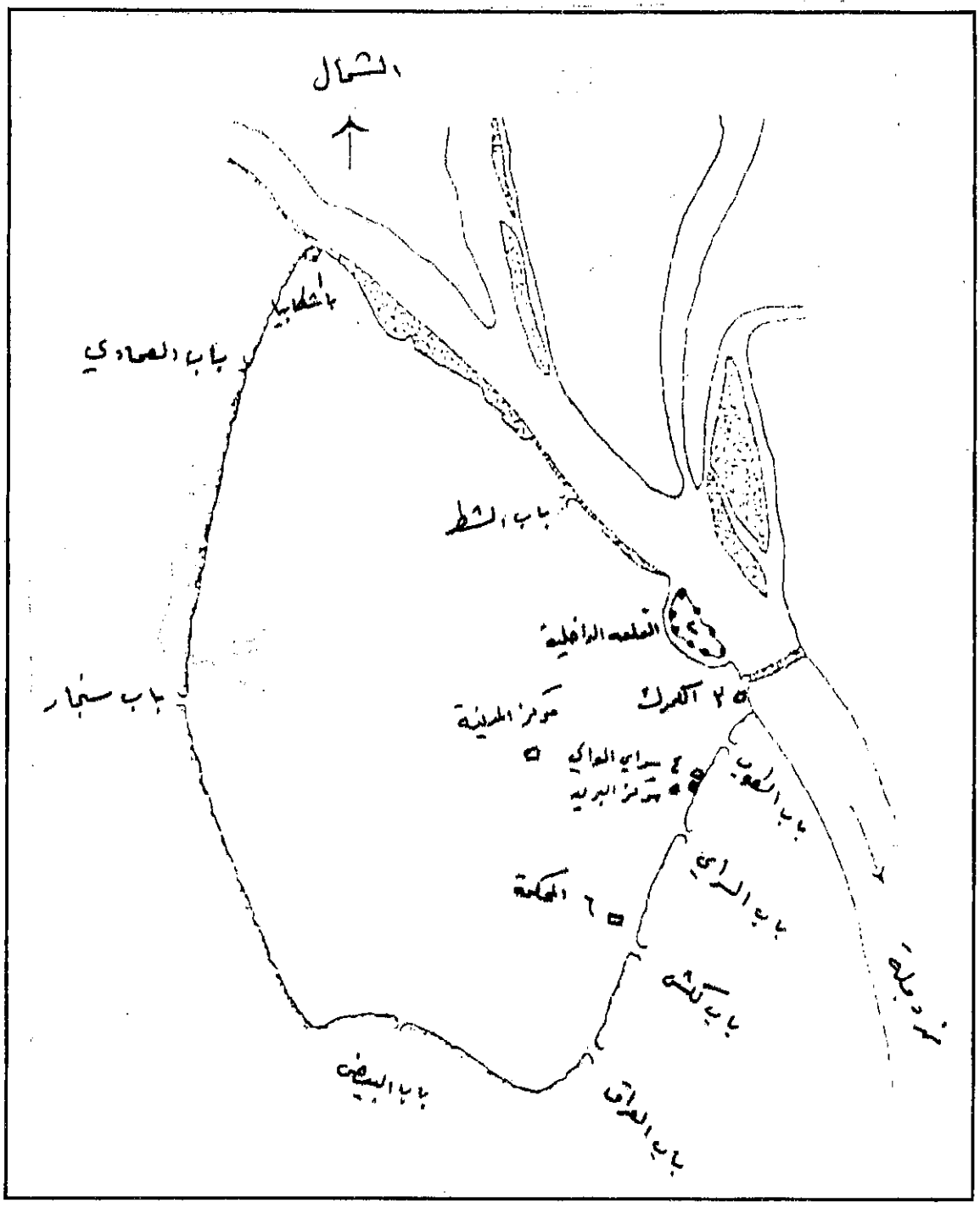

الخارطة رقم (٤) المباني الرسمية

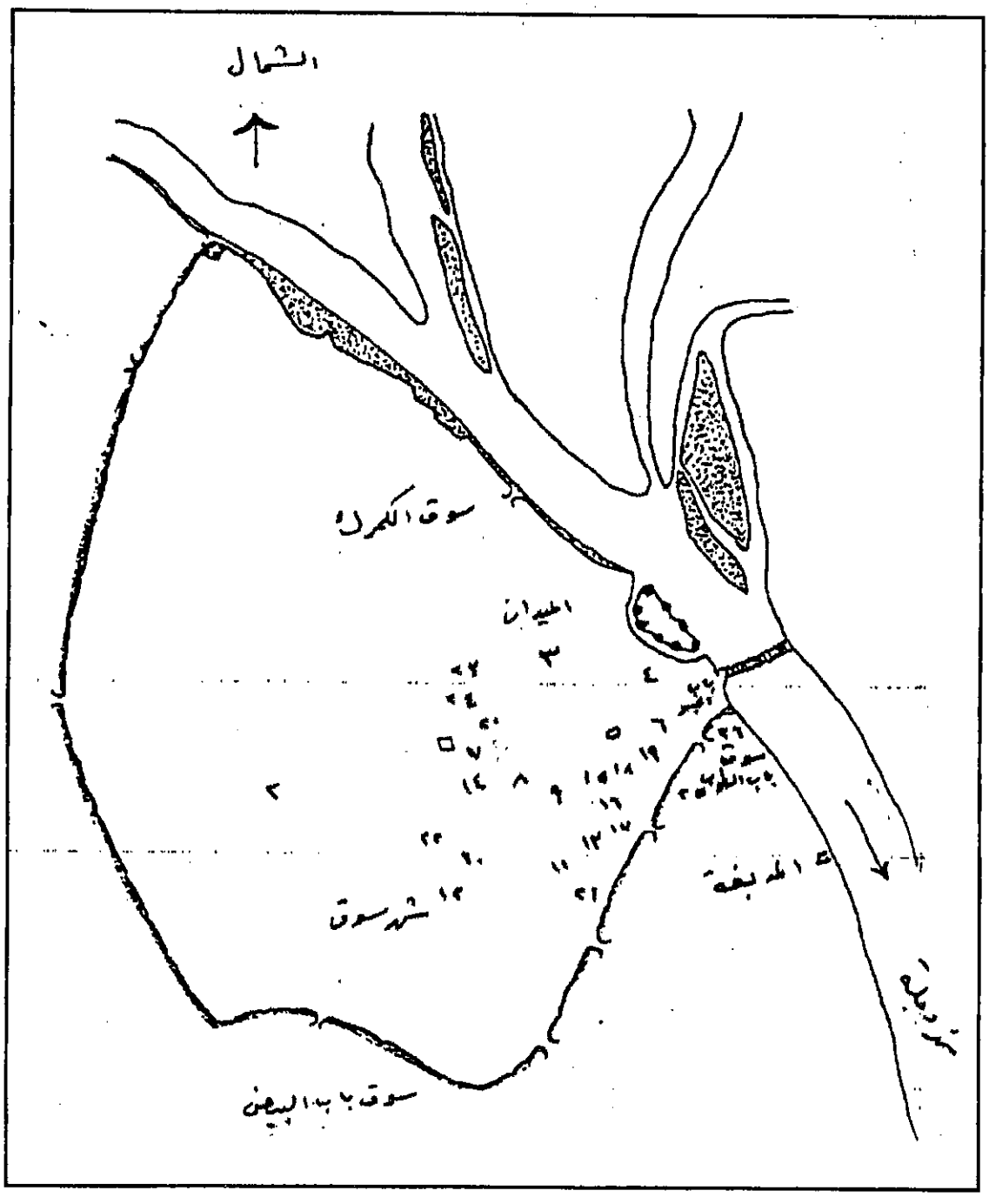

خارطة رقم (٥) الاسواق والقيصريات لمدينة الموصل

١-الكوازين	١٠-السراجين	١٩-قيصرية القوينجية
٢-القطانين	١١-الحشيش	٢٠-قيصرية العسكر
٣-الميدان	١٢-القطن	٢١-قيصرية الدمغة
٤-الصفارين	١٣-الصباغين	٢٢-قيصرية الشالجية
٥-القصابين	١٤-البرضعجية	٢٣-قيصرية القزازين
٦-العلوة	١٥-خان المفتي	٢٤-سوق الشعارين
٧-الصاغة	١٦-قيصرية علي افندي	٢٥-سوق الخيل
٨-العطارين	١٧-قيصرية ايوب بك	٢٦-سوق الملاحين
٩-الايمنجية	١٨-قيصرية العبدلية	

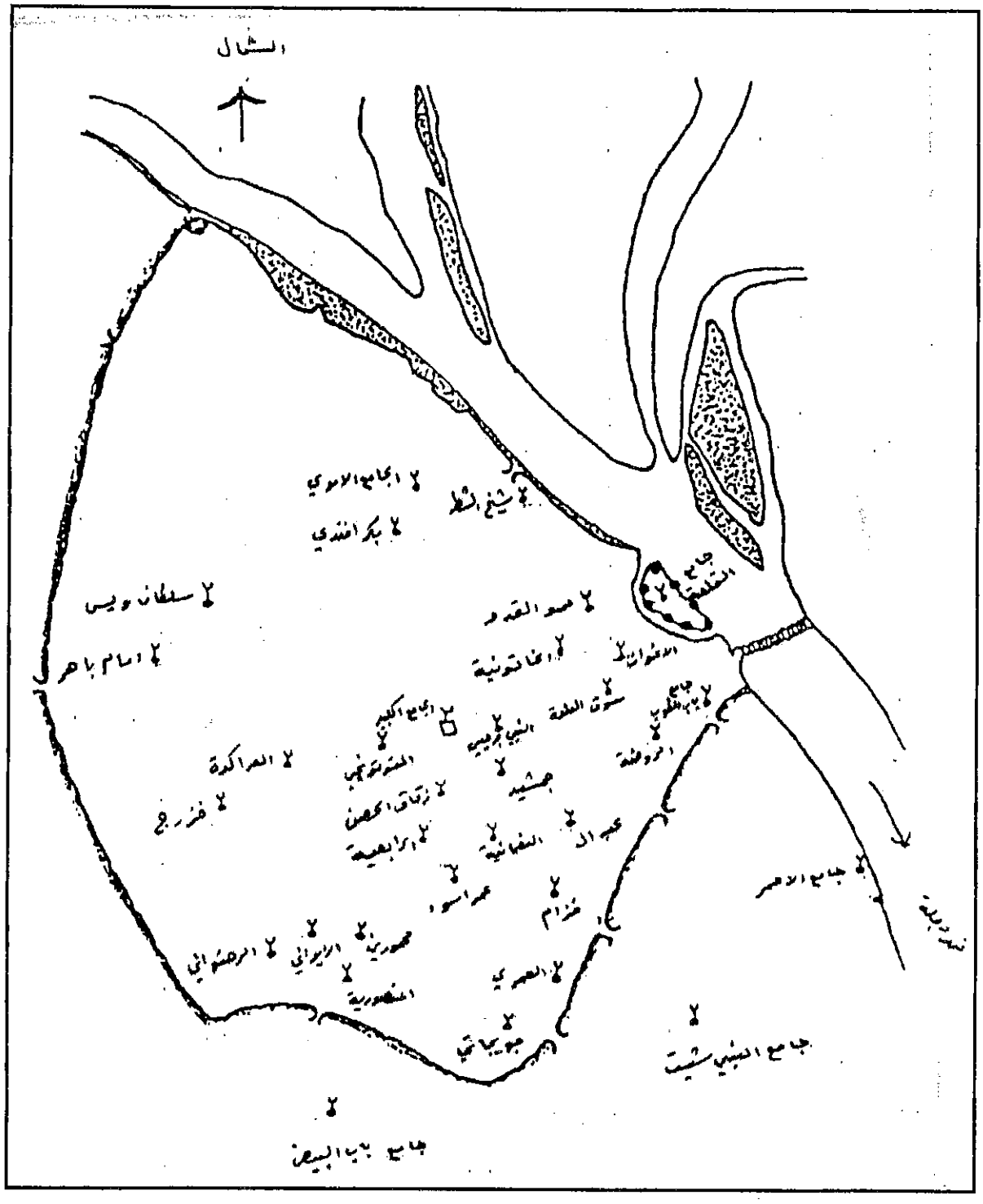

خارطة رقم (٦) توزرع الجوامع الرئيسة في مدينة الموصل في حوالي ١٨٠٠ م

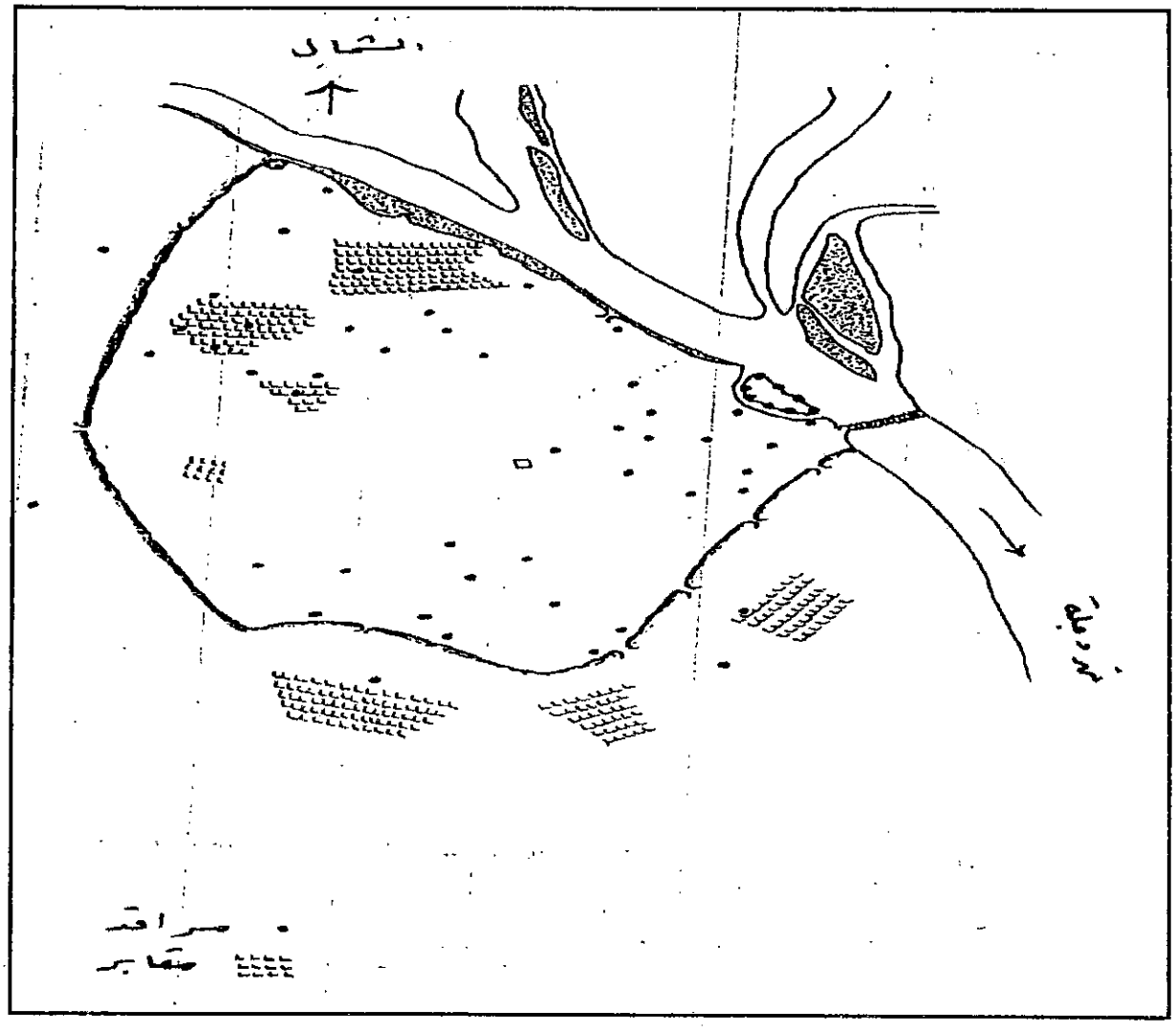

الخارطة رقم (٧) توزيع المراقد والمقابر في الموصل

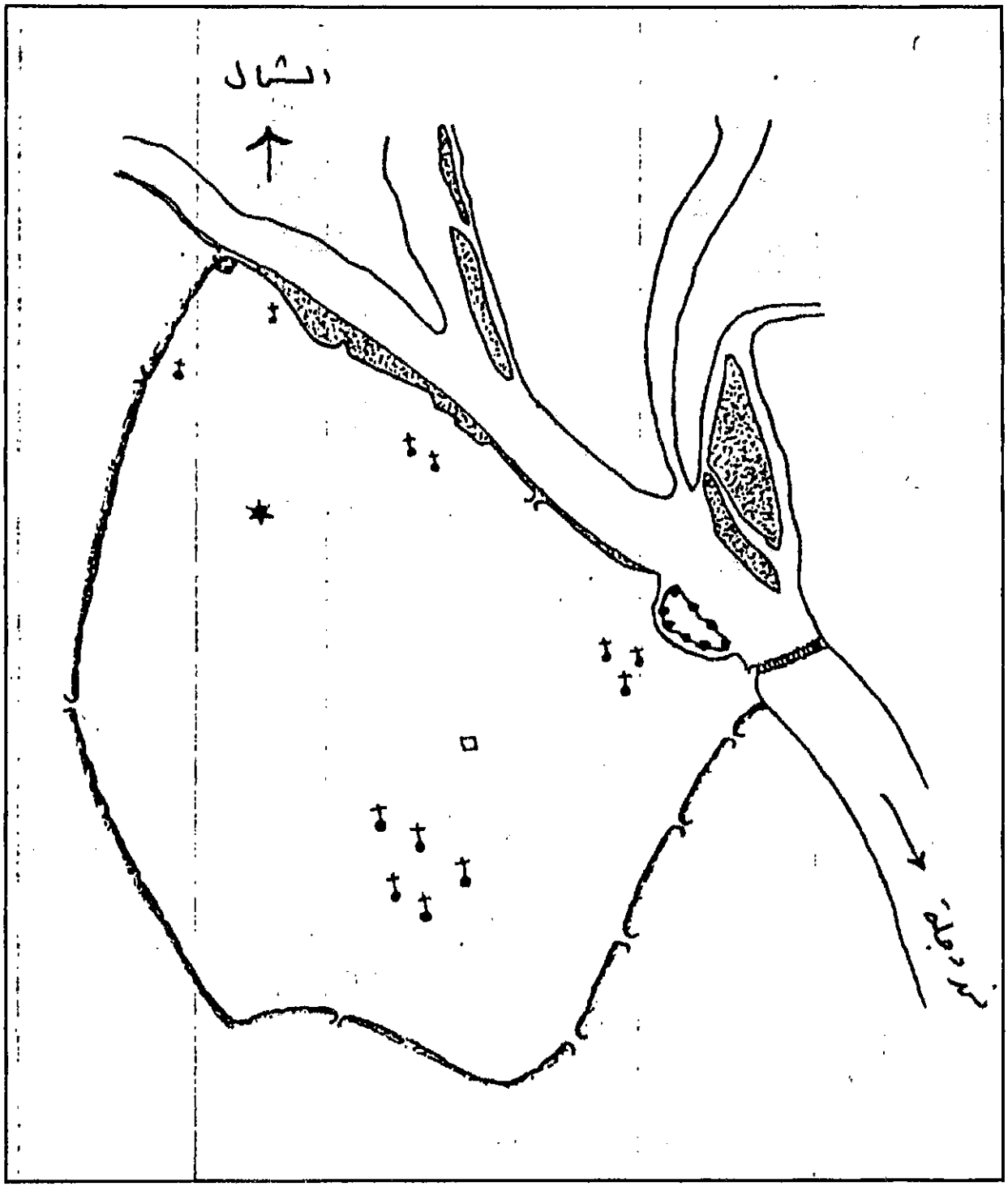

الخارطة رقم (٨) توزيع اماكن العبادة لاهل الكتاب في الموصل

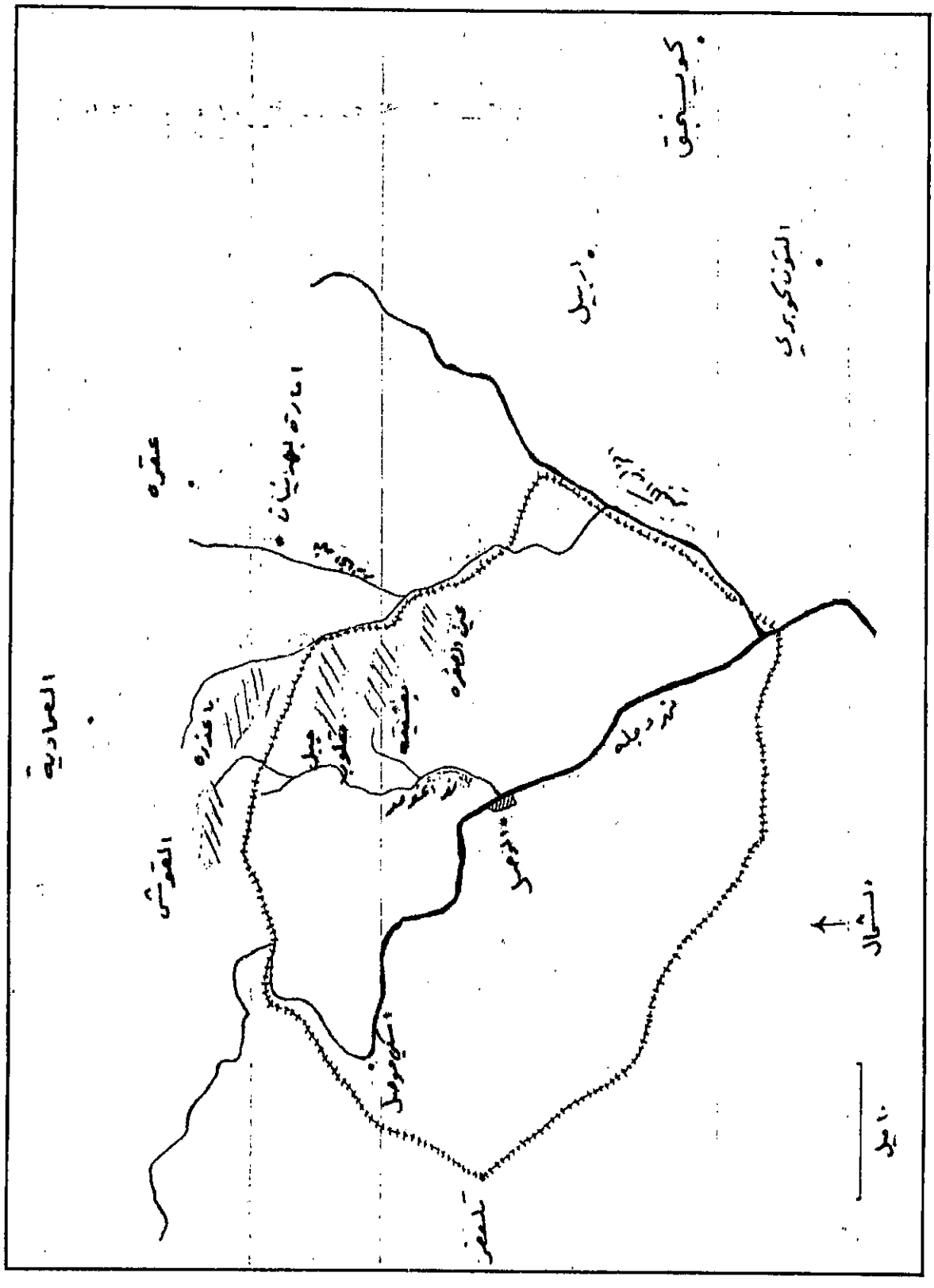

الخارطة رقم (٩) ولاية الموصل تحت حكم الجليليين

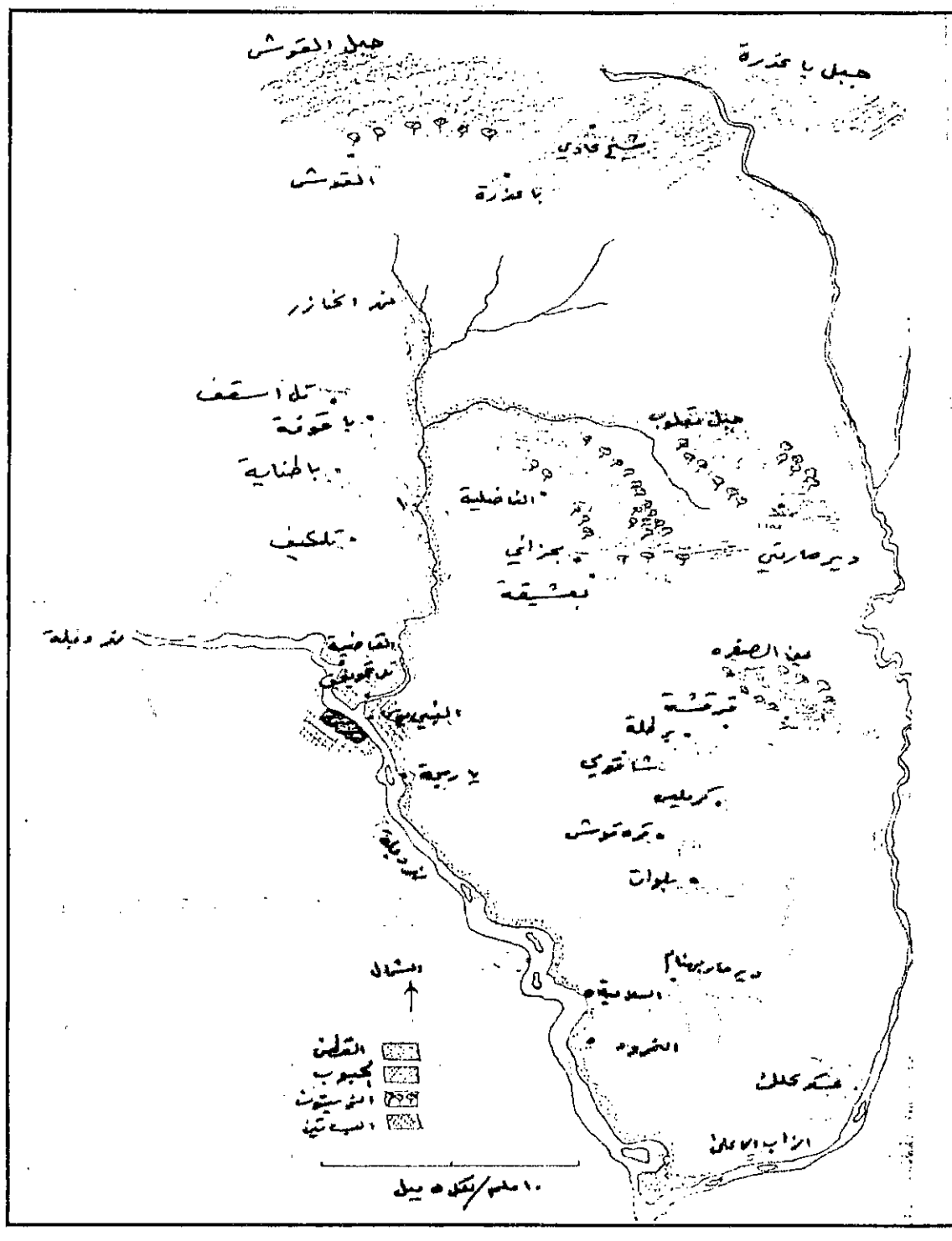

الخارطة رقم (١٠) الاراضي الزراعية شرق دجلة

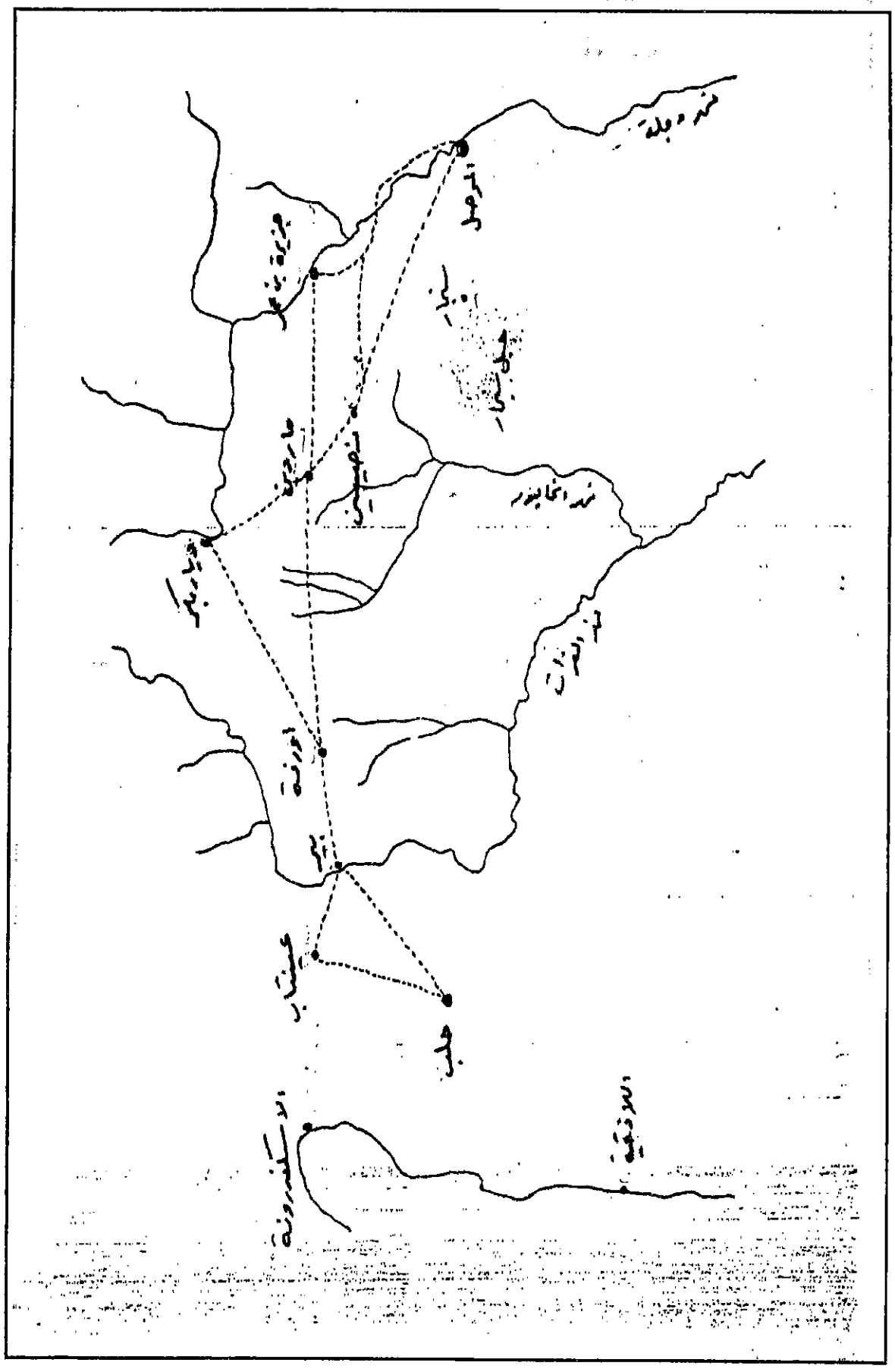

الخارطة رقم (١١) طرق القوافل التجارية التي تربط ما بين الموصل وحلب

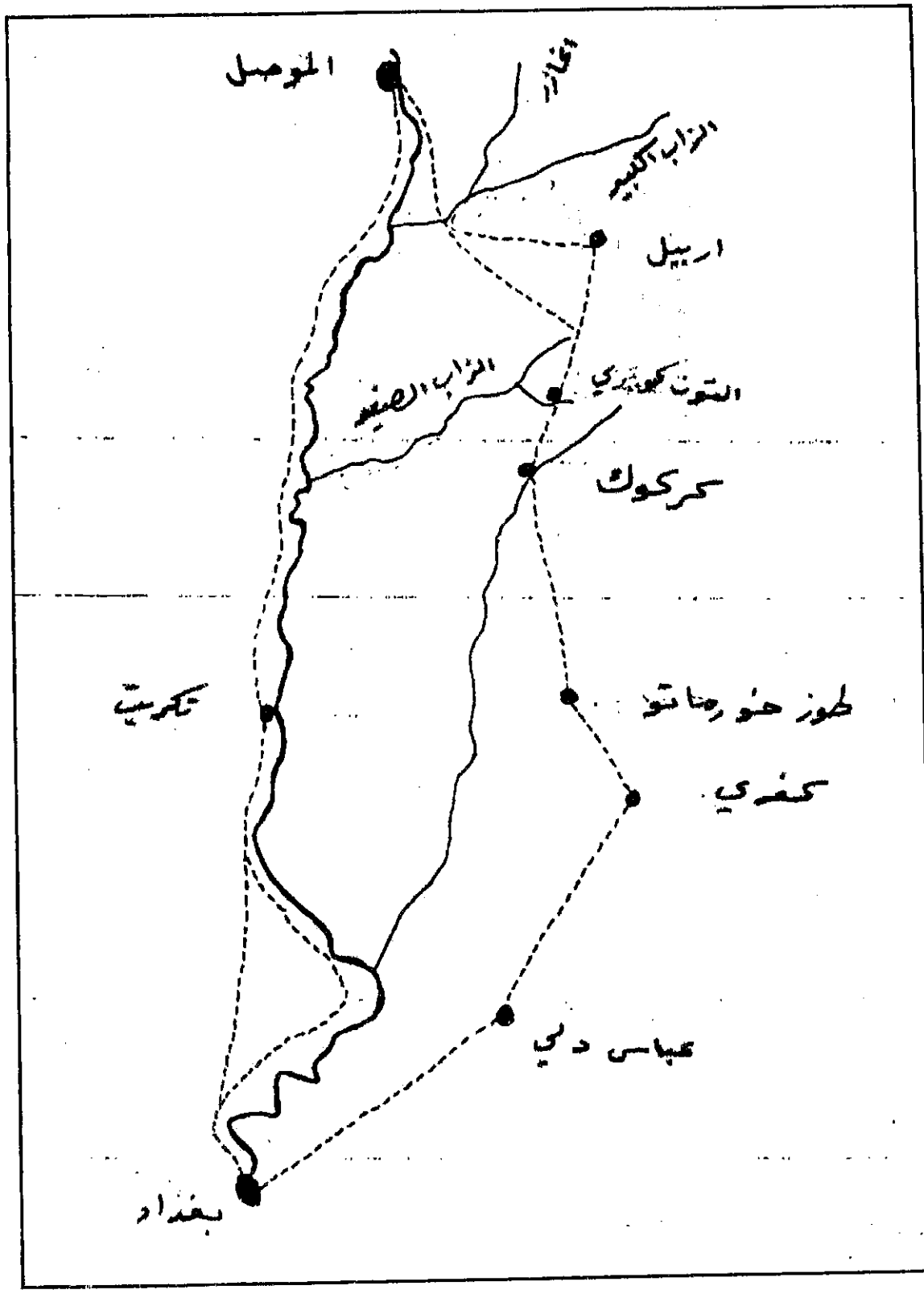

الخارطة رقم (١٢) طرق القوافل التجارية بين الموصل وبغداد

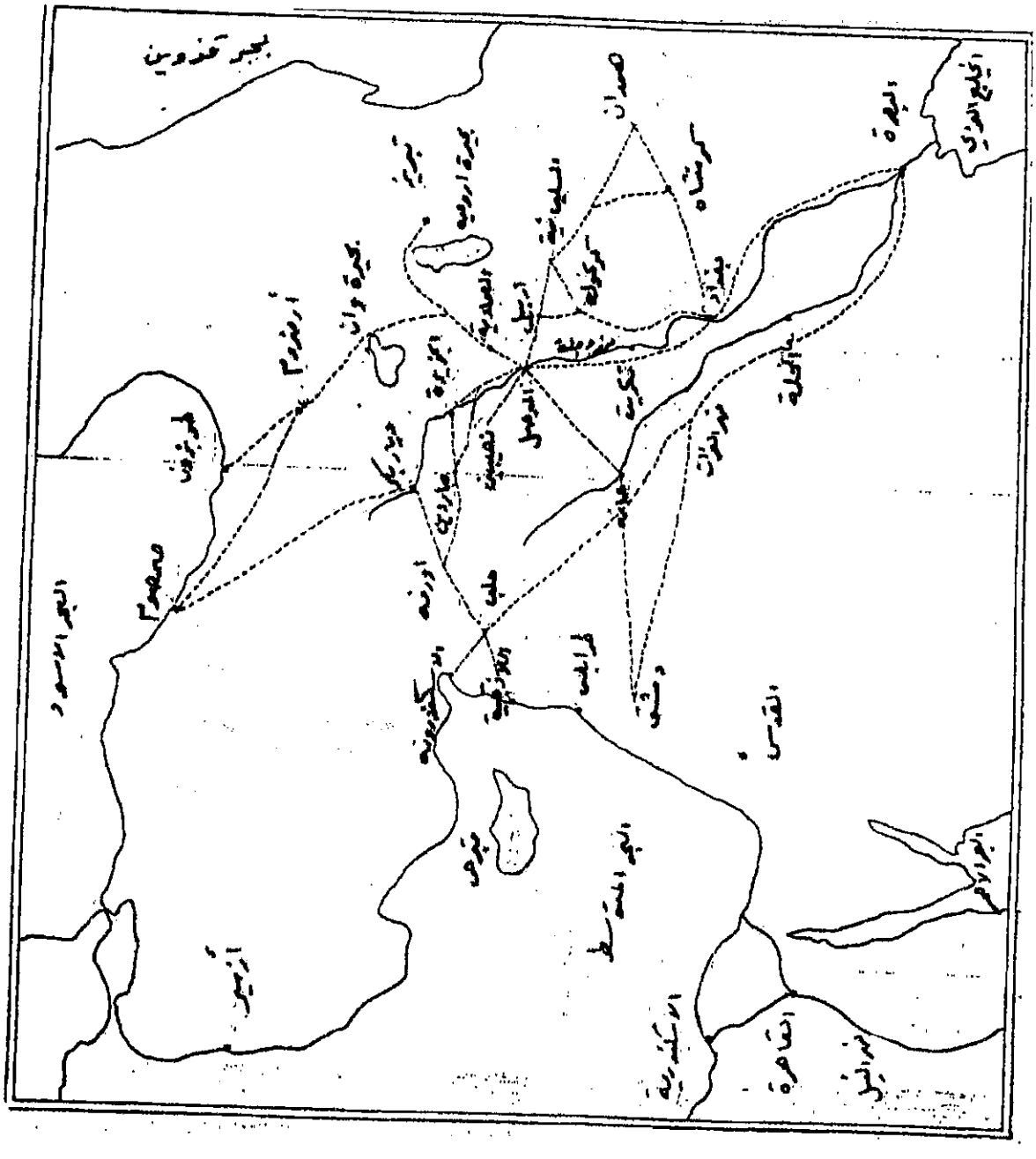

الخارطة رقم (١٣) الموصل في شبكة الطرق التجارية الدولية.

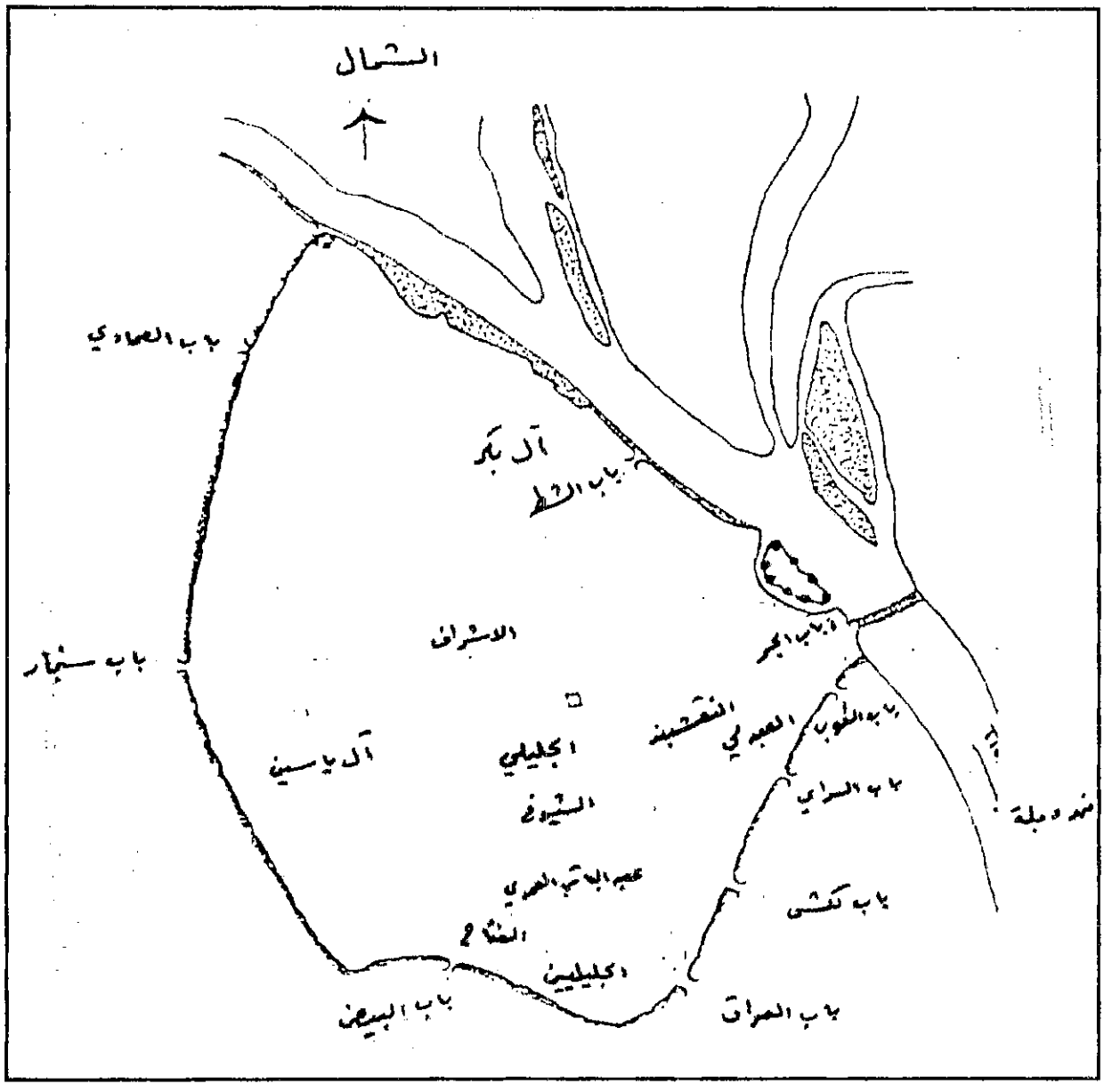

الخارطة رقم (١٤) توزيع الاسر (البيوتات الموصلية) الدينية والانكشارية في مدينة الموصل

المصادر

(قائمة بالمؤلفات المرجعية)

اولاً: المصادر الاولية	
أ: المؤلفات الموصلية :	
آل ياسين، محمد امين	ديوان، المجموعة الخاصة لمحمود بك الجليلي، الموصل. رسالة الى السيد عبد الله فخري في بغداد، مخطوطة مكتبة الاوقاف، الموصل، رقم جلبي ٩/٦٥
البصيري، خليل، وعبد الله الفخري	قصائد عن حصار نادرشاه للموصل، مخطوطة المكتبة الوطنية، برلين، رقم ٩٨٠٢.
"المفكرة السريانية الخاصة بحصار الفرس للموصل عام ١٧٤٣م ام. ايج. بونيون (المترجم) في الغلامي، محمد	شمامة العنبر والزهر المعنبر، سليم النعيمي (المحقق) بغداد، ١٩٧٧
ابن الخياط، احمد	ترجمة الاولياء في الموصل الحدباء، مخطوطة مكتبة المتحف العراقي، رقم ٦٨٤.
الجليلي، يحيى	سراج الملوك ومنهاج السلوك، مخطوطة المكتبة البريطانية، رقم أدد/٢٣٣٠٦
قصائد في مدح الجليليين، مخطوطة مكتبة الاوقاف، الموصل، رقم جلبي ٩/٥٠ العمري، محمد امين	روضة الاخبار في ذكر افراد الاخيار، مخطوطة المكتبة البريطانية، رقم أدد/٢٣٣١١ منهل الاولياء ومشرب الاصفياء من سادات الموصل الحدباء، مخطوطة المكتبة البريطانية، رقم او آر/٢٤٢٩. منهل الاولياء..، سعيد الديوه جي (المحقق) جزءان، الموصل، ١٩٦٨.
العمري، عثمان	الروض النضر في تراجم فضلاء العصر، مخطوطة المكتبة البريطانية، رقم أدد/١٨٥٣١. الروض النضر..، سليم النعيمي (المحقق) ٣ أجزاء، بغداد، ١٩٧٤
العمري، ياسين	الدر المكنون في المآثر الماضية من القرون،
العمري، ياسين	عمدة البيان في تصاريف الزمان، مخطوطة مكتبة المتحف العراقي، رقم ٩٠٨٤. عنوان الاعيان في ذكر تواريخ ملوك الزمان، مخطوطة

المكتبة الوطنية، برلين، رقم٩٤٨٤.
عنوان الشرف، مخطوطة مكتبة مدرسة الدراسات الشرقية والافريقية، لندن، رقم/٤٩٧٨٠، منسوبةالى امين العمري.
عنوان الشرف، مخطوطة المكتبة الوطنية، باريس رقم عرب ٥١٣٨ منسوبة الى امين العمري.
زبدة الآثار الجلية، مختارات صنفها داؤد الجلبي من الاثار الجلية لياسين العمري، عماد رؤوف (المحقق)، بغداد، ١٩٧٤.
نتفة من مخطوطة بلا عنوان، المكتبة الوطنية، برلين، رقم ٩٤٨٦، منسوبة الى ياسين العمري.
مخطوطة المكتبة الوطنية، باريس، رقم عرب/٤٩٤٩ز
الدر المكنون..، مخطوطة المكتبة البريطانية رقم أدد/٢٣٣١٢.
الآثار الجلية في الحوادث الارضية، مخطوطة المكتبة البريطانية، رقم او آر/٦٣٠٠.
الروضة الفيحاء في تواريخ النساء، مخطوطة مكتبة المتحف العراقي، رقم ١٨٠٢.
الروضة الفيحاء..، ر. السامرائي (المحقق)، بغداد، ١٩٦٦.
السيف المهند في مناقب من سمي احمد، صورة طبق الاصل لمخطوطة تخص الاسرة العمرية، مدرسة يحيى باشا، الموصل، رقم ع م س/٩٧٠.
السيف المهند..، مخطوطة مكتبة المتحف العراقي، رقم ١٨٢٥١.
غرائب الاثر في حوادث ربع القرن الثالث عشر، صديق الجليلي (المحقق)، الموصل، ١٩٤٠.
غاية البيان في مناقب سليمان، مخطوطة المكتبة الوطنية، برلين، رقم ٩٩٠١.
غاية المرام في محاسن بغداد دار السلام، علي البصري (المحقق)، بغداد، ١٩٦٨.
خلاصة التواريخ، مخطوطة المكتبة الوطنية، برلين رقم/٩٩٠٠.
منهج الثقاة في تراجم القضاة، مخطوطة مكتبة الاوقاف، الموصل، رقم خياط/١٤/٥.

	منية الادباء في تاريخ الموصل الحدباء، مخطوطة المكتبة البريطانية، رقم أدد/٢٣٣٢٣ قرة العينين في محاسن الحسن والحسين، مخطوطة خاصة بمكتبة الجليلي في الموصل. تاريخ، مخطوطة المكتبة الوطنية في برلين، رقم ٩٤٨٥، بلا عنوان، اشير اليها في الفهرس كتاريخ منسوب الى ياسين العمري.

ب- المسافرون الزائرون للموصل.

جـ -الوثائق:

الشؤون الخارجية — المراسلات القنصلية والتجارية، الموصل، الجزء الاول

باورينج، جون — تقرير عن الاحصاءات التجارية لسورية، نيويورك/١٩٧٣.

سجلات مكتب الهند — التقرير التجاري، ج/٢٩/٢٥

مجموعة الوقفيات — المجموعة الخاصة لمحمد بك الجليلي (وثائق غير مرقمة)

دائرة السجل العام — وزارة الخارجية١٩٥/١١٣؛ ١٩٥/٢٢٨؛ ١٩٥/٢٩٤.

اوراق الدولة ١١٠/١٣٥.

سجل وقفيات محافظة نينوى، مديرية الاوقاف، الموصل

د- الكتب المرجعية :

ابو الفداء — المختصر في اخبار البشر، ٤ أجزاء، القاهرة، بلا تاريخ.

الدميري — حياة الحيوان، جزءان، القاهرة، ١٨٩١.

الذهبي، شمس الدين — دول الاسلام، جزءان، حيدر اباد ١٣٣٧/١٩١٨

الدمشقي، ميخائيل — حوادث الشام ولبنان، ل. معلوف (المحقق)، بيروت، ١٩١٢

ابن العديم — بغية الطلب في تاريخ حلب، مخطوطة مكتبة الاوقاف، الموصل، رقم حسنية ٢٢/٥.

ابن الاثير — الكامل في التاريخ، سي. جي. ثورنبرغ (المحقق)، ١٢ جزء، بيروت، ١٩٦٦.

ابن الفقيه — كتاب البلدان، ام. جي. دي غوجي (المحقق)، ليدن، ١٨٨٥.

ابن حنبل — المسند، القاهرة، الجزء٤.

ابن هشام — سيرة النبي، م.س. الطهطاوي (المحقق)، الازهر، ١٩٢٨.

ابن اياس — بدائع الزهور في وقائع الدهور، جزءان، بولاق، ١٨٩٤.

ابن الجوزي، سبط — مرآة الزمان، صورة طبق الاصل للمخطوطة رقم ١٣٦ من مجموعة لاندبرغ للمخطوطات العربية التابعة لجامعة ييل، جي. آر. جيويت (المحقق) شيكاغو، ١٩٠٧.

مرآة الزمان، جزءان، حيدر آباد، ١٩٥١

ابن خلكان (أ) وفيات الاعيان، جزءان، بولاق، ١٨٩٢.
(ب)وفيات الاعيان، احسان عباس (المحقق)، ثمانية أجزاء، بيروت، ١٩٧٧.

الصفدي، صلاح الدين نكت الهميان في نكات العميان، أ. زكي (المحقق)، القاهرة، ١٩١١.

السويدي، عبد الرحمن حديقة الزوراء في سيرة الوزراء، صفاء خلوصي (المحقق)، الجزء الاول، بغداد، ١٩٦٢.

السيوطي تاريخ الخلفاء، لاهور، ١٨٨٧

الطبري تاريخ الرسل والملوك، ام. جي. دي غوجي (المحقق)، ١٥ جزء، ليدن، ١٨٧٩-١٩٠١.

طاشكبري زاده، احمد الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية، على حواشي الوفيات لابن خلكان، جزءان، بولاق، ١٨٩٢.

الثعالبي، ابو منصور يتيمة الدهر في محاسن اهل العصر، اربعة أجزاء، القاهرة، ١٩٣٤.

الثعالبي، حسين المرغني كتاب غرر السير، مخطوطة مكتبة بودليان، رقم دورفيل ٥٤٢.

عمارة، نجم الدين تاريخ اليمن، هنري كاسلس كي (المحقق)، لندن، ١٨٩٢.

اليافعي، عبد الله مرآة الجنان وعبرة اليقظان، ٤ أجزاء، حيدر اباد، ١٩١٨-١٩٢٠

ياقوت معجم البلدان، اف. ويستنفيلد (المحقق)، ٦ أجزاء، لايبزغ، ١٨٦٦-٧٣.

ثانياً: المصادر الثانوية :

عبد سليم، أ المؤرخون التونسيون للقرون: السابع عشر، والثامن عشر والتاسع عشر، تونس، ١٩٧٣.

اغا بزرك، محمد الذريعة في تصنيف الشيعة، ٢٥جزءاً، النجف، ١٩٣٦-٧٧.

امين، س التنمية المتفاوتة، باريس، ١٩٧٣

ايالون، د "دراسات في الجبرتي: ملحوظات عن تغيير المجتمع المملوكي في مصر تحت حكم العثمانيين"، مجلة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق، ٣، ١٩٦٠.

العزاوي، عباس تاريخ العراق بين احتلالين، الجزء الرابع، بغداد، ١٩٥٤

ابن خلكان (ج) وفيات الاعيان، دي سلان (المترجم)، اربعة أجزاء، باريس، ١٨٤٢-١٨٧١.

ابن الشحنة روضة المناظر في علم الأوائل والأواخر، على حاشية مروج المسعودي، جزءان، القاهرة، ١٨٨٥.

ابن الوردي، عمر خريدة العجائب وفريدة الغرائب، القاهرة، ١٨٩٩.

الادريسي وصف افريقيا واسبانيا، آر. دوزي وام. جي. دي غوجي (مترجم ومحقق)، ليدن، ١٨٦٦.

ابن واصل مفرج الكروب في اخبار بني ايوب، الجزء الاول، القاهرة، ١٩٥٣، الجزء الثاني، القاهرة، ١٩٧٢.

الجوهري تاج اللغة وصحاح العربية، بولاق، ١٢٨٢/١٨٦٣؛ ج٢.

المسعودي مروج الذهب، جزءان، القاهرة، ١٨٨٥.

مروج الذهب، باربيير، دي مينارد وبافيه دي كورتاي (المحققان)، اعاد التحقيق شارل بيلات، خمسة أجزاء، بيروت، ١٩٦٦/١٩٧٤.

المحبي خلاصة الاثر، مخطوطة مكتبة الاوقاف، الموصل، رقم حسنية٢٢/٦.

خلاصة الاثر، اربعة أجزاء، القاهرة، ١٨٦٨.

المرادي سلك الدر في اعيان القرن الثاني عشر، بولاق ١٨٨٣، الجزء الثاني.

النهروالي، محمد البرق اليماني في الفتح العثماني، الرياض، ١٩٦٧

الأعلام في اعلام بيت الله الحرام، اف. ويستنفلد (المحقق)، لايبزغ، ١٨٥٧.

نعيما حوليات الامبراطورية التركية من ١٥٩١ الى ١٦٥٩ من التقويم الميلادي لنعيما، سي. فريزر (المترجم)، الجزء الاول، لندن، ١٨٣٢.

نظمي زاده، مرتضى جامع الانوار، مخطوطة المكتبة البريطانية، رقم أدد/٧٨٧٧.

ترجمة اولياء بغداد، عبد الله فخري (المترجم)، مخطوطة مكتبة الاوقاف، الموصل، رقم حسنية ٢٢/٤.

القرماني، ابو العباس اخبار الدول، بغداد، ١٨٦٩

القزويني عجائب المخلوقات، على حواشي حياة الحيوان للدميري، جزءان، القاهرة، ١٨٩١.

"رحلة اول سائح شرقي الى امريكا". في المشرق، الجزء الثامن (١٩٠٥).

هاسلك ، اف. دبليو المسيحية والاسلام تحت حكم السلاطين، جزءان، اكسفورد، ١٩٢٩

هولت، بي. ام مصر والهلال الخصيب، ١٥١٦-١٩٢٢، نيويورك، ١٩٦٦

حوراني، أ.هـ "الاصلاح العثماني وسياسة الوجهاء"، في: بدايات التحديث في الشرق الاوسط، دبللير. بولك، و آر. جيمبرز (المحققان)، شيكاغو، ١٩٦٨.

"الوجه المتغير للهلال الخصيب في القرن الثامن عشر"، في دراسات اسلامية، ٨ (١٩٥٨).

الجلبي، داود — كتاب مخطوطات الموصل، بغداد، ١٩٢٧.

لتورنو، آر — المدن الاسلامية لافريقيا الشمالية، الجزائر، ١٩٥٧.

لويس، ب — الاسلام في التاريخ، لندن، ١٩٧٣

لونكريك، اس — اربع قرون من تاريخ العراق الحديث، اكسفورد، ١٩٢٥

مردم بك، فاروق — "المصادر التاريخية والتوثيق"، في: المجال الاجتماعي للمدينة العربية، دي. شيفالييه (المحقق)، باريس، ١٩٧٩.

ماسينيون، ل — "النصوص التحذيرية والشروح الخفية الخاصة باحتلال الاتراك للقسطنطينية عام ١٤٥٣م"، في المشرق، ٦ (١٩٥٣).

مينورسكي، ف — "شبك" في إي آي (١)، ٤، لندن– ليدن، ١٩٣٤.

ميكيل، أي — الجغرافية البشرية للعالم الاسلامي، الجزء الثاني، باريس، ١٩٧٥.

مورابيا، أي

نويفنهويسي، تي — المماليك والشيوخ الكبار، الانظمة السياسية في نقطة البداية لتاريخ العراق الحديث، ١٧٨٠–١٨٣١، كتاب قريب الصدور.

اولسن، آر. دبليو — حصار الموصل والعلاقات العثمانية–الفارسية ١٧١٨–١٧٤٣، بلومنغتون، ١٩٧٥.

باغليرو، آر — "الحفاظ على نصبين اسلاميين في الموصل" في سومر، ١١، ١، ٢ (١٩٦٥).

بارتيس، آر — ميشيليه بقلمه، باريس، ١٩٥٤

بارتولد، دبليو — تاريخ اتراك آسيا الوسطى، ام. دونسكير (المترجم)، باريس، ١٩٤٥.

بلاشير، آر — القرآن، باريس، ١٩٦٦

بودمان، ايج. ايل — الفئات السياسية في حلب، ١٧٨٠–١٨٢٦، جامعة كارولينا الشمالية، ١٩٦٣.

برووديل، اف — كتابات عن التاريخ، باريس، ١٩٦٩

بروكلمان، سي — تاريخ الادب العربي، جزءان و ٣ ملاحق، ليدن ١٩٣٧–٤٩

كيتاني، ايل — "مخطوطة مجهوله في مكتبة بودليان باكسفورد"، في الذكرى المئوية لميلاد ميشيل اماري، باليرمو، ١٩١٠.

كينيه، في — تركية الاسيوية، باريس١٨٩٢، الجزء الثاني.

الديوه جي، سعيد — اعلام الصناع المواصلة، الموصل، ١٩٧٠

جوامع الموصل في مختلف العصور، بغداد، ١٩٦٣

"قلعة الموصل في مختلف العهود"، سومر، ١٠، ١، ١٩٥٤.

"سور الموصل"، سومر، ٣، ١ (كانون الثاني١٩٤٧)

"الحرف والتجارة في الموصل في العصور الوسطى"، سومر، ٧، ١(١٩٥١).

"مدارس الموصل خلال العهد العثماني"، سومر، ١٨، ٢(١٩٦٢) و ١٩ (١٩٦٣).

"الجامع الاموي في الموصل"، سومر٦، ٢(١٩٥٠).

فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف العامة في الموصل — سالم عبد الرزاق احمد (المحقق)، ٨ أجزاء، بغداد، ١٩٧٨

في، جي. ام — "الموصل قبل عام ١٩١٥، رؤية للسياح الاجانب"، سومر، ٢، ٢ (تموز١٩٤٦).

جب، ايج، و باون، ايج — المجتمع الاسلامي والغرب، الجزء الثاني، لندن، ١٩٥٧

هامر، ام. فون — تاريخ الامبراطورية العثمانية، ام. دوشيز (المترجم) باريس، ١٨٤٢، الجزء٢.

حسن، م.س — "نمو وتركيب سكان العراق، ١٨٦٧-١٩٤٧" التاريخ الاقتصادي للشرق الاوسط، شارل عيساوي (المحقق)، شيكاغو، ١٩٦٦.

ثابت، ك. س — "حكم الشهابيين في جبل لبنان، ١٦٩٧-١٨٠٤"، رسالة ماجستير في الادب، (غير منشورة)، أكسفورد، ١٩٧٩.

توماس، إل. في — دراسة نعيمة، إن. اتزكوفيتز (المحقق) لندن، ١٩٧٢.

الزركلي، خير الدين — الاعلام، ١٠ أجزاء، القاهرة ١٩٥٤-٩.

زوتنبورغ، إيج — تاريخ ملوك الفرس لابي منصور عبد الملك الثعالبي، باريس، ١٩٠٠.

بوادبارد، أي — "الموصل وطريق الهند" في اسيا الفرنسية، ملحق رقم ٨ (مايس ١٩٢٣).

رفيق، عبد الكريم — ولاية دمشق، ١٧٢٣-١٧٨٣، بيروت، ١٩٦٦.

"سجلات المحاكم واهميتها في الدراسة الاجتماعية والاقتصادية والحضرية لسوريا العثمانية"، في المجال الاجتماعي للمدينة العربية، دي. شفالييه (المحقق)، باريس، ١٩٧٩.

"القوى المحلية في سوريا في القرنين السابع عشر والثامن عشر"، في تقنية الحرب والمجتمع في الشرق الاوسط، في. باري و ام.باب (المحققان)، لندن، ١٩٧٥.

رؤوف، عماد — الموصل في العهد العثماني، النجف، ١٩٧٥

ريموند، أندريه — حرفيو وتجار القاهرة في القرن الثامن عشر، جزءان، دمشق، ١٩٧٣-٧٤.

"ازاحة مدابغ حلب و القاهرة وتونس في العهد العثماني: مؤشر على الحضري"، في مراجعة للتاريخ المغربي، ٧-٨ (كانون الثاني١٩٧٧.

"وثائق المحكمة كمصدر للتاريخ الاقتصادي والاجتماعي لمصر في القرن الثامن عشر"، في العرب من وثائقهم، جي. بيرك و دي. شيفالييه (المحققان)، باريس، ١٩٧٩.

"العلامات الحضرية ودراسة سكان المدن العربية الكبرى في العهد العثماني"، في BEO ، CV (١٩٧٥).

رودويل، جي. ام — القرآن، لندن، ١٩٦٣

الصائغ، سليمان — تاريخ الموصل، القاهرة، ١٩٢٣، الجزءان ١و ٢.

سيزجن، إف — تاريخ الآداب العربية، ٦ أجزاء، ليدن١٩٦٧-٨.

شو. إس. جي — تاريخ الإمبراطورية العثمانية وتركيا الحديثة، كمبردج، ١٩٧٦، الجزء الاول.

التنظيم والتطوير المالي والإداري لمصر العثمانية، برنستون، ١٩٦٢.

الصوفي، أحمد — خطط الموصل، جزءان، الموصل، ١٩٥٣.

الترجمة الصوتية للحروف العربية

ء	`	ض	D
ب	B	ط	T
ت	T	ظ	Z
ث	Th	ع	‘
ج	J	غ	Gh
ح	H	ف	F
خ	Kh	ق	Q
د	D	ك	K
ذ	Dh	ل	L
ر	R	م	M
ز	Z	ن	N
س	S	هـ	H
ش	Sh	و	W,ū
ص	S	ي	Y, I

حروف العلة: ū,ī,ā,u,I,a

الادغامات: au,ai

التاء المربوطة: a أو at

استخدمت التهجئة الاوربية لاسماء الاعلام المعروفة للاقطار والمدن الجماعات البشرية، مثلاً الموصل، حلب، العراق، سوريا، القاهرة، الفاطميون، العباسيون، الشيعة، السنة، الاحناف..الخ. واستخدمت النقحرة المتداولة عموماً لكلمات مثل باشا، امير، سلطان، خليفة، شيخ، قاضي، مفتي، خان، سوق..الخ.

وترجمت الاسماء والمصطلحات التركية بصيغتها العربية، مثلاً: بيج بمكان بيك ولاجل السهولة اسقطت الى التعريف امام اسماء العوائل التي وردت كثيراً وتكراراً: مثلاً:عمري بدل العمري، جليلي بدل الجليلي، فخري بدل الفخري. وكذلك استخدم الجمع المؤنكلز للمصطلحات العربية: مدرسة، دار الحديث، ومسجد.

المختصرات

لاسباب التسهيل استعملت المختصرات التالية للمؤلفات التاريخية الموصلية:

أ خـــ	علي العمري "روضة الاخبار في ذكر الافراد الاخيار" مخطوطة المكتبة البريطانية، رقم ADD / 23311
أ ث	ياسين العمري "الاثار الجلية في الحوادث الارضية" مخطوطة المكتبة البريطانية، رقم او AR/ 6300
اول	احمد بن الخياط "ترجمة الاولياء في الموصل الحدباء" مخطوطة مكتبة المتحف العراقي، رقم /٦٨٤
ا ع	ياسين العمري "عنوان الاعيان في ذكر تواريخ ملوك الزمان" مخطوطة مكتبة الدولة برلين، رقم/9484
بغ	ياسين العمري "غاية المرام في محاسن بغداد دار السلام"، الناشر علي البصري، بغداد/٩٦٨
در (١)	ياسين العمري "الدر المكنون في المآثر الماضية من القرون" مخطوطة المكتبة الوطنية، باريس، رقم عربي/4949
در (٢)	ياسين العمري "الدر المكنون.." مخطوطة المكتبة البريطانية، رقم ADD/ 23312
در (٣)	مخطوطة مكتبة الدولة، برلين، رقم/٩٤٨٥ بدون عنوان، اشير اليها في الكتالوك بـــ:تاريخ، وعزيت لياسين العمري.
غا	ياسين العمري "غرائب الاثر في حوادث ربع القرن الثالث عشر"، الناشر صديق الجليلي، الموصل/ ١٩٤٠.
حس	ياسين العمري "قرة العينين في محاسن الحسن والحسين" مخطوطة مكتبة آل الجليلي في الموصل
خُل	ياسين العمري "خلاصة التواريخ" مخطوطة ببليوتيك الدولة، برلين، رقم/9900
مَن (٢)	امين العمري "منهل الاولياء.." الناشر سعيد الديوه جي، جزءان، الموصل ١٩٦٨
مُن	ياسين العمري "منية الادباء في تاريخ الموصل الحدباء" مخطوطة المكتبة البريطانية، رقمADD/3323
نض (١)	عثمان العمري "الروض النضر في تراجم فضلاء العاشر" مخطوطة المكتبة البريطانية، رقم ADD/531
نض (٢)	عثمان العمزي "الروض النضر.." الناشر س-النعيمي، ثلاثة اجزاء، بغداد١٩٧٤
نِس (١)	ياسين العمري "الروضة الفيحاء في تواريخ النساء" مخطوطة مكتبة المتحف العراقي، رقم/١٨٠٢

نس (٢)	ياسين العمري "الروضة الفيحاء.." الناشر ر.السامرائي، بغداد/١٩٦٦
قض	ياسين العمري "منهج الثقاة في تراجم القضاة" مخطوطة مكتبة الاوقاف، الموصل، رقم خياط ٤/٥
سيف	ياسين العمري "السيف المهند في مناقب من سمي احمد" صورة طبق الاصل لمخطوطة تعود لآل العمري في مدرسة يحيى باشا،الموصل، رقم ٩٧٠/ع م س
سر	يحيى الجليلي "سراج الملوك ومنهاج السلوك" مخطوطة المكتبة البريطانية ،رقم ADD/3306
سئل	ياسين العمري "غاية البيان في مناقب سليمان"، مخطوطة المكتبة الوطنية، برلين، رقم 9901
عمد	ياسين العمري "عمدة البيان في تصاريف الزمان" مخطوطة مكتبة المتحف العراقي، رقم/٩٠٨٤
عُن (١)	ياسين العمري "عنوان الشرف" مخطوطة مكتبة كلية الدراسات الشرقية والافريقية، لندن، رقم/49780 ، تنسب لامين العمري
عُن (٢)	ياسين العمري "عنوان الشرف" مخطوطة المكتبة الوطنية، باريس، رقم/عرب/٥٧٩٢، تنسب لامين العمري
عُن (٣)	ياسين العمري "عنوان الشرف" مخطوطة المكتبة الوطنية، باريس، رقم/عرب/٥١٣٨، تنسب لامين العمري
ز ب	ياسين العمري "زبدة الاثار الجلية" مختارات نسقها داود الجلبي من "الاثار الجلية" لياسين العمري، ونشرها. رؤوف، بغداد١٩٧٤.

المحتويات	الصفحة

نبذ عن المؤلف والمترجمين ١

تقديم ٣

المقدمة ٧

الفصل الاول: المجال الحضري ١٧-٢٨

الاسوار والبوابات

العمارات الحكومية

الاسواق

العمائر الدينية

الفصل الثاني: المجتمع الحضري ٢٩-٣٨

السكان

الجماعات الحضرية

طبقة الموظفين

القوات المسلحة

الفصل الثالث: التركيب الاجتماعي للموصليين ٣٩-٦٠

الارض ونتاجها

الحرف والصناعات

التجارة

استنتاج

الفصل الرابع: السيطرة على طرق التجارة ٦١-٨٠

الطريق الذي يربط الموصل بسوريا عبر الصحراء السورية

شبكة الطرق التي تربط الموصل بسوريا عبر أعالي بلاد الرافدين

الطريق الذي يربط الموصل بإمارة بهدينان

الطريق الذي يربط الموصل بامارة بابان وفارس

الطرق التجارية التي تربط بين الموصل والخليج العربي

طريق البصرة - بغداد عبر الصحراء السورية

استنتاج

الفصل الخامس: سياسة الوجهاء ٨١-١٢٢

الوضع السياسي قبل حكم الجليليين

السنوات الاولى لحكم الجليليين

نزاع عام ١٧٥٤م
نزاعات عامي ١٧٥٦ و ١٧٥٨م
نزاع عام ١٧٦٠-١٧٦١م
وجهاء الموصل حوالي عام ١٧٦٠م
نزاعات سنتي ١٧٦٨-١٧٧١م
محاولة عبد الباقي بن عبيد الجليلي استلام السلطة
وجهاء الموصل في أواخر القرن الثامن عشر
نزاع عام ١٨٠٦م
نزاع عام ١٨٠٩م
نهاية حكم الجليليين
استنتاج
الفصل السادس: الحياة الثقافية ١٢٣-١٤٠
المشهد الثقافي
الشبكة الثقافية والمنظور الفكري
الانتاج الثقافي
القضايا
الفصل السابع : مؤرخو الموصل ١٤١-١٨٠
عثمان الدفتري العمري
يحيى بن عبده الجليلي
أمين بن خير الله العمري
ياسين بن خير الله العمري
علي بن ياسين العمري
أحمد بن الخياط
ملحوظات ختامية
الفصل الثامن: صور موصلية للتاريخ العثماني ١٨١-٢٠٠
العهد الجديد
اسطنبول
السلطان
الأعداء : الافرنج
الأعداء والمنافسون العجم
المنافسون : الوهابيون
Abstract ٢٠١
الملحق رقم (١) : ولاة الموصل ١٧٢٦-١٨٤٤م ٢٠٣

الملحق رقم (٢) : الصناعات الموصلية عام ١٨٤٥م ٢٠٥
الملحق رقم (٣): الحركة التجارية في مدينة الموصل والولايات المجاورة خلال عام ١٨٥٣م ٢٠٧
الملحق رقم (٤) : حرفة النسخ في العهد الجليلي ٢٠٩
الملحق رقم (٥) : المصادر التأريخية في المكتبات الموصلية ٢٢٣
الملحق رقم (٦) : سراج يحيى الجليلي ٢٢٩
ملحق الخرائط ٢٣٩
المصادر (قائمة بالمؤلفات المرجعية) ٢٥٣
الترجمة الصوتية للحروف العربية ٢٦١
المختصرات ٢٦٣
المحتويات ٢٦٥

Ministry of Higher Education and Scientific Research
Mosul University
Mosul Studies Center

Mosul
And
Mosuli Historians of the Jalili Era (1726-1834)

Percy E. Kemp

Translation
by
Moheb Ahmad Aljalili
and
Ghanem Al ogaili

Revision
Salah Saleem Ali

1428 A. H **2007 A. D**